روض الرياحين

في حكايا الصالحين

تأليف

عفيف الدين أبي السعادات

عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني ثم المكي

(٦٩٦ - ٧٦٨ هـ)

تحقيق:

محمد عزت

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

ترجمة المؤلف [١]

٧٠٠م - ٧٦٨ هـ

اسمه :

عبد الله بن أسعد على بن سليمان بن فلاح اليافعى ، اليمنى ، ثم المالكى الشافعى .

عفيف الدين ، صوفى ، شاعر .

مشارك فى الفقه والعربية والأصلين واللغة والفرائض والحساب .

مولده :

ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث [٢] .

وفاته :

ورحل إلى عدن ، وجاور بمكة وتوفى بها فى ٢٠ جمادى الآخرة ودفن بمقبرة باب المعلى .

من تصانيفه الكثيرة .:

* مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان .
* مرهم العلل المعضلة فى أصول الدين .
* الإرشاد والتطريز فى فضل ذكر الله .
* وتلاوة كتابه وديوان شعر .

وروض الرياحين فى حكايات الصالحين ويسمى نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر .

---

(١) انظر معجم المؤلفين جـ ٦ ص ٣٤ .

(٢) الدرر الكامنة وفى الشذرات ولد قبل السبعمائة بقليل وفى النجوم الزاهرة : ولد سنة ٦٦٨هـ تقريبا .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق أوحد الزمان وفريد العصر والأوان عفيف الدين وواسطة عقد عباد الله الصالحين ناصر كلمة الحق والدين عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى نزيل الحرمين الشريفين رحمه الله وأرضاه وجمّل منقلبه ومثواه آمين .

الحمد لله المعروف بالمعروف الموصوف بالكمال فى الآزال والآباد المتقدس عن النقص والمثل والشريك والضد والزوجة والأولاد المنفرد بالعظمة والكبرياء والعزة والبقاء الملك الحنان المنان الجواد الذى هدى بفضله من شاء وأضل بعدله من شاء من العباد ونبه فى كتابه الكريم على وفق ما سبق فى علمه القديم من الإشقاء والإسعاد فقال عز من قائل (من يهدى الله فهو المهتد) وقال تعالى : (ومن يضلل الله فما له من هاد) الذى أذاق حلاوة طاعاته ولذاذة مناجاته من شغله به من الزهاد والعباد وخص بفضله العظيم من اصطفاه للحضرة القدسية وصفاه من كدورات الصفات النفسية فأبعد عنه الهجر والإبعاد ونور قلوب أوليائه بنور معرفته وسقاهم بكأس محبته شراب الوداد فسكروا براح الهوى ولم يسقوا مداما كما قلت فى الإنشاد :

سكارى ولم يسقوا مداما وإنما ... سقوا حب حسن جل عن واصف
سقاهم من الراح التى من يشمها ... تميل به قبل ارتشاف المغارف

تجلى لهم فشاهدوا جمال المحبوب وعجائب الملك والملكوت والغيوب وتنعمت بالمشاهدة منهم عين الفؤاد وأجلسهم على بساط الأنس مقربين فى حضرة القدس وصرفهم فى ملكه فهم الملوك فى الحقيقة فى جميع البلاد وفى المعنى قلت :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم ... من الملك إلا اسمه وعقابه
شموس الهدى منهم ومنهم بدوره ... وأنجمه منهم ومنهم شهابه

أولـئك هـم أهل الـولاية نـالهـم — من الله فـيـهـا فـضلـه وثوابه
وقـرب وأنس واجـتلاء مـعـارف — ووارد تـكـلـيـم لـذيـذ خـطـابـه
وأسرار غـيب عندهم علم كشفـها — وقـد سكروا مما يـطيب شـرابه

وقلت فيهم أيضا فى قصيدة أخرى :

نجـاب فـتـيـة غـر كـرام — من الـعلـيـاء فى أعـلى مـكان
بحـار العـلم أوتـاد الأراضى — ملـوك الخلق أقـمـار الزمـان

وقلت فيهم أيضا فى قصيدة أخرى :

ملوك البـرايا ليس يشقى جليـسهم — لهم بيض رايـات العـلا فى المواقف
حبوا وحظوا خصوا اصطفوا ثم قربوا — وولوا وعلـوا فـوق كل الـطوائف

أماتوا نفوسهم فأحـياهم الحى القيوم الحياة الطيبة قـبل يوم المعاد وأطعمهم من تحف فواكه جنات الوصل وطرف هدايا فيض الفـضل فى روضات رضوان رب العباد .

(وفى هذا المعنى قلت) :

جنوا من جنان الوصل تفاح تحـفة — بروضـات رضـوان وروح وريحـان
وعيش هـنى فى حمى ظل نعـمة — تراهم ملوكـا جـوف جنات عرفـان
فـآها عـلى تلك العطيـات والمنى — على تلك فابكوا يا صحابى وخلانى
فوا أسـفا إن مت يومـا بحسـرتى — وماذقت حالى عيـشها الطيب الهانى

جنوا ثمرات المقامات العالية والأحوال الغالية كما قلت فى كتاب الإرشاد أيضا :

جنوا ثمر خوخ الخوف فى روضة الرضـا — وإجاص إخـلاص وتـين التـوكـل
وأرطاب حب قد جنتـها يد الهوى — وأعناب أشـواق بهـا القلـب ممتلى
ورمـان إجـلال وتفـاح هيـبـة — وموز الحـيا مبـدئ رجاء السـفرجل
جنـاء جنان عـارف بمعـارف — جنـى من جناهـا كل دان مـذلل
فـياطرف قلب عش برؤياك طرفـة — ويا نفس ذا أحـلى نفـيـس له كلى
وياطيب عـيش ناعـم من رآك لم — ير عـيش عز غـيـر عـيش منكل

فسبحان من أنعم عليهم بفضله ومن عليهم بسنى العطايا وجاد .

أحمده على ما هدانا للإسلام وخصنا بسيد الأنام وسراج الظلام محمد الماحى بنوره ظلام الكفر والعناد المخـصوص بالمقام المحمود واللواء المعـقود والحوض المورود والشرف المشهود يوم يقوم الأشهاد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

خالصة التوحيد سالمة من الشرك والإلحاد وأشهد أن محمدا عبده المصطفى ورسوله المرتضى الهادى إلى سبيل الرشاد ﷺ وعلى آله الغر الكرام وأصحابه النجباء الأمجاد.

(أما بعد) فإنى لما كنت محبًا للأولياء والصالحين وعاشقا للصوفية العارفين من أهل الذوق والشوق والتجريد والانفراد ومولعا بكلامهم وحكاياتهم فى كتب الحقائق والدقائق النفيسات الجياد كما قلت فى محاسن ذكرهم فى المعنى :

دعتنى دواعى حبهم نحو ذكرهم ... بجمع كتاب فيه لب لباب
به من حكايات الملاح ملامحها ... محاسن أفعال وحسن خطاب
وفضل كرامات وأحوال أهلها ... وعالى مقامات زهت بقباب
قباب من الأنوار فى ذروة العلا ... زهت فى سماء المجد مثل شهاب
سمت للسموات ارتفاعا ورفعة ... بحضرة قدس فى شريف رحاب
فأرواحهم ترتاح شوقا وتجتلى ... جمالا لها يبدو بكشف حجاب
حكاياتهم يحيى القلوب سماعها ... ويروى ظمأ الصدى بعذب شراب
تخيرت منها وانتخبت محاسنا ... لأهل الهوى والعاشقين سوابى
وأهديت رياها لمشتم طيبها ... بروض رياحين القلوب كتابى
هدية خال من هوى حسنها لمن ... دعا هواها نحو كشف نقاب

وسميت هذا الكتاب : (بروض الرياحين فى حكايات الصالحين ولقبته بنزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر فى حكايات الصالحين والأولياء الأكابر) .

انتخبته وانتقيته وجمعته وألفته من كتب عديدة لأئمة كبار ذوى مناقب حميدة منهم الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى والإمام الأستاذ أبو القاسم القشيرى والشيخ الإمام شهاب الدين السهروردى والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخبرى والشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله الشاذلى السكندرى والشيخ أبو العباس أحمد بن على القسطلانى والإمام العالم أبو الفرج بن الجوزى والشيخ الإمام العالم أبو عبيد الله محمد بن قدامة المقدسى والشيخ الإمام العالم أبو الليث نصر بن محمد السمرقندى والإمام العالم أبو العباس أحمد بن على عرف بابن الأطريانى وآخرون يطول عددهم غير هؤلاء العشرة رضى الله عنهم (وأودعته) خمسمائة حكاية وخمسة فصول منها فصلان مقدمة وفصلان خاتمة وفصل خاتمة الخاتمة وبالله التوفيق وعليه التكلان .

(الفصل الأول : من المقدمة فى شىء من فضائل الأولياء والصالحين والفقراء والمساكين) .

(والثانى فى إثبات كرامات الأولياء السادات الأصفياء .

(والفصل الأول من الخاتمة: فى الجواب عن إنكار وقع من بعض الفقهاء المنصفين فى بعض حكاياتهم (والثانى) فى بيان مذاهبهم رضى الله عنهم فى عقيداتهم.

(وفصل الختام : فى توحيد الرحمن وطرف من طرف الجنان مختوما بمدح خاتم الأنبياء وتاج الأصفياء ﷺ وشرّف وكرّم وعظّم.

والحكايات عن الأولياء والصالحين ومشايخ الصوفية وأهل الدين المجذوبين منهم والسالكين الصادقين منهم والصديقين والفقراء المباركين والمجاهدين والزاهدين والعابدين ينتفع بها إن شاء الله تعالى الزهاد والعباد وأهل الدين وتقوى بها قلوب المريدين كما روينا عن تاج العارفين قطب العلوم سيد الطائفة المشغولة بالله العارف أبى القاسم الجنيد قدس الله روحه ونور ضريحه أنه قيل له ما للمريدين فى مجاراة الأحكام فقال الحكايات جند من جنود الله تعالى تقوى بها قلوب المريدين قيل له فهل فى ذلك شاهد ، فقال رضى الله عنه نعم قوله تعالى :

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك[1]) .

وكذلك حكى عن الشيخ الصالح الكبير العارف بالله الخبير أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه قال اختلفت إلى مجلس بعض القصاص فأثر كلامه فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شىء فعدت ثانيا فسمعته فبقى فى قلبى أثر كلامه فى الطريق ثم ذهبت فعدت ثالثا فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق إلى الله تعالى .

ولما حكى للشيخ العارف الواعظ يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه هذه الحكاية قال عصفور اصطاد كركيا يعنى بالعصفور القاص وبالكركى أبا سليمان الدارانى وكذلك بلغنا أن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين . ثم إنى حذفت أسانيد الحكايات رغبة فى الاختصار وعلما بأن من ليس له فيهم اعتقاد لا يفيد فيه الإسناد وأما من اعتقدهم فإنه ينتفع بما سمع عنهم ولا يتوقف على ثبوت الأسانيد القوية كتوقف الأحاديث النبوية إذ ليس يترتب على ذلك شىء من الأحكام الشرعية بل مجرد حكايات وعظية ، فينبغى أن يتعظ بها ولا ينكر فقد قال الشيوخ رضى الله عنهم أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم قالوا ويخشى عليه سوء الخاتمة

(١) سورة هود الآية ١٢٠ .

نعوذ بالله من سوء القضاء.

(وقال) الشيخ العارف بالله أبو تراب النخشبى رضى الله عنه إذا ألف القلب الإعراض عن الله تبارك وتعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله عز وجل .

(وقال) الشيخ العارف أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى رضي الله عنه ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى لأن محبة أولياء الله تعالى دليل على محبة الله عز وجل .

(وقال) الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية يعنى الولاية الصغرى دون الكبرى (قلت) والناس على أربعة أقسام :

(القسم الأول) حصل لهم التصديق بعلمهم والعلم بطريقهم والذوق لمشروبهم وأحوالهم .

(والقسم الثانى) حصل لهم التصديق والعلم المذكوران دون الذوق .

(والقسم الثالث) حصل لهم التصديق دونهما .

(والقسم الرابع) لم يحصل لهم من الثلاثة شيء نعوذ بالله من الحرمان ونسأله التوفيق والغفران وهأنا معترف بأنى خال عن أحوالهم وذوقهم جاهل بعلم تحقيقهم عاجز عن سلوك طريقهم لكننى محبهم وموقن بصدقهم وفيهم قلت شعرا فى المعنى .

ألا أيها السادات إن طريقكم ... على غيركم وعر صعاب عقابه
طريق كحد السيف در من ... يكون على حد السيوف ذهابه
وإنى وإن عجز عرانى محبكم ... فأنتم لقلبى خلده ومآبه
فهل من فتى فيكم على جذب عاجز ... شديد القوى سهل عليه اجتذابه
إلهى بذاك انفعه واحشره معهم ... وعمر بنا قلبا تناهى خرابه
إلهى الفقير اليافعى ليس عنده ... سوى حبهم ذازاده وركابه
وصل على من فضلهم فيض فضله ... خلاصتهم من ذا اللباب لبابه
ومن خير آل فى البرايا وصاحب ... من الخلق كل آله وصحابه
محمد المختار من آل هاشم ... غياث الورى الغيث الرواء سحابه

* * *

(الفصل الأول من المقدمة فى شىء من فضائل الأولياء الصالحين والفقراء والمساكين مما جاء به القرآن والأخبار والآثار) .

قال عز من قائل : ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾(٢) . وقال سبحانه : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾(٣) . وقال عز وجل : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾(٤) . وقال سبحانه: ﴿يحبهم ويحبونه﴾(٥) . وقال عز وجل : ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾(٦) . وقال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم﴾(٧) . وقال تعالى: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين﴾(٨) . وقال تعالى : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾(٩) . وقال تعالى ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا﴾(١٠) . فهذه عشر آيات اقتصرت عليها . وأما الأخبار فنقتصر منها على عشرة أحاديث صحيحة .

(الحديث الأول) روينا فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى قال من عادى لى وليا فقد

---

(١) سورة النساء الآية ٦٩ .
(٢) سورة يونس الآية ٦٢ : ٦٤ .
(٣) سورة الحجر الآية ٤٢ .
(٤) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .
(٥) سورة المائدة الآية ٥٤ .
(٦) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .
(٧) سورة فصلت ٣٠ ، ٣٢ .
(٨) سورة آل عمران ١١٣ : ١١٤ .
(٩) سورة الكهف الآية ٢٨ .
(١٠) سورة البقرة الآية ٢٧٣ .

آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه روى استعاذنى واستعاذ بى بالنون والباء آذنته بالحرب أعلمته بأنى محارب له وأنشدنا بعض شيوخنا لبعضهم :

من اعتز بالمولى فذاك جليل ... ومن رام عزاً من سواه ذليل
ولو أن نفسى مذ براها مليكها ... مضى عمرها فى سجدة لقليل
أحب مناجاة الحبيب بأوجه ... ولكن لسان المذنبين كليل

(الحديث الثانى) روينا فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وفيهم قلت فى أرجوزة مثلثة .

لله قوم فى الحِمَى كرام ... مستيقظون وللورى نيام
أو لو مقامات علت وأحوال

دارت عليهم فى الهوى كئوس ... نور البرايا للهدى شموس
ليسوا كشمس فى السماء أفال

خلعات مولاهم عليهم زهر ... تزهو وبين الخلق شعث غبر
ما أحمر الكبريت يدرى جهال

مع حبه أعطاهم المعارف ... إن أقسموا يوما أبر الحالف
أحبة أدلوا بكل أدلال

(الحديث الثالث) روينا فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء رجل فقال يا رسول الله أى الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله تعالى قال ثم من قال ثم رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه» وفى رواية: «يتقى الله، ويدع الناس من شره» وأنشدوا .

أخص الناس بالإيمان عبد ... خفيف الحاذ مسكنه القفار
له فى الليل حظ من صلاة ... ومن صوم إذا طلع النهار
وقوت النفس يأتى فى كفاف ... وكان له على ذاك اصطبار
وفيه عفة وبه خمول ... إليه بالأصابع لا يشار
وقل الباكيات عليه لما ... قضى نحبه وليس له يسار
فذلك قد نجا من كل شر ... ولم تمسسه يوم البعث نار

(الحديث الرابع) روينا فى صحيح البخـارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى وقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» .

وكان بـن عمـر رضى الله عنهمـا يقول إذا أمـسيت فـلا تنتظر الصـباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وأنشدنا بعض شيوخنا لبعضهم :

أيا فـرقة الأحـبـاب لابد لى منك ... ويا دار دنـيـا إننى راحل عـنك
ويا قـصـر الأيام مـالى ولـلمنى ... ويا سكرات الموت مالى وللضحك
ومـالى لا أبكى لنـفـسى بعـبـرة ... إذا كنت لا أبكى لنفسى فمن يبكى
الا أى حى ليـس بالموت مـوقنا ... وأى يقـين منه أشـبـه بالـشك

(الحديث الخامـس) روينا فى كتاب الترمـذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخـمسمائة عام قال الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «يـدخل الفقـراء الجنة قـبل الأغنياء بخمسمائة عام» قال الترمذى: حديث حسن صحيح وفى مدح والفقراء قلت:

وقـائلة ما المجـد للمـرء والفخـر ... فقلت لهـا شىء لبيض العلا مـهر
فـأما بنو الدنيـا فـفخـرهم الغنى ... كـزهر نضيـر فى غد ييبس الزهر
وأما بنو الأخرى ففى الفقر فخرهم ... نضـارتـه تزداد مـا بقـى الدهر

وسمعت بعض الفقراء الواجدين يغنى ويبكى ويقول فى غنائه :

قال لنا حبيبنا اليوم لهم وغدا لنا

(الحـديث السادس) روينـا فى الصحـيحـين عن أسـامـة رضى الله عنه عن النبـى ﷺ قـال قـمت على باب الجنة فكان عـامة من دخلهـا المسـاكين وأصحـاب الجـد مـحبوسـون غير أن أهل النار قـد أمر بهم إلى النار وقـمت على باب النار فـإذا عامة من دخلهـا النسـاء يعنـى بأصحاب الجد بفـتح الجيم الأغنياء وفى وعـظ النسـاء المذكـورات وفى مـدح الحـور المليحـات قـلت فى بعض القصيدات :

ألا يا غـوانى مـن أرادت سـعـادة ... وتوقى عـذابا بالنسا صـار محـدقا
فـأكـثـر أهل النار هن حـقـيـقـة ... روينا حـديثا فيـه صدقـا مصـدقا
تخلى التـباهى تبـدل اللهـو بالبكا ... وتبذل كل الجهـد فى الزهد والتقى
وتعـتاض عـن لين بدنيا خـشـونة ... وعن يابس فى الدين أخضر مورقا
رعى الله غـزلانا تـبـيت قـوانتـا ... ويصبح منها القلب بالخوف محرقا
تظل عن المرعى الخصـيب صوائما ... ويمسى سمين البطن بالظهر ملصقا

ترى بين عين والسهاد تواصلا
وبين الكرى والعين منها تفرقا

وبين معاء والغذاء تقاطعا
وبين خلوف المسك والثغر ملتقى

ترى ناحلات قارئات مصاحفا
ولؤلؤ نحر البدر فى الورد مشرقا

فدتها من الآفات كل نفوس من
يخالفها فى الوصف غربا ومشرقا

خليلىّ إن الموت لا شك نازل
وبين الأحبا لا يزال مفرقا

فجدا لدار لا يزول نعيمها
بها الحسن واللذات والملك والبقا

ولقيا حسان ناعمات منعم
بهن سعيد سعد ذلك من لقا

كواعب أتراب زهت فى خيامها
بظل نعيم قط مامسها شقا

كدرت وياقوت وبيض نعامة
كساها البها والنور والحسن رونقا

مليحات أوصاف تعالت صفاتها
عن الوصف فوق المرتقى وصفها رقى

تغنى بما لم تسمع الخلق مثله
وقد حبرت صوتا رخيما مشوقا

غناهن نحن الخالدات فقط ما
نبيد ونحن الناعمات فلا شقا

ولا سخط والراضيات بناالمنى
فطوبى لمن كنا له من أولى التقى

(الحديث السابع) روينا فى الصحيحين أيضا عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال . مر رجل بالنبى ﷺ فقال لرجل جالس عنده مارأيك فى هذا فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع إن يشفع فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك فى هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال لا يسمع لقوله .

فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وأنشد بعضهم:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه
فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

وأنشد آخر وقيل إنه لعلى كرم الله وجهه :

دليلك أن الفقر خير من الغنى
وأن قليل المال خير من المثرى

لقاؤك عبدا عصى الله بالغنى
ولم تلق عبدا قد عصى الله بالفقر

ويروى للغنى وللفقير باللام.

(الحديث الثامن) روينا فى الصحيحين أيضا عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ

الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة» قوله يحذيك يعطيك وأنشد بعضهم :

تجنب قرين السوء واصرم حباله فإن لم تجد عنه محيصا فداره
واحبب حبيب الصدق واترك مراءه تنل منه صفو الود ما لم تماره
ولله في عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره

(الحديث التاسع) روينا فى كتاب الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل: «المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء» قال الترمذى حديث حسن صحيح.

وفى موطأ الإمام مالك رضى الله عنه بإسناده الصحيح يقول الله تبارك وتعالى: «وجبت محبتى للمتحابين فىّ والمتجالسين فىّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ» وأنشد بعضهم فى إغباب زيارة الإخوان وقلتها واقتصاد الزائر على حسب ما يختار المزور.

إذا شئت أن تقلى فزر متواترا وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا
يقولون لا تملل زيارة صاحب فإنك إن أمللته كره القربا

وأنشد بعضهم

يقل إخائى عند من زرت بيته كثيرا ولكنى أقل فيكثر
وإن زرت من لا يشتهى أن أزوره كثيرا فما لومى له حين يضجر

وأنشد آخر

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فإنى رأيت الغيث يسأم دائما ويسأل بالأيدى إذا هو أمسكا

(الحديث العاشر) روينا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ؛ إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله عز وجل اجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وفى هذا الحديث قلت هذه القصيدة المسماة معالى الرفعة فى حديث السبعة :

روينا حديثا فى الصحيحين سبعة يظلهم المولى بخير ظلال
يظلهمو فى ظله الله يوم لا سوى ظله ظل فهاك مقالى

أمـــا له عـــدل ومن فى عـــبـــادة — نشــــأ بالتـــقى لله لا بـضــــلال
ومن قلبــه يهــوى المســاجــد دائمــا — تعلـقــه فــيــهــا بغــيــر زوال
وشــخصــان فى الله الكريم تحــابـبـا — بحــال افتــراق مـنهــمـا ووصــال
وإنى أخــاف الله مــن قــال عندمــا — دعت ذات عــالى منصب وجـمــال
ومـصدق أخــفى التصــدق لم يكن — بما أنفـــقت يمناه علـم شـــمـــال
ومن ذكــر الرب المهـــيـمن خــاليـا — فـفــاضت به عــيناه خـــوف نكال
وخوف القلى والهــجر بعــد وصاله — وشــوقــا إلى رؤيا جـمــال جــلال
فــأكرم بهن من ســبــعة طيـبى الثنا — وأكرم بــهـا فى القــوم سبع خـصـال
وأكــرم به فخــرا سمــا كل مـفخــر — ومـجـد فـعــال فــوق كل فـعــال
بمقــعد صــدق تحت عــرش مليكهم — تجلى لهــم باهى جـمــال كـــمــال
تراهم ملوكــا فــوق نجب من البهــا — وغـرفـــات در كــالنجـــوم عـــوال
على سرر الياقوت فى فرش سندس — وحـــور من النــور المضىء غـــوال
ومــا تشــتــهــيه الـنفس من كل لذة — ومن زيـنة والـكل ليـس ببـــــال
ومـــا لم تر عين وتســــمع أذن ذى — ســـمـــــاع ويخطـر للأنام ببــــال
هنيـئا لهم طـوبى لهم تم سعــدهم — أنيـلوا نوالا خـــيـــــر كـل نوال

(قلت) وهذه الأحاديث العشرة كلها صـحاح كما ترى . وهذه أحاديث أخرى رواها جمـاعة من الأئمة بأسـانيدهم فى كتـبهم . منها مـا رووا عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «بدلاء أمـتى أربعون رجلا اثنان وعشـرون بالشام وثمانيـة عشـر بالعراق كلما مـات منهم واحد أبدل الله مكانـه آخر فإذا جـاء الأمر قبضـوا» ، ورووا عن ابن مسعود رضى الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ : «إن لله تبارك وتعالى فى الأرض ثلثمـائة رجل قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام وله واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثـلاثة وإذا مات مـن الثلاثة أبدل الله مكـانه من الخمـسة وإذا مـات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعـة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الـثلثمائة وإذا مات من الثلثـمائة أبدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة وذكـر بعضهم عزرائيل ولم يذكر موسى وجـعل مكانه إبراهيم ومكان إبراهيم جبـريل ومكان جبـريل ميكائيل ومكان

ميكائيل إسرافيل ومكان إسرافيل عزرائيل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم وقال بعضهم لم يذكر رسول الله ﷺ قلبه فى جملة قلوب الأنبياء والملائكة والأولياء إذ لم يخلق الله تعالى فى عالم الخلق والأمر أعز وألطف وأشرف من قلبه ﷺ فقلوب الملائكة والأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى كمال الشمس .

وقال الشيخ العارف أبو الحسن الثورى رضي الله عنه شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب محمد ﷺ فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وقال الشيخ العارف بحر المعارف ذو النون المصرى رضى الله عنه ركضت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا محمد ﷺ أرواح الأنبياء إلى رياض الوصال . ورووا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : «البدلاء بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والأوتاد بسائر الأرض والخضر عليه السلام سيد القوم» . وعن الخضر عليه السلام أنه قال : «ثلثمائة هم الأولياء وسبعون هم النجباء وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد منهم هو الغوث» رضى الله عنهم أجمعين .

ورووا عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال إن لله عبادا يقال لهم الأبدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم ﷺ لايموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه .

(واعلم) أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحتقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم إنما قلوبهم تصعد فى السقوف العلا ارتياحا إلى الله تعالى فى استباق الخيرات (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) وهذا بعض كلامه . ورووا عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان كانوا أعقل الناس قال قلنا يا رسول الله فكيف كانوا أعقل الناس قال كان نهمتهم المسابقة إلى ربهم عز وجل والمسارعة إلى ما يرضيه وزهدوا فى الدنيا وفى فضولها وفى

رياستها ونعيمها فهانت عليهم فصبروا قليلا واستراحوا طويلا .

ورووا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال بعثت الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولا فقال يا رسول الله إنى رسول الفقراء إليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم فقال يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله ورواه بعضهم ذهبوا بالجنة هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرا لهم فقال رسول الله ﷺ بلغ الفقراء عنى أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء أما الخصلة الأولى فإن فى الجنة غرفا من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم فى السماء لا يدخلها إلا نبى أو فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والخصلة الثانية تدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام والخصلة الثالثة إذا قال الفقير (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) مخلصا وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وإن أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب رضينا .

ورووا عن الحسن البصرى رضي الله عنه أنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : «أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة قالوا : يا رسول الله وما دولتهم قال ﷺ إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا إلى من أطعمكم كسرة أو كساكم ثوبا أو سقاكم شربة فى الدنيا فخذوا بيده ثم أفيضوا به إلى الجنة .

ورووا عن الحسن أيضا رضى الله عنه بروايته عن النبى ﷺ انه قال : «يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل فى الدنيا فيقول الله عز وجل : «وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك علىّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ولكن يا عبدى اخرج إلى هذه الصفوف وانظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك» والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل به ذلك فى الدنيا فيأخذ بيده ويدخله الجنة .

ورووا نحو هذا بأسانيدهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ وقال فيه : «فانظر إلى من أطعمك أو سقاك أو كساك» ثم ذكر الحديث .

ورووا أن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ : «يا موسى إن من عبادى من لو سألنى الجنة بحذافيرها لا عطيته ولو سألنى علاقة سوط من الدنيا لم أعطه وليس

ذلك من هوان له عليّ ولكني أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء» . ورووا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين، والفقراء الصادقون الصابرون هم جلساء الله يوم القيامة».

ورووا عن النبي ﷺ انه قال : «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين» قلت وناهيك بهذا الشرف للمساكين ولو قال ﷺ واحشر المساكين في زمرتي لكفاهم شرفا فكيف وقد قال ﷺ واحشرني في زمرة المساكين . ورووا الحديث المشهور قال رسول الله ﷺ إن النور إذا وقع في القلب وانشرح الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال ﷺ: «نعم التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله» .

قلت فعلى هذا لا يكون هذا النور المذكور إلا لقلب زاهد في الدنيا . والحديث الحسن في الترمذي وغيره عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) .

قال العلماء معنى دان نفسه أي حاسبها .

ورووا عن زيد بن أسلم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا أخرج رجل غني من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل فقير درهما واحدا من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف درهم . قلت ويؤيده قوله ﷺ : «سبق درهم مائة ألف درهم» الحديث أخرجه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي في سننه وإلى ذلك أشرت حيث قلت :

لئن كان للأموال فخر على الثرى ... فللفقر فخر بالثريا معلق
وإن أنفق المثري الوفا عديدة ... فدرهم أهل الفقر يا صاح يسبق

وأشرت أيضا إلى ذلك بأوضح من هذا حيث قلت :

روينا حديثا بالأسانيد مثبتا ... وفي النسئي يلقاه من يتصفح
على مائة مع مثلها ألف مرة ... لصاحب دنيا درهم الفقر يرجح
إذا جاد ذا من درهمين بواحد ... ومن عرض مال ذاك في تلك يسمح

ويدل على فضل صدقة الفقير أيضا قوله تعالى : (والذين لا يجدون إلا جهدهم) وقوله ﷺ : «أفضل الصدقة جهد المقل» والأخبار في فضائلهم خارجة عن الحصر ولنقتصر منها على هذا القدر .

وأما الآثار عن السلف الصالحين والأئمة العاملين رضي الله عنهم أجمعين نخارجة عن الحصر أيضا وهأنا أذكر منها نبذة يسيرة محذوفة الأسانيد طلبا للاختصار وخوفا من الملل فى الإكثار . فعن الضحاك رضى الله عنه قال من مر فى السوق فرأى شيئا يشتهيه ولا يقدر عليه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله تعالى .

وعن أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه قال تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام .

وعن إمام الورعين وعلم الزاهدين وسر العارفين أبى نصر بشر بن الحارث رضى الله عنه قال العبادة من الفقير كعقد جوهر على جيد حسناء والعبادة من الغنى كشجرة خضراء على مزبلة .

وقيل ثياب الفقراء من الصوف الخشن والمرقعات والسواد إذا لبسها الزهاد كانت عليهم بهجة وإذا لبسها غيرهم كانت عليهم سمجة .

وعن ابن وهب رحمه الله قال وقع حريق فى حى ملك بن دينار فقال شباب الحى منزل أبى يحيى مالك بن دينار منزل أبى يحيى مالك بن دينار فخرج عليهم مالك متزرا ببارية وفى يده مطهرة وهو يقول نجا المخفون نجا المخفون أو قال فاز المخفون نحن وأنتم أو قال منا ومنكم يوم القيامة وقال أيضا يا معاشر الأغنياء موتوا كمدا فإن العيش عيش الآخرة أو قال فى الدار الآخرة وقال أيضا درهم الفقير أزكى عند الله من دينار الغنى .

(وعن) أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها معهم وهم يحاسبون عليها ونحن برءاء منها وقال أيضا ما أنصفنا إخواننا الأغنياء يحبوننا فى الله تعالى ويفارقوننا فى الدنيا وإنه سيأتى يوم يسرهم أن يكونوا بمنزلتنا ولا يسرنا أن نكون بمنزلتهم .

وفى هذا المعنى قلت :

ولا قط تغبط أهل دنيا فإنهم ... غدا يغبطونك يحزنون وتفرح
فما ذاك إلا فتنة أى فتنة ... بها نطقت طه عن الحق تفصح

أعنى قوله تعالى فى سورة طه : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

(وعن) أبى الدرداء رضي الله عنه أيضا أنه كان يوما جالسا فأتته امرأته فقالت اتجلس بين هؤلاء ووالله ما فى البيت هفة ولا سفة من دقيق فقال يا هذه إن

بين أيدينا عقبة كئودا لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهى راضية .

(وعن) بعض الشيوخ الأكابر أنه جاءه إنسان فقال ادع الله لى فقد أضرنى العيال فقال له الشيخ رضي الله عنه إذا قال لك عيالك ما عندنا دقيق ولا خبز فادع الله فإن دعاءك أرجى من دعائى لك فى تلك الساعة .

(وعن) بعضهم أيضا أنه قال له أولاده ما عندنا عشاء فقال نحن أهون على الله من أن يجوعنا إنما يجوع أحبابه أو قال أولياءه . وكان بعضهم يقول إذا أقبل الفقير مرحبا بشعار الصالحين .

(وعن) الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه سئل عن استعاذة النبى ﷺ من الفقر وقد أخبر بما فيه من الثواب فقال إنما معناه فقر القلب لا فقر اليد كما أن الغنى غنى القلب لا غنى اليد .

(وعن) الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه جاءه إنسان بخمسمائة درهم ووضعها بين يديه وقال تفرقها على هؤلاء الجماعة فقال ألك غيرها قال نعم لى دنانير كثيرة قال أتحب زيادة عليها قال نعم قال الجنيد خذها فأنت أحوج إليها منا ولم يقبلها وأنشد بعض الأخيار :

لكسرة من جريش الخبز تشبعنى | وشربة من قراح الماء ترويني
وخرقة من خشين الثوب تسترنى | حيا وإن مت تكفينى لتكفيني

(ولبعضهم أيضا)

حذفت فضول النفس حتى رددتها | إلى دون ما يرضى به المتعفف
وأملت أن أجرى خفيفا إلى العلا | فإن رمتم أن تلحقوا بى فخففوا
لأ بتذلن النفس حتى أصونها | وغيرى فى قيد من الذل يرسف
حملت جبال الحب فوقى وإننى | لأعجز عن حمل القميص وأضعف

(وروى) أن الطراز المعلم طيب الثناء جميل الشيم ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أتاه رجل بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك ولله در القائل حيث قال :

ولست بميال إلى جانب الغنى | إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

(وعن) الإمام الجليل السيد الحفيل عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أنه سئل من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذى يأكل بدينه.

(وعن) إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قال طلبت أبناء الدنيا الراحة فى الدنيا فأخطئوا ولو علموا أن الملك ما نحن فيه لقاتلوا عليه بالسيف.

(وعن) ذى النون المصرى رضى اللـه عنه قال الزهاد ملوك الآخرة وهم فـقراء العارفين بالله تعالى .

(وعن) الشيخ الكبيـر أبى مدين الشهيـر رضى الله عنه قال الملك ملكان ملك البلاد وملك قلوب العباد والملوك على الحقيقة هم الزهاد .

(وقال) جماعة من العلماء منهم الإمام الشافعى رضى الله عنه إذا أوصى إنسان بماله لأعقل الناس صرف إلى الزهاد فى الدنيا .

(وقال) الشيخ الكبيـر العارف بالله الخبير أبو عـبد الله القرشى رضى الله عنه من فوائد الفقر وثمراته وجود ألم الجوع والعـرى والتلذذ بهما والزيادة منهما والمنافسة فيهما وأنشدوا فى ذلك :

قالـوا غدا العيـد ماذا أنت لابسه ... فـقلت خلعـة ساق حـبـه جرعـا
فـقر وصـبـرهما ثوباى تحـتـهمـا ... قلب يرى إلفـه الأعيـاد والجـمعـا
أحرى الملابس أن تلقى الحـبيب به ... يوم التزاور فى الثـوب الذى خلعا
الدهر لى مـا تم إن غـبت يا أملى ... والعيد ما كنت لى مرأى ومـستمعا

(وعن) قطب الإخوان كبير الشان أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه قال إن لله عبادا لو حجـبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كمـا يستغيث أهل النار من النار .

(وعن) الشيخ الكبير العارف بالله تعـالى أبى عثمان المغربى رضى الله عنه أنه قال العارف بالله تضىء له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب .

(وعن) الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى سعيد الخراز رضى الله عنه قال : إذا أراد الله أن يتولى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجـالس الأنس ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفـردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمـة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو فحينئذ صار العبد زمنا فانيا فوقع فى حفظه سبحانه وتعالى وبرئ من دواعى نفسه .

(وقال) إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه لرجل أتحب أن تكون وليا لله قال نعم فقـال لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخـرة وفرغ نفـسك لله تعالى وأقـبل بوجهك وكليتك عليه ليقبل عليك ويواليك .

(وقـال الشيـخ أبو نصر السـراج رضى الله عنـه الناس فى الأدب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحه والبلاغه وحفظ العلوم وأسمار الملوك وأشعار العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات وأمـا أهل الخصوصية فأكثـر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة

الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب .

(وقال) الشيخ الكبير إمام السالكين حجة الله على العارفين قطب المقامات كثير الكرامات أبو محمد سهل بن عبد الله رضى الله عنه أعمال البر كلها فى صحائف الزاهدين قلت هذا قول عارف صديق فى نهاية التصديق وبيانه مختصرا أن أهل الدنيا يخرج بعضهم بعض ماله فى بعض أعمال البر وهو يحب كثرة المال واتساعه ويتعرض به للفتنة ويشغله عن أنواع الطاعة والزهاد خرجوا عن الكل لله تعالى بالفعل والنية بغضا للدنيا وتفرغا للطاعات السنية وجمعوا بين العبادات القلبية والبدنية والمالية واطلع الحق سبحانه وتعالى على قلوبهم فلم يجد فيها حبا لغيره فأكرمهم بقربه ووهب لهم مالا تفهمه العقول من فضله وخيره ، اللهم لاتحرمنا خيرك لشرنا ، وهب لنا من فضلك العظيم واجعل بك شغلنا بجاه نبيك محمد الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم إنك الملك المنان ذو الفضل العظيم فهذه قطرة من بحار فضائلهم اقتصرت عليها وإن يكن فى بعض الأحاديث التى ذكرتها ضعف ففى الأحاديث الصحيحة كفاية منها قوله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض ذهبا مثل هذا» أخرجاه فى الصحيحين كما ذكرنا كفاية منها قوله ﷺ وقوله ﷺ (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) أخرجاه أيضا فى الصحيحين ، كما تقدم وقوله ﷺ : «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون» أخرجه مسلم فى صحيحه كما مضى وقوله ﷺ: (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام) أخرجه الترمذى فى جامعه ، وقال حديث حسن صحيح كما ذكرناه وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة ويكفى حاله ﷺ وما كان عليه من الفقر ورفض الدنيا كما هو مشهور فى الأحاديث وكذلك حال الأنبياء والأولياء والسلف الصالحين رضى الله عنهم .

(وقال) الإمام الكبير العارف بالله الخبير المحقق الورع الشهير أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه بعد أن ذكر العلماء المائلين إلى الدنيا يزعمون أن أصحاب محمد ﷺ كانت لهم أموال فيحتج المغرورون بذكر الصحابة رضى الله عنهم ليعذرهم الناس على جمع المال وقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة رضى الله عنهم أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد أزريت بمحمد

ﷺ وبالمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح أمته إذ نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ بل كان ﷺ للأمة ناصحا وعليهم مشفقًا وبهم رءوفا رحيما ويحك أيها المفتون هذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى تقاه وصنائعه المعروفة وبذله الأموال فى سبيل الله تعالى مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة يوقف فى عرصة القيامة وأهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف وصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وأعطى فى سبيل الله سبحانه منع من السعى إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا فما ظنك بأمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب من كل مفتون متمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت يكالب على أوساخ الناس ويتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة وفتن الدنيا ثم يحتج بعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ثم قال المحاسبى رضى الله عنه بعد كلام طويل حسن ذكر فيه الصحابة رضي الله عنهم كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله تعالى فى أرزاقهم واثقين وبمقادير الله عز وجل مسرورين وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعلى أنفسهم مؤثرين وعن حب العلو والتكاثر ورعين وكانوا إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين فبالله عليك أكذلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم حالك ضد أحوالهم ، تطغى عند الغنى ، وتبطر عند الرخاء ، وتفرح عند السراء ، وتغفل عند أداء شكر النعماء ، وتقنط عند الضراء ، وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء ، وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وتجمع المال لتنعم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منك فيما حرم الله عليك وكانوا للذلة الصغرى أشد استعظاما منك من كبار المعاصى فليت أطيب أموالك وأحلها مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا من حسناتهم ، ألا تقبل وليت صومك مثل إفطارهم وسهرك مثل نومهم وليت حسناتك مثل واحدة من حسناتهم ويحك ينبغى لك أن ترضى بالبلغة وتعتبر بذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال وتسبق فى الرعيل الأول فى زمرة المصطفى ﷺ لا حبس عليك ولا حساب فقد قال ﷺ : «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» .

انتهى كلام المحاسبى رحمه الله وهذا بعض كلامه .

(وقال) بعض الشيوخ الكبار رأيت النبى ﷺ فى المنام وهو يحدثنى بفضائل الفقراء وشرف الفقير على الغنى فحفظت من قوله ﷺ أنه قال لى حسبك أن عائشة رضى الله عنها تدخل الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام وأن بنتى فاطمة رضوان الله عليها تدخل الجنة قبل عائشة بأربعين سنة لأنها نالت من الدنيا أقل من عائشة رضوان الله عليهما .

(وروينا) عن الشيخ العارف الجليل المعظم أبى عبد الرحمن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه دخل الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم جباب الصوف وليس معهم جراب وطعام فدخلوا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافهم تلك الليلة فلما كان من الغد قال الرجل لحاتم ألك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجىء أيضا معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فلما جاءوا إلى الباب إذا هو يشرق حسنا فبقى حاتم متفكرا يقول يا رب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء لها سعة وفيها ستور فبقى حاتم رضى الله عنه متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه فإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازى وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس لعل لك حاجة فقال نعم فقال ما هى قال مسألة أسألك عنها فقال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستوى جالسا قال حاتم رضى الله عنه علمك هذا من أين أخذته قال من الثقات حدثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله ﷺ قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن قال عن النبى ﷺ قال والنبى ﷺ عمن قال عن جبريل عليه السلام قال وجبريل عليه السلام عمن قال عن الله عز وجل قال حاتم ففيما أداه جبريل عن الله تبارك وتعالى إلى النبى ﷺ وأداه النبى ﷺ إلى أصحابه رضى الله عنهم وأصحابه إلى الثقات والثقات إليك هل سمعت من كان فى داره أميرا وكان فى داره الثروة والمتاع الحسن وكانت داره واسعة كانت له عند الله تعالى المنزلة الكبرى قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وقدم لآخرته وأحب المساكين كانت له عند الله المنزلة الكبرى العالية قال فأنت بمن اقتديت بالنبى ﷺ وبأصحابه الصالحين أم بفرعون وهامان؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه ثم خرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وأنشدوا فى السعادة بالتقوى لا بالدنيا ولا بجمع المال :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بد أن يأتى قريب ولكن الذى يمضى بعيد

(قلت) وحاتم الأصم المذكور رضى الله عنه من كبار شيوخ الصوفية وقد اجتمع به الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع كلامه وسأله فأجابه واستحسن جوابه ولم يزل العلماء الصلحاء قديما وحديثا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودعائهم وآثارهم .

من ذلك ما جاء عن الإمام سفيان الثورى فى مجالسته لرابعة رضى الله عنها وتأدبه معها وماجاء عن الإمامين الشافعى وأحمد فى مجالستهما لشيبان الراعى رضى الله عنهم وحكايته المشهورة معهما فقد روينا أن الإمام أحمد كان عند الإمام الشافعى فجاء شيبان الراعى فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال له الشافعى لا تفعل فلم يسمع فقال لشيبان ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولم يدر أى صلاة نسيها ما الواجب عليه ياشيبان فقال شيبان يا أحمد هذا قلب غفل عن الله فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه ثم يعيدهن بعد فغشى على أحمد وفي رواية أخرى فالواجب أن يؤدب بإعادة الخمس فلما أفاق أحمد من غشيته قال له الإمام الشافعى الم أقل لك لا تحرك هذا .

وفى رواية أخرى أنه سأله عن الزكاة أيضا فى كم تجب فقال شيبان أما على مذهبكم فتجب فى الإبل فى كذا وكذا وفى البقر فى كذا وكذا وفى الزرع والثمار فى كذا وكذا وأما على مذهبى فالكل له وستجىء حكايته مع الإمام سفيان الثورى لما اعترض لهم الأسد فى طريق الحج .

وكذلك روينا أن فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى بكر الشبلى رضى الله عنه فى جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران وكان يتعطل عليه وعلى أصحابه حلقتهم بكلام الشبلى فسأل أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسألة فى الحيض وقصدوا إخجاله فذكر مقالات الناس فى تلك المسألة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلى وقال يا أبا بكر استفدت فى هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندى من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل .

وكذلك روينا أنه اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه الشافعى المذهب الملقب بالباز الأشهب بمجلس الأستاذ الإمام العارف بحر المعارف أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهما فسمع كلامه فقيل له ما تقول فى هذا فقال لا أدرى ما أقوله ولكنى أقول أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل وما مات ابن سريج حتى اعتقد الصوفية واستحسن طريقهم وقال بعضهم حضرت مجلس أبى العباس بن سريج فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن أعجبت منه فلما رأى إعجابى قال أتدرى من أين هذا هذا من بركة مجالستى أبا القاسم الجنيد وقيل لعبد الله بن سعيد بن كحلان أنت تتكلم على كلام كل أحد وههنا رجل يقال له الجنيد فانظر هل تعترض عليه فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه فتحير عبد الله وقال أعد على ما قلت فأعاده ولكن لا بتلك العبارة فقال عبد الله هذا شىء آخر لم أحفظه فأعده على مرة أخرى فأعاده بعبارة أخرى فقال عبد الله ليس يمكننى حفظ ما تقول فأمله علينا فقال إن كنت أجريه فأنا أمليه فقام عبد الله وقال بفضله واعترف بعلو شأنه وأنشد أحدهم :

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت سحائب الوحى فيها أبحر الحكم

وقيل لأبى القاسم الجنيد ممن استفدت هذه العلوم فقال من جلوسى بين يدى الله عز وجل ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأشار إلى درجة فى داره وقال رضى الله عنه لو علمت أن لله تبارك وتعالى علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه وأخذته وقال أيضا رضى الله عنه ما أخذنا التصوف من القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وكثرة الذكر لله عز وجل وأداء فروضه وواجباته وسنته والاتباع لجميع ما أمر به والانتهاء عن جميع ما نهى عنه.

(وروى) أن النجيب بن النجيب أبا المعالى إمام الحرمين رضى الله عنه كان يدرس يوما فى المسجد بعد صلاة الصبح فمر بعض شيوخ الصوفية ومعه أصحابه من الفقراء وقد دعوا إلى بعض المواضع فقال إمام الحرمين فى نفسه ما شغل هؤلاء إلا الأكل والشرب والرقص فلما رجع الشيخ من الدعوة مر عليه وقال يا فقيه ما تقول فيمن يصلى الصبح وهو جنب ويقعد فى المسجد ويدرس العلوم ويغتاب الناس فذكر إمام الحرمين أنه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك فى الصوفية.

(وروى) ان الإمام أحمد رضى الله عنه كان مع جلالة قدره يكثر التردد إلى

بعض الصوفيـة العارفين فقيل له أتتردد لرواية عند هذا الشيخ فـقال عنده رأس الأمر تقوى الله أو قال معرفه الله.

وكذلك لما سـعى بالصوفيـة إلى بعض الخلفاء أمر بضـرب رقابهم فأمـا الجنيد فتسـتر بالفقة وكان يفتى على مـذهب أبى ثور وأما الشحام والرقام والثـورى فقبض عليهم وبسط النطع لضرب رقابهم فتقدم الشيخ العارف بالله أبو الحسين النورى رضى الله عنه فقـال له السيـاف أتدرى لماذا تبادر فقـال نعم فقال ومـا يعجلك فـقال أوثر أصحابى بحـياة ساعة فتـحير السياف وأنهى الأمـر إلى الخليفة فتعـجب الخليفة ومن عنده من ذلك وكان القـاضى عنده فاستـأذن الخليفة أن يذهب إليـهم ليبحث مـعهم ويختـبر حالهم فـأذن له الخليفة فى ذلك فـأتاهم وقال يخرج إلى واحـد منكم حتى أبحث معه فخرج إليه أبو الحسين النورى فألقى عليه القاضى مسائل فقهية فالتفت عن يمينه ثم التفت عن يساره ثم أطرق ساعة ثم أجابه عن الكل ثم جعل يقول وبعد (فإن لله عبادا إذا أقاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله) وسـرد كلاما كثيرا أبكى القاضى ثم سأله القاضى عن الـتفاته فقال سـألتنى عن المسائل ولا أعلم لها جوابا فـسألت عنها صاحب اليمين فـقال لا علم لى ثم سألت عنها صاحب الشمـال فقال لا علم لى ثم سألت قلبى فأخبرنى عن ربى فأجبـتك بذلك فأرسل القاضى إلى الخليفة يقول له إن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم.

(وكذلك) جاء جماعة من فقهاء اليـمن إلى الشيخ الكبير بحر الحقائق وموضح الدقائق العارف بالله تعالى أبى الغيث بن جميل قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا والمسلمين ببركته يمتحنونه فـى شىء فلما دنوا منه قال مرحبا بعبيد عبـدى فاستعظموا ذلك فلقوا شيخ الطريقين وإمام الفريقين الفقيه العالم العارف بالله أبا الذبيح إسماعيل ابن محمد الحضرمى رضى الله عنه ونفـعنا به وأخبروه بما قاله الشيخ أبو الغيث لهم فضحك وقـال صدق أنتم عبيد الهـوى والهوى عبده وكان الشـيخ أبو الغيث المذكور أميا ويحضر مجلسه الفقراء ويسألونه المسائل الدقيقه فيجيبهم.

وللمشايخ مع الفقراء حكايات يطول ذكرها وسنذكر شيئا من ذلك إن شاء الله تعالى فى حكايات الكتاب.

(وقال الأستاذ الإمـام) أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى رسـالته المشهورة أما بعد فقـد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافـة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين جـعل قلوبهم معادن أسراره واختصهم من

بين الأمة بطوالع أنواره صفاهم من الكدورات البشرية ورقاهم إلى مجال المشاهدات لما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووفقهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية وهذا من بعض كلامه ثم قال فى آخر الرسالة والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فأما الذى للناس غيب فلهم ظهور وأما الذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق ... وظلامه فى الناس سارى
والناس فى سدف الظلا ... م ونحن فى ضوء النهار

(قال) ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الإسلام وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علو فى التوحيد وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به انتهى كلامه ولله در قائلهم فى هذه الأبيات :

كانت لقلبى أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
وصار يحسدنى من كنت أحسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
وتركت للخلق دنياهم ودينهم ... شغلا بحبك يا دينى ودنيائى

ولله در القائل الآخر

فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبهم ... وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
قلوبهم جوالة بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهر

ولله در القائل الآخر

على مثل حد السيف تسرى إلى العلا ... فمن زاغ لا أرض تقل ولا سما
فمن فاز بالتوفيق فالله صانه ... ولولا جميل اللطف والله ما نما

ولله در القائل الآخر

إذا جيش الأحباب جيشا من الجفا ... بنينا من الصبر الجميل حصونا
وإن ركبوا خيل الصدود مغيرة ... أقمنا عليها للوصال كمينا
وإن جردوا أسيافهم لقتالنا ... لقيناهم بالذل مدرعينا
وإن لم يروا فى ودنا ووصالنا ... صبرنا على أحكامنا ورضينا

ولله در القائل الآخر

ولو طردونى كنت عبـدا لبعـدهم   وإن أبعدونى زدت فى الحـب والود
ولى عندهم هجر كما حكـم الهوى   وهم أهل فضل لى ومنـزلة عندى

ولله در القائل الآخر

وكنت قـديما أطلب الوصـل منهم   فلمـا أتانى الحلم وارتفع الجـهل
تيـقنت أن الـعـبـد لا طـلب له   فـإن قربوا فـضل وإن أبعدوا عـدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم   وإن ستروا فـالستر من أجلهم يحلو

ولله در القائل الآخر

ولقـد جعلتك فى الفوائد محـدثى   وأبحت جسـمى من أراد جلوسـى
فالجسـم منـى للجليس موانس   وحبيب قلبـى فى الفؤاد أنيسـى

ولله در القائل الآخر

فليـتـك تحلو والحـيـاة مـريرة   وليـتك ترضى والأنام غـضـاب
وليت الـذى بينى وبينـك عـامـر   وبينـى وبين الـعـالمين خـراب
إذا صح مـنك الود غـايـة المنى   فكل الـذى فـوق التـراب تراب

ولله در القائل الآخر

نفس المحب على الأسـقـام صـابرة   لعل سـقـمـهـا يومـا يداويـهـا
لا يعـرف الشـوق إلا مـن يكابده   ولا الصـبـابة إلا من يعـانيـهـا
اللـه يعلم أن الـنفس قـد تلـفت   شـوقـا إليك ولكـنى أسليـهـا
فنظـرة منك يا سـؤلى ويا أمـلى   أشـهى إلى من الدنيـا ومـا فـيـهـا

وقال آخر

إن كان سـفك دمى أقصى مرادكم   فما غلت نظرة منكم بسـفك دمى

* * *

الفصل الثانى فى إثبات كرامات الأولياء

وظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلا وواقع نقلا أما جوازه عقلا فإنه ليس بمستحيل فى قدرة الله عز وجل بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار الأصوليين والفقهاء والمحدثين رضى الله عنهم أجمعين وتصانيفهم ناطقة بذلك شرقا وغربا وعجما وعربا ثم القول الصحيح المختار عند جمهور الأئمة المحققين من أهل السنة أن كل ما جاز للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدى ولا يرد على ذلك القرآن للزومه التحدى ولا يصح قول من يقول إن ذلك يؤدى إلى الالتباس بين الكرامات والمعجزات لأن المعجزة يجب على النبى ﷺ أن يتحدى بها ويظهرها والكرامة يجب على الولى أن يخفيها ويسرها إلا عند الضرورة أو إذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو لتقوية يقين بعض المريدين كما فعل بعضهم غرف عسلا من الجو ووضعه فى فم مريد له.

(وروى) أن رجلا أرى غيره الكعبة من بلاد بعيدة وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة يطوف بها وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافا محققا ورأيت بعضا مما شاهد ذلك من الثقات الأتقياء بل من السادات العلماء وغير ذلك مما يطول ذكره وما ذهب إليه الإمام أبو إسحاق الإسفراينى رحمه الله من إثبات بعض الكرامات دون بعض فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور (وأما) وقوع ذلك نقلا أعنى ظهور الكرامات فقد جاء فى القرآن وفى الأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد (فمن ذلك) فى القرآن ما أخبر الله تعالى عن مريم بنت عمران رضى الله عنها فى قوله عز وجل (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[1]) . (وقوله) سبحانه وتعالى لمريم (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[2] وكان فى غير أوان الرطب كما جاء فى التفسير (ومن ذلك) ما أخبر الله عز وجل من العجائب على يد الخضر عليه السلام مع موسى النبى ﷺ (وكذلك) قصه ذى القرنين رضوان الله عليه وتمكين الله سبحانه وتعالى له ما لم يمكنه لغيره.

(وكذلك) قصة أهل الكهف رضى الله عنهم والأعاجيب التى ظهرت من كلام

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٧.

(٢) سورة مريم الآية ٢٥.

الكلب معهم وغير ذلك (وكذلك) قصة آصف بن برخيا رضى الله عنه مع سليمان ﷺ فى عرش بلقيس فى قوله تعالى: **﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾**(١) وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء (ومن ذلك) فى الأخبار الحديث الصحيح المشهور فى الصحيحين حديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل فى المهد حين. قال له يا غلام من أبوك فقال فلان الراعى (ومن ذلك) حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وهو حديث صحيح متفق على صحته وهو مشهور فى الصحيحين وفى آخره فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون (ومن ذلك) حديث البقرة التى حمل عليها صاحبها أو ركبها على اختلاف الرواية فالتفتت إليه فكلمته فقالت إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا وفزعا أبقرة تتكلم فقال رسول الله ﷺ: «فإنى أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر وهذا أيضا حديث صحيح مشهور مذكور فى الصحيحين وغيرهما وهو متفق على صحته أعنى اتفقوا على تكلم البقرة المذكورة وإن اختلفا فى بعض ألفاظ الحديث (ومن ذلك) الحديث الصحيح المتفق على صحته المذكور فى الصحيحين فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه مع ضيفه الذى قال فيه وايم الله ماكنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فأكلوا حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر رضى الله عنه فقال لامرأته يا أخت بنى فراس ما هذا قالت لا وقرة عينى لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات.

(ومن ذلك) أيضا الحديث الصحيح المتفق على صحته أن المخرج فى الصحيحين قال رسول الله ﷺ لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون فإن يك فى أمتى أحد منهم فإنه عمر (ومن ذلك) أيضا ما صح عن عمر رضى الله عنه أنه قال يا سارية الجبل الجبل فى حال خطبته فى يوم الجمعة فبلغ صوته إلى سارية فى ذلك الوقت فتحذر من العدو فى مكان من الجبل فى تلك الساعة فكان فى ذلك لعمر كرامتان بينتان إحداهما ما كشف له عن حال سارية وأصحابه من المسلمين وحال العدو والثانية بلوغ صوته إلى سارية من بلاد بعيدة (ومن ذلك) الحديث المتفق على صحته فى سعد بن أبى وقاص الذى قال فيه أبو سعدة أصابتنى دعوة سعد أخرجاه فى الصحيحين (ومن ذلك) الحديث المتفق على صحته أيضا فى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه الذى قال فيه للتى ادعت عليه أنه أخذ شيئا من أرضها فقال اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها فما ماتت حتى ذهب

---

(٣) سورة النمل الآية ٤٠.

بصرها وبينما هى تمشى فى أرضها اذ وقعت فى حفرة فماتت أخرجاه أيضا فى الصحيحين (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث البخارى الذى قال فيه قالت والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب رضى الله عنه فو الله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب فى يده وإنه لموثق فى الحديد وما بمكة من ثمرة وكانت تقول إنه لرزق رزقه الله خبيبا يعنى بهذه المرأة بنت الحرث بن عامر بن نوفل كما ذكر فى الحديث (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث البخارى أيضا فى أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله تعالى عنهما الذى قال فيه خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث الرجل الذى سمع صوتا فى السحاب يقول اسق حديقة فلان (وما جاء) أن ابن عمر رضى الله عنهما قال للأسد الذى منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب فمشى الناس فقال ابن عمر رضى الله عنه صدق رسول الله ﷺ من خاف الله خوف الله منه كل شيء (ومن ذلك) ماجاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه فى غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الأعظم فمشوا على الماء.

(وما جاء) أنه كان بين سليمان وأبى الدرداء رضى الله عنهما قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح وما جاء أن عمران بن الحصين رضى الله عنه كان يسمع تسليم الملائكة عليه حتى اكتوى فانحبس عنه ذلك سنة ثم أعاده الله عليه (ومن ذلك) الحديث الصحيح حديث مسلم المتقدم ذكره رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره قلت ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى دليلا.

(وقد ورد) عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما بلغ حد الاستفاضه وقد صنف العلماء فى ذلك كتبا كثيرة وسيأتى حديث أويس إن شاء الله تعالى فيما بعد وحكايات كثيرة عن السلف والخلف فى الكرامات.

(فإن قيل) ما بال الصحابة رضى الله عنهم لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل ما اشتهر عن الأولياء بعدهم.

(فالجواب) ما أجاب به الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لما قيل له يا أبا عبد الله إن الصحابه لم يرو عنهم من الكرامات مثل ما قد روى عن الأولياء والصالحين فكيف هذا فقال أولئك كان إيمانهم قويا فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوون به وغيرهم كان إيمانهم ضعيفا لم يبلغ إيمان أولئك فقووا بإظهار الكرامات لهم.

(قلت) وفى هذا المعنى قال بعض الشيوخ الكبار فى كرامات مريم ابنة عمران كانت فى بدايتها يتعرف إليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوى إيمانها وكمل يقينها ردت إلى السبب وقيل لها (هزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) (وكذلك) قال الشيخ الإمام العارف بالله المحقق شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه وخرق العادة إنما يكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف رحمة من الله تعالى لعباده العباد ثوابا معجلا لهم و فوق هؤلاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشر بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة فلا حاجة لهم إلى مدد من المخرقات ورؤية القدرة والآيات ولهذا المعنى ما نقل عن أصحاب رسول الله ﷺ كثير من ذلك إلا القليل ونقل عن المتأخرين من المشايخ والصادقين أكثر من ذلك لأن أصحاب رسول الله ﷺ لبركة صحبة النبي ﷺ ومجاورة نزول الوحى وتردد الملائكة وهبوطها تنورت بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا فى الدنيا وتزكت نفوسهم وانخلعت عاداتهم وانصقلت مرايا قلوبهم فاستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامة واستلماع أنوار القدرة ومن بلغ من قوة اليقين هذا المبلغ يرى فى إجراء عالم الحكمة ما يرى الغير من القدرة ويرى القدرة ممكنه بل متجلية من سجف الحكمة فلو تجردت له القدرة وانكشفت له ما استغرب والمستغرب للقدرة يقوى يقينة بها لأنه محجوب بالحكمة عن القدرة قال وقد تكون للأولياء أنواع من الكرامات كسماع الهواتف من الهواء والنداء من بواطنهم وتطوى لهم الأرض وقد تنقلب لهم الأعيان وقد ينكشف لهم ما فى الضمير ويعلمون بعض الحوادث قبل تكونها من بركة متابعتهم رسول الله ﷺ فأوفر الناس حظا من الصحة والقرب والعبودية أوفرهم حظا من متابعتة ﷺ قال تعالى : ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**﴾(١).

(قال) وكرامات الأولياء من تتمة معجزات الأنبياء وكل رسول كان له أتباع ظهرت لهم كرامات ومخرقات للعادات هذا بعض كلامه رضى الله تعالى عنهم.

(وقال) الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته قال ثم هذه الكرامات قد

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

تكون إجابه دعوة وقد تكون إظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فى زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو تخليصا من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة انتهى كلام الأستاذ أبى القاسم رحمه الله.

(قلت) فإن قال قائل تشتبه الكرامات بالسحر.

(فالجواب) ما أجاب به المشايخ العارفون والعلماء المحققون فى الفرق بينهما أن السحر يظهر على أيدى الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير الالتزام بالأحكام الشرعية ومتابعة السنة وأما الأولياء فهم الذين بلغوا فى متابعة السنة وأحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا فافترقا وقد تقدم الفرق بين الكرامات والمعجزات.

(قلت) والناس فى إنكار الكرامات مختلفون . فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقا وهؤلاء أهل مذهب معروف عن التوفيق مصروف . ومنهم من يكذب بكرامات أؤلياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا فى زمانه كمعروف وسهل والجنيد وأشباههم رضى الله عنهم فهؤلاء كما قال الشيخ أبوالحسن الشاذلى رضى الله عنه والله ما هى إلا إسرائيليه صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد ﷺ لأنهم أدركوا زمنه. ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معين من أهل زمانه فهؤلاء محرومون أيضا لأن من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد نسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة فى عافية لنا وللمسلمين ولمشايخنا ووالدينا وأمة محمد أجمعين.

(وسئل) بعض العلماء الكبار عن كرامات الأولياء فقال ومن ينكر هذا إن كنت لم تعرف من هذا شيئا ولم تعقله فارجع إلى أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وفى معناه أنشدوا :

إذا كنت المكذب يا جهول ... عن الآيات تصدقك العقول
فكن بالفهم ترجع نحو شيء ... له الدين المصدق والرسول
بان إلهنا ما شاء يقضى ... قدير ليس يعجزه المهول

(قلت) والعجب كل العجب ممن ينكر الكرامات وقد جاءت فى الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحات والآثار المشهورات والحكايات المستفيضات الصادرات عن العيان والمشاهدات من السلف والخلف وبلغت فى الكثرة والشهرة فى

جميع البلاد مبلغا يخرج عن الحصر والتعداد ثم إن كثيرا من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطيرون فى الهواء لقالوا هذا سحر أو قالوا هؤلاء شياطين ولا شك أن من حرم التوفيق فكذب بالحق غيبا وحدسا كذب به عيانا وحسا كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿لو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾(١) .

فواعجبا كيف ينسب السحر وفعل الشياطين إلى الأولياء المقربين والأبرار الصالحين الزاهدين العابدين الصابرين الشاكرين الخائفين الراجين المتقين الورعين المتوكلين الراضين المخبتين العارفين المطهرين من الصفات المذمومات المتحلين بمحاسن الصفات المحمودات المتخلقين بأخلاق المولى جل وعلا المشمرين فى طاعة الله تعالى المتأدبين بآداب الشريعة الشريفة والسنة الغراء المرتفعين عن حضيض الرخص إلى معالى عزائم ذروة العلا المقبلين على المولى المعرضين عن الدنيا بل وعن الأخرى الذين كنست بنفوسهم المزابل لما أماتوها لتحيا فأحياها الحى القيوم وجمال جلاله لقلوبهم تجلى لما جاهدوا فى الله حق جهاده أنجز لهم ما وعهم بقوله تبارك وتعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**(٢) فياليت شعرى من أولى بهذه الآية وبقوله تعالى **﴿وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾** (٣) وبقوله سبحانه **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾** (٤) . وبقوله عز وجل: **﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾**(٥). ويقول رسول الله ﷺ فى الصحيحين (الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) وهل هؤلاء أهل العزائم أم هم المترخصون . وبقوله ﷺ أشعث أغبر الحديث الصحيح المشهور . وبقوله ﷺ لما رأى مصعب بن عمير رضى الله عنه متجردا فى إهاب كبش دعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون . وبقوله ﷺ لما سئل عن الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) الحديث الصحيح المشهور وعلى هذا إلا للمراقبين الحاضرين . وبقوله ﷺ إن البذاءه من الإيمان يعنى بها رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس وهل هذا إلا للمتقشفين الزاهدين وغير ذلك كحديث أويس رضى الله عنه وما كان فيه من رثاثة الحال والتوحش والانعزال وغير ذلك مما لا يمكن فيه الاستيعاب ولا يسع بعضه

---

(١) سورة الأنعام الآية ٧.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

(٣) سورة الحج ٣٤ : ٣٥.

(٤) سورة الأنفال الآية ٢.

(٥) سورة النحل: الآية ٩٩.

هذا الكتاب من أولى بهـذه المذكورات وأشباههـا ومن المشكور الممدوح بحسن ثنائها أهل هذه الأوصاف المذكـورات المحمودات أم أهل أضـدادها من الصفات المذمـومات فأى الفـريقين أولى بالهداية أهل المجاهـدة أم غيرهم وقد قـال الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهـدينهم سبلنا) وأيهما أولى بعزل سلطـان الشيطان عنه أهل التوكل أم غيرهم . وقـد قال الله تعالى: ﴿**إنه ليس له سلطان علـى الذين آمنوا وعلـى ربهم يتوكلون**﴾ وأيهما أولى بالـرجولية الذين قال الله تعـالى فيهم : ﴿**رجال لا تلهيهم تجـارة ولا بيع عن ذكـر الله**﴾[1] أم الذين قـال الله فيـهم ﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ وأى الفريقين أولى بقوله ﷺ فـى الحديث الصحيح ماذئبان جائعـان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حـرص المرء على المال والشرف لدينه وأيهـما أولى بفسـاد الدين أهل الحرص والطمع أم أهل الزهد والورع وأيهـما أولى بقـوله تعالى ﴿**إن الإنسـان ليطغى أن رآه استغنى**﴾[2] الأغنياء أم الفقـراء وأيهما أولى بقوله ﷺ إن الأكـثرين هم الأقلون يوم القيامة الحديـث المتفق على صحته أهل المال والثروة أم أهل الفقر والقلـة وأيهما عباد الرحمن المذكورون فـى سورة الفرقان والذين قال فـيهم الملك المنان ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**﴾ وأيهما عبيد الدنيا والشيطان اللعين الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿**ومن يعش عن ذكر الـرحمن نقيض له شـيطانا فهـو له قرين**﴾[3] والذين قال فيهم النبى ﷺ (تعس عبد الدينار والدرهم وأيهما أولى باتباع السنة والاقتداء بالشريعة أهل الزهد والجد والأخذ بالعـزائم الرفيعة أم أهل الرخص والتوانى وحب الدنيـا الوضيعة الذين يحسبون أن السنة فى متابعة الحظوظ النفسية ولا يدرون أن أشرف الاتباع رفض الدنيا والاتصاف بالـصفات السنية فكم من زاعم أنه مقـتد بالسنة ومتبـعها وهو تارك للفروض ومضيعها كما قال السيد الجليل العارف بشر بن الحرث رضى الله عنه لما قيل له الناس يقولون إنك تارك للسنة يعنون ترك التزوج فقال قل لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة وهل الفـرض المتعـين إلا إزالة الصفـات المذمومـات من القلب من الحـقد والحسد والرياء والعجب والكبر والأمل والغيبة والنميمة والكذب والتصـنع والسمـعة والخيلاء والشـح والنفاق وغـير ذلك مـن رذائل الأخـلاق التى تطهـــر منـها أهل الخـوف والإشفاق الأكـياس الحــذاق أم الفـرض المذكــور معـرفة البيـوع والطلاق

---

(١) سورة النور الآية ٣٧ (٢) سورة العلق الآيتان ٦ ، ٧.

(٣) سورة الزخرف الآية ٣٦.

التى قدمها الجهال الأحماق وهل يشرق النور فى مرآةالقلوب المصقولة بالزهد والهدى أم المظلمة بالذنوب والعيوب والصدا وهل يستوى ذم (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) ومدح (الذين يذكرون الله قياما وقعودا أو على جنوبهم) أم هل يستوى من باع دينه بدنيا وبذل نفسه فى هواه وقال لسان حاله فى معناه :

يـذلت النفس فى طـلب المعـالى معـالى المجـد فى جاه ومـال

ومن باع بدنياه دينه رابحا وبذل نفسه فى حب مولاه سامحا وقال لسان حاله مطربا وصائحا ما قلت نائبا محبا :

يا سادتى إن قتلتم مهجتى ودمـى بنظـرة فى الجمـال الغالب العالـى
فقد أنلتم جميـل الفضـل عبـدكم وقد ربحت ببيع الـدون بالغـالى

(قلت) وقـد تمت المقدمـة الموعـودة وهأنا ابتدئ إن شـاء الله تعـالى بحكايات الصالحين المحمودة ولست ألتـزم فى ذلك ترتيبا بينهم فى التقديم لا بالفضائل ولا بالأسنان ولا بالأمكنة ولا بالأزمـان وقد أجـمع فى الحكاية الواحدة بين حكايتين أو أكثر إما لصغر الحكاية أو للمناسبات أو لكونها صدرت عن شخص واحد فى بعض الحالات وقد أغير بعض الألفاظ فى بعض الحكايات إما باختصار أو بتقديم وتأخير أو بإصلاح شعر مختل عند من هو خبير فى حكم الوزن والإعراب أو فى حكم الشرع والآداب وقد أحذف الشعر من بعض الحكايات لكونه غير مناسب أو عاريا عن الحسن أو ركيكا ليس السمع فيه براغب وقد أودعت هذا الكتاب شيئا من نسيجى المهلهل بعضه أنشأته جديدا وبعضه من نسيجى الأول (وفى عدم جودته قلت).

يقولون لم لا قلت شـعرا تفيده فقلت لأنى إن أقـل لا أجيـده
إذا رمت غزلان المعـانى نفرن من شباك اصطيادى وابن عـرس أصيـده
فلا الجيد العـالى العزيز يريدنى ولا الدانى الـدون الردىء أريـده

وأنا أسأل الله الكريم البر الرحيم أن يرزقنا التوفيق والهدى والسلامة عن الزيغ والردى وأن ينفعنا بعباده الصالحين ويجعلنا من حزبه المفلحين وأن ينفع بهذا الكتاب ويعظم به الأجر والثواب ويجعله خالصا لوجهه الكريم ويهب لنا من فضله العظيم وأحبابنا والمسلمين آمين إنه الملك الديان ذو الطول والإحسان وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* * *

حكايات الصالحين

وأقدم عليها كالشاويش لها هذه القصيدة المسماة الشهد الحالى فى فضل الصالحين ومقامهم العالى :

أيا عاشقا عالى جمال صفاتهم ... وحالى حلى فيهم ملاح فوائق
وعالى مقامات وأحوال سادة ... وزاهى كرامات عظام خوارق
ومكنون أسرار وباهى معارف ... ومشهود أنوار بواه بوارق
ووصل لأحباب وراح محبة ... إذا شمها فى الغرب من فى المشارق
تمايل نشوانا بها طوال دهره ... فكيف بمن منها بكاساتها سقى
لهم في الهوى كم من غريب عجائب ... وكم من لطيفات المعانى دقائق
وكم من شواج للقلوب رقائق ... وكم من معان للعلوم حقائق
وكم من جهيد للنفوس مخالف ... وكم من مليح للعقول موافق
تسمع حكايات يطيب سماعها ... ويحلو كطعم الشهد فى ثغر ذائق
كساها جمال القوم حسنا به كست ... كتابى وكم طيب من القوام عابق
وخمس مئين عدها فى كتابنا ... لجاب زهت يختارها كل حاذق
تنزه برؤيا حسنها حين تجتلى ... عرائسها اللاتى سبت لب عاشق
فهاهى فى روض الرياحين قد بدت ... بغالى جمال فائق الحسن رائق
محاسن غر سادة لا ينالها ... سوى كل كفء فى المحبة صادق
أبت ترتضى خطابها غير ممهر ... لها الصدق فى الدنيا ونفس مفارق
فإن كنت للمهر الذى عز قادرا ... فنافس وسابق نحوها كل سابق
وإن كنت مثلى عاجزا فارض بالدَّنى ... فبالدون يرضى الدون عند العلائق
رعى الله من أمسى وأضحى مشمرا ... لنيل المعالى قاطعا كل عائق
إلى أن علا فوق المقامات فى العلا ... ونال المنى من قرب مولى الخلائق
فطوبى له فى حضرة القدس يجتلى ... جمال جلال جل عن وصف ناطق
ويسقى كئوس الوصل من خمرة الهوى ... هنيه ما يلقى هناك وما لقى

* * *

الحكاية الأولى عن أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال وصف لي رجل من السادة باليمن قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين بسيماه بين الناس معروف وباللب والحكمة والتواضع والخشوع موصوف.

(قال) فخرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فلما قضيت الحج قصدت زيارته لأسمع من كلامه وانتفع بموعظته أنا وأناس كانوا معى يطلبون ما أطلب من البركة وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين وكان مصفر الوجه من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويأنس بالوحدة تراه كأنه قريب عهد بمصيبة وكنا نعذله على أن يرفق بنفسه فلا يجيب قولنا وعدلنا ولا يزداد إلا مجاهدة واجتهادا ولسان حاله يقول :

أيها العاذلون فى الحب مهلا ... حاش لى عن هواه أن أتسلى
كيف أسلو وقد تزايد وجدى ... وتبدلت بعد عزى ذلا
قيل تبلى فقلت تبلى عظامى ... وسط لحدى وحبكم ليس يبلى
حبكم قد شربته فى فؤادى ... فى قديم الزمان مذ كنت طفلا

(قال) ولم يزل ذلك الشاب فى جملتنا حتى انتهى معنا إلى اليمن وسألنا عن منزل الشيخ فأرشدنا إليه فطرقنا الباب فخرج إلينا كأنما يخبر عن أهل القبور فجلسنا إليه فبدأه الشاب بالسلام والكلام فصافحه وأبدى له البشر والترحيب من دوننا وسلمنا كلنا عليه ثم تقدم إليّه الشاب وقال يا سيدى إن الله قد جعلك وأمثالك أطباء لأسقام القلوب ومعالجين لأوجاع الذنوب وبى جرح قد نغل وداء قد استمكن وأعضل فإن رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل فأنشد الشيخ هذه الأبيات :

إن داء القلوب داء عظيم ... كيف لى بالخلاص من داء ذنبى
هل طبيب مناصح لى فإنى ... أعجز الخلق والأطباء طبى
آه واخجلتى ويا طول حزنى ... من وقوفى إذا وقفت لربى
وانقطاع الجواب منى ولم لا ... وبلائى قد حل عن كل خطب

فقال الشاب للشيخ فإن رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل فقال له الشيخ سل عما بدالك فقال له ما علامة الخوف من الله تعالى قال أن يؤمنك خوف الله من كل خوف غير خوفه فانتفض الفتى جزعا ثم خر مغشيا عليه ساعة (فلما أفاق) قال رحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله قال إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة العليل السقيم فهو محتم من أكل الطعام مخافة طول السقام ويصبر على مضض

الدواء مخافة طول الضناء قال فصاح الشاب صيحة ظننا أن روحه قد خرجت ثم قال يرحمك الله ما علامة المحبة لله تعالى فقال يا حـبيبى إن درجة المحبة لله رفيعة فقال الشاب أحب أن تصفهـا لى فقال يا حبيبى إن المحـبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصـروا بنور القلوب إلى جـلال عظمة الإله المحبـوب فصـارت أرواحهم روحـانية وقلوبهم حجـبية وعـقولهم سماويـة تسرح بين صفوف الملائـكة الكرام وتشاهد تلك الأمور باليقين والعيان فعبدوه بمبلغ استطاعتهم له لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره فشهق الشـاب شهقة فمات رحمـه الله تعالى عليه فجعل الشـيخ يقبله ويبكى ويقول هذا مصـرع الخائفين هذه درجـة المحبين هـذه روح حنت فأنت فـسـمعت فاشـتاقت فشهقت فماتت وأنشد بعضهم :

على قدر عـــلم المرء يعظم خوفه ... فلا عـــــالم إلا مـــن الله خائـف
فآمن من مكر الله بالله جاهـــــل ... وخائف مــــكر الله بالله عـــارف

الحكاية الثانية عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أسـير فى نواحى الشام إذ وقعت إلى روضه خـضراء وفى وسطها شاب قائم يصلى تحت شـجرة تفاح فتقدمت إليـه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت ثانيا فأوجز فى صلاته ثم كتب فى الأرض بأصبعه :

منع اللســـــان من الكـــلام لأنه ... كهف البـــــلاء وجالب الآفـــــات
فإذا نطقت فــكن لربك ذاكـــــرا ... لا تنســـــــه واحمـــده فى الحالات

(قال ذو النون رضى الله عنه) فبكيت طويلا وكتبت بأصبعى فى الارض:

وما مـــن كاتـــب إلا ســـيبلى ... ويبـــقى الدهـــر ما كتبت يـــداه
فـــلا تكتب بكفك غـــير شىء ... يســـرك فى القيـــامة أن تـــراه

فصاح الشـاب صيحة فارق الدنيا فـيها فقمت لآخذ فى غسله ودفنه فإذا قائل يقـول خل عنه فإن الله عـز وجل وعده الا يتـولى أمره إلا الملائكة (قـال ذو النون) فملت إلى شجـرة فركعت عندها ركعات ثم أتيت الموضع الذى مات فـيه الشاب فلم أجد له أثرا ولا عرفت له خبرا رضى الله عنه.

الحكاية الثالثة عنه أيضا رضى الله عنه

قال بينمـا أنا أسير فى بعـض جبال بيت المقـدس إذ سمعت صـوتا وهو يقول ذهبت الآلام عن أبدان الخـدام وولهت بالطاعة عـن الشراب والطعـام وألفت أبدانهم طول القيام بين يدى الملك العلام قال رضى الله عنه فتـبعت الصوت فإذا بشاب أمرد قد علا وجهه اصفرار يميل مثل الغصن إذا ميلته الريح عليه شملة قد اتزر بها وأخرى قد اتشـح بها فلما رآنـى توارى عنى بالشجـر فقلت له أيهـا الغلام ليس الجـفاء من أخلاق المؤمنين فكلمنى وأوصنى فـخر ساجدا لله وجعل يقـول هذا مقام من لاذ بك واستجار بمعرفتك وألف محبتك فيا إله القلوب وما تحويه من جلال عظمتك احجبنى عن القاطعـين لى عنك ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه (وقـال أيضا رضى الله عنه) بينمـا أنا أسيـر بين جبال الشـام إذا أنا بشيخ عـلى قلعة من الأرض قـد سقط حاجـباه على عينيه كـبرا فسلمت عليـه فرد على السلام ثم جعل يقـول يا من دعاه المذنبون فـوجدوه قريبـا ويا من قصده الزاهدون فـوجوده حبـيبا ويا من اسـتأنس به المجتهدون فوجدوه مجيبا ثم أنشد يقول :

وله خصـــــائض مصطفون لحبـــه اختـــــارهم فى سالف الأزمـــان
اختارهم من قبـــل فطـــرة خلقه فهم ودائع حكمـــــة وبيـــــان

الحكاية الرابعة عن الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال حضرت إملاك بعض الأبدال من الرجال ببعض الأبدال من النساء فما كان فى جمـاعة من حـضر أحد إلا وضـرب يده إلى الهواء وأخذ شـيئـا فطرحه من در وياقوت وما أشبهه قال الجنيد فضربت بيـدى فأخذت زعفرانا فطرحته فقال لى الخضر عليه السـلام ما كـان فى الجماعـة من أهدى ما يصلح للعـرس غيـرك (وقال) بعض العارفـين كوشفت بأربعين حـوراء رأيتهن يتساعـين فى الهواء عليهن ثياب مـن فضه وذهب وجوهر فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن فى الحـسن والجمال وقيل لى انظر إليهن فسجـدت وغمضت عينىّ فى السجود وقلت أعـوذ بك مما سواك لا حاجة لى بهذا ولم أزل أتضرع حـتى صرفهن عنى.

الحكاية الخامسة عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال أصابتنى علة فى ساقى فكنت أتحامل عليهـا للصلاة فقمت عليها من الليل فأجـهدت وجعـا فجلست ثم لففت إزارى فـى محرابى ووضـعت رأسى عليه ونمت فبينما أنا كذلك إذ أنا بجارية تفوق الدمى حسنا وجمالا تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على وهن خلفها فـقالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فأقبلن نحـوى فاحتملننى وأنا أنظر إليهن فى منامى ثم قالت لغيرهن من الجوارى اللاتى معها افرشن له ومهدن له ووطئن له ووسدنه قال ففرشن تحتى سبع حشايا لم أر لهن فى الدنيا مثلا ووضعن تحت رأسى مرافق خضرا حسانا ثم قالت للاتى حملننى اجعلنه على الفرش رويدا لا تهجنه قـال فجعلتـنى على تلك الفرش وأنا أنظر إليهـا وما تأمرهن به من شأنى ثم قالت احففنه بالريحـان فأتى بياسمين فحففن به الفـرش ثم قامت إلى فوضعت يدها على موضع العلة التى كنت أجـد فى ساقى فمسحت ذلك المكـان بيدها ثم قالت قم شفاك الله إلى صلاتك غيـر مضرور فاستيقظت والله كأنى قـد نشطت من عقال فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتى تلك ولا ذهب من قلبى حلاوة منطقها بقولها قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

الحكاية السادسة عن عبد الواحد أيضا رضى الله عنه

قال نمت عن وردى ليلـة فإذا أنا بجارية لم أر أحـسن منها وجـها عليهـا ثياب حرير خضر وفى رجليها نعلان يسبـحان والزمامان يقدسان وهى تقول يا ابن زيد جد فى طلبى فإنى فى طلبك ثم جعلت تقول:

من يشترينى ومن يكن سكنى ... يأمن فى ربحـــه من الغبن

قال فقلت يا جارية ما ثمنك فأنشأت تقول :

محبـــــة الله ثـــم طاعتـــه ... وطـــول فكر يشـــاب بالحـــزن

فقلت لمن أنت يا جارية فقالت :

لـــــمالك لا يـــرد لى ثمنـــا ... من خـــاطب قـــد أتاه بالثـــمن

قال فانتبـه عبد الواحد وآلى على نفسه ألا ينام الليل وكـان من الجماعة الذين صلوا الصبح بوضـوء العشاء أربعين سنة من السلف الصـالح رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

الحكاية السابعة

روى أن الشيخ مطهر السعدى رضى الله عنه بكى شوقا إلى الله تعالى ستين سنة فرأى فى المنام كأنه بجنب نهر يجرى بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ وقضبان الذهب وإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد سبحان المسبح بكل لسان سبحانه سبحان الموجود بكل مكان سبحانه سبحان الدائم فى كل الأزمان سبحانه قال فقلت من أنتن فقلن خلق من خلق الرحمن سبحانه فقلت ما تصنعن ههنا فقلن :

يرانا إله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوم
يناجون رب العالمين إلههم فتسرى هموم القوم والناس نوم

الحكاية الثامنة عن الشيخ ابى بكر الضرير رضى الله عنه

قال كان فى جوارى شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءنى يوما وقال يا أستاذ إنى نمت عن وردى الليلة فرأيت كأن محرابى قد انشق وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن منهن وجها وإذا فيهن واحدة شوهاء لم أر أقبح منها منظرا فقلت لمن أنتن ولمن هذه فقلن نحن لياليك التى مضت وهذه ليلة نومك ولو مت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك ثم أنشدت الشوهاء تقول :

اسأل لمولاك يرددنى الى حالى فأنت قبحتنى من بين أشكالى
لا ترقدن الليالى ما حييت فإن نمت الليالى فهن الدهر أمثالى
نحن السرور لمن نال السرور بنا جوف الظلام بسكنى المنزل العالي
فقد أردت بخير إذ وعظت بنا فأبشر فأنت من المولى على بال

(قال) فأجابتها جارية من الحسان تقول :

أبشر بخير فقد نلت المنى أبدا فى جنة الخلد فى روضات جنات
نحن الليالى اللواتى كنت تسهرها تتلو القرآن بترجيع ورنات
نحن الحسان اللواتى كنت تخطبنا جوف الظلام بلوعات وزفرات
أبشر فقد نلت ما ترجوه من ملك بر يجود بأفضال وفرحات
غدا تراه تجلى غير محتجب تدنى إليه وتحظى بالتحيات

(قال) ثم شهق شهقة خر ميتا رحمة الله تعالى عليه .

الحكاية التاسعة عن أحد العارفين

قال نمت ليلة عن حزبى فرأيت فى المنام جارية حسناء لم أر أحسن منها وجها ولا أطيب منها ريحا فناولتنى رقعة فى يدها فقالت اقرأ ما فيها فقرأته فإذا هو :

لذذت بنومة عن خير عيش ... مع الولدان فى غرف الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها ... وتبقى فى الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقران

قال فاستيقظت مرعوبا فو الله ما ذكرتها قط إلا طار نومى رحمه الله.

الحكاية العاشرة

روى أن الشيخ السرى السقطى رضى الله عنه دخل عليه أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه وهو يبكى فقال له ما يبكيك فقال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا أبت هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا لك حتى يبرد فقلت نعم قال السرى رضى الله عنه فغلبتنى عيناى فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان فانتبهت وتناولت الكوز وضربت به الأرض قال الجنيد رضى الله عنه فرأيت الخزف المكسور لم يرفعه أحد حتى عفى عليه التراب (وقال) الشيخ أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه نمت عن وردى ليلة فإذا أنا بحوراء تقول يا أبا سليمان تنام وأنا أربى لك فى الخيام منذ خمسمائة عام أو كما قالت من الكلام.

الحكاية الحادية عشرة عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال بينما نحن ذات يوم فى مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد أمرت أصحابى أن يتهيئوا لقراءة آيتين فقرأ رجل فى مجلسنا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فقلت نعم ياحبيبى فقال إنى اشهدك أنى قد بعت نفسى ومالى بأن لى الجنة فقلت له إن حد السيف أشد من ذلك وأنت صبى وأنا أخاف ألا تصبر وتعجز عن ذلك فقال يا عبد الواحد أبايع الله تعالى بالجنة ثم أعجز أنا أشهد الله تعالى أنى قد بايعته أو كما قال رضى الله عنه قال عبد الواحد

فتقاصرت إلينا أنفسنا وقلنا صبى يعقل ونحن لا نعقل فخرج من ماله كله تصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال السلام عليك يا عبد الواحد ، فقلت وعليك السلام ربح البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا حتى انتهينا إلى دار الروم ، فبينما نحن كذلك إذا به أقبل وهو ينادى واشوقاه إلى العيناء المرضية فقال أصحابى لعله وسوس لهذا الصبى واختلط عقله فقلت حبيبى وما هذه العيناء فقال إنى غفوت غفوة فرأيت كأنه أتانى آت فقال لى اذهب إلى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها نهر من ماء غير آسن وإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلى والحلل مالا أقدر أن أصفه فلما رأيننى استبشرن بى وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولى الله نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأيننى استبشرن وقلن هذا والله زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولى الله نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك فتقدمت فإذا أنا بنهر من خمر لذة للشاربين وعلى شط الوادى جوار أنسيننى من خلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت فإذا أنا بنهر آخر من عسل مصفى وجوار عليهن من النور والجمال ما أنسانى ما خلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن يا ولى الله نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى فوصلت من خيمة إلى درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما رأتنى استبشرت ونادت من فى الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت من الخيمة ودخلت فإذا هى قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدرر والياقوت فلما رأيتها افتتنت بها وهى تقول مرحبا بك يا ولى الرحمن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتنقها فقالت مهلا فإنه لم يأن ذلك أن تعانقنى لأن فيك روح الحياة وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى قال فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لى عنها قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام عليهم فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا رضى الله عنه ولله ذر القائل :

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسى ويصبح مغرورا وغرارا
هلا تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها ... فينبغى لك ألا تأمن النارا

الحكاية الثانية عشر

حكى عن بعض الصالحين أنه عبد الله عز وجل أربعين سنة فلما كان فى بعض الليالى أخذته دالة على الله عز وجل فقال إلهى أرنى ما قد أعددت لى فى الجنة وأخبرنى ما قد أعددت لى من الحور العين الحسان فما استتم الكلام حتى انشق المحراب فخرجت منه حورية لو خرجت إلى الدنيا لفتنت من فيها فقال لها أنسية أنت أم جنية فأنشأت تقول :

شكوت إلى المولى وقد علم الشكوى ... فأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى
وأرسلنى أنسا إليك وإننى ... أناجيك طول الليل لو تسمع النجوى

فقال يا جارية لمن أنت فقالت أنا لك فقال كم لى مثلك حورية قالت مائة حورية ولكل حورية مائة خادمة ولكل خادمة مائة وصيفة ولكل وصيفة مائة قهرمانة ففرح وقال يا حورية هل أعطى أحد أكثر منى قالت يا مسكين عطاؤه عطاء البطالين الذين يقولون أستغفر الله العظيم فيغفر لهم ثم يستغفرون الله تعالى عند غروب الشمس فيغفر لهم ثم أنشأت تقول :

وله خصائص مصطفون لحبه ... اختارهم فى سالف الأزمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه ... فهم ودائع حكمه وبيان

(وأنشدت أيضا تقول :)

نشرت لهم أعلام حب حبيبهم ... فتبايعوا وتناهبوا الأعلاما
يا حسنهم فى ظل عرش مليكهم ... كل يقود من النحيب زماما
حتى إذا صاروا بحضرة قدسه ... كشف المليك حجابه إكراما
فهم الملوك العارفون بربهم ... والدائبون ببابه خداما

(قلت) وهذه خمس أبيات قلتها وألحقتها بهذه الأبيات الأربعة :

من غال وياقوت وزاهى جوهر ... يعلوه نور يسكنون خياما
ومع الحسان الحور عين لو بدت ... ليلا أنارت بالجمال ظلاما
ولعطرت كل الوجود وزخرفت ... ولمات كل بالجمال غراما
يا حسنها بين الجوارى عندما ... تمشى لتلقى قادمين كراما
يجزون غرفات بها فوق المنى ... وتحية يلقونها وسلاما

الحكاية الثالثة عشرة عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه

قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة وإذا فيها رجل يعبد صنما فقلنا له يارجل من تعبد فأوما إلى الصنم فقلنا إن إلهك هذا مصنوع وعندنا من يصنع مثله ما هذا بإله يعبد ، قال فأنتم من تعبدون قلنا نعبد الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض بطشه وفى الأحياء والأموات قضاؤه تقدست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه قال ما أعلمكم قلنا وجه إلينا هذا الملك رسولا كريما فأخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول قلنا لما أدى إلينا الرسالة وقبضه الملك إليه واختار له ماللديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتاب الملك قال فأورونى كتاب الملك فإنه ينبغى أن تكون كتب الملوك حسانا فأتيناه بالمصحف فقال ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا فقال ينبغى لصاحب هذا الكلام ألا يعصى ثم أسلم وحسن إسلامه وعلمناه شرائع الدين وسورا من القرآن فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال ياقوم هذا الإله الذى دللتمونى عليه إذا جن الليل ينام قلنا لاينام يا عبد الله هو عظيم حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه فلما عزمنا على الانصراف عنه قال خذونى معكم فأخذناه فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه قال ما هذا قلنا دراهم تنفقها فقال لا إله إلا الله دللتمونى على طريق لم تسلكوها أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنما من دونه فلم يضيعنى وأنا لا أعرفه فكيف يضيعنى الآن وأنا أعرفه فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لى إنه فى الموت فأتيته فقلت له هل لك من حاجة قال قضى حوائجى من جاء بكم إلى الجزيرة قال عبد الواحد فغلبتنى عيناى فنمت عنده فرأيت روضة خضراء فيها قبة وفى القبة سرير وعلى السرير جارية حسناء لم ير أحسن منها وهى تقول بالله ألا ما عجلتم به إلىّ فقد اشتد شوقى إليه فاستيقظت فإذا به قد فارق الدنيا رحمه الله تعالى فغسلته وكفنته وواريته فلما كان الليل رأيت فى منامى تلك الروضة وفيها تلك القبة وفى القبة السرير وعلى السرير تلك الجارية وهو إلى جانبها وهو يقرأ هذه الآية ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[1] رضي الله عنه.

---

(١) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤ .

الحكاية الرابعة عشرة عن الشيخ أبى عبد الله القرشي رضي الله عنه

قال كنت عند الشيخ أبى إسحق إبراهيم بن طريف فأتى إليه إنسان فسأله هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقدة لايحلها إلا بنيل مطلوبه فقال له نعم واستدل بحديث أبى لبابة الأنصاري رضى الله عنه فى قصة بنى قريظة وقوله ﷺ أما إنه لو أتانى لاستغفرت له ولكنه إذ قد فعل ذلك بنفسه فدعوه حتى يحكم الله تعالى فيه قال فسمعت هذه المسألة وعقدت على نفسي أنى لا أتناول شيئا إلا بإظهار قدرة فمكثت ثلاثة ايام وكنت إذ ذاك أعمل صناعتى فى الحانوت فبينما أنا جالس على الكرسى إذ ظهر لى شخص بيده شيء فى إناء فقال لى اصبر إلى العشاء تأكل من هذا ثم غاب عنى فبينما أنا في وردى بين العشائين إذ انشق الجدار وظهرت لى حوراء بيدها ذلك الإناء الذى كان بيد الشخص فيه شيء يشبه العسل فتقدمت إلى وألعقتنى منه ثلاثا فصعقت وغشى علي ثم أفقت وقد ذهبت فلم يطب لى بعد ذلك طعام ولاشراب وأشرب قلبى تلك الصورة فما استحسنت بعدها شخصا ولا كنت أتمكن من سماع كلام الخلق وأقمت على ذلك مدة .

الحكاية الخامسة عشرة عن مالك بن دينار رضي الله عنه

أنه كان يوما ماشيا فى أزقة البصرة فإذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أيبيعك مولاك فقالت كيف قلت ياشيخ قال قلت أيبيعك مولاك قالت ولو باعنى كان مثلك يشترينى قال نعم وخيرا منك فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها فحمل فدخلت إلى مولاها فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل به إليه فأدخل فألقيت له الهيبة فى قلب السيد فقال ماحاجتك فقال بعنى جاريتك قال أوتطيق أداء ثمنها قال قيمتها عندى نواتان مسوستان فضحكوا وقال كيف كان ثمنها عندك هذا قال لكثرة عيوبها قال وما عيوبها قال إن لم تتعطر ذفرت وإن لم تستك بخرت وإن لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت وإن تعمر عن قليل هرمت ذات حيض وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار ولعلها لاتودك إلا لنفسها ولا تحبك إلا لتنعمها لاتفى بعهدك ولاتصدق فى ودك ولا تخلف عليها أحدا بعدك إلا رأته مثلك وأنا بدون ماسألت فى جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور ومن المسك والزعفران والجوهر والنور ولو مزج بريقها أجاج لطاب ولو دعى بكلامها ميت لأجاب ولو بدأ معصمها للشمس لأظلمت وكسفت ولو بدا فى

الظلمـات لأنارت به وأشـرقت ولو واجهت الآفـاق بحليـهـا وحللها لـتعطرت بهـا وتزخرفت نشأت فى رياض المسك والزعفران وقضـبان الياقوت والمرجان وقصرت فى خيام النعيـم وغذيت بماء التنسيم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فـأيهما أحق بدفع الثمن قال الذى وصفت قال فإنها الموجودة الثمن القريبة الخطب فى كل زمن قال فما ثمنها رحـمك الله قال اليسـير المبذول لنيل الخطير المـأمول أن تتفرغ فى ليلك سـاعة فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن تضع طعـامك فتذكر جائعك فتؤثر الله عز وجل على شـهوتك وأن ترفع عن الطريق حـجرًا أو قـذرًا وأن تقطع أيامك بالبلغـة والقلة وترفع همك عن دار الغرور والغفـلة فتعيش فى الدنيا بعـز القناعة وتأتى إلى موقف الكرامة آمنا غدا وتنزل فى الجنة دار النعيم فى جـوار الملك الكريم مخلدا فقال الرجل ياجارية أما سمعت ما قال شيخنا هذا قالت نعم قال أفصدق أم كذب قالت بل صدق وبر ونصح قال فأنت إذا حـرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكـذا صدقة عليك وأنتم أيها الخدام أحرار وضيعة كذا وكذا لكم وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي فى سبيل الله تعالى ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كـان عليه واستـتر به فقـالت الجارية لاعيش لي بعـدك يامولاى فرمت بكسـوتها ولبست ثوبا خشنًا وخرجت معه فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما وأخذا طريقا غيره فتعبدا جميعا حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة رحمة الله عليهما.

الحكاية السادسة عشرة عن جعفر بن سليمان رحمه الله

قال مررت أنا ومـالك بن دينار رضى الله تعالى عنه بالبصرة فـبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمـر وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجها منه وإذا هو يأمر ببناء القصر ويقول افـعلوا واصنعوا فقال لى مالك أما ترى إلى هذا الشـاب وحسن وجهه وحرصـه على هذا البناء ما أحـوجنى إلى أن أسأل ربى أن يخلصه فلعـله يجعله من شباب أهل الجنة ياجعفر ادخل بنا إليه قال جعـفر فدخلنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام ولم يعرف مالكا فلما عرفه قام إليه فقال ألك حاجة فقال كم نويت أن تنفق على هذا القصر قـال مائة ألف درهم فقال ألا تعطيـنى هذا المال فأضعه فى حـقه وأضمن لك على الله عز وجل قصرا فى الجنة خـيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقيـانه وخيمة من ياقوتة حمراء مرصعة بالجـواهر ترابه الزعفران وملاطه المسك أفيح من قصرك هذا لايخـرب أبدا ولم تمسـه يد ولم يبنه بان بل قـال له الجليل سـبحـانه كن فكان قـال فأجلنى الليلة وبكر على غـدا فقال نعم قال جـعفر فبـات مالك وهو يفكر فى ذلك

الشاب فلما كان فى وقت السحر دعا فأكثر من الدعاء فلما أصبحنا غدونا فإذا بالشاب جالس على باب قصره فلما عاين مالكا دهش إليه ثم قال ما تقول فيما قلت بالأمس قال تفعل قال نعم فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان إنى قد ضمنت لك على الله تعالى قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت وزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة أفيح من قصرك هذا فى ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب وحملنا المال فما أمسى مالك حتى ما بقى مقدار قوت ليلة وما أتى على الشاب أربعين يوما حتى وجد مالك رضى الله عنه كتابا موضوعا فى المحراب وعندما انتقل من صلاة الغداة فأخذه ونشره فإذا فى ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار وفينا الشاب القصر الذى ضمنت له وزيادة سبعين ضعفًا قال فبقي مالك رضي الله عنه متعجبًا وأخذ الكتاب فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب فإذا الباب مسدود والبكاء فى الدار فقلنا ما فعل الشاب قالوا مات بالأمس فأحضرنا الغاسل فقلنا له ما فعلت أنت غسلته قال نعم قال مالك فحدثنا كيف صنعت قال قبل الموت إذا أنامت وغسلتنى وكفنتنى اجعل هذا الكتاب بين كفنى وبدنى فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه ودفنته معه فأخرج مالك الكتاب فقال الغاسل هذا الكتاب بعينه والذى قبضه لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدى قال فكثر البكاء فقام الشاب فقال يا مالك خذ منى مائتى ألف درهم واضمن لى مثل هذا قال هيهات كان ما كان وفات ما فات والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى ودعا له رحمة الله تعالى عليه .

الحكاية السابعة عشرة عن محمد بن السماك رضي الله عنه

قال كان موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي من أنعم بنى أمية عيشا وأرخاهم بالا يعطى نفسه شهوتها من صنوف اللذات فى المأكل والمشرب والملبس والطيب والجوارى والغلمان ليست له فكرة ولا همة إلا فى الذى هو فيه من عيشته ولذته وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر وكانت نعمة الله عليه سابغة يستغل فى كل حول نحوا من ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف دينار ويصرف هذا كله فيما هو فيه من النعيم وكان له مستشرف عال يقعد فيه بالعشيات ويشرف فيه على الناس له أبواب مشرعة إلى الجادة وأبواب مشرعة إلى بساتينه وقد ضرب فيه قبة عاج مضببة بالفضة مطلية بالذهب وهو على سرير عليه غلالة قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ

ومعه في القبة ندماؤه وقد وقف على رأسه الخدم والقينات بحذائه في مجلس خارج من القبة يراهن إذا اشتهى سماع القينات نظر نحو الستارة وإن أراد سكوتهن أومأ بيده إلى الستارة فأمسكن هذا دأبه إلى أن يذهب الليل ويذهب عقله فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء فإذا أصبح اشتغل بالنظر إلى اللاعبين بين يديه بالشطرنج والنرد ولايذكر بين يديه موتًا ولا مرضا ولاسقما ولاشيئا فيه ذكر الغم إلا الفرح والسرور والنوادر التي تضحك ويطيب كل يوم بأنواع الطيب والمشمومات ما يكون في أوانه حتى مضت له سبع وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة في قبته وقد مضى بعض الليل إذ سمع نغمة من حلق شجي خلاف ما يسمع من مطربيه فأخذ بقلبه ولها عما كان فيه وأومأ إليهم أن امسكوا وأخرج رأسه من بعض طبقات القبة إلى الجادة يستمع الذي وقع بقلبه فإذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بغلمانه وقال اطلبوا صاحب هذا الصوت وكان عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فإذا هم بشاب نحيل الجسم دقيق العنق مصفر اللون ذابل الشفتين شعث الرأس قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لايتوارى بغيرهما حافي القدمين قائم في المسجد يناجي ربه سبحانه وتعالى فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به لا يكلمونه ووقفوا به بين يديه فنظر إليه فقال من هذا فقالوا صاحب النغمة التي سمعت قال أين أصبتموه قالوا في المسجد قائما يصلي ويقرأ فقال أيها الشاب ما كنت تقرأ قال كلام الله عز وجل قال فأسمعني تلك النغمة فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إن الأبرار لفي نعيم إلى قوله تبارك وتعالى عينا يشرب بها المقربون) أيها المغرور إنها خلاف مجلسك ومستشرفك وفرشك إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة بطائنها من إستبرق على رفرف خضر وعبقري حسان يشرف ولي الله تعالى منها على عينين تجريان في جنتين فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة في عيشة راضية في جنة عالية لاتسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة في ظلال وعيون أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار وأي نار إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم مبلسون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر في سموم وحميم وظل من يحموم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه كلا إنها لظى نزاعه للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وما هم منها مخرجين

فقام الهاشمى من مجلسه وعانق الشاب وبكى وصاح وقال انصرفوا عني وخرج إلى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه والشاب يعظه إلى أن أصبح وقد عاهد الله تعالى ألا يعود لمعصيته أبدا فلما أصبح أظهر توبته ولزم المسجد والعبادة وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلها وتصدق بها وقطع الإجراء على نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه وأعتق من اختار العتق وتصدق به كله ولبس الصوف والخشن وأكل الشعير وكان يحيى الليل كله ويصوم النهار حتى كان يزوره الصالحون والأخيار ويقولون له ارفق بنفسك فإن المولى كريم يشكر اليسير ويثيب عليه الكثير فيقول ياقوم أنا أعرف بنفسى إن جرمى عظيم عصيت مولاى فى الليل والنهار ويبكى ويكثر البكاء ثم خرج حاجا على قدميه حافيا ما عليه إلا خيشة وما معه إلا ركوة وجراب حتى قدم مكة وقضى حجه فأقام بها إلى أن توفى رحمه الله وكان يدخل الحجر بالليل وينوح على نفسه ويقول سيدى كم لم أراقبك فى خلواتى كم أبارزك بالمعاصى سيدى ذهبت حسناتى وبقيت تبعاتى فالويل لى يوم ألقاك والويل من صحيفتى إذا نشرت مملوءة من فضائحى وخطيئاتى بل حل لى الويل من مقتك إياى وتوبيخك لى في إحسانك إلى ومقابلة نعمتك بالمعاصي وأنت مطلع على فعالى سيدى إلى من أهرب إلا إليك وإلى من التجئ وعلى من أعتمد إلا عليك سيدى إنى لا أستأهل أن أسألك الجنة بل أسألك بجودك وكرمك وفضلك أن تغفر لى وترحمنى فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة وأنشدوا فى هذا المعنى :

عصيتك جاهلا يا ذا المعالى ... ففرج ما ترى من سوء حالى
إلى من يرجع المملوك إلا ... إلى مولاه يامولى الموالى

وقد ألحقت هذين البيتين بثالث فقلت :

فإنك أهل مغفرة وعفو ... وتواب ومفضال النوال

الحكاية الثامنة عشرة

حكى أنه كان لهارون الرشيد ولد قد بلغ من العمر ست عشرة سنة وكان قد رافق الزهاد والعباد وكان يخرج إلى المقابر ويقول قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا فما أراها منجيتكم وقد صرتم إلى قبوركم فياليت شعرى ما قلتم وما قيل لكم ويبكى بكاء شديدا وكان رضى الله عنه ينشد :

تروعنى الجنائز كل يوم ... ويحزننى بكاء النائحات

فلما كان فى بعض الأيام مر على أبيه وحوله وزراؤه وكبار دولته وأهل مملكته وعليه جبة صوف وعلى رأسه مئزر صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لعله يرجع عما هو عليه قال فكلمه فى ذلك وقال يابنى فضحتنى بما أنت عليه فنظر إليه ولم يجبه ثم نظر إلى طائر وهو على شرافة من شراريف القصر فقال أيها الطائر بحق الذى خلقك إلا جئت على يدى فانقض الطائر على كف الغلام ثم قال له ارجع إلى موضعك فرجع إلى موضعه فقال بحق من خلقك إلا ما سقطت فى كف أمير المؤمنين فما نزل فقال له الغلام أنت الذى فضحتنى بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك ففارقه ولم يتزود منه بشىء إلا مصحف كريم وخاتم وانحدر إلى البصرة وكان يعمل مع الفعلة فى الطين وكان لايعمل إلا يوم السبت بدرهم ودانق يتقوت فى كل يوم دانقا قال أبو عامر البصرى وقد كان وقع فى جدارى حائط فخرجت أطلب من يعمل لى فى الحائط إذ رأيت غلاما لم أر أحسن منه وجها وبين يدية زنبيل وهو يقرأ فى مصحف فقلت له يا غلام أتعمل فقال ولم أعمل أللعمل خلقت ولكن أخبرنى فى أى الأعمال تستعملنى فقلت فى الطين فقال بدرهم ودانق وأصلى صلاتى فقلت لك ذلك ثم مضيت به إلى العمل وتركته يعمل فلما كان المغرب جئته فوجدته قد عمل عمل عشرة رجال فوزنت له درهمين فقال يا أبا عامر ما أصنع بهذا وأبى أن يقبل فوزنت له درهما ودانقا فلما كان الغد خرجت إلى السوق فى طلبه فلم أجده فسألت عنه فقيل لى إنه لايعمل إلا يوم السبت ولاتراه إلا يوم السبت الثانى فأخرت العمل إلى السبت الثانى ثم أتيت السوق فإذا هو على تلك الحال فسلمت عليه ثم عرضت عليه العمل فقال كمقالته الأولى فمضيت به إلى العمل فوقفت أنظر إليه من بعيد وهو لا يرانى فأخذ كفا من الطين وتركه على الحائط وإذا الحجارة تتركب بعضها على بعض فقلت هكذا أولياء الله تعالى معانون فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فأبى أن يقبل إلا درهما ودانقا فوزنت له ذلك فلما كان السبت الثالث جئت إلى السوق فلم أره فسألت عنه فقيل لى له ثلاثة أيام وجع فى خرابة يعالج سكرات الموت فوهبت أجرة لمن يدلنى عليه ومشينا حتى وقفنا عليه فى خراب بلا باب وإذا هو مغشى عليه فسلمت عليه وإذا تحت رأسه نصف لبنة وهو فى حال الموت فسلمت عليه ثانية فعرفنى فأخذت رأسه وجعلته في حجرى فمنعنى من ذلك وأنشأ يقول :

يا صاحبى لا تغترر بتنعم ... فالعمر ينفد والنعيم يزول
وإذا علمت بحال قوم مسرة ... فاعلم بأنك عنهم مسئول
وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

ثم قال يا أبا عامر إذا فارقت روحى جسدى فغسلنى وكفنى فى جبتى هذه فقلت ياحبيبى ولم لا أكفنك فى ثياب جديدة فقال الحى أحوج إلى الجديد من الميت الثياب تبلى والعمل يبقى وخذ زنبيلى ومئزرى فادفعهما للحفار وخذ هذا المصحف والخاتم وامض بهما إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ولا تدفعهما إلا من يدك إلى يده وقل له يا أمير المؤمنين معى وديعة من غلام غريب وهو يقول لك لاتموتن على غفلتك هذه أو قال على غرتك هذه ثم خرجت روحه رضي الله عنه فعلمت أنه ولد الخليفة وعملت بجميع ما أوصانى به وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد وقصدت قصر الخليفة هارون الرشيد ووقفت على موضع مشرف فخرج موكب عظيم فيه تقدير ألف فارس ثم تبعه عشرة مواكب فى كل موكب ألف فارس وخرج أمير المؤمنين فى الموكب العاشر فناديت بقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين إلا ما وقفت لى قليلا فلما رآنى قلت يا أمير المؤمنين معى وديعة من غلام غريب ثم دفعت إليه المصحف والخاتم وقلت له هذا ما أوصانى به فنكس رأسه وأسبل دمعته وأوصى على بعض الحجاب وقال ليكن هذا عندك إلى أن أسألك عنه فلما رجع هو وأصحابه أمر بالستور فرفعت ثم قال للحاجب هات الرجل وإن كان يجدد على أحزانى فقال لى الحاجب يا أبا عامر إن أمير المؤمنين محزون مهموم فإذا أردت أن تكلمه عشر كلمات فاجعلها خمسا فقلت نعم ودخلت عليه فإذا مجلسه خال فلما رآنى قال ادن منى يا أبا عامر فدنوت منه فقال أتعرف ولدى قلت نعم فى أى شىء كان يعمل قلت فى الطين والحجارة قال أستعملته أنت قلت نعم فقال استعملته وله اتصال برسول الله ﷺ فقلت المعذرة لله تعالى ثم إليك يا أمير المؤمنين فإنى ما علمت من هذا إلا عند وفاته قال أنت غسلته بيدك قلت نعم قال هات يدك فأخذها ووضعها على صدره وهو يقول بأبى كيف كفنت العزيز الغريب ثم أنشأ يقول :

ياغريبا عليه قلبى يذوب ... ولعينى عليه دمع سكوب
يابعيد المكان حزنى قريب ... كدر الموت كل عيش يطيب
كان بدرا على قضيب لجين ... فهوى البدر فى الثرى والقضيب

قال ثم تجهز وخرج إلى البصرة وأنا معه حتى انتهى إلى القبر فلما رآه غشى عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات:

يا غائبا لا يئوب من سفره ... عاجله موته على صغره
ياقرة العين كنت لى أنسا ... فى طول ليلى نعم وفى قصره

شربت كأسا أبوك شاربهـــا لابد من شربها على كبـــره
أشربها والأنام كلهـــم من كان من بدوه ومن حضـره
فالحمد لله لاشريك لـــه قد كان هذا القضاء من قـدره

قال أبو عامر فـلما كان تلك الليلة قضيت وردى واضجـعت وإذا بقبة من نور عليها سجاف من نور وإذا قد كشف السجاف فإذا الغلام ينادى يا أبا عامر جزاك الله عنى خيرا فقلت يا ولدى إلى ماذا صرت قال إلى رب كريم راض غير غضبان أعطانى مالا عين رأت ولا أذن سمـعت ولا خطر على قلب بشر وآلى على نفسـه ألا يخرج عبد من الدنـيا مثل خروجى إلا أكرمـه مثل كرامتى فـاستيقظت فرحـا به بما قال لى وبشرنى به رضي الله عنه (قلت) وقـد حكيت هذه الحكاية على غير هذه الصـفة من طريق آخر قال الراوى سئل هارون الرشيد عنه فقال إنه ولد لى قبل أن أبتلى بالخلافة فنشأ نشئا حسنا وتعلم القرآن والعلم فلما وليت الخلافة تركنى ولم ينل من دنياي شيئا فدفعت إلى أمه هذا الخـاتم وهو ياقوت يساوى مالا كثيرا وقلـت لها تدفعين هذا إليه وكان بارًا بأمه رحمة الله تعالى عليه.

الحكاية التاسعة عشرة عن عبد الله بن مهران رحمه الله تعالى

قال حج هرون الرشيد فـوافى الكوفة فأقام بها أيامًا ثم ضرب بـالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون رضي الـله عنه فيمن خرج فـجلس بالكناسة والصبـيان يؤذونه ويولعون به فـبينما هم كـذلك به إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبـيان عن الولوع به، فلما جاء هرون نادى البهلول بأعـلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيـده وقال لبيك يابهلول لبـيك يابهلول فقال يا أميـر المؤمنين حدثنا أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامـرى قال رأيت النبى ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ضـرب ولا طرد ولا إليك إليك وتواضعك فى سـفرك يا أميـر المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك فـبكى هرون حتى سقطت الدموع على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا يرحمك الله فقال:

هب أنك قد ملكت الأرض طـــرا ودان لك العبـــــاد فكان ماذا
أليس غدا مصيرك جوف قبــــر ويحثو التراب هذا ثم هـــــذا

فبكى هرون ثم قال أحـسنت يا بهلول هل غيره قال نعم يـا أمير المؤمنين رجل أتاه الله مالا وجـمالا فـأنفق من ماله وعف فى جـماله كتب فى خـالص ديوان الله تعالى من الأبرار فقال أحسنت يا بهلول مع الجائزة فقال اردد الجائزة على من أخذتها

منه فلا حاجة لى فيها قال يابهلول إن يكن عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لايقضى دين بدين اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك فقال يابهلول فنجرى عليك ما يكفيك فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عباد الله فمحال أن يذكرك وينسانى فأسبل هرون السجاف ومضى .

الحكايــة العشـرون

حكى أنه لما خرج هرون الرشيد حاجًا إلى مكة فرش له من جوف العراق إلى الحرام لبود مرعزى وكان حلف ألا يحج إلا راجلا فاستند يوما إلى ميل وقد تعب وإذا بسعدون المجنون قد عارضه وهو يقول :

هب الدنيا تواتيكـــا ... أليس الموت يأتيكـــا
فما تصنع بالدنيـــا ... وظل الميل يكفيكـــا
الا ياطالب الدنيـــا ... دع الدنيا لشانيكـــا
كما أضحكك الدهـــر ... كذاك الدهر يبكيكـــا

قال فشهق هرون الرشيد شهقة خر مغشيا عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما أفاق طلبه فلم يقع له على أثر وبقى متلهفا عليه (ويروى) أن هرون قال فى حجته هذا الكلام الركوب على الخنافس ولا المشى على الطنافس.

الحكاية الحادية والعشرون عن محمد بن الصباح رحمه الله تعالى

قال خرجنا نستقى بالبصرة فلما أصحرنا إذا نحن بسعدون المجنون قاعدا على الطريق فلما رآنـــى قام وقال إلى أين قلت نستقى قال بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية قلت سماوية قال اجلسوا ههنا واستسقوا فجلسنا حتى ارتفع النهار وما تزداد السماء إلا صحوا ولا الشمس إلا حرا فنظر إلينا وقال يابطالون لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم ثم توضأ وصلى ركعتين ولحظ السماء بطرفه فتكلم بكلام لم أفهمه فوالله ما استتم كلامه حتى رعدت السماء وأبرقت وأمطرت جيدا فسألناه عن الكلام الذى تكلم به فقال إليكم عنى إنما هى قلوب حنت فرنت فعاينت فعلمت وعملت وعلى ربها توكلت ثم أنشأ يقول :

أعـرض عن الهـجـران والتـمـادى وارحـل لمولـى منـعـم جـــــواد
مــا العــيش إلا فى جــوار قــوم قـد شــربوا من صــافى الوداد

الحكاية الثانية والعشرون عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون المجنون رضى الله عنه فقلت له كيف حالك وكيف أنت فقال يا مالك كيف يكون حـال من أصبح وأمسى يريد سفرا بعيدا بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العـباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك فـقال والله مـا بكيت حرصـا على الدنيـا ولا جزعـا من الموت والبلى ولكن بكيت ليوم مضى من عـمرى لم يحسن فيه عملـى أبكانى والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقـبة الكئود ولا أدرى بعـد ذلك أصير إلى الجنـة أم إلى النار فسمـعت منه كلام حكمة فقلت إن الناس يزعمون أنك مجنون فـقال وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أنى مجنون وما بى جنة ولكن حب مولاى قـد خالط أحشائى وجرى بين لحمى ودمى وعظامى فأنا والله من حبه هائم مشغوف فقلت يا سعدون فلم لا تجالس الناس وتخالطهم فأنشأ يقول:

كـن من الـناس جــــانبــــا وارض بالـله صــــاحــــبـــا
قلـب النـاس كـــيف شـــئـــ ـت تجـــدهم عـــقــاربـــا

(وأنشد بعضهم فى هذا المعنى)

ومـا زلت مـذلاح المشيب مـفـرقى أفــتش عن هذا الورى ثم أكــشف
فـمـا إن عـرفت الـناس إلا ذممتـهم جزى الله خيرا كل من لست أعرف
فـمـا كل من يهـوى يـحـبك قلبـه ولا كل من تحـبب يكن لك منصف
ومـا الناس بالناس الذين عـهـدتهم ولا الدار بـالدار الـتى كـنت تـألف

الحكاية الثالثة والعشرون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال بينما أنا أطوف وقد هدأت العيون ببيت الله الحرام إذ أنا بشخص قد حاذى البيت وهو يقـول رب عبدك المسكين الطريد الشريد من بين يديك أسـألك من الأمور أقربها ومن الطاعـات أيسرها وأسألك بأصفيائك من خلقك الكرام من الأنبـياءعليهم السلام إلا سقيتنى بكأس محبتك وكـشفت عن قلبى أغطية جهل معرفتك حتى أرقى بأجنحة الشوق إليك فأناجيك فى أركان الحق بين رياض العرفان ثم بكى حتى سمعت وقع دموعه على الحصى ثم ضـحك وانصرف فتبعته وقـلت فى نفسى هذا إما عارف

وإما مجنون فخرج من المسجد وأخذ نحو خراب مكة ثم التفت إلى وقال مالك؟ ارجع أمامك فقلت ما اسمك يرحمك الله، قال عبد الله قلت ابن من قال ابن عبد الله قلت قد علمت أن الخلق كلهم عبيد الله وبنو عبيده فما اسمك قال سمانى أبى سعدون قلت المعروف بالمجنون قال نعم، قلت فمن القوم الذى سألت الله تعالى بهم وبحرمتهم قال أولئك قوم ساروا إلى الله تعالى سير من نصب المحبة بين عينيه وتجردوا تجرد من أخذت الروحانية بقلبه ثم التفت إلى وقال يا ذا النون قلت نعم قال بلغنى أنك تقول قل شيئا أسمع من أسباب المعرفة قلت أنت الذى يقتبس من عملك فقال حق السائل الجواب ثم أنشأ يقول:

قلوب العارفين تحن حتى ... تحل بقربه فى كل راح
صفت فى ودمولاها فليست ... لها عن ود مولى من براح

الحكاية الرابعة والعشرون

قيل كان سعدون المجنون رضى الله عنه يدور فى شوارع البصرة ويقف على كل دار مر بها ويقرأ (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) ويبكى وينشد :

فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلى ... وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد

وكان إذا اشتد به الجوع أنشد :

إلهى أنت قد آليت حقا ... بأنك لا تضيع من خلقتا
وأنك ضامن للرزق حتى ... تؤدى ما ضمنت كما قسمتا
وإنى واثق بك يا إلهى ... ولكن القلوب كما علمتا

وكان عليه جبة صوف مكتوب على كمها الأيمن سطر :

عصيت مولاك يا سعيد ... ما هكذا تفعل العبيد

وعلى الكم الأيسر مكتوب سطران :

تبا لمن قوته رغيف ... يأتى به السيد اللطيف
يعصى إلهًا له جلال ... وهو به راحم رءوف

ومن خلفه سطران

كل يوم يمر يأخذ بعضى ... يذهب الأطيبين منى ويمضى
يا نفس كفى عن المعاصى وتوبى ... ما المعاصى على العباد بفرض

ومن بين يديه سطـــران

أيهـــا الشـــامخ الـذى لا يرام   نحـن من طيـنة علـيك السـلام
إنما هـذه الحـيـاة مـتـاع   ثم مـوت تساوى بـه الأنام

وعلى عكازه مكتوب سطران

اعـمل وأنت بذى الدنيـا على وجل   واعلم بأنك بـعـد الموت مبـعـوث
واعلم بأنك مـا قـدمت من عـمل   يحـصى عليك وما خلفت مـوروث

فقيل له أنت حكيم لست بمجنون فقال أنا مجنون الجوارح لست بمجنون القلب ثم ولى هاربا رضى الله عنه.

الحكاية الخامسة والعشرون

عن أبى الجوال المغربى رحمه الله تعالى قال كنت جالسا مع رجل صالح ببيت المقدس وإذا قد طلع علـينا شاب والصبيان حـوله يقذفونه بالحجـارة ويقولون مجنون فدخل المسجد وهو ينادى اللهم أرحنى مـن هذه الدار فقلت له هذا كلام حكيم فمن أين لك هذه الحكمة فقال (من أخلص لله الخـدمة أورثه طرائف الحكمة وأيده بأسباب العصمة) وليس بى جنون وزلق بل قلق وفرق ثم جعل يقول:

هجـرت الورى فى حب من جـاد بالنعم   وعـفت الـورى شـوقـا إليـه فلم أنم
ومـوهت ذهـنى بالجنون عـلى الورى   لأكـتم مـا بى من هواه فـمـا انكتم
فلمـا رأيت الشـوق بالحب بائحـا   كـشـفت قناعى ثـم قلت نعـم نعم
فـإن قيل مـجنون فـقد جننى الهـوى   وإن قـيل مـسـقام فـمـا بى من سـقم
وحق الهـوى والحب والعـهـد بيننا   وحـرمة روح الأنـس فى حندس الظلم
لقـد لامنى الواشـون فـيك جـهـالة   فـقلت لطرفى أفصـح العذر فـاحتـشم
فـعـاتبـهم طرفى بـغـيـر تـكلم   وأخـبـرهم أن الهـوى يورث السـقم
فـبـالحلم يا ذا المن لا تبـعـدننى   وقـرب مـزارى مـنك ياباريء الـنسم

قال فـقلت أحسنت لقـد غلط من سمـاك مجنونا فنظر إلـى وبكى وقال أو لا تسألنى عن الـقوم كيف وصلوا فـاتصلوا، قلت بلى أخبـرنى فقال طهـروا الأخلاق ورضوا منه بـيسيـر الأرزاق وهاموا من مـحبـته فى الآفاق واتزروا بالـصدق وارتدوا بالإشفاق وباعوا العاجل الفانى بالآجل الباقى وركبوا فى ميدان السباق وشمروا تشمير الجهابذة الحذاق حتى اتصلوا بالواحد الرزاق فشردهم فى الشواهق وغيبهم عن الخلائق

لا تأويهم دار ولا يقربهم قرار فالنظر إليـهم اعتبار ومحبتهم افـتخار وهم صفوة أبرار ورهبان أحبار ومدحهم الجبار ووصفـهم النبى المختار إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا وإن ماتوا لم يشهدوا ثم أنشأ يقول :

كن من جميع الخلق مستوحشا ... مستأنسا بالواحد الحق
واصبر فبالصبر تنال المنى ... وارض بما يجرى من الرزق
واحذر من النطق وآفاته ... فآفة المؤمن فى النطق
وجد فى السير وشمر كما ... شمر أهل السبق للسبق
أولئك الصفوة ممن سما ... وخيرة الله من الخلق

قال فأنسيت الدنيا عند حديثه ثم ولى هاربا وأنا مستأسف عليه رضى الله عنه.

الحكاية السادسة والعشرون عن ابن القصاب الصوفى رحمه الله :

قال دخلنا جماعة إلى المارستان فرأينا فـيه فتى مصابا شـديد الهوس فولعنا به وزدنا فى الولع فاتـبعناه فصـاح وقال: (انظروا إلى ثياب مـطرزة وأجساد مـعطرة قد جعلوا الولع بضـاعة والسخف صناعة وجـانبوا العلم رأسا ليسـوا من الناس فقلنا له أفتـحسن العلم فنسألك فـقال أى والله إنى لأحسن علما جـما فاسـألونى فقلنا: من السخى فى الحـقيقة فـقال: الذى رزق أمثـالكم وأنتم لا تساءون قوت يوم فـضحكنا وقلنا: من أقل الناس شكرا فـقال من عوفى من بليـة ثم رآها فى غيـره فترك العـبرة والشكر واشتغل بالبطالة واللهو قال فكسـر قلوبنا وسألناه عن بعض الخصال المحمودة فقال خـلاف ما أنتم عليه ثم بكى وقال يا رب إن لم ترد على عـقلى فرد على يدى لعلى أصفع كل واحد من هؤلاء صفعة فتركناه وانصرفنا.

الحكاية السابعة والعشرون

عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه :

قـال سألت الله عـز وجل ثلاث ليال أن يرينـى رفيـقى فى الجنة فقـيل لى يا عبدالواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء فقلت وأين هى قيل فى بنى فلان بالكوفة فخرجت إلـى الكوفة وسألت عنها فـقالوا هى مجنونة ترعى غنيمـات فقلت أريد أن آراها فقـالوا اخرج إلى الجبـانة فخرجت فـإذا هى قائمة تصلـى وإذا بين يديها عكاز وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى وإذا الغنم مع الذئب فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئاب فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت ارجع يا

ابن زيد فليس الموعد ههنا إنما الموعد غدا فقلت يرحمك الله من أعلمك أنى ابن زيد فقالت أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظينى فقالت واعجبا لواعظ يوعظ إنه بلغنى ما من عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعدا وبعد الأنس وحشة ثم أنشأت تقول:

يا واعظا قام لاحتساب ... تزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا ... هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت ياحبيبى ... موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى ... وأنت فى النهى كالمريب

فقلت إنى أرى الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فلأى شيء هذا فقالت إليك عنى فإنى أصلحت ما بينى وبين سيدى فأصلح ما بين الذئاب والغنم رضى الله عنها ونفعنا بها آمين.

الحكاية الثامنة والعشرون

حكى عن الربيع قال : بت أنا وابن المنكدر وثابت البنانى عند ريحانة المجنونة رضى الله عنها وعنهم أجمعين قال فقامت أول الليل وهى تقول :-

قام المحب إلى المؤمل قومة ... كاد الفؤاد من السرور يطير

فلما كان جوف الليل سمعنا هاتفا يقول :

لا تأنسن بمن توحشك نظرته ... فتمنعن من التذكار فى الظلم
واجهد وكد وكن فى الليل ذا شجن ... يسقيك كأس وداد العز والكرم

فلما ذهب الليل نادت واحزناه واسلباه فقلت مم ذا فقالت:

ذهب الظلام بأنسه وبإلفه ... ليت الظلام بأنسه يتجدد

الحكاية التاسعة والعشرون عن عتبة الغلام رضى الله عنه:

قال خرجت من البصرة فإذا أنا بخباء أعراب قد زرعوا زرعا وإذا بخيمة مضروبة وإذا بالخيمة جارية مجنونة عليها جبة صوف مكتوب عليها لاتباع ولا تشترى فدنوت منها فسلمت فلم ترد على السلام ثم سمعتها تقول:

أفلح الزاهدون والعابدونا ... إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين القريحة فيه ... فمضى ليلهم وهم ساهرونا

حيرتهم محبة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا
هم ألبا ذوو عقول ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا

قال فدنوت إليها فقلت لمن الزرع فقالت لنا إن سلم فتركتها وأتيت بعض الأخبية فأرخت السماء مطرا كأفواه القرب فقلت والله لآتينها وأنظر قصتها فى هذا المطر فإذا بالزرع قد غرق وإذ هى قائمة وهى تقول والذى أودع قلبى من صرف الصفاء مودة محبته إن قلبى ليوقنن منك بالرضا ثم التفتت إلىّ وقالت يا هذا إنه هو الذى زرعه فأنبته وأقامه فسنبله وركبه فشققه وأرسل عليه غيثا فسقاه واطلع عليه فحفظه فلما دنا حصاده أهلكه ثم رفعت رأسها نحو السماء وقالت كل العباد عبادك وأرزاقهم عليك فاصنع ما شئت فقلت لها كيف صبرك فقالت اسكت يا عتبة إن إلهى لغنى حميد فى كل يوم منه رزق جديد الحمد لله الذى لم يزل يفعل بى أكثر مما أريد قال عتبة فوالله ما ذكرت كلامها إلا هيجنى وأبكانى.

الحكاية الثلاثون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه :

قال وصف لى رجل من أهل المعرفة فى جبل لكام فقصدته فسمعته يقول بصوت حزين فى بكاء وأنين :

يا ذا الذى أنس الفؤاد بذكره أنت الذى ما إن سواك أريد
تفنى الليالى والزمان بأسره وهواك غض فى الفؤاد جديد

قال ذو النون فتتبعت الصوت فإذا بفتى حسن الوجه، حسن الصوت وقد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رسومها نحيل قد اصفر واحترق وهو شبيه بالواله الحيران فسلمت عليه فرد على السلام وبقى شاخصا يقول :

أعميت عينى عن الدنيا وزينتها فأنت والروح منى غير مفترق
إذا ذكرتك وفى مقلتى أرق من أول الليل إلى مطلع الفلق
وما تطابقت الأحداق عن سنة إلا رأيتك بين الجفن والحدق

ثم قال يا ذا النون مالك وطلب المجانين قلت أو مجنون أنت قال سميت به قلت مسألة قال سل قلت أخبرنى ما الذى حبب إليك الانفراد وقطعك عن المؤانسين وهمت فى الأودية والجبال فقال حبى له هيمنى وشوقى إليه هيجنى ووجدى به أفردنى ثم قال يا ذا النون أعجبك كلام المجانين قلت إى والله وأشجانى ثم غاب عنى فلا أدرى أين ذهب رضى الله عنه.

الحكاية الحادية والثلاثون عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله عنه :

قال بلغنى أن بجبل المقطم جارية متعبدة فأحببت لقاءها فخرجت إلى المقطم أطلبها فلم أجدها فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهم عنها فقالوا تترك العقلاء وتسأل عن المجانين فقلت دلونى عليها وإن كانت مجنونة قالوا هى فى الوادى الفلانى فذهبت إلى الوادى فلما أشرفت عليها سمعت صوتا حزينا وهو يقول :

يا ذا الذى أنس الفؤاد بذكره　　　أنت الذى ما إن سواك أريد

قال فاتبعت الصوت فإذا بجارية جالسة على صخرة عظيمة فسلمت عليها فردت على السلام وقالت يا ذا النون مالك وللمجانين تطلبهم فقلت لها وأنت مجنونة فقالت لو لم أكن مجنونة ما نودى علىّ بالجنون فقلت لها ما الذى جننك قالت يا ذا النون (حبه جننى وشوقه هيمنى ووجده أقلقنى) لأن الحب فى القلب والشوق فى الفؤاد والوجد فى السر فقلت يا جارية الفؤاد غير القلب فقالت نعم الفؤاد نور القلب والسر نور الفؤاد فالقلب يحب والفؤاد يشتاق والسر يجد قلت وما يجد قالت يجد الحق قلت وكيف يجد الحق قالت يا ذا النون وجدان الحق بلا كيف ثم أنشأت تقول :

إن كنت بالوجد موجودا فلا وجدت　　　نفسى وجودك إلا بعد موجودى

فقلت يا جارية ما صدق وجدانك للحق فبكت بكاء شديدا حتى كادت نفسها تفيض ثم غشى عليها فلما أفاقت نادت تقول أواه أواه منك ثم أنشأت تقول :

فوجدى به وجد بوجد وجوده　　　ووجد وجود الواجدين لهيب

لئن مت حقا فى محبة سيدى　　　فإن المنايا فى الفؤاد تطيب

ثم صاحت صيحة وقالت هكذا يموت الصادقون وغشى عليها ساعة فحركتها فإذا هى ميتة فطلبت شيئا أحفر لها به قبرا فإذا هى قد غيبت عنى فلم أجدها رحمة الله عليها.

الحكاية الثانية والثلاثون عن الفضيل بن عياض رضى الله عنه :

قال مكثت فى جامع الكوفة ثلاثة أيام لم أطعم طعاما ولم أشرب شرابا فلما كان فى اليوم الرابع هزلنى الجوع فبينما أنا جالس إذ دخل على من باب المسجد رجل مجنون وبيده حجر كبير وفى عنقه غل ثقيل والصبيان من ورائه فجعل يجول فى المسجد حتى إذا حاذانى جعل يتفرس فى ففزعت فى نفسى منه فقلت إلهى وسيدى أجعتنى وسلطت على من يقتلنى فالتفت إلى وقال :

محل نبات الصبر فيك غريزة فياليت شعرى هل لصبرك آخر

قال الفضل فزال عنى جزعى وطاوعنى هلعى وقلت يا سيدى لولا الرجاء لم أصبر قال فأين مستقر الرجاء منك قلت بحيث مستقر هموم العارفين قال أحسنت والله يا فضيل إنها لقلوب الهموم عمرانها والأحزان أوطانها عرفته فاستأنست به وارتحلت إليه فعقولهم صحيحة وقلوبهم غارقة بالأنوار مشرقة وأرواحهم بالملكوت والأعلى معلقة ثم ولى وأنشأ يقول :

فهام ولى الله فى القفر سائحا وحطت على سير القدوم رواحله
فعاد بخير قد جرى فى ضميره تذوب به أحشاؤه ومفاصله

قال الفضيل فوالله لقد بقيت عشرة أيام لم أطعم ولم أشرب شرابا وجدا بكلامه فطوبى لمن استوحش من الخلق وأنس بالحق وأنشد بعضهم :

أنست بوحدتى ولزمت بيتى فطاب الأنس وصفا السرور
وأدبنى الزمان فلا أبالى هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوما أسار الجند أم ركب الأمير

وأنشد آخر :

كفانى من اللذات ألا يروعنى وزير ولا يسطو على أمير

الحكاية الثالثة والثلاثون عن الشبلى رضى الله عنه :

قال مر بى بهلول المجنون فى بعض الأيام وهو خارج إلى الجبانة ومعه قصبة قد جعلها فرسه وبيده مقرعة وهو يعدو فقلت إلى أين يا بهلول فقال إلى العرض على الله عز وجل قال فجلست حتى رجع وقد انكسرت القصبة واحمرت عيناه من البكاء فقلت له ما كان منك قال وقفت بين يديه على أن يكتبنى من الخدام فلما عرفنى طردنى قلت هذا القول من بهلول قول عارف محب مقبول صدر من قلب حزين بالخوف مشغول وفى معنى العرض والرد والقبول أشرت فى هذه العشرة الأبيات أقول :

عرضنا على المولى ونحن عبيده فمنا شقى رده وسعيد
فمن كان منا ليس يصلح خادما فعن بابه بالطرد ذاك بعيد
ومن كان يصلح فهو فى قدس حضرة قريب ومقبول هناك حميد
حبيب له جاه عريض ورفعة ومجد على مر الجديد جديد
أولئك خدام كرام وسادة ونحن عبيد السوء بئس عبيد

فـيـا غـبننا يوم التـغـابـن عندمـا ... يقـابلـهم وعـد ونحن وعـيـد
ترى الناس كـأنهم سكارى ومـا هم ... سكارى ولـكن العـذاب شـديد
تحـيـط بنا الأهوال من كل جـانب ... إلى أن كـنا بالـعـقـار نميـد
وهم ركـبوا نجبا من النور فى الهـوى ... تطـيـر إلى الـرب الكريم وفـود
فـلا فـزع يحـزنهم بـل بقـربه ... لهم فـرح يحلو هنـاك وعـيـد

(قيل) مـثل الصالحين وما زينهم الله بـه دون غيرهم مثـل جند قال لهم الملك تزينوا للعرض على غـداً فمن كانت زينته أحسن كـانت منزلته عندى أرفع ثم يرسل الملك فى السر بزينة من عنده ليس عند الجند مـثلها إلى خواص مملكته وأهل محـبته فإذا تزينوا بزينة الملك فـخروا على سائر الجند عند العرض على الملك فـهذا مثل من وفقهم الله للأعمال الصالحات:

الحكاية الرابعة والثلاثون قال السرى السقطى رضى الله عنه

خرجت يوما إلى المقابر فإذا بـبهلول المجنون فقلت له أى شيء تصنع ههنا قال أجالس قوما لا يؤذوننى وإن غبت لا يغتابوننى فقلت له ألا تكون جائعا وأنشأ يقول:

تجـوع فـإن الجـوع من عـلم التـقى ... وإن طويل الجـوع سـيـشـبع

(وقيل) لآخر من عقلاء المجانين وقـد أقبل من بعض المقابر من أين جئت فقال من عند هذه القافلة النازلة قـيل له ماذا قلت لهم وماذا قالوا لك قـال قلت لهم متى ترحلون فقالوا حين تقـدمون (وقيل) لآخر لم لا تصلى فتكلم بكلام عـجيب غريب وأنشد شعراً.

يقـولون زرنا واقض واجب حـقنا ... وقد أسـقطت حالى حـقوقـهم عنى
إذا هم رأوا حـالى ولم يأنفـوا لهـا ... ولم يأنفـوا منهـا أنفت لـهم منى

وأنشد بعضـهم شعراً :

يقـولون مـجنون ولو علمـوا بما ... أقاسـيه من فرط الجـوى بسطوا العذرا

(وسئل) بعضـهم عن هؤلاء المجانين وما يتكلمون به من الحكمة والمعـرفة فقال إن هؤلاء كان لهم فضل وعقل فلما أخذ الله عقلهم أبقى عليهم فضلهم.

الحكاية الخامسة والثلاثون عن عطاء رضى الله عنه :

قال دخلت سوقا من الأسواق فإذا بجارية ينادى عليها فاشتريتها بسبعة دنانير على أنها مجنونة وجئت بها إلى منزلى فلما كان الليل وقد مضى بعضه رأيتها قد توضأت واستقبلت القبلة تصلى فسمعتها تختنق بالدموع وتقول إلهى بحبك لا إلا ما رحمتنى فتحققت جنونها وقلت يا جارية لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى لك فقالت إليك عنى يا بطال فوحق حقه لو لم يحبنى ما أنامك وأقامنى ثم سقطت على وجهها وجعلت تقول :

الكرب مجتمع والقلب محترق ... والصبر مفترق والدمع مستبق
كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شىء فيه لى فرج ... فامنن على به ما دام بى رمق

ثم نادت بأعلى صوتها إلهى كانت المعاملة بينى وبينك سرا والآن قد علم المخلوقون فاقبضنى إليك ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا رحمة الله عليها.

الحكاية السادسة والثلاثون عن الشبلى رضى الله عنه :

قال رأيت مجنونا فى بعض الطرقات والصبيان خلفه يرجمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه فقالوا يا شيخ دعنا نقتله فإنه كافر قلت ما بدا لكم من كفره قالوا يزعم أنه يرى ربه ويحادثه فقلت أمسكوا على قليلا ثم تقدمت إليه فوجدته يتحدث ويضحك ويقول فى أثناء ذلك هذا جميل منك تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون بى هكذا، فقلت له يا أخى هؤلاء الصبيان يقولون عنك شيئا قال يا شبلى ما يقولون، قلت يقولون إنك تزعم أنك ترى ربك وتحادثه فصاح صيحة عظيمة ثم قال يا شبلى وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بين بعده وقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين ثم ولى عنى مسرعا وهو يقول :

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ... ومثواك فى قلبى فأين تغيب

قلت الصواب فى هذا البيت أن يقال :

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى ... وحبك فى قلبى فأين تغيب

لأن بعض ألفاظ البيت الذى قاله لا يجوز فى صفات الخالق سبحانه وتعالى.

الحكاية السابعة والثلاثون عن محمد بن محبوب رحمه الله

قال كنت في شارع المارستان فإذا بغلام قد غُلّ وقُيد فقال لي يا ابن محبوب أتراه بعد الغل والقيد راضيا عني كل ذلك في حبه ثم بكى وأنشأ يقول:

من ذنوبي يحق لي أن أنوحا ... لم تدع لي الذنوب قلبا صحيحا
أخلقت مهجتي أكف المعاصي ... ونعاني المشيب نعيا صريحا
كلما قلت قد برا جرح قلبي ... عاد قلبي من الذنوب جريحا
إنما الفوز والنعيم لعبد ... جاء في الحشر آمنا مستريحا

الحكاية الثامنة والثلاثون عن علي بن عبدان رحمه الله

قال كان عندنا مجنون يجن بالنهار ويفيق بالليل ويصلي ويناجي ربه إلى الصباح فقلت له يوما منذ كم جننت قال منذ عرفت ثم أنشأ يقول:

أنا الذي ألبسني سيدي ... لما تقربت لباس الوداد
فصرت لا آوى إلى مؤنس ... إلا إلى مالك رزق العباد

قال فخرجت فإذا أنا ذاهل العقل فدخل وقال آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فعلمت أنه جائع فقدمت إليه طعاما فأكل ثم شرب وأنشأ يقول:

عليك اتكالي لا على الناس كلهم ... وأنت بحالي عالم ليس تعلم
وأقسمت إني كلما جعت سيدي ... ستفتح لي بابا فأسقى وأطعم

قلت له أوصني بوصية فأنشأ يقول :

الزم الخوف مع الحز ... ن وتقوى الله تربح
واترك الدنيا جميعا ... إن تقوى الله أرجح
واجتهد في ظلمة اللي ... ل إذا ما الليل جنّح
واقرع الباب قليلا ... فلعل الباب يفتح

(وقيل) لبعضهم علمني شيئا أنتفع به فقال فر منهم ولا تأنس بهم فيتم اتصالك ويقل عذابك (فقلت زدني) قال (الزم الصدق والتقى واترك العجب والريا واغلب النفس والهوى ترزق السؤال والمنى) فقلت حسبك رضى الله عنه.

الحكاية التاسعة والثلاثون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت في جبل لبنان في كهف رجلا أبيض الرأس واللحية أشعث أغبر نحيفا نحيلا وهو يصلى فسلمت عليه بعد ما سلم من الصلاة فرد على السلام وقام إلى الصلاة فما زال راكعا وساجدا حتى صلى العصر ثم استند إلى حجر وجعل يسبح الله ولا يكلمنى فقلت له رحمك الله ادع الله عز وجل لى فقال :(آنسك الله بقربه) فقلت له زدني فقال يا بني من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال عزا من غير عشيرة وعلما من غير طلب وغنى من غير مال وأنسا من غير جماعة ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام ثم قام فتوضأ وسألنى كم فاته من صلاة فأخبرته فقال :

إن ذكر الحبيب هيّج شوقى ثم حب الحبيب أذهل عقلى

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين وأنست برب العالمين انصرف عني بسلام فقلت له يرحمك الله وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة وأريد موعظة منك وبكيت فقال: (أحبب مولاك ولا ترد بحبه بدلا فالمحبون لله هم تيجان العباد وعلم الزهاد وهم أصفياء الله وأحباؤه وعباده وأولياؤه) ثم صرخ صرخة وفارق الدنيا فما كان إلا هنيهة فإذا نحن بجماعة من العباد ينحدرون من الجبل فتولوه حتى واروه تحت التراب فسألت ما اسم هذا الشيخ فقالوا شيبان المصاب رحمه الله ونفعنا به.

الحكاية الأربعون عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا جالس في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتا يقول يا ذا الأيادى التي لا تحصي وياذا الجود والبقاء متع بصر قلبي في الجولان في جبروتك واجعل همتى متصلة بجود لطفك يالطيف وأعذني من مسالك المتجبرين بجلال بهائك يارءوف واجعلنى لك في الحالين خادما وطالبا وكن لي يا منور قلبي وغاية طلبي في القصد صاحبا قال فطلبت الصوت فإذا هي امرأة كأنها العود المحترق وعليها درع من الصوف وخمار من الشعر قد أضناها الجهد وأفناها الكمد ودوبها الحب وقتلها الوجد فقلت السلام عليك فقالت وعليك السلام يا ذا النون فقلت لا إله إلا الله وكيف عرفت اسمي ولم تريني قالت كشف لى عن سره الحبيب فرفع عن قلبي حجاب العمى فعرفني اسمك فقلت ارجعى إلى مناجاتك فقالت أسألك يا ذا النور والبهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة ثم خرت ميتة فبقيت متحيرا متفكرا فأقبلت عجوز كالولهانة فنظرت إليها ثم قالت الحمد لله الذي أكرمها

فسألتها من هي فقـالت أنا زهراء الوالهة وهذه ابنتي توهم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربها عز وجل رضى الله عنها وأنشد بعضهم :

قالوا جُنَّت بمن تهوى قلت لهم ما لـــذة العيش إلا للمجانيـــــن

الحكاية الحادية والأربعون

عن الشيخ أبى عبد الله الإسكندرى رضى الله عنه.

قال كنت بجـبل لكام أسيح راجيـا رؤية الرجال أو النساء من القـوم الصالحين فجمع الله لى مرادى فأول من لقيت امرأة وقد سمعتنى أنشد هذه الأبيات :

يا جيـرة الحي من شـرقى ذى سلم هل عـــودة لـليـاليـنا على الـعلم
أيام شـملى بكـم ياسلم مـجـتـمع وحـبل ودى لديكـم غـيـر منصـرم
ناشدتك الله إن جزت العقيق ضحى فاقـرأ السلام عليـهم غيـر محـتشم
وقل تركـت صـريـعـا فـي دياركم مـيتـا كـحى بغـير السـقم ذا سـقم

قال فلما رأيـتها قلت في نفسي لو كـان اجتماعي برجل كـان أحسن من امرأة فقالت يا عـبد الله ما رأيت أعجب من حالك أيريد الاجتـماع بالرجال من لم يصل إلى مقامـات النساء فقلت ما أكـثر دعواك فقالت تحـرم الدعاوى بغير بينة فـقلت فما الذى لك من البينة قالت هو لى كما أريد لأنى له كما يريد قلت فأريد الساعة سمكا مشويا طريا قالـت هذا من نزول مقامك وافتجاعك في غذائك وطـعامك وهلا سألته أن يهب لك من الشـوق جناحا تطيـر به إليه كطيرانـي ثم طارت وتركتنى فـوالله ما رأيت أَمَرَّ من ذلى وأحلى من عـزها فعدوت خلفـها وقلت يا سيـدتى بالذي أعطاك ومنعنى وجاد عليك وخذلنى جودى على بدعوة فقالت أنت لا تريد إلا دعوة الرجال ثم أنشدت :

ما الجزع وما الغضا وما نعمان لولاك وما طويلع والبـــــــان
ما ينفعنى العقيق والسكـــــان إن لم أراكم بالحمى سكـــــان

فقلت لها إن لم يكن الدعاء فزوديني منك بنظرة وقلت:

قـفى زوديني نظرة من جـمـالـك وإلا دعـيـني سـائرا مع جــلالك
وقـولي لحـادى العيس هذا أسيـرنا ترفـق بصب واله مـتـهـالك
وجـودى على المشتـاق يومـا بنظرة وفـاء له إن الوفـاء مـن فـعـالك

فقالت إن الذي أنا فيه من الخطر أولى من اشتغالك بالنظر قلت والدعاء لا بد منه قالت في غداتك تلقى السيد الداعى والمولى المجيب الواعى والمليح المقبول في المساعى ثم مرت والحلو العيش أمرت غابت عنى ما غابت بل بسهام حالها رمت قلبى فأصابت ثم بت ليلتى ببليتي قد بليت بشرف بالها يلبابى وقطعت لما قطعت بسيف حبها أوصالي فلما كان من الغد إذا أنا برجل يزحف عليه آثار المآثر وبه من الحب ثائر فقلت إن كان الرجل المشار إليه كما ذكرت فهو هذا فاقبل بإقباله وقبوله على وقال نعم هو هو قلت يا سيدى فلعل إرفادى بدعوة يكون لى بها عند الحبيب حظوة فقال يا أبا عبدالله فاتك دعاء من ليس لها دعوى أما كان عندك من بصر البصيرة ما تعرف به ريحانة الكوفية ولكن يا أبا عبد الله ما أقدر أن أدعو لك حتى تصل إلى مقام مجانيننا وفي غد تراهم وتؤمن بما من الوجد اعتراهم ثم غاب عنى فلم أره فأدركنى من الوجد مالا أعبر عنه ولا أقدر على فراغي منه ثم أنشد لسان حالي :

أنا شيخ الهوى بزاوية الحب ... ومن يدعى الغرام مريدى
والذي مات بالغرام شهيدا ... ذاك في شرعة الهوى من شهودى
وفقيه مدرس سنن العشـ ... ـق فمن ذا الذى يكون معيدى
وإذا ما ادعى المحبة قوم ... دع دعاويهم فهم من عبيدى
يا أهيل الهوى إلى هلموا ... أنا سلطانكم وأنتم جنودى
قلت للقلب قد ملئت غراما ... فأجاب الفؤاد هل من مزيد
سكرة الحب أين منها خلاصي ... ليس عن سكرة الهوى من محيد
وإذا أنكر العذول غرامي ... فالهوى سائقى ودمعى شهودى

فلما كان من الغد إذا بقارئ يقرأ (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجا من الله إلا إليه) بصوت رخيم من قلب حزين رحيم يكاد سامعه يذوب شوقا ومستحديه يتوله جنونا وعشقا ومجاريه لا يجاريه سعيا وسبقا فالمطرود يناديه بحضرة ناديه كم تسعد وأشقى فقلت وقد استعبدنى بحسن صوته رفقا بالذى جاد بنعمة النغمة حقا ارفق بقلب شقه خوف الفراق شقا وجعله على لبة أطيار العشق عنقا وصيره صريعا على مصارع أبواب أرباب الوصل والوصول ملقى قال فبرز لى رجل قد خنقه الحب خنقا وقال ما تريد بالمجنون الذى دمعه لا يرقأ وجنونه لا يداوى ولا يرقى وعمره في الطريق ينادى الحريق فما يرى نحو الغريق سحابا ولا برقا ولكن قد أحالوك على في الدعاء بنسبة الجنون بيننا وفقا فعليك بجناب المجانين وانشق من حبهم نشقا والزم سنة محمد صلى

الله عليه سلم تدم وتبق واحذر أن تخرج عنـها فتسمع منه وقد غضب سحـقا سحقا فقلت أوصني فقال ارحم نفسك من الذنوب فإنها ضعيفة وارفق بها رفقا وإياك ودنياك فإنها تجـعل أعالي أبنائها ببـحرها غرقى وأو ساطهم شـرقى وأدناهم حرقى ومع هذا متعك الله قبولا ووصولا وصدقا وجعلك من قوم رضى الله عنهم فقال عز من قائل أولئك هم المؤمنون حقا ولا أحـرمك لذة النظر ولاجعلك ممن يقنع بعد العيـان بالخبر ففهمت ما أشار إليه رحمة الله عليه.

الحكاية الثانية والأربعون عن ذى النون رضى الله عنه

قال بينمـا أنا أسير في جبل أنطاكـية إذا أنا بجارية كأنهـا مجنونة وعليهـا جبة صوف فـسلمت عليها فردت علي السـلام ثم قالت ألست ذا النون فقلت عـافاك الله كيف عرفتنى فـقالت عرفتك بمعرفة حب الحبيب ثم قـالت أريد أن أسألك عن مسألة قلت سلى قالت أى شيء السخاء قلت البذل والعطاء قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قلت المسـارعة إلى طاعة رب العالمين قالت فـإذا سارعت إلى طاعة المولى فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شـيئا ويحك يا ذا النون إنى أريد أن أطلب منه شيئا منذ عشرين سنة فأستحـيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة ولكن أعـمل تعظيما لهـيبتـه وعز جلاله ثم مـرت وتركتنى رضى الله عنها.

الحكاية الثالثة والأربعون عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير في تيه بنى إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمن شـاخصـة ببصرها نحـو السمـاء فقلت السلام عليك يـا أختاه فـقالت وعليك السلام ياذا النون فقلت لها من أين عرفتنى يا جارية فقالت يابطال إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجسـاد بألفي عام ثم أدارها حول العرش فمـا تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف فعرفت روحى روحك في ذلك الجولان وأنشدت تقول:

إن القلوب لأجناد مجنـــــدة   لله في الغيب والأهواء تختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلـف   وما تناكر منها فهو مختـــلف

قال ذو النون رضى الله عنه فـقلت إنى لأراك حكيمة علمينى شـيئا مما علمك الله فقـالت يا أبا الفيض ضع على جوارحك مـيزان القسط حتى يذوب كل مـا كان لغير الله تعـالى، ويبقى القلب مصفى ليس فيـه غير الرب عز وجل فحينئـذ يقيمك على البـاب ويوليك ولاية جديدة ويأمـر الخزان لك بالطاعـة فقلت يا أختـاه زيدينى فقـالت يا أبا الفيض خذ من نفـسك لنفسك وأطع الله تعالى إذا خلوت يحـببك إذا

دعوت رضى الله عنها ورحمها.

الحكاية الرابعة والأربعون عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال حججت على الوحدة فجاورت بمكة فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف وإذا بجارية تطوف وتقول:

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره ... وإن رمت قربا من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا به له ... ويسعدني حتى ألذ وأطربا

قال فقلت لها يا جارية أما تتقين الله في مثل هذا المكان تتكلمين بهذا الكلام فالتفتت إلي وقالت ياجنيد :

لولا التقى لم ترنى ... أهجر طيب الوسن
إن التقى شردنى ... كما ترى عن وطنى
أفر من وجدى به ... فحبه هيمنى

ثم قالت يا جنيد أنت تطوف بالبيت أم برب البيت فقلت أطوف بالبيت فرفعت رأسها إلى السماء وقالت سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة ... إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم ... وحلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الود خبت صفاتهم ... وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد فغشى على من قولها فلما أفقت لم أرها رضى الله عنها.

الحكاية الخامسة والأربعون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال لقيت امراة في تيه بنى إسرائيل عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف وفي كفها عكاز من حديد فقلت السلام عليك ورحمة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله فقلت أنا أخوك ذو النون المصرى، فقالت مرحبا حياك الله بالسلام قلت ما تصنعين ههنا قالت كلما أتيت إلى بلد يعصى فيه الحبيب ضاق على ذلك البلد فأنا أطلب بقعة طاهرة أخر عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلى لقائه، قلت ما سمعت أحدا يذكر الحبيب أحسن من ذكرك فأى شيء المحبة، فقالت سبحان الله أنت الحكيم الواعظ وتسألنى عن المحبة أول المحبة يبعث على الكد الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفاء جرعهم من محبته لذيذ الكئوس ثم صرخت وخرت مغشيا عليها فلما أفاقت رضى الله عنها

قالت :

أحـــبـك حــبين حب الـهـــوى ... وحـــبــــا لأنـك أهل لذاكـــــا
فـــأمـــا الذي هو حـب الهـــوى ... فـشـغـلى بذكـرك عـمن ســواكـا
وأمـــــــــا الـذي أنـت أهـل لـه ... فكشـفك لى الحـجب حـتى أراكـا
فـــلا الحـــمـــد فـي ذا ولا ذاك لي ... ولكن لـك الحـمـــد فى ذا وذاكـــا

الحكاية السادسة والأربعون عن محمد بن رافع رحمه الله

قال أقبلت من بعض بلاد الشام فبينما أنا في بعض الطريق رأيت فتى عليه جبة من صوف وبيده ركوة فقلت أين تريد قال لا أدرى فقلت من أين جئت فقال لا أدرى فظننته مـوسوسا فـقلت من خلقك فاصـفر لونه حتى كـأنه صبغ بالزعفـران ثم قال خلقنى من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا فـي السماء فقلت يرحمك الله أنا من إخوانك وممن يأنس إلى أمـثالك فلا تنقبض منى فقـال إنى والله أود لو جاز لى ترك الجماعات حتى أنفرد في شـاهق منيف صعب المرتقى أو في غار لعلى أجد قلبى ساعة يسلو عن الدنيـا وأهلها فقلت وما جنت عليك الدنيا حتى اسـتحقت منك هذا البغض فقال جناياتها العمـى عن جناياتها فقلت هل من دواء تعالج به من هذا العمى الذي حجب عنى مـا يراد بي، فقال مـا أراك تقدر على هذا العـلاج فاستـعمل من الدواء أيسره فقلت صف لى دواء لطيفا، قال فـما داؤك قلت حب الدنيا فتبسم وقال أى داء أعظم من هذا ولكن اشرب السـموم الطرية والمكاره الصعبـة قلت ثم ماذا قال ثم مر الصبر الذى لا جزع فيه والتعب الذى لا راحة فيه قلت ثم ماذا قال ثم الوحشة التى لا أنس فيها والفرقة التى لا اجتمـاع معها قلت ثم ماذا قال ثم السلوى عما تريد والصبر عما تحب فإن أردت فاستعـمل هذا وإلا فتأخر واحذر الفتن فإنها كقطع الليل المظلم قلت له فدلنى على عمل يقربنى إلى اللـه عز وجل فقال يا أخى قد نظرت في جميع العبادات فلم أر أرفع أو قال أنفع من الفرار من الناس وترك مخالطتهم يا أخى رأيت القلب عشـرة أجزاء فتسعـة مع الناس وجزء مع الدنيا فمن قـوى على الانفراد حاز تسعة أجزاء من القلب ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه.

الحكاية السابعة والأربعون عن بعض الصالحين رضى الله عنهم

قـال مررت بطبـيب وبين يديه جـمع من الناس وهو يصف لـهم ما يشـربون فتقدمت إليه فجس يدى جسا لطيفا وقال لي:

أرى بك داء ليس يبلغه وصفى ... ولكن بحمد الله يبريك ذو اللطف
فصحت من الآلام صيحة مغرم ... صدقت وقد أظهرت جملة ما أخفى
فجدلى بوصف فيه برئى من الضنا ... فقد حل ما بى من سقامى ومن ضعفى

قال فأطرق ساعة ثم قال خذ عروق الفقر مع ورق الصبر مع إهليلج التواضع ثم ألق الجملة في ظرف اليقين واجعل عليه ماء الخشية والحيا وأوقد تحته نار الحزن والشجن ثم صفه بمنخل المراقبة في جام الرضا وامزجه بشراب التوكل وتناوله بكف الصدق واشربه بكأس الاستغفار وتمضمض بعده بماء الورع واجعل حميتك في ترك الحرص والطمع فإنك إن فعلت هذا رجوت لك الشفاء إن شاء الله تعالى وأنشدوا:

قل للطبيب إذا ماجئت تسأله ... هل في علومك ما يشفى من الكمد
إنى مرضت بأوزارى وفجعتها ... وليس بى ألم أشكوه في جسدى

الحكاية الثامنة والأربعون

قيل مر أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه في بعض شوارع البصرة فإذا هو بحلقة كبيرة والناس حولها يمدون إليها الأعناق ويشخصون إليها بالأحداق فمضى إليهم لينظر ما سبب اجتماعهم فإذا فيهم شاب حسن الشباب نقى الثياب عليه هيبة الوقار وسكينة الأخيار وهو جالس على كرسى والناس يأتونه بقوارير من الماء وهو ينظر فى دليل المرضى ويصف لكل واحد منهم ما يوافقه من أنواع الدواء فتقدم إليه وقال السلام عليك أيها الطبيب ورحمة الله وبركاته هل عندك شيء من أدوية الذنوب فقد أعيا الناس دواؤها يرحمك الله فأطرق الطبيب رأسه إلى الأرض ولم يتكلم فناداه ثانية كذلك فلم يتكلم فناداه ثالثة كذلك فرفع رأسه بعد ما رد السلام فقال أو تعرف أدوية الذنوب بارك الله فيك قال نعم قال صف وبالله التوفيق قال تعمد إلى بستان الإيمان فتأخذ منه عروق النية وحب الندامة وورق التدبر وبذر الورع وثمر الفقه وأغصان اليقين ولب الإخلاص وقشور الاجتهاد وعروق التوكل وأكمام الاعتبار وسيقان الإنابة وترياق التواضع تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر وفهم وافر بأنامل التصديق وكف التوفيق ثم تضعها في طبق التحقيق ثم تغسلها بماء الدموع ثم تضعها فى قدر الرجاء ثم توقد عليها بنار الشوق حتى ترغى زبد الحكمة ثم تفرغها فى صحائف الرضا وتروح عليها بمراوح الاستغفار ينعقد لك من ذلك شربة جيدة ثم تشربها في مكان لا يراك فيه أحد إلا الله تعالى فإن ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لا يبقى عليك ذنب ثم أنشأ الطبيب يقول:

ياخــاطب الحــوراء في خــدرها　　شــمــر فــتــقــوى الــله من مــهــرها
وكن مــجــدا لا تكن وانيــا　　وجــاهد الــنفس على صــبــرها

ثم شهق شهـقة فارق بها الحيـاة الدنيا فقال رضى الله عنه إنك لـطبيب الدنيا وطبيب الآخرة ثم أمر بتجهيزه ودفنه رحمة الله عليه.

الحكاية التاسعة والأربعون عن ذى النون رضى الله عنه

قال مررت ببـعض الأطباء وحوله جماعة مـن الرجال والنساء وهو يصف لكل واحد منهم مـا يوافقه مـن الدواء فدنوت إليه وسلمت عليـه فرد علي السـلام فقلت يرحمك الله صف لي دواء الذنوب وكان حـكيما حاذقا فأطرق سـاعة ثم قال لى إن وصفت لك تفهم فقلت نعم إن شاء الله تعالى فقال خذ عروق الفقر مع ورق الصبر مع إهليلج التواضع مع بليلج الخضوع مع دهن بنفسج الهيبة مع خطمية المحبة مع تمر هندى السكينة مع ورد الصـدق فإذا جـمعت الأوصـاف فأجـملها في قـدر الأحكام وصب فوقها من ماء الأحـكام وأوقد تحتها بنار الاشتياق والاحتـراق وحركها بأصطام العظمة يزيد زبد الحكمة فإذا صفا بصفـاء الفكرة فاجعله في جام الذكر وصفه بأوراق الرضا واجـعل فيه مـحمود الإنابة وغض مـقل الجد في العمل واشـربه في حانوت الخلوة وتمضـمض بماء الوفاء وغير فاك بسواك الخوف والجوع وشم تفاح القناعة وامسح شفتيك بمنديل الإعـراض عما سوى الله تعالى فهذه شـربة تحبط الذنوب وتقرب من علام الغيوب.

الحكاية الخمســون

حكى عن أحدهم أنه مرض وضـعف واصفر لونه فقيل له ألا ندعو لك طـبيبا يداويك من هذا المرض فقال الطبيب أمرضنى ثم أنشد :

كيف أشكو إلى طبيبي ما بـي　　والذي بي أصابني من طبيبي

(وقال) ذو النـون المصرى رضى الله عنه إن لله عـبادا نصـبوا أشجـار الخطايا نصب أعينهم وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير وعي ولا بكم وإنهم لهم البلغاء الفصـحاء العارفون بالله وبرسوله ﷺ ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبـر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظـلوا تحت أوراق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلـم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واسـتلانوا خونة المضـجع حتى ظفروا بحبـل النجاة وعروة السلامـة وسرحت

أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا في سفينة العطية وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة (وقال) رضى الله عنه اللهم اجعلنى من الذين تاهت أرواحهم في الملكوت وكشف لهم حجاب الجبروت فخاضوا في بحر اليقين وتنزهوا في ظهر رياض المتقين وركبوا في سفينة التوكل وأقلعوا بشرع التوسل وساروا بريح المحبة في جداول قرب العزة وحطوا بشاطئ الإخلاص فنبذوا الخطايا وحملوا الطاعات برحمتك يا أرحم الراحمين وأنشد بعضهم :

ركب المحب إلى الحبيب سفينة ... تجري من الخطرات في أمواج
في سرسر السر سرا أقلعت ... في لج بحر زاخر عجاج
ياحسنها تجرى به متفردا ... بعلومه في جنح ليل داج
فالقلب مشكاة وفيه زجاجة ... قد علقت بسلاسل المنهاج
متوقد بالنور من زيتونة ... تسقى سراجا فاق كل سراج

وفي شيء من هذه المعانى قلت لما جاءتهم عناية الفضل تركوا الفضول وسافروا إلى منازل الوصول وركب السادات على خيل السعادات واستعانوا في سفرهم على سلوك الطريق بزاد التقوى المعجون بماء التوفيق وراضوا خيلهم في رياض الرياضة وضمروها وألجموها بلجام منع الالتفات إلى غير مولاها وزجروها وضربوها بسوط الخوف وحركوها بإعمال أعمال الشوق وركضوها إلى غاية المنى في ميدان السوق ونالوا بمواضى عزائم الهمم العوالى عزيز مكرمات مجد المعالى باجتلاء بعض عرائس الأنوار فى جنات سرر ومعارف الأسرار بعد ما جاهدوا في سلوك الطريق عساكر الهوى لما عرضوا للصد والتعويق وذبحوا نفوس الهوى بسيوف المخالفة وطعنوا فرسان الطبع برماح ترك العادات السالفة وطهروا بماء الدموع الطهور نجاسات الذنوب والعيوب وسائر الشرور حتى صحت لهم العبادة المفتقرة إلى الطهارة كالصلاة وداووا قلوبهم من أمراض علل حب الدنيا وسائر الحظوظ والجاه وأحرقوا أشجار خبثها بنار حزن القلب الأواه وطيبوها بماء ورد الأوراد وأحيوا ميتها بذكر الله واعجباه كيف نعرف تلك المواهب والأحوال ولا نتداوى من الداء العضال الذى بيننا وبينها حال فنبرأ مثلهم من الأسقام التى أمرضت منها القلوب ونصبر على مرارة المراهم التى صبروا عليها حتى نشفى مثلهم وتزول عنا علل العيب لقد عجزنا وملنا إلى الهوى

وإلف العادة ولم نخرج عن الرعونات والطباع التـى خرج عنها السادة فلم نتعظ بعظة ولم نتزجر عن نهى ولم نأتمر بأمـر وذلك من سوء حظ أنفسنا ولم تساعـدنا السعادة وإلا فنحن نعرف مراهم الداء التى تداوى بـها السعداء وفيهـا قلت في بعض القصائد منشدا:

فـتـرياق تقى مع سـفـوف رياضـة ... ومع غـارفـون الذكر مـغلى عـزائم
مـــراهـم أســقـــام القلب نـواقع ... بهـــا بـرء مـــعلول وإيقـــاظ نائم
وأركـــان بنيـــان الرياضـــة عــزلة ... وجـوع وصـمـت مع سهـاد مـداوم
وليس طبيب في جميع الورى سوى ... طبيـب قلوب أو طبـيب مـــعــالم
فـهذا يداوى الناس من داء جـهلهم ... وذهنا نأى عنـه الذكـا غـيـر فـاهم
بفـتـق الرتق في غـوامض مـشكل ... ورتق لفـتق من طعـام مـخـاصم
عن السنـة الغـرا يـذب مـجـاهدا ... بأبيـض مـسلـول من العلم صـــارم
وهذاك يشـــفى قلب كل مـــعلل ... بداء هوى طـبع النفـوس الـظوالم
فـيشتم طيبـا فاح من جـانب الحمى ... لذلك مـركـوم الهـوى غيـر شـامم
وينظر نـورا من جـمـال مـحـيـر ... ويسـمع تـكليـمـا حـــلا من منادم
ويطعم من طـعـم إلهى مـا يشـوقـه ... وليس بمشـتـــاق له غـيــــر طاعم
فـمن ذاق طعـم الحب يشـتـاق للقـا ... ليـهـنا بعـيش للأخـبـــة ناعم
فـيا أسـفـا يا حـسرتا يامـصـيبتـا ... ويا ضـيـعة الأعـمـار سـوق المواسم
كـما لـم نكن كالـغيـر أهلا لقـربه ... لقـــد فـــاتنـا كل المنى والمكارم
نموت ولم نـنظر جـمــال جــلاله ... ولم ندر طعم الحـب مـثل البـهـائم
فلو شـاهدت ذاك الجـمــال أعـيننا ... سكرنا وغبنا عن جـمـيع العـوالم
وملنا نشـاوى من شـراب مـحـبـة ... وباح بمكـتــوم الهـــوى كل كـــاتم
ونحن حـجـبنا عن عجـائب قـدرة ... ونـور وأســــــرار وطيـب تنـادم
فـمـا العيش إلا ذاك لا عـيش عـزة ... ولا ليلـى ولا سلمى ولا أم ســـالم
وذلك فـضـل الله يؤتيـه مـن يشـا ... ويرجى لعـبـد قـارع الـبـاب لازم
فـيـارب وفق واعف وافـتح وعـافنا ... وصل على المخـتــار من آل هاشم

(وقلت في ذلك المعنى في أخرى)

فـجـرد لسيف الـصدق بعد تجـرد ... لذكـر وفكر حـب عن كل مـشـغل
به النفس إن رامت هواها وحـاولت ... خلافـا ولم ترجع إلى الطاعـة اقتل
وداوم ولازم قـرع باب مـؤمـلا ... فـمـا خـيب المـولى رجـاء مـؤمل

وصابر فما نال العلا غير صابر ... وقل واعظا للنفس عند التململ
مع الصبر إحدى حسنيين مناك أو ... منايا كرام فاصبرى وتحملى
وداو لسقم القلب واعمر خرابه ... بدهن رياضات وتوب معجل
وأحرق بنار الحزن أشجار خبثه ... وفي سيل عين كل أوساخه اغسل
وطيب بورد الورد واجعله صالحا ... لسكنى أراض منه طابت وأجبل
فيوحى إلى الأسرار كالنحل ربها ... أن اتخذى منها بيتا بها احللى
ويوحى لسحب الجود من فيض فضله ... بوابل غيث الغوث من رحمتى اهطل
فيحيى الحيا منه شعابا وأنجدا ... وأرضا ويجرى كل عين ومنهل
وينبت أشجار المعارف موحيا ... إليها بزاكى ثمرك الطيب احملى
فيزهر أنوارا لوامع برقها ... أضاءت لكل الكون علو وأسفل
بمصباح قلب في زجاجة صدره ... بمشكاته من زيت تقواه مشعل
ويثمر خوخ الخوف في روضة الرضا ... وإجاص إخلاص وتين التوكل
وأرطاب حب قد جنتها يد الهوى ... وأعناب أشواق بها القلب ممتلى
ورمان إجلال وتفاح هيبة ... وموز الحيا مبدى رجاء السفرجل
جنان جنان عارف بمعارف ... جنى من جناها كل دان مذلل
فيا طرف قلب عش برؤياك طرفه ... ويا نفسه أحلى نفيس له كلى
وياطيب عيش ناعم من رآك لم ... ير عيش غبن غير عيش منكل
وماذاقك الحاكى ولا شم أو رأى ... ولكن بأخبار الصدوق المعدل
طفيلى حالى في زرى فضوله ... حكى فضل حال الأولياء بالتطفل

(وقلت في ذلك المعنى في أخرى)

وعبد الهوى يمتاز من عبد ربه ... لدى شهوة أو عند صدم بلية
بكير البلى يبدو من التبر حسنه ... ويبدو نحاس النحس في كل محنة
حلا من حلى قوم كرام تدرعوا ... دروع الرضا والصبر في كل شدة
ولاقوا طعان النفس في معرك الهوى ... وراحوا وقد أرووا مواضى الأسنة
وساقوا جياد الجد عند استباقهم ... وأرخوا لها نحو العلا للأعنة
سموا فاحتلوا بيض المعالى عواليا ... ببيض العوالى في القصور العلية
مقامات قوم أتعبوا النفس في السرى ... فأضحوا ملوك الدهر فوق الأسرة
بذل أنيلوا العز والجهد راحة ... وفقر غنى والحزن كل مسرة
وطيب عيش بالطوى ثم بالظما ... شراب كئوس حاليات هنية

بجنات وصـل في رياض مـعـــارف   لهـم ذللت منهـــا قطوف تـدلت
جنوا من جـناها زاكـيـا لا يذوقـه   من الخـلق إلا كل نفـس زكـيـة
تسلت عن الدنيـا وماتت عن الهـوى   وغـسلهـا في مـوتهـا مـاء دمـعـة
وصلت عليـهـا صـالحـات فعـالهـا   وقـد كـفنت في بيـض أثواب توبة
وشيلت على نعش انتعـاش إلى البقا   بقـبـر خـمـول شق في أرض غـربة
وقـومهـا في البـعث باعث عـقلهـا   وحـاسـبـهـا فـي كل مـثـقـال ذرة
وألزمـهـا تمشى صـراط اسـتـقـامـة   دقـيـقا كـحـد السـيف إن عنه زلت
هوت جوف نار الهجر والبعد والقلى   وإن ثبـتت سـارت بجـنبـات وصلة
ونالت مـناها والسـعـادة كـلهـا   فـيـا سـعـد نفـس أدركت مـا تمنت
إلهى تفـضل بالعطا واكـشف الغطا   وكل الخطا فـاغـفـره وامـنن بجنة
وصل عـلى خـيـر الأنـام وآله   وأصـحـابه والحـمـد لـله تمت

قلت وهذه الأقوال أقولها بغير أفعـال كما قال بعض الرجال ما يأتى ذكره قريبا وأستغفر الله من هذا الحال ومن كل حال وأسأله التوفيق لصالح الأعمال وحسن الخاتمة عند منتهى الآجال.

الحكاية الحادية والخمسون عن سرى رضى الله عنه

قال بينما نحن نسير في بعـض بلاد الشام إذ قال واحد منا ههنا عابد فميلوا بنا إليـه لعل الله يسخره يكلمنا فملنا إليه فوجـدناه يبكى فقلنا له ما يبكى العابد فـقال مالى لا أبكى وقد تـوعرت الطريق وقل السالكون فيـها وهجرت الأعمال وقل الراغبون فيها وقل الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال قد افترش الرخصة وتمهد التأويل واعتل بزلل العاصين ثم صاح صيحة وقال كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت السـماء ثم جعل يقـول واغماه من فتنة العلمـاء واكرباه من حـيرة الأدلاء وجال جـولة ثم قال أين الأبرار من العلماء بل أين الأخـيار من الزهاد ثم بكى وقال شـغلهم والله طول الأمل عن رد الجواب وعن ذكـر الجنة والنار والثواب والعقاب وطول الحـساب ثم قال أستـغفر الله من شـهوة الكلام تنحوا عنى فخليـناه يبكى وقد ملئنا منه غما وهما رضى الله عنه وأنشد أحدهم:

وغير تقى يأمر النـاس بالتقـى   طبيب يداوى الناس وهو عليـل

وقلت في هذا المعنى في ذم نفسى

بعلم لا بأعمال وقـــــــــول بلا فعل وندب لا انتـــــداب
أمور غير فعال ونــــــــــــاه فعول للمناهى ذو ارتكـــــاب

وقلت أيضا

إلهـى لئن لم تـعف فــــالويل كـلـه لعبـــد مـسىء ذى ضـــلال وباطل
تعلـم علمـــا ليس فـيـــه بعـــامل وكم قــال من قــول وليس بفـــاعل
فـإن تنتـــقم من ظـالم شـــر ظالم فـعدل أتى من عـادل خـيـر عـادل
وإن تعف منك العـفو فـضل أتت به سحـائب جود جاد بـالخصب هاطل
على مـجدب عطشـان لهفـان مقـفر فـقـيـــر إلـى غـوث يغـــيب ووابل

الحكاية الثانية والخمسون عن أحدهم

قال رأيت عند قــبر النبى ﷺ تسعة مــن الأولياء فتبـعتهم فالتـفت إلى أحدهم وقال لى أين تمر فقلت أسير معكم لحبــى فيكم فإنى سمعت عمن زرتموه ﷺ أنه قال المرء مع من أحب، فـقال أحـدهم إنك لن تقـدر على المسيـر إلى هذا الموضع الذى نقصده فإنه لا يقدر عليه إلا من بلغت سنـه أربعين سنة فقال آخر دعه لعل الله يرزقه فسـرت معهم والأرض تطوى من تحـتنا طيا والحب يقـول للعشاق هيـا وأنشدوا في المعنى :

والله ما جئتكم زائـــــرا إلا رأيت الأرض تطوى له
ولا انثنى عزمى عن بابكـم إلا تعثـــرت بأذيــــالــه

قال فلم نزل كذلــك حتى انتهينا إلى مديـنة مبنية بالذهب والفضـة وأشجارها متعانقة وأنهارها مطردة رائقة وفواكههــا كثيرة فائقة فدخلنا وأكلنا من ثمارها وأخذت معى ثلاث تفاحات فلم يمنعونى من أخذها فـسألتهم عند الانصراف عن المدينة فقالوا هذه مدينة الأولياء إذا أرادوا التنزه ظهرت لهم أينما كانوا ما دخلها أحد قبل الأربعين غيرك فلما دخلنا مكة أعطيت الدامغانى تفاحة فقذفها فلامنى أصحابي وقالوا اردد ما أعطيت إلى مكانه وكنت كلما جـعت أكلت من التفاحة وهي لا تتغـير ورجعت إلى أهلى وقد بقيت معى تفـاحة واحدة وهي التى ادخرتها لنفسي فعــانقتنى أختى وقالت أين الذى أطرفتنا به من سـفرك فقلت وما الذي أطرفكم به وأنا بعـيد عن الدنيا وعن الراحة فقالت أين التفاحة فعمـيت عليها وقلت وأى تفاحة قالت يا مسكين والله لقد أدخلونى تلك المدينة وأنا بنت عشرين سنة وأما أنت فلم ترها إلا بعد أن طردوك وأنا

والله جذبت إليها جذبة وخطبت إليها خطبة قلت أي أخت فالبدل الكبير منهم يقول لى لم يدخلها أحد لم يبلغ أربعين سنة غيرك، قالت نعم من المريدين وأما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت أريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينة احضرى فوالله لقد رأيت المدينة بعينها تتدلى إليها وترف عليها فمدت يدها وقالت أين تفاحك قالت فتساقط على من التفاح ماعلانى فضحكت ثم قالت من عنده من الملك هذا يحتاج إلى تفاحتك قال فاستحقرت والله نفسى عند ذلك وما كنت أعلم أن أختى منهم رضى الله عنها وعنهم وأنشدوا في المعنى:

الشوق ينمو والغرام يزيد ... والسقم يكتم والشفاء بعيد
وقديم عهدى ثابت لا ينقضى ... أزعمتم أن الغرام جديد
لا والغوير وساكنيه ورامة ... وطويلع والبان حين يميد
وحياة منعرج اللوامن لعلع ... والرقمتين وما حوته زرود
ما حلت عن عهدى ولاخنت الهوى ... وعلى القطيعة صابر وجليد
وإذا ترنم طائر في أيكة ... أبكى أسى ويلذ لى التغريد
وأنوح إذ ناح الحمام على اللوا ... شوقا إلى وادى الغضا وأميد
يابانة الجرعاء من وادى النقا ... بان الكرى وتزايد التسهيد
إلا رحمت مولها حلف الضنا ... كتم الغرام ومقلتاه شهود
ويظل في عرصات نجد منشدا ... قلبا براه الوجد فهو فقيد
يبكى بنعمان ورملة عالج ... وبجنب ساكنة الخبا ويريد
يخفى هواه خيفة وتسترا ... عن عاذل والعذل ليس يفيد

الحكاية الثالثة والخمسون عن الشيخ أبى الربيع المالقى رضى الله عنه

قال سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ألا نزور امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على كرامة قد اشتهرت عنها وكانت تدعى بالفضة فنزلنا القرية التى هى بها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا يوضع فيه شيء فمضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم فأعطتنا الشاة فحلبناها في القدح فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة، فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شيء فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا تذبح هذه الشاة في هذا اليوم فقلت له لا تفعل فإنه قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا إليها فاتفق أنه استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا

قرى فقلت له يارجل هذا ضيف وقد أمرنا الله بإكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فخفنا أن تبكى عليها صغارنا فقلت له أخرجها من البيت إلى وراء الجدار فاذبحها فلما أراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت إلى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها فإذا هو يسلخ الشاة فقلت له يارجل عجبا وذكرت له القصة فقال لعل الله تعالى أن يكون قد أبدلنا خيرا منها فكانت تلك تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف ثم قالت يا أولادى إن شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فإذا طابت قلوبهم طاب لبنها وإن تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم يطب لكم كل شىء طلبتموه منه رضى الله عنها.

(قلت) وقد سألنى بعض أهل العلم والأخيار ماذا تعنى بالمريدين فظهر لي والله أعلم أنها تعنى بالمريدين نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع إرادة التخصيص تسترا أو تحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم إذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الأنوار والأسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الأمر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان يطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين وإذا طاباهما لم يضرهما خبث قلوب المريدين والله أعلم.

الحكاية الرابعة والخمسون عن بعض أصحاب السري رضى الله عنه

قال كان لسرى تلميذة ولها ولد عند المعلم فبعث به المعلم إلى الرحى فنزل الصبى في الماء فغرق فأعلم المعلم سريا بذلك فقال السرى قوموا بنا الى أمه فمضوا إليها وتكلم السرى عليها في علم الصبر ثم تكلم في علم الرضا فقالت يا أستاذ وأى شىء تريد بهذا فقال لها إن ابنك قد غرق فقالت ابنى فقال نعم فقالت قوموا بنا فقاموا معهاحتى انتهوا إلى النهر فقالت أين غرق فقالوا ههنا فصاحت به ابنى محمد فأجابها لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده فمضت به إلى منزلها فالتفت السرى إلى الجنيد وقال أى شىء هذا قال الجنيد رضى الله عنه أقول: قال قل، قال: إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وحكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه ألا يحدث عليه حادثة حتى يعلمه بذلك فلما لم تكن حادثة لم يعلمها بذلك فأنكرت فقالت إن ربى عز وجل ما فعل هذا رضى الله عنها ونفعنا بها.

الحكاية الخامسة والخمسون عن أبى عامر الواعظ رضى الله عنه

قال بينما أنا جالس بمسجد رسول الله ﷺ إذ جاءنى غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا فيها أسعدك الله يا أخى بمسامرة الفكرة ونعمك بمؤانسة العبرة وأفردك بحب الخلوة وأيقظك من الغفلة يا أبا عامر أنا أخ من إخوانك بلغنى قدومك فسررت بذلك واشتقت إلى رؤيتك ومجالستك وسماع محادثتك وبى من الشوق ما لو كان فوقى لأظلنى ولو كان تحتى لأقلنى سألتك بالذى حباك بالبلاغة إلا لما الحفتنى جناح التوصل بزيارتك والسلام (قال) أبو عامر فقمت مع الرسول حتى أتى بي إلى قباء فأنزلنى منزلا رحيبا خربا وقال قف ههنا حتى أستأذن لك فوقفت فخرج إلى وقال لي لج فدخلت فإذا ببيت مفرد في الخربة له باب من جريد النخل وإذا بشيخ قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروبا ومن الخشية محزونا قد ظهرت في وجهه أحزانه وذهبت من البكاء عيناه ومرضت أجفانه فسلمت عليه فرد على السلام وإذا به أعمى مقعد مسقام فقال يا أبا عامر غسل الله تعالى من أدران الذنوب قلبك لم يزل قلبى إليك تواقا وإلى استماع الموعظة منك مشتاقا وبى جرح نغل قد أعيا الواعظين دواؤه، وأعجز المطببين شفاؤه وقد بلغنى نفع مراهمك للجراح والآلام فبادر رحمك الله في إيقاع الترياق ولو كان مر المذاق فإنى ممن يصبر على ألم الدواء رجاء الشفاء قال أبو عامر فنظرت إلى منظر بهرنى وسمعت كلاما أفظعنى ففكرت طويلا وتأتى لي من الكلام وسهل من صعوبته ما راق للأفهام وحصل به للسامع المرام فقلت يا شيخ ارم ببصر قلبك في ملكوت السماء وأجل سمع معرفتك في سكان الأرجاء وانقل حقيقة إيمانك إلى جنة المأوى فترى ما أعد الله تعالى فيها للأولياء ثم تشرف على نار لظى فترى ما أعد الله فيها للأشقياء فشتان ما بين الدارين ليس الفريقان في الموت سواء، قال فَأَنَّ أَنَّةً وصاح صيحة وزفر زفرة والتوى وبكى حتى أروى الثرى وقال يا أبا عامر وقع والله دواؤك على دائي وأرجو أن يكون عندك شفائى زدنى يرحمك الله قال فقلت يا شيخ إن الله تعالى عالم بسريرتك مطلع على حقيقة ضميرك شاهدك في خلوتك بعينه حيث كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته فصاح صيحة كصيحته الأولى ثم قال من لفقرى، من لفاقتى، من لذنبى، من لخطيئتى، أنت لى يامولاى وإليك منقلبى ومثواى ثم خر ميتا رحمه الله فخرجت إلى جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها وتورمت لطول القيام قدماها واصفر لونها فقالت أحسنت والله يا حادى قلوب العارفين ومثير أشجان غليل المحزونين لانسى لك هذا المقام رب العالمين هذا الشيخ والدى مبتل بالسقم منذ

عشرين سنة صلى حتى أقعد وبكى حتى عمى وكان يتمناك على الله ويقول حضرت مجلس أبى عامر فأحيا موات فكرى وطرد وسن نومى فـإن سمعته ثانيا قتلنى فجزاك الله من واعظ خيرا ومتعك من حكمته بما أعطـاك ثم أكبت على أبيها تقبل بين عينيه وتبكى وتقول يا أبتـاه، يا من أعماه البكاء على ذنبه، يا أبت يا أبتـاه يا من قتله ذكر وعيـد ربه يا أبت يا أبتـاه ياحليف الحرقـة والبكاء ياأبت يا أبتـاه يا جليس الابتـهال والدعاء يا أبت يا أبتـاه يا قتيل الوعاظ والحكمـاء قال أبو عامر فأجـبتها فقـلت أيتها الباكيـة الحيرى والناحبة الثكلـى إن أباك نحبه قد قضى وورد دار الجـزا وعاين كل ما عمل وعليه يحصى في كتاب عند رب لا يضل ولا ينسى فمحسن فله الزلفى ومسىء فوارد دار من أسـاء فصاحت الجـارية كصيـحة أبيهـا وجعلت ترشح عرقـا ثم ماتت رحمـها الله تعالى فـصلينا عليهمـا ودفناهما وسألت عنهـما فقـيل لى هما من ولد الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمـعين فما زلت جزعا مما جنيت عليهمـا حتى رأيتهمـا في المنام وعليهما حلتان خـضراوان فقلت مرحـبا بكما وأهلا وسهلا فما زلت حذرا مما وعظتكما به فما صنع الله بكما فقال الشيخ :

أنت شـــريكي فـي الذي نلتـــه ... مـــســـتـأهـلا ذاك أبا عـــامـــر
وكـل من أيـقـظ ذا غـــــفـلـة ... فـنـصف مـــا يعـطاه لـلآمـــر
من رد عـبـــدا مـذنبـا كـــان كـمن ... قـــد راقب رب العـــزة القـــاهر
واجـــتـمـــعـا في دار عـــدن وفي ... جـــوار رب ســـيـــد غـــافـــر

يا أبا عامر وردت على رب كـريم راض غير غضبـان فأسكننى الجنان وزوجنى من الحور الحسان فاحرص يا أبا عامـر أن تكثر من الاستغفار في كل وقت وفي الليل عند الأسحار تجاور الرب العزيز الغفار وأنشد بعضهم :

إذا أمسى وسـادى من تراب ... وبت مجاور الرب الرحيـــم
فهنوني أصحابي وقولـــوا ... لك البشرى قدمت على كريم

الحكاية السادسة والخمسون عن بهلول رضى الله عنه

قال بينـما أنا ذات يوم في بعض شـوارع البصرة وإذا بصـبيـان يلعبـون بالجوز واللوز وإذا بصـبى ينظر إليـهم ويبكى فقـلت هذا صبى يتـحسر على مـا في أيدى الصبيان ولا شىء معه فلحقت به فقلت له أى بنى ما يبكيك أشترى لك الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان فرفع بصره إلي وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت أى بنى فلماذا خلقنا قال للعلم والعبـادة قلت من أين لك ذلك بارك الله تعالى فيك قال

من قوله عز وجل ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾[1].
قلت له أى بنى إنى أراك حكيما فعظنى وأوجز فأنشأ يقول:

أرى الدنيـيـا تجـهـز بانـطلاق ... مـشـمـرة عـلى قـدم وسـاق
فـلا الدنيـا بـبـاقـيـة لحى ... ولا حى عـلى الـدنيـا ببـاق
كـأن الموت والحـدثان فـيـهـا ... إلى نفس الـفـتى فـرسـا سـبـاق
فـيـا مـغـروراً بالـدنيـا رويدا ... ومنهـا خـذ لنفـسك بـالوثاق

قال بـهلول رضى الله تعالى عنه ثم رمق السماء بـعينيه وأشار إليـها بكفيه ودموعه تنحدر على خديه وأنشأ يقول :

يامن إليه المبتهـل ... يا من عليه المتكـل
يا من إذا ما آمـل ... يرجوه لم يخط الأمـل

قال فلما أتم كلامه خر مغشيا عليه فرفعت رأسـه إلى حجرى ونفضت التراب عن وجهه بكمى فلمـا أفاق قلت له أى بنى ما نزل بك وأنت صبى صـغير لم يكتب عليك ذنب قال إليك عـنى يا بهلول إنى رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبـار فلا يتقد لـها إلا بالصغار وأنا أخـشى أن أكون من صغار حطب جـهنم فقلت له أى بنى أراك حكيما فعظنى وأوجز فأنشأ يقول:

غفوت وحادى الموت في أثرى يحدو ... فـإن لم أرح يومـا فـلابد أن أغـدو
أنعم جـسـمى بـاللبـاس ولـينه ... وليس لجـسـمى من لبـاس البـلا بد
كـأنى به قـد مـر في بـرزخ البلي ... ومن فـوقـه ردم ومن تحـتـه لحـد
وقـد ذهبت مـنى المحاسن وامحت ... ولم يبق فـوق العظـم لحم ولا جلد
أرى العـمـر قـد ولى ولم أدرك المنى ... وليس مـعى زاد وفي سـفـرى بعـد
وقد كنت جـاهرت المهيمن عاصيـا ... وأحـدثت أحـداثا وليس لهـا رد
وأرخيـت خوف الناس سترا من الحيا ... وما خـفت من سرى غـدا عنده يبدو
بلى خـفـتـه لكن وثقت بحلـمـه ... وأن ليس يعـفـو غـيـره فله الحـمـد
فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلى ... ولم يك من ربى وعـيـد ولا وعـد
لكان لنا في المـوت شـغل وفي البلى ... عن اللهـو لكن زال عن رأينا الرشـد
عـسى غـافـر الزلات يـغـفـر زلتى ... فـقـد يغفـر المولى إذا أذنب العـبـد
أنا عـبد سـوء خنت مـولاى عهـده ... كـذلك عـبد السـوء ليس له عـهـد
فكيف اذا أحـرقت بالـنار جثـتى ... ونارك لا يقـوى لهـا الحـجـر الصلد
أنا الفرد عند الموت والـفرد في البلى ... وأبعث فـردا فـارحـم الفـرد يا فـرد

---
(١) المؤمنون ١١٥.

قال بهلول فلما فرغ من كلامه وقعت مغشيا على وانصرف الصبى فلما أفقت نظرت إلى الصبيان فلم أره معهم فقلت لهم من يكون ذلك الغلام قالوا وما عرفته قلت نعم قالوا ذاك من أولاد الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين قلت قد عجبت من أين تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة نفعنا الله تعالى به وبآبائه آمين.

الحكاية السابعة والخمسون عن بشر الحافي رضى الله عنه

قال رأيت رجلا عشية عرفة عليه الوله وهو يبكى وينتحب انتحابا شديدا وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على شبا الشوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عشرا من العشر

وأنشد أيضا:

كم قد زللت فلم أذكرك في زلتي ... وأنت يا مالكى بالغيب تذكرني
كم أكشف الستر جهلا عند معصيتي ... وأنت تلطف بى حلما وتسترني

قال ثم غاب عنى وحجب فلم أره فسألت عنه فقيل لى هو أبو عبيد الخوّاص أحد الخوّاص له سبعون سنة ما رفع وجهه إلى السماء فقيل له في ذلك فقال إنى لأستحيى أن أرفع إلى المحسن وجها مسيئا رضى الله عنه واعجباه من مطيع يتذلل ويستحيى مع إحسانه ومن عاص يتذلل ولا يستحيى مع عصيانه اللهم لا تحرمنا النظر إلى وجهك الكريم وانفعنا ببركة أوليائك الصالحين واحشرنا معهم في الدارين آمين.

الحكاية الثامنة والخمسون عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وإذا بشاب يمشى في الطريق بلا زاد ولا ماء ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أيها الشاب من أين قال من عنده قلت وإلى أين قال إليه قلت وأين الزاد قال عليه قلت إن الطريق لا تقطع إلا بالماء فهل معك شيء قال نعم قد تزودت عند خروجي بخمسة أحرف قلت وما هذه الخمسة الأحرف قال قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾[1] قلت وما معنى كهيعص قال أما الكاف فهو الكافي، وأما الهاء فهو الهادى، وأما الياء فهو المؤوى، وأما العين فهو العالم، وأما الصاد فهو الصادق، فمن كان مصاحبا كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج إلى حمل الزاد والماء قال مالك فلما سمعت

---

(١) سورة مريم الآية ١.

كلام هذا الشاب نزعت قميصى على أن ألبسه أياه فأبى أن يقبله وقال أيها الشيخ العرى خير من قميص الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وكان إذا جنه الليل رفع وجهه إلى السماء وقال يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما يسرك واغفر لى مالا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت لم لا تلبى فقال يا شيخ أخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك ولا أسمع كلامك ولا أنظر إليك ثم مضى فما رأيته إلا في منى وهو يقول :

إن الحبيب الذى يرضيه سفك دمى ... دمى حلال له في الحل والحرم
والله لو علمت روحى بمن علقت ... قامت على رأسها فضلا عن القدم
يا لائمى لا تلمني في هواه فلو ... عاينت منه الذى عاينت لم تلم
يطوف بالبيت قوم لو بجارحة ... بالله طافوا لأغناهم عن الحرم
ضحى الحبيب بنفسى يوم عيدهم ... والناس ضحوا بمثل الشاء والنعم
للناس حج ولي حج إلى سكنى ... تهدى الأضاحى وأهدى مهجتى ودمى

ثم قال اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك وليس لى شيء أتقرب به إليك سوى نفسى وقد أهديتها إليك فتقبلها منى ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمه الله تعالى وإذا بقائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله فجهزته وأوريته وبت تلك الليلة متفكرا في أمره فرأيته في منامى فقلت له ما فعل الله بك قال فعل بى كما فعل بشهداء بدر وزادني فقلت لم زادك قال لأنهم قتلوا بسيوف الكفار وأنا قتلت بمحبة الجبار رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية التاسعة والخمسون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت في البادية شابا حدثا كأنه سبيكة فضة قد ولع بجسمه الوله يريد الحج فصحبته وأوصيته وذكر له بعد المسافة فأنشأ يقول :

بعيد على الكسلان أو ذى ملالة ... فأما على المشتاق غير بعيد

(وقيل) لما وقف الشبلى رضى الله عنه بعرفات لم ينطق بشيء حتى غربت الشمس فلما جاوز العلمين هملت عيناه بالدموع وأنشأ يقول :

أروح وقد ختمت على فؤادى ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أنى استطعت غمضت طرفى ... فلم أنظر به حتى أراكا
وفي الأحباب مختص بوجد ... وآخر يدعى معه اشتراكا
إذا انسكبت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

(وقال) الفضيل بن عياض رضى الله عنه والناس وقوف بعرفات ما تقولون ولو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقا أكان يردهم قالوا لا فقال والله للمغفرة في جنب كرم الله أهون على الله عز وجل من الدانق في جنب كرم ذلك الرجل. ووقف الفضيل رضى الله عنه أيضا في بعض حجاته ولم ينطق بشىء فلما غربت الشمس قال واسوأتاه وإن عفوت.

الحكاية الستون عن إبراهيم بن المهلب السائح رضى الله عنه

قال بينا أنا أطوف وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول سيدى بحبك لى إلا رددت على قلبى فقلت لها ياجارية من أين تعلمين أنه يحبك فقالت بالعناية القديمة جيش في طلبى الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجنى من بلاد الشرك وأدخلنى في التوحيد وعرفنى نفسه بعد جهلى أياه فهل هذا يا إبراهيم إلا لعناية ومحبة قلت فكيف حبك له قالت أعظم شىء قلت وكيف هو قالت هو أرق من الشراب وأحلى من الحلاب ثم ولت وهى تقول :

وذى قلق لا يعرف الصبرا والعزا ... له مقلة عبرى أضر بها البكا
وجسم نحيل من شجا لوعة الهوى ... فمن ذا يداوى المستهام من الضنا
ولا سيما والحب صعب مرامه ... إذا غطفت منه العواطف بالقنا

الحكاية الحادية والستون عن أحد الصالحين رضى الله عنه

قال كانت إلى جنبى عجوز قد أضنتها العبادة فسألتها أن ترفق بنفسها فقالت يا شيخ أما علمت أن رفقى بنفسي غيبنى عن باب المولى ومن غاب عنه مشتغلا بالدنيا عرض نفسه للبلوى وما قدر عملى إذا عملت واجتهدت فكيف إذا قصرت ثم قالت واسوأتاه من حسرة السباق وفجعة الفراق فأما حسرة السباق فإذا قام القائمون من قبورهم وركب الأبرار نجائب الأنوار وساروا إلى قصور من العز والجلال ورفعت لهم منازل المحبين وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين وبقى المسبوق في جملة المحزونين فعند ذلك يتقطع فؤاده حسرة وتأسفا ويذوب ندامة وتلهفا.

أما فجعة الفراق فعند تمييز الناس بالجمع والافتراق وذلك أن الله سبحانه وتعالى إذا جمع الخلق في صعيد واحد أمر ملكا ينادى أيها المجرمون امتازوا إن المتقدمين قد فازوا وهو قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيميز الرجل من

زوجته والولد من والديه والحبيب من حبيبه هذا يحمل مبجلا إلى جنات النعيم وهذا يساق مسلسلا مغلولا إلى عذاب الجحيم وقد طال منهم التلفت والوداع ودموعهم تجرى كالأنهار بفجعة الانقطاع وأنشدوا في البين والفراق :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ورأيت كيف تكره التوديعا
لعلمت أن من الدموع محدثا ورأيت من عتب الحديث دموعا

قلت وقد أبدلت هذا البيت الثانى ببيت يناسب فراق الآخرة وحال الباكين فيها فقلت :

لعلمت أن من الدموع لأنهرا تجرى وعاينت الدماء دموعا

الحكاية الثانية والستون عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال رأيت في بعض الأيام شابا عليه آثار الدعاء ونور الإجابة ودموعه تتساقط على وجهه فعرفته وكنت أعهده بالبصرة ذا نعمة فبكيت لما رأيت من حاله على تلك الصفة وبكى الآخر لما رآنى وبدأنى بالسلام وقال يا مالك بالله عليك إلا ذكرتنى في وقت خلواتك وسألت الله لى التوبة والمغفرة لعله يرحمنى ويغفر لى ثم أنشأ يقول :

وعرض بذكرى حين تسمع زينب وقل ليس يخلو ساعة منك باله
عساها إذا ما مر ذكرى بسمعها تقول فلان عندكم كيف حاله

قال مالك رضى الله عنه ثم ولى ودموعه تستبق فلما دخلت أشهر الحج توجهت إلى مكة فبينما أنا في المسجد الحرام إذ رأيت حلقة يجتمع الناس إليها وإذا بفتى يتضرع وقد قطع على الناس طوافهم بكثرة بكائه فوقفت عليه أنظر مع الناس إليه فإذا هو الرجل صاحبى فسررت به وسلمت عليه وقلت له الحمد لله الذى أبدلك بخوفك أمنا وأعطاك ما تتمنى قال فأنشد :

فساروا بلا خوف إلى خيف أمنهم فلما أناخوا في منى بلغوا المنى
تمنوا فأعطاهم مناهم وصانهم بتوبته الخلصا عن الفحش والخنا
وسامح عن كل الذنوب التى جرت وما اجترح العبد المسيء وما جنى
أدار عليهم ساقى القوم خمرة فنادوا من الساقى فقال لهم أنا
أنا الله فادعونى أنا الله ربكم لى المجد والعليا والملك والسنا

قال مالك ثم قلت له بالله عليك أطلعنى على أمرك كيف كان فقال ما كان إلا

خيرا دعانى بفضله فأجبته وأعطانى كل ما منه طلبته وأنشأ يقول:

ولما دعـــانى قلت أهلا ومـــرحـبـــا ... بوصلـك مـا أحـلى هواك وأعـــذبا
وحـقك أنت السؤل والـقصـد والمنى ... وإن لامنى فـيك العـذول وأطنبـــا
فـقلـبى مـا اشـتــاق إلا رآك لأجله ... ولا أرض نعـمان ولا الخـيف أوقبا
كـذاك النقـا والـبـان والجـزع واللوا ... بهم إن حـدا الحـادى وغنى وأطربا
وإن عـرضوا يـوما بسـعـدى وزينب ... فما اشتـقت سعدى لا ولا رمت زينبا
لئن ذكـــرت تلك المنـازل سـادتى ... فـقـصدى دون الكل سـاكنة الخبـا

قال مالك ثم عاد الى طوافه وتركنى ومضى فلم أره ولم أجد له خبرا.

الحكاية الثالثة والستون عن أحد الصالحين

قال حججت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر والسموم فلما كان ذات يوم وقد توسـطنا أرض الحجاز انـقطعت عن الحجـاج وغفوت قـليلا فلم أشـعر إلا وأنا وحدى في البرية فلاح لى شـخص أمامى فأسرعت إليه فلحقـته وإذا به غلام أمرد لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية وعليه أثر الدلال والترف فقلت له السلام عليك يا غلام فقال وعليك السلام ورحـمة الله وبركاته يا إبراهيم فعجبت منه كل العجب ورابنى أمره فلم أتمالك أن قلت له ياسبحان الله من أين عرفتنى ولم ترنى قبلها فقـال يا إبراهيم ما جهلت مذ عرفت ولا قطعت مـذ وصلت فقلت له ما الذى أوقفك في هذه البرية في هذه السنة الكثيرة الحـر والقيظ فأجابنى يا إبراهيم ما أنست بسواه ولا رافـقت غيـره وأنا منقطع إليه بالكليـة مقـر له بالعبودية فـقلت له من أين المأكول والمشروب فقال تكفل لى به المحـبوب فقلت والله إنى خائف عليك لأجل ما ذكرت لك فأجابنى ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب وأنشأ يقول :

من ذا يخـــوفنى بـالبـــر قطعـــه ... إلى المحـب وقـــد قـــدمت إيمـانا
الحب أقلـقنى والشـــوق أزعـــجنى ... ولا يخــاف مـــحب الله إنســـانا
فلو أجـوع فـــذكـر الله يشـــبعنى ... ولا أكـــون بحـمـــد الله عطشـــانا
وإن ضـعـفت فـوجـد منه يحـملنى ... من الحـجـاز إلى أقـصى خـراسـانا
فـهل لصغـرى تكون اليـوم تحقـرنى ... دع عنك عذلك لـى قد كان مـا كانا

قال (فقلت) سألتك بالله يا غلام إلا ما أعلمتنى بحقـيقة عمرك فقال لقد آليت

على بأجل الأيمان عندى عمرى اثنتا عشرة سنة ثم قال يا إبراهيم ما الذى ألجأك إلى ذلك تسألنى عن عمرى فقد أخبرتك بحقيقته فقلت والله لقد أدهشنى ما سمعت منك فقال الحمد لله على ما أولانا من نعمه وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين قال فتعجبت من حسن وجهه وبهاء طلعته وحلاوة منطقه وقلت سبحان الله الخالق المصور فأطرق الغلام برأسه إلى الأرض مليا ثم رفع رأسه إلى السماء ينظرنى شزرا وأنشأ يقول :

ويحى إذا كان الجحيم جزائى	ماذا يحل ببهجتى وبهائي
يبلى العذاب محاسنى ويشينها	ويطول منى في الجحيم بكائي
ويقول لى الجبار جل جلاله	يا عبد سوء أنت من أعدائي
بارزتنى وعصيت أمرى جاهلا	أنسيت عهدى ثم يوم لقائي
وترى وجوه الطائعين كأنها	بدر بدا في ليلة الظلماء
كشف الحجاب فعاينوا فأدهشوا	ونسوا نعيمهم وكل رخاء
وكساهم حلل المهابة والرضا	وحيا الوجوه بنضرة وبهاء

ثم قال يا إبراهيم اعلم أن المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب ولكن أنت المنقطع عن الحاج يا إبراهيم فقلت له نعم أنا ذاك وأنا أسألك بالله إلا ما دعوت لي أن ألحق من سبقنى من أصحابي قال فنظرت الغلام قد لمح بطرفه إلى السماء وتكلم بكلمات حرك بها شفتيه فعند ذلك لحقتنى سنة من النوم وأغمى علي فلم أفق إلا وأنا في وسط الحاج وزميلى يقول لي يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة ولم أعرف أصعد الغلام إلى السماء أم نزل في الأرض فلما وافينا مكة ودخلت الحرم إذا أنا بالغلام وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يبكى ويقول :

تعلقت بالأستار والبيت زرته	وأنت بما في القلب والسر أعلم
أتيت إليه ماشيا غير راكب	لانى على صغرى محب متيم
هويتك طفلا حيث لا أعرف الهوى	فلا تعذلونى إننى متعلم
وإن كان قد حانت إلهى منيتى	لعلى بوصل منك أحظى وأغنم

قال فارخى نفسه ووقع ساجدا وأنا أنظر إليه فأتيته فحركته فإذا هو قضى نحبه رضى الله عنه قال فتأسفت عليه كل الأسف ومضيت إلى راحلتى وأخذت ثوبا استعنت بمن يساعدنى عليه حتى أواريه فأتيت إليه فلم أجده فسألت عنه الحجاج فلم أجد من قال إنه رآه حيا ولا ميتا فعلمت أنه مستور عن أعين الخلق وأنه لم يره غيرى

فأتيت إلى مكانى وغفوت قليلا فرأيته في المنام في موكب عظيم وهو في أولهم وعليه من النور والحلل مالا أحسن وصفه فقلت له ألست صاحبى فقال نعم فقلت له ألست مت قال كـان ذلك فقلت له والله لقـد طلبتك أن أكفنك وأصلى عـليك فلم أجدك فقال يا إبراهيم اعلم أن الذى من بلدى أخرجنى وبحبه شوقنى وعن أهلى غربنى هو كفننى وما أحـوجنى فقلت له ما الذى فعل بك إلهك بعـد ذلك قال أوقفنى بين يديه وقال لى ما بغـيتك فقلت إلهى وسيدى أنت بغـيتى ومناى فقال لى أنت عبـدى حقا حقا ولك عندى ألا أحـجب عنك ما تريد فقلت أريد أن تشفـعنى في القرن الذى أنا فيه فقال شفـعتك فيه ثم إنه صافحنى فاستيقظت بعد المـصافحة من منامى وأصبحت وقضـيت ما كان على من فرائض الحج ونسكه لـم يفتر قلبى عن ذكر الغـلام تأسفى عليه وسرت في جملة الحاج فلم أر أحدا إلا ويقول يا إبراهيم لقد أزعجت الناس من طيب رائحـة يدك وقال بعض المحدثـين لهذا الخبـر لم تزل رائحة الطيب تـخرج من إبراهيم حتى قضى نحبه رحمة الله عليه.

الحكاية الرابعة والستون عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال حججت سنة من السنين فبينمـا أنا أمشى مع أصحابى إذ عارضنى عارض في سرى يقتضى الخلوة وخروجا عن الطريق الجـادة فأخذت طريقا غير الطريق الذي عليه الناس فمشـيت ثلاثة أيام بلياليها ما خطر على سـرى ذكر طعام ولا شراب ولا حاجـة فانتهيت إلى بريـة خضراء فيـها من كل الثمـرات والرياحين رأيت في وسطها بحيرة فـقلت كأنها الجنة وبقيت مـتعجبا فـبينما أنا كذلك أتفكر إذ أنا بنفـر قد أقبلوا سيماهم الآدميون عليهم المرقعات الحسان والفوط الملاح فحفوا بى وسلموا علي فقلت وعليكم السلام ورحـمة الله وبركـاته أين أنا وأنتم ثم وقع بخاطرى بعـد سؤالى لهم أنهم من الجن وأن البقعـة بقعة غريبة فـقال قائل منهم قد جرت بيننا مـسألة واختلفنا فيهـا ونحن نفر من الجن قد سـمعنا كلام الله عز وجل من مـحمد ﷺ ليلة العـقبة وسلبتنا نغمة كـلامه جميع أمور الدنيا وقد قيض الله لنا هذه البـحيرة في هذه البرية قلت وكم بيننا وبين الموضع الذي تركت فيه أصحابى فتبسم بعضهم وقال يا أبا إسحق إن لله عز وجل أسرارًا وعجائب إن الموضع الذى أنت فيه لم يحضره آدمى قبلك إلا شاب ومن أصحابكم واحد توفى ههنا وذلك قبره وأشار إلى قبره على شفير البحيرة حوله روضة ورياحين لم أر مثلهـا قبل ثم قال بينك وبين القوم الذين فارقتـهم مسيرة

كذا وكـذا من شهـر أو كذا وكـذا من سنة والله أعلم أيهمـا ذكر إبراهيم قـال قلت أخبرونى عن الشاب فقال قائل منهم بينما نحن قعود علـى شفير البحيرة نتذاكر المحبة ونتحاور فيها إذا بشخص قد أقبل إلينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا له من أين أقبل الشاب قال من مدينة نيسابور قلنا له ومـتى خرجت منها قال منذ سبعة أيام قلنا له وما الذى أزعجك على الخروج من وطنك قـال سمعت قوله تعالى: ﴿**وأنيبوا إلى ربكم وأسلمـوا له من قبل أن يـأتيكم العذاب ثم لا تنصـرون**﴾[1] قلنا له فمـا معنى الإنابة ومـا معنى التسليم وما مـعنى هذا العـذاب، فلكل الإنابة أن ترجع بك منك إليـه، قلت ولم يذكـر التسليم في الأصـل الذى نقلت منه ولله أن تسلم نفـسك له وتعلم أنه أولى بك قال، ثم قال بالعذاب وصاح صيـحة عظيمة فمات فواريناه وهذا قبره رضى الله عنه قال إبراهيم فتعجـبت مما وصفوا ثم دنوت من قبره فإذا عند رأسه طاقة نرجس كأنهـا رحى عظيمة وعلى قبره مكتـوب هذا قبر حبيب الله قتـيل الغيرة وعلى ورقة مكتـوب صفة الإنابة قـال فقرأت مـا على النرجس مكتوب فـسألونى أن أفسره لهم ففسـرته لهم فوقع فيهم الطرب فلما أفاقوا وسكنوا قـالوا قد كفينا جواب مسألتنا قال ووقع على الـنوم فما انتهيت إلا وأنا قريب من مـسجد عائشة رضى الله عنها وإذا في وطائى طاقة ريحان فـبقيت معى سنة كاملة لم تتغيـر فلما كان بعد أيام فقدتها رضى الله عنه وعنهم.

الحكاية الخامسة والستون عن أحد الصالحين

قال خـرجت مرة إلى الحج فنمت ذات ليلة مـقمرة فـسمعت صـوت شخص ضعيف يقول لي يا أبا إسحق قد انتظرتـك من الغداة فدنوت منه فإذا هو شاب نحيل الجسم كأنما أشرف على الموت وحـوله رياحين كثيرة منها ما أعرفه ومنـها ما لا أعرفه فقلت لـه من أين أنت فسمى لـى بلده وقال قد كنت في عـز وثروة فطالبتنـى نفسى بالعزلة فخرجت هائما إلى البرارى والقـفار وهأنا قد أشرفت على الموت وسألت الله أن يقيض لى وليـا من أوليائه وأرجـو أنك هو فقلت له ألك والدان قـال نعم وأخوة وأخوات قال نعم فقلت هل اشتـقت إليهم أو ذكرتهم قال لا إلا اليوم أردت أن أشم ريحهم فاحتوشتنى السباع والبهائم وبكين معى وحملن إلى هذه الرياحين قال إبراهيم فأقبلت حية عظيـمة وفي فمها نرجس كثير فـقالت دع شرك عنه فإن الله مطلع على أوليائه وأهل طاعته فغشى على فما أفقت حتى خرجت روحه رضى الله عنه ثم وقع

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٤.

على سبات فانتبهت وأنا على الجادة فلما قضيت الحج دخلت بلده الذى ذكره فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ماء ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى قالت يا أبا إسحق كيف رأيت الشاب فإنى في انتظارك منذ ثلاثة أيام قال فذكرت لها القصة إلى أن قلت قال أردت أن أشم ريحهم فصاحت وقالت آه بلغ الشم وخرجت روحها فخرج أتراب لها عليهم المرقعات و الفوط فتولين أمرها رحمة الله عليها.

الحكاية السادسة والستون

حكى أنه ركب جماعة من التجار في البحر متوجهين إلى الحج فانكسر المركب وضاق وقت الحج وفيهم إنسان معه بضاعة بخمسين ألفا فتركها وتوجه إلى الحج فقالوا له لو أقمت في هذا المكان لعل أن تخرج لك بعض بضاعتك فقال والله لو حصلت لى الدنيا كلها ما اخترتها على الحج ورؤية من يشهده من أولياء الله تعالى بعد أن رأيت منهم ما رأيت قالوا وما رأيت منهم قال كنا مرة متوجهين إلى الحج فأصابنا عطش في بعض الأيام وبلغت الشربة كذا وكذا ودرت في الركب من أوله إلى آخره فلم يحصل ماء لا ببيع ولا غيره وبلغ العطش منى الجهد فتقدمت قليلا وإذا أنا بفقير معه عكاز وركوة وقد ركز العكاز في ساقية بركة والماء ينبع من تحت العكاز ويجرى في الساقية إلى البركة فجئت إلى البركة فشربت وملأت قربتى ثم أعلمت الركب فاستقوا كلهم منها وتركوها وهى تطفح قال فهل يسمح بفوت مشهد يشهده مثل هؤلاء القوم رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية السابعة والستون عن أبى عبدالله الجوهرى رضى الله عنه

قال كنت سنة في عرفات فلما كان آخر الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه كم وقف هذه السنة قال له صاحبه ستمائه ألف فلم يقبل منهم إلا ستة أنفس قال فهممت أن ألطم وجهى وأنوح على نفسى فقال له الآخر ما فعل الله تعالى في الجميع قال نظر الكريم إليهم بعين الكرم فوهب لكل واحد منهم مائة ألف وغفر لستمائة ألف بستة أنفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الحكاية الثامنة والستون عن على بن الموفق رضى الله عنه

قال جلست يوما في الحرم وقد حججت ستين حجة فقلت في نفسى إلى متى أتردد في هذه المسالك والقفار فغلبتنى عيناى فنمت فإذا أنا بقائل يقول لى يا ابن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب فطوبى لمن أحبه المولى وحمله إلى المقام الأعلى وأنشأ يقول :

دعوت إلى الزيارة أهل ودى ولم أطلب بها أحدا سواهم
فجاءونى إلى بيتى كراما فأهلا بالكرام ومن دعاهم

(وروى) عن ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه قال رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت له إنك تكثر الصلاة فقال أنتظر الإذن بالانصراف قال فرأيت رقعة سقطت عليه فيها من العزيز الغفور إلى العبد الصادق الشكور انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر رضى الله عنه.

الحكاية التاسعة والستون عن أحد الصالحين

قال بينما أنا جالس عند الكعبة إذ جاء شيخ قد شال ثوبه على وجهه ودخل إلى زمزم فاستقى منها بركوة كانت معه وشرب فأخذت فضلته فشربت فإذا هو ماء مخلوط بعسل لم أذق شيئا قط أطيب منه قال فالتفت لأنظره فإذا هو قد ذهب، قال ثم عدت من الغد فجلست عند البئر وإذا الشيخ قد أقبل وثوبه مسدول على وجهه ودخل من باب زمزم واستقى دلوا وشرب فأخذت فضلته فشربت منها فإذا لبن ممزوج بسكر لم أذق شيئا أطيب منه رضى الله عنه.

الحكاية السبعون عن سهل بن عبدالله رضى الله عنه

قال مخالطة الولى للناس ذل وتفرده بالله عز وقلما رأيت وليا لله إلا منفردا إن عبد الله بن صالح كان له سابقة وموهبة من الله جزيلة وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه فيها فقلت له لقد طال مقامك بها قال لى لم أقم بها ولم أر بلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد والملائكة تغدو فيها وتروح وإنى أرى فيه أعاجيب كثيرة وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى لا يقطعون ذلك ولو قلت كل ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين فقلت له أسألك بالله إلا أخبرتنى بشىء من ذلك فقال ما من ولى لله تعالى صحت ولايته إلا

وهو يحضر هذا البلد في كل ليلـة جمعة ولا يتأخر عنه فـمقامى ههنا لأجل من أراه منهم ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجيلى وقد جاء ويده غمرة فقلت له إنك قريب عهد بالأكل فقال لى أستـغفر الله فإنى منذ أسبوع لم آكل ولكن أطعمت والدتى وأسرعت لألحق صلاة الفجر وبينه وبين الموضع الذى جاء منه تسعمائة فرسخ فهل أنت مؤمن بذلك قلت نعم قال الحمد لـله الذى أرانى مؤمنا قلت وقدر تسعمائة فرسخ مائة وسـبعة عشر مـرحلة وذلك مسيرة ثلاثة أشـهر وسبعة وعـشرين يوما في مجرد سير النهار دون الليل أو قال الليـل دون النهار * وقد أخبرنى بعضهم أنه يرى حول الكعـبة الملائكة والأنبيـاء والأولياء عليـهم السلام وأكثـر ما يراهم ليلة الجمـعة وكذلك ليلة الاثنين وليلة الخمـيس وعدد لى جماعة كثيرة من الأنبـياء والأولياء وذكر أنه يرى كل واحد منهم في موضع معين يجلس فيه حـول الكعبة ويجلس معه أتباعه من أهله وقرابته وأصحابه وذكر أن نبينا ﷺ يجتمع عنده من أولياء الله تعالى خلق لا يحصى عـددهم إلا الله ولم يجتـمع على سائر الأنبـياء كذلـك * وذكر أن إبراهيم وأولاده ﷺ يجتمـعون ويجلسون بقرب باب الكعـبة بحذاء مقامـه المعروف وموسى وجماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بين الركنين اليمانيين وعيسى وجماعة منهم عليهم السلام في جهة الحجر ورأى فيه قبر إسماعيل عليه السلام وجماعة من الملائكة عليهم الصـلاة والسلام عند الحجر الأسـود ورأى سيد الخلق أجمعين المـرسل رحمة للعالمين تاج الأصفياء وخـاتم الأنبياء محمدا صلى الله عليه وعليـهم أجمعين جالسا عند الركن اليماني مع أهل بيـته وأصحابه وأولياء أمته وذكـر أنه رأى إبراهيم وعيسى عليهما السلام أكثر الأنبياء محبة لأمة محمد ﷺ وأكثرهم فرحا بفضلهم وأنسهم بهم ورأى في بعض الأنبياء غيرة من فضلهم وذكر أسـرارًا كثيرة منها ما ذكره يطول ومنها ما لا تحمله بعض العقول (قلت) ولا تستبعد الغيرة المذكورة فقد كان من غيرة موسى عليه السلام وبكائه ليلة المعراج ما كان والغيرة في الخـير محمودة وإنما يذم الحسد وما ذكره عن إبراهيم وعيسى عليـهما الصلاة والسلام مناسب لحالهما وكـثرة ودهما لهذه الأمة يعرف ذلك من له الاطلاع على الأخبـار والآثار بل يفهم ذلك من القرآن والله تعالى أعلم.

الحكاية الحادية والسبعون

حكى أنه حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه وجاء زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين فوقف الناس له وتنحوا عنه حتى استلم الحجر فقيل لهشام من هذا قال لا أعرفه فقال الفرزدق لكنى أعرفه وأنشد يقول :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمكسه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
ماقال لا قط إلا فى تشهده	لولا التشهد كانت لاءه نعم
إذا رأته قريش قال قائلها	الى مكارم هذا ينتهى الكرم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم	أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم
يغضى حياء ويغضى من مهابته	فلا يكلم إلا حين يبتسم

(وروى) أن زين العابدين رضى الله عنه كان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة ولايدع صلوات الليل فى السفر والحضر وكان إذا توضأ اصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقيل له مالك فقال ما تدرون بين يدى من أقوم .

وكان رضى الله عنه إذا هاجت الريح سقط مغشيا عليه ووقع حريق فى بيت هو فيه وهو ساجد فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار النار فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له فى ذلك لما رفع رأسه فقال ألهتنى عنها النار الأخرى وكان رضى الله عنه يقول اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لوامع العيون علانيتى وتقبح سريرتى .

وكان رضى الله عنه يقول إن قوما عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وقوما عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار .

وكان رضى الله عنه لايحب أن يعينه على طهوره أحد كان يستقى الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ويأخذ فى صلاته ويقضى ما فاته من النهار إذا مشى لاتجاوز يده فخذه ولايخطر بيده.

وكان رضى الله عنه يقول عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت كل العجب لمن شك فى الله تعالى ولايرى خلقه وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء .

وكان ناس من أهل المدينة يعيشون ولايدرون من أين معاشهم فلما مات فقدوا ماكانوا يؤتون به بالليل لأنه كان رضى الله عنه ينفق سراء ويظن الجاهل به أنه بخيل فلما مات وجدوه كان ينفق على أهل مائة بيت .

(وقال) ابنه محمد الباقر رضى الله عنهما أوصانى أبى فقال لاتصحبن خمسة ولاتحادثهم ولاترافقهم فى طريق لاتصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها قلت يا أبت وما دونها قال يطمع فيها ثم لاينالها ولاتصحبن البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ولاتصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد ولا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وقد قيل عدو عاقل خير من صديق أحمق ولا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعونا فى ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالى .

(وروى) أنه تكلم رجل فى زين العابدين وافترى عليه فقال زين العابدين إن كنت كما قلت فأستغفر الله تعالى وإن لم أكن كما قلت فغفر الله تعالى لك فقام إليه الرجل معتذرا وقبل رأسه وقال جعلت فداك لست كما قلت فاستغفر لى قال غفر الله لك فقال الرجل الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولقد أحسن القائل :

وما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف حقه ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الحر بالفضل حاكم
وأما الذى دونى فإن قال صنت له ... مقالته عرضى وإن لام لائم
سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه علىّ الجرائم

(وأقبل) خادم لزين العابدين مسرعا بشواء من التنور لضيف عنده فسقط من يده على ابن له صغير فأصاب رأسه فقتله فقال زين العابدين رضى الله عنه أنت حر لأنك لم تتعمدة وأخذ فى جهاز ابنه .

ودخل على محمد بن أسامة بن زيد فى مرضه فجعل محمد يبكى فقال له زين العابدين رضى الله عنه ما شأنك قال على دين قال كم هو قال خمسة عشر ألف دينار فقال هو علىّ .

وخرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالى فقال لهم زين العابدين مهلا عن الرجل ثم أقبل عليه وقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسول .

(قلت) لايتوهم غر أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء وفتوة وفضل ومروءه وجود مكارم النبوة كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها فى العاجل وفيهم يصدق قول القائل :

وهم ينفقون المال فى أول الغنى ... ويستأنفون الصبر فى آخر الصبر
إذا نزل الحى الغريب تنازعوا ... عليه فلم يدر المقل من المثرى

(وقال آخر)

تعود بسط الكف حتى لو أنه ... ثناها لقبض لم تطعه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحى أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

(وقال آخر)

كم بالمواسم من سعفاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف النطق والبصر
ممن يعدك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى الركن لم ينهض ولم يطر

(وقال آخر)

إن الكريم ليخفى عنك عسرته ... حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه لما قال رسول الله ﷺ لحى من الأنصار من سيدكم يابنى سلمة قالوا الحر بن قيس على بخل فيه فقال رسول الله ﷺ وأى داء أدوأ من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح فسمع حسان رضي الله عنه مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشأ يقول :

يقول رسول الله والحق قوله ... فقال لنا من ذا تعدون سيدا
فقلنا له حر بن قيس على التى ... تبخله فينا وقد نال سؤددا
فقال وأى الداء أدوى من التى ... رميتم بها حرا وغل بها يدا
وسود عمرو بن الجموح لجوده ... وحق لعمرو ذى الندى أن يسودا
إذا جاءه السؤال أنهب ماله ... وقال خذوه إنه عائد غدا
فلو كنت يا حر بن قيس على التى ... على مثلها عمرو لكنت المسودا

فتبسم رسول الله ﷺ من شعره وقال إن من الشعر لحكما وروى لحكمة .

(وقال الإمام الحفيل السيد الجليل ابن المبارك رضي الله عنه) سخاء النفس عما فى أيدى الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل .

الحكاية الثانية والسبعون

حكى عن أبى جعفر محمد بن علـى بن الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنهم أجمعين أنه خرج حاجا فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقيل له إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلا فقال ولم لا أبكى لعل الله ينظر إلى برحمة فأفوز بها عنده غدا ثم طاف بالبيت وصلى خلف المقام ورفع رأسه من السجود فإذا موضع سجوده مبتل بدموع عينيه وقال لبعض أصحابه إنى لمحزون وإنى لمشتغل القلب فقيل له وما حزنك وما شغل قلبك قال إنه من دخل قلبه صافى خالص دين الله تعالى شغله عما سواه وما عسى أن تكون الدنيا هل هى إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها أو أكلة أكلتها أو كما قال رضي الله عنه .

وقال إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مئونة وأكثرهم معونة إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك قوالون بحق الله تعالى بأمر الله عز وجل فأنزل الدنيا بمنزلة منزل نزلت به وارتحلت عنه أو كما أصبته فى منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء وأنشد :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم   وما خير عيشى لايكون بدائم
تأمل إذا ما نلن بالأمس لذة   فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

(وقال) رضى الله عنه إن الغنى والعز يجولان فى قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه .

(قلت) يعنى وإن لم يجدا فيه توكلا رحلا عنه وفى معنى ذلك قلت :-

يجول الغنى والعز فى قلب مؤمن   فإن ألفيا جوف القلوب توكلا
أقاما فأمسى العبد بالله ذا غنى   عزيزا وإن لم يلفياه ترحلا

وقوله من دخل قلبه صافى خالص دين الله عز وجل شغله عما سواه أشار بذلك إلى المحبة لأن صافى خالص دين الله تعالى يستلزم محبة الله حقيقة فى القلب الذى حل فيه فحينئذ يشتغل بالمحبوب عما سواه فلا يسمع ولايبصر إلا بالله ومنه قول القائل :

حبيب قلبى به سمعى به بصرى

وعليه يدل الحديث حبك للشيء يعمى ويصم .

(وقال) عبد الله بن عطاء رحمه الله ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما منهم عند محمد بن على بن الحسين .

وقال بعض أهل اللغة إنما لقب محمد بن على بن الحسين بالباقر لتبقره وتوسعه فى العلم يقال بقرت الشيء بقرا أى فتحته ووسعته وسمى الأسد باقرا لأنه يبقر بطن فريسته .

وقال محمد بن على رضى الله عنهما كان لى أخ فى عينى عظيما وكان الذى عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه .

الحكاية الثالثة والسبعون
عن الليث بن سعد رضى الله عنه

قال حججت ماشيا سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة ، فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا برجل جالس وهو يدعو فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ، ثم قال يا رباه يارباه حتى انقطع نفسه ثم قال يا ألله يا ألله حتى انقطع نفسه ثم قال ياحى ياحى حتى انقطع نفسه ، ثم قال يارحمن يارحمن حتى انقطع نفسه ثم قال يارحيم يارحيم حتى انقطع نفسه ثم قال يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات ، ثم قال اللهم إنى أشتهى العنب فأطعمنيه وإن بردى قد خلقا يعنى ثوبيه قال الليث فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على وجه الأرض يومئذ عنب وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم قلت لأنك كنت تدعو وأنا أؤمن ، فقال لى تقدم وكل ولا تخبئ منه شيئا فتقدمت وأكلت معه شيئا لم آكل مثله قط ، وإذا به عنب ليس له عجم فأكلت حتى شبعت والسلة لم ينقص منها شيء ثم قال لى خذ أحب البردين إليك فقلت له أما البردان فأنا غنى عنهما فقال لى توار منى حتى ألبسهما فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلها على يده ونزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال اكسنى كساك الله يا ابن رسول الله حلة من حلل الجنة ، فدفعهما إليه فلحقت الرجل، فقلت له ، من هذا ، فقال : جعفر بن محمد فطلبته لأسمع منه لأنتفع به فلم أجده رضى الله عنه .

(قال) الإمام سفيان الثورى رضى الله عنه سمعت جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه يقول لقد عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فإن تك فى شىء فيوشك أن تكون فى الخمول فإن لم توجد فى الخمول فيوشك أن تكون فى التخلى وليس كالخمول فإن لم تكن فى التخلى فيوشك أن تكون فى الصمت وليس كالتخلى فإن لم توجد فى الصمت فيوشك أن تكون فى كلام السلف الصالح والسعيد من وجد فى نفسه خلوة.

(وروى) أنه طلبه الخليفة أبو جعفر المنصور وقد تغيظ عليه وتوعده بالقتل فلما دخل عليه تهدده وأوعده وقال له اتخذك أهل العراق إماما يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد فى سلطانى وتبغيه الغوائل قتلنى الله إن لم أقتلك فقال رضى الله عنه يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر وإن أيوب عليه السلام ابتلى فصبر وإن يوسف عليه السلام ظلم فغفر فذهب غيظ المنصور وشره وجاء سروره وخيره فرضى عن جعفر الصادق رضى الله عنه وأثنى عليه فلما خرج من عنده قيل له ماذا قلت حين دخلت قال قلت اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى بكنفك الذى لايرام واغفر لى أو قال وارحمنى بقدرتك على لا أهلك وأنت رجائى اللهم إنك أجل وأكبر مما أخاف وأحذر اللهم بك أدفع فى نحره وأعوذ بك من شره .

وقال رضى الله عنه حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ قال من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فلسيتغفر الله ، ومن حز به أمر فليقل لاحول ولاقوة إلا بالله .

الحكاية الرابعة والسبعون عن شقيق البلخى رضى الله عنه

قال خرجت حاجا فى سنة تسعة وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر إلى الناس وزينتهم وكثرتهم نظرت فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثوب صوف مشتملا بشملة وفى رجليه نعلان وقد جلس منفردا فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس فى طريقهم والله لأمضين إليه وإلا وبخته ، فدنوت منه فإذا رآنى مقبلا قال يا شقيق (اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) وتركنى ومضى فقلت فى نفسى إن هذا لأمر عظيم قد تكلم بما فى نفسى ونطق باسمى ماهذا إلا عبد صالح لألحقنه ولأسألنه أن يحلنى فأسرعت فى أثره فلم ألحقه وغاب عن عينى فلما نزلنا واقصة إذا به يصلى وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجرى فقلت هذا صاحبى أمضى إليه وأستحله ، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه فلما رآنى مقبلا

قال ياشقيق اقرأ وإنى لغفـار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركنى ومضى فقلت إن هذا الفتى لمن الأبدال قد تكلم على سـرى مرتين فلما نزلنا زبالا إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستـقى فسقطت الركوة من يده فى البئر وأنا أنظر إليه فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول :

أنت ربى إذا ظمئت من المـــــا ء وقوتى إذا أردت الطعامـــا

اللهم أنت تعلم يا إلهى وسيدى مالى سواها فلا تعدمنى إياها قال شقيق رضى الله عنه فوالله لـقد رأيت البئر وقـد ارتفع ماؤها فمـد يده وأخذ الركوة ومـلأها ماء وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب من رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه فى الركوة ويحركه ويشرب فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت أطعمنى من فضل ما أنعم الله تعـالى به عليك فقال ياشقيق لم تزل نعـمة الله تعالى علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشـربت منها فإذا سويق وسكر فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب ريحا فـشبعت وأقمت أياما لا أشتـهي طعاما ولا شرابا ثم لم أره حتى دخلنا مكة فـرأيته ليلة فى جنب قبـة الشراب فى نصف الليل يصلى بخشـوع وأنين وبكاء فلم يزل كـذلك حتى ذهب الليل فلمـا رأى الفجـر جلس فى مصلاه يسبح ثم قـام فصلى فلما سلم من صلاة الصبح طاف بالبيت أسـبوعا وخرج فتبعـته فإذا له حاشية وموال وهو على خـلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناس من حوله يسلمون عليه فقلت لبعض من رأيته بالقرب منه مَن هذا الفتى فقال هذا موسى ابن جعفـر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبـى طالب رضوان الله عليهم أجمعين فقلت عجبت أن تكون هذه العجائب والشواهد إلا لمثل هذا السيد.

الحكاية الخامسة والسبعون عن الشيخ أبى سعيد الخراز رضى الله عنه

قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان يسأل شيئا فقلت فى نفسى مثل هذا يكون كلا على الناس فنظر إلى وقـال (واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه) فـاستغفرت فـى سرى فنادانى وقال : (وهو الذى يقبل التـوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

(وقال بعضهم) كنت أسير فى البـادية مع القافلة فرأيت امرأة تمشى بين القافلة فقلت هذه ضعيفة سبقت القافلة لئلا تنقطع وكان معى دريهمات فأخرجتها من جيبى وقلت لها خذيها فإذا نزلت القافلة فاطلبينى لأجـمع لك شيئا تكترين مركوبا يحملك فمدت يدها وقـبضت شيئا من الهواء فـإذا فى يدها دراهم فناولتنى إياها وقالت أنت

أخذتها من الجيب ونحن أخذناها من الغيب رضى الله عنها.

وسمعت امرأة متعلقة بأستار الكعبة تنشد هذه الأبيات :

ياحبيب القلوب مالى سواكا ... فارحم اليوم زائرا قد أتاكا

عيل صبرى وزاد فيك اشتياقى ... وأبى القلب أن يحب سواكا

أنت سؤالى وبغيتى ومرادى ... ليت شعرى متى يكون لقاكا

ليس قصدى من الجنان نعيما ... غير أنى أريدها لأراكا

الحكاية السادسة والسبعون
عن الشيخ أبى عبد الرحمن بن خفيف رضى الله عنه

قال دخلت بغداد قاصدا الجمع ، وفى رأسى نخوة الصوفية يعنى حدة الإرادة وشدة المجاهدة وأطرح ما سوى الله تعالى قال ولم آكل أربعين يوما ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتى فرأيت ظبيا فى البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنت عطشان فلما دنوت من البئر ولى الظبى وإذا الماء فى أسفل البئر فمشيت وقلت ياسيدي مالى عندك محل هذا الظبى فسمعت قائلا يقول من خلفى جربناك فلم تصبر ارجع فخذ الماء إن الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت بالركوة والحبل فرجعت فإذا البئر ملآنة فملأت ركوتى وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد الماء فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد على قال لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت قدميك .

الحكاية السابعة والسبعون عن أحدهم

أنه كان يمشى فى البرية فإذا هو بفقير يمشى حافى القدمين حاسر الرأس عليه خرقتان متزر بإحداهما مرتد بالأخرى ليس معه زاد ولا ركوة قال فقلت فى نفسى لو كان مع هذا ركوة وحبل إذا أراد الماء توضأ وصلى كان خيرا له ثم لحقت به وقد اشتدت الهاجرة فقلت له يا فتى لو جعلت هذه الخرقة التى على كتفك على رأسك تتقى بها الشمس كان خيرا لك فسكت ومشى فلما كان بعد ساعة قلت له أنت حاف ما ترى فى نعلى تلبسها ساعة وأنا ساعة فقال أراك كثير الفضول ألم تكتب الحديث قلت بلى قال فلم تكتب عن النبى ﷺ من حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه فسكت ومشينا فعطشت ونحن على ساحل البحر فالتفت إلى وقال أنت عطشان فقلت لا فمشينا ساعة وقد كظنى العطش ثم التفت إلى وقال أنت عطشان فقلت نعم وما تقدر

تعمل معى فى مثل هذا الموضع فأخذ الركوة مني ودخل البحر ، وغرف الماء وجاءنى به وقال اشرب فشربت ماء أعذب من ماء النيل وأصفى لونا وفيه حشيش ولله در القائل :

إذا وردوا الأطلال تاهت بهم عجبا ... وإن لمسوا عودا زها غصنه رطبا
وإن وطئوا يوما على ظهر صخرة ... لأنبتت الصماء من وطئهم عشبا
وإن وردوا البحر الأجاج لشربة ... لأصبح ماء البحر من ريقهم عذبا

قال فقلت فى نفسى هذا ولى لله تعالى ولكنى أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألته الصحبة فوقف وقال أيما أحب إليك تمشى أو أمشى فقلت فى نفسي إن تقدم فاتنى ولكن أتقدم أنا وأجلس فى بعض المواضع فإذا جاء سألته الصحبة فقال يا أبا بكر إن شئت تقدم واجلس وإن شئت تأمر فإنك لاتصحبنى ومضى وتركنى فدخلت المنزل وكان به صديق لى وعندهم عليل فقلت له رشوا عليه من هذا الماء فرشوا عليه فبرئ بإذن الله تعالى وسألته عن الشخص ، فقالوا ما رأيناه رضى الله عنه ونفع به .

الحكاية الثامنة والسبعون عن الشيخ فتح الموصلى رضى الله عنه

قال رأيت فى البادية غلاما لم يبلغ الحلم يمشى ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد الجواب ، فقلت له ، إلى أين ياغلام ، فقال إلى بيت الله الحرام ، قلت له فبم إذن تحرك شفتيك قال بالقرآن قلت فإنه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر منى سنا فقلت خطوك قصير وطريقك بعيد فقال إنما على نقل الخطى وعلى الله الإبلاغ فقلت أين الزاد والراحلة فقال زادى يقينى وراحلتى رجلاى قلت عن الخبز والماء فقال يا عماه أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك فقلت لا قال إن سيدى دعا عباده إلى بيته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم ، وإنى استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفتراه يضيعني فقلت كلا وحاشا ثم غاب عن عينى فلم أره إلا بمكة فلما رآنى قال ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف فى اليقين ثم أنشأ يقول :

مالك العالمين ضامن رزقى ... فلماذا أكلف الخلق رزقي
قد قضى لى بما على ومالى ... مالكى فى قضائه قبل خلقي

صاحب البذل والندى فى يســـــارى ورفيقى فى عسرتى حسن صدقـــى
فكما لايرد عجزى رزقـــــــــى فكذا لايجر رزقى حذقـــــــــى

الحكاية التاسعة والسبعون عن أحدهم

قال بقيت فى برية الحجـاز أياما لم آكل شيئا فاشتهيـت باقلا حارا وخبزا من باب الطاق ، فقلت أنا فى البرية وبينى وبين العراق مسـافة بعيدة ، فلم أتم خاطرى حتى نادى أعرابى من بعيد يا باقلا حارا وخبزا فتقدمت إليه وقلت له عندك باقل حار قال نعم وبسط مئزرا كان عليه وأخرج خـبزا وباقلا حارا وقال لى كل فأكلت ثم قال كل فأكلت ، ثم قال لى ثالثة كل فأكلت فلـما قال الرابعة قلت بحق الذى بعثك لى فى هذه البـرية إلا ماقلت لى من أنت فـقال الخضـر وغاب عنى فلم أره سـلام الله ورضوانه عليه .

الحكاية الثمانون عن شقيق البلخى رضى الله عنه

قال رأيت فى طريق مكة مـقعدا يزحف على الأرض فـقلت له من أين أقبلت قال من سـمرقند قلت وكم لك فى الطريق فـذكر أعوامًا تزيد عـلى العشرة فـرفعت طرفى إليه أنظر مـتعجبا فـقال لى ياشقيق مالك تنظر إلى فـقلت متعجـبا من ضعف مهجـتك وبعد سفرك فقـال لى ياشقيق أما بعد سـفرتى فالشوق يقربهـا وأما ضعف مهجتى فمولاى يحملها ياشقيق أتعجب من عبد ضعيف يحمله المولى اللطيف وأنشد يقول :

أزوركم والهوى صعب مسالكـــــه والشوق يحمل من لامال يسعـــــــده
ليس المحب الذى يخشى مهالكـــه كلا ولا شدة الأسفار تقعـــــــــده

الحكاية الحادية والثمانون عن أحد الصالحين

قال رأيت فى الطريق غلاما شابا نحيف الجسم دقيق الساقين وهو يبكى ويقول واشواقاه لمن يراني ولا أراه فقلت له من هو فأنشد يقول :

ولى حبيب بلا كيف ولا شبـــــــه ولى مقـام بلا ربع ولا خيـــــــم
أتيت من دار عشق لا أمثلهـــــــا من عند من لم أطق شرحًا له بفـــم

قال ثم غشى عليه زمانا فحركناه فوجدناه قد مات رضي الله عنه .

(روى) أن الشيخ نجم الدين الأصبـهانى رضي الله عنه خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه ضحك الشيخ نجم الدين وكان من عادته لايضحك فسأله أحد أصحابه عن ضحكه فزجره فلما كان بعد ذلك قال ما ضحكت

إلا لأنه لما جلس الملقن على القبر سمعت صاحب القبر يقول ألا تعجبون من ميت يلقن حيا رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

الحكاية الثانية والثمانون عن الشيخ المزنى الكبير رضي الله عنه

قال كنت بمكة فوقع بى انزعاج فخرجت أريد المدينة فلما وصلت إلى بئر ميمونة رضى الله عنها إذا بشاب مطروح وهو فى النزع فقلت قل لا إله إلا الله ففتح عينيه وأنشأ يقول :

أنا إن مت فالهوى حشو قلبى وبداء الهوى تموت الكرام

ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه ، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بى من إرادة السفر فرجعت إلى مكة رضى الله عنهما وقال بعضهم كان عندنا فتى بمكة عليه أطمار رثة وكان لايداخلنا ولا يجالسنا ، فوقعت محبته فى قلبى ، ففتح لى بمائتى درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعتها على طرف سجادة وقلت له إنى فتح لى بهذه من وجه حلال فاصرفها فى بعض حوائجك فنظر إلى شزرا ثم قال إنى اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات تريد أن تخدعنى عنها بهذه وقام وبدرها وقعدت ألتقطها فما رأيت كعزه حين مر ولا كذلى حين كنت ألتقطها رضى الله عنه .

الحكاية الثالثة والثمانون عن أحدهم

قال كنت بالمدينة فجئت عند القبر الشريف فإذا برجل أعجمى كبير الهامة يودع النبى ﷺ فتبعته لما خرج فلما بلغ مسجد ذى الحليفة صلى ولبى فصليت ولبيت وخرجت خلفه فالتفت فرآنى وقال ما تريد فقلت أريد أن أتبعك فأبى فألححت عليه فقال إن كان ولابد فلا تضع قدمك إلا على أثر قدمى فقلت نعم فمشى فأخذ على غير الطريق فلما مر هزيع من الليل إذا بضوء سراج فالتفت إلى وقال هذا مسجد عائشة فتقدم أنت أو أتقدم أنا فقلت ما تختاره فتقدم ونمت أنا حتى إذا كان وقت السحر دخلت مكة فطفت وسعيت وجئت عند الشيخ أبى بكر الكتانى رضي الله عنه وجماعة من الشيوخ عنده قعود فسلمت عليهم ، فقال لى الكتانى متى قدمت قلت الساعة قال من أين قلت من المدينة قال كم لك عنها قلت البارحة فنظر بعضهم إلى بعض فقال لى الكتانى مع من جئت قلت مع رجل من حاله أو قصته كذا وكذا، قال ذاك أبو جعفر الداغانى وهذا فى حاله قليل ثم قال قوموا فاطلبوه ثم قال لى يا ولدى

قد علمـت أن هذا ليس حالك ثم قال كـيف كنت تحس بالأرض تحت قدمـيك قلت مثل الموج إذا دخل تحت السفينة رضى الله عنه ونفع به آمين .

الحكاية الرابعة والثمانون عن سفيان بن إبراهيم رحمه الله

قال لقـيت إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه بمكـة شرفهـا الله تعالـى فى سوق الليل عند مولد النبى صلى اللـه عليه وسلم وهو يبكى فألجأته إلى ناحـية من الطريق قـال فسلمت عليـه وصليت عنده وقلت له مـا هذا البكاء يا أبا إسـحق فقـال خيـر فعاودته مرة ثانية وثالثة فلما أطلت عليه السؤال قال لى يا سفيان إن أنا أخبرتك بخبر تبوح به أم تستر على فـقلت له يا أخى قل ماشئت قال اشتهـيت نفسى سكباجا منذ ثلاثين سنة وأنا أمنعها جهدى فلما كان البارحة غلبنى النوم وإذا أنا بشاب من أحسن الناس وجها وبيده قدح أخضر يعلو منه البخـار ورائحة السكباج فأجمعت همتى عنه فقرب منى وقال يا إبراهيـم كل فقلت ما آكل شيئا تركتـه لله عز وجل فقال ولا إن أطعمك الله تعالى قال فما كان لى والله جواب إلا البكاء فقال لى كل يرحمك الله فقلـت له قد أمرنا ألا نطـرح فى وعائنا إلا مـا نعلم فقـال لى كل عافاك اللـه فإنما ناولنى هذا رضـوان وقال لى ياخضـر اذهب بهذا الطعـام فأطعمـه لنفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله تعالى على طول صبرها علـى ما يحملها من منعها شهواتها ثم قال فالله عز وجـل يطعمها وأنت تمنعها يا إبراهيم إنى سـمعت الملائكة يقولون مَنْ أعطي فلم يأخذ طلب ولم يعط فقلت إن كان كـذلك فهأنا بين يديك لم أخل بالعهد مع الله تعالى وإذا بفتى آخر قـد ناوله شيئا وقال ياخضر لقـمة فلم يزل يطعمنى بيده فانتبهت وحلاوة ذلك فى فمى ولون الزعفران فـى شفتى فدخلت زمزم فغسلت فمى فلا الطعم ذهب ولا أثر الزعفران قال سفيان قلت له فأرنى فإذا أثره لم يذهب فقلت يا من يطعم مناع الشـهـوات إذا صححـوا المنع لأنفسـهم يا من الزم قلوب أوليـائه التصـحيح يا من سـقى قلوبهم من شراب محـبته أترى لسـفيـان عندك ذلك قال ثم أخذت يد إبراهيم ورفعـتها إلى السمـاء وقلت اللهم بقدر هذه الكف وقدر صاحـبها وحرمتـه عندك وبالجود الذى وجده منك يا ألله جـد على عبدك الفقيـر إلى فضلك وإحسانك برحمتك يا أرحم الراحمين وإن لم يستحق ذلك منك يارب العالمين .

الحكاية الخامسة والثمانون

حكى عن إبراهيم بن أدهم أيضا رضى الله عنه أنه حج إلى بيت الله الحرام فبينما هو فى الطواف ، وإذا بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنه وجماله فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكى فقال بعض أصحابه إنا لله وإنا إليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلاشك قال ياسيدي ما هذا النظر الذى يخالطه البكاء فقال له إبراهيم يا أخى إننى عقدت مع الله تعالى عقدا لا أقدر أفسخه وإلا كنت أدنى هذا الفتى منى وأسلم عليه فإنه ولدى وقرة عينى تركته صغيرا وخرجت فارا إلى الله تعالى وها هو قد كبر كما ترى وإنى لأستحيى من الله سبحانه وتعالى أن أعود لشيء خرجت عنه وتركته له عز وجل وأنشد :

ولا عرضت لى نظرة مذ عرفته ... مدى الدهر إلا كان لى حيث أنظر
أغار على طرفى له فكأننى ... إذا رام طرفى غيره لست أبصر
أيا منتهى ذخرى وسؤلى وعدتى ... ودادك فى قلبى إلى يوم أحشر

ثم قال لى امض وسلم عليه لعلى أتسلى بسلامك عليه وأبرد نارا على كبدى فأتيت الفتى وقلت له بارك الله لأبيك فيك فقال ياعم وأين أبى إن أبى خرج فارا إلى الله تعالى ليتنى أراه ولو مرة واحدة وتخرج نفسى عند ذلك هيهات هيهات وخنقة العبرة وقال والله أود أنى رأيته وأموت فى مكانى ثم بكى وأنشد يقول :

لقد حكم الزمان على حتى ... يرانى فى هواك كما ترانى
حبيبى إن بعدت فإن قلبى ... على مر الزمان إليك دانى
وإن بعدت ديارك عن ديارى ... فشخصك ليس يبرح عن عيانى
لقد أسكنت حبك فى فؤادى ... مكانا ليس يعرفه جنانى
كأنك قد ختمت على ضميرى ... فغيرك لايمر على لسانى

قال ثم رجعت إلى إبراهيم وهو ساجد فى المقام وقد بل الحصى بدموعه وهو يتضرع إلى الله تعالى ويبكى ويقول :

هجرت الخلق طرًا فى هواكا ... وأيتمت العيال لكى أراكا
فلو قطعتنى فى الحب إربا ... لما سكن الفؤاد إلى سواكا

قال فقلت له ادع له فقال حجبه الله عن معاصيه وأعانه على ما يرضيه .

الحكاية السادسة والثمانون
عن الشيخ أبى بكر الدقاق رضى الله عنه

قال بقيت بمكة عشرين سنة وكنت أشتهى اللبن فغلبتنى نفسى فخرجت إلى عسفان فاستضفت حيا من أحياء العرب فوقعت عينى على جارية حسناء أخذت بقلبى فقالت يا شيخ لو كنت صادقا لذهبت عنك شهوة اللبن فرجعت إلى مكة وطفت بالبيت فرأيت فى منامى يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم فقلت يانبى الله أقر الله عينك بسلامتك من زليخا فقال لي يامبارك بل أنت أقر الله عينك بسلامتك من العسفانية ثم تلا يوسف ﷺ ولمن خاف مقام ربه جنتان بصوت رخيم وأنشدوا :

وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وقال أحدهم لايمكن الخروج من النفس بالنفس ، وإنما يمكن الخروج عن النفس بالله تعالى وقال استرح مع الله تعالى ولاتسترح عن الله فإن من استراح مع الله نجا ومن استراح عن الله هلك والاستراحة مع الله تعالى تروح القلب بذكره والاستراحة عن الله تعالى مداومة الغفلة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم رضى الله عنه ذكر الله يرطب القلب ويلينه فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فيقسو وييبس وامتنعت الأعضاء من الطاعة فإذا مددتها انكسرت كالشجرة إذا يبست لاتصلح إلا للقطع وتصير وقودا للنار أعاذنا الله الكريم منها .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الفضل رضى الله عنه العجب ممن يقطع الأودية والمفاوز والقفار ليصل إلى بيته وحرمه لأن فيه آثار أنبيائه كيف لايقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه فإن فيه آثار مولاه .

وقال الشيخ أبو تراب النخشبي رضى الله تعالى عنه من شغل مشغولا بالله عن الله أدركه المقت فى الوقت أو كما قال نعوذ بوجه الله الكريم من مقته وعذابه الأليم.

الحكاية السابعة والثمانون

عن أحدهم أنه سافر للحج على قدم التجرد وعاهد الله سبحانه ألا يسأل أحدا شيئا فلما كان فى بعض الطريق مكث مدة لايفتح عليه بشىء فعجز عن المشى ثم قال فى نفسه هذا حال ضرورة تؤدى إلى تهلكة بسبب الضعف المؤدى إلى الانقطاع وقد نهى الله عن الإلقاء إلى تهلكة ثم عزم على السؤال فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم ثم قال أموت ولا أنقض عهدا بينى وبين الله تعالى فمرت القافلة وانقطع واستقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت فبينما هو كذلك إذا بفارس قائم على رأسه معه إداوة فيها ماء فسقاه وأزال ما به من الضرورة ، وقال له تريد القافلة فقال وأين منى القافلة ، فقال قم وسار معه خطوات ثم قال قف ههنا والقافلة تأتيك فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه .

قلت وسيأتى الجواب فى خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى عن إنكار من أنكر هذه الحكاية وأشباهها .

الحكاية الثامنة والثمانون

حكى أنه كان شاب يطوف بالكعبة ويشتغل بالصلاة على النبى ﷺ فقيل له هل عندك فى هذا شيء قال نعم خرجت أنا وأبى حاجين فمرض أبى فى بعض المنازل ومات واسود وجهه وازرقت عيناه وانتفخ بطنه فبكيت وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون مات أبى فى أرض غربة هذه الموتة فلما كان الليل غلبنى النوم فرأيت النبى ﷺ وعليه ثياب بيض ورائحة طيبة عطرة فدنا من أبى ومسح على وجهه فصار أشد بياضا من اللبن ثم مسح على بطنه فعاد كما كان ثم أراد أن ينصرف فقمت إليه وأمسكت بردائه وقلت ياسيدى بالذى أرسلك إلى أبى رحمة فى أرض غربة من أنت فقال أو ما تعرفنى أنا محمد رسول الله كان أبوك هذا كثير المعاصى والذنوب غير أنه كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى فأغثته وأنا غياث لمن يكثر الصلاة على فى دار الدنيا .

قلت وفى مدحه ﷺ خطرت لى هذه الأبيات عند كتابة هذه الحكاية فى الشفاعة :

عليك صلاة الله يا ملجأ الورى ... إذا أقبلت يوم الحساب جهنم
وراموا شفيعا يستغاث بجاهه ... له شرف العلياء رحب مكرم
وقالوا لأهل العزم فى الرسل من لها ... فليس سواكم يا أهل العزم يعزم
فعنها خليل والكليم تأخرا ... وعيسى وقبل القوم نوح وآدم

فخير الكرام والرسل عنها تأخـــروا أتيت إليها بالندا تتقـــــــــدم
أغثت جميع الخلق إذ كنت رحمـــة بعثت لكل العالمين ليرحمـــــوا
فأنت الذى فى الحشر تحت لوائـــه جميع البرايا للأنام مقـــــــدم

الحكاية التاسعة والثمانون عن أبى الحسن السراج

قال خرجــت حاجا إلى بيت الله الحرام فـبينما أنا أطوف وإذا بامـرأة قد أضاء حسن وجهها فقلت والله ما رأيت إلى اليوم قط نضارة وحسنا مثل هذه المرأة وما ذاك إلا لقلة الهم والحزن فسمعت ذلك القول منى فقالت كيف قلت هذا يارجل والله إنى لوثيقة بالأحزان ومكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان ما يشركنى فيها أحد فقلت وكيف ذاك فقالت ذبح زوجى شاة ضحينا بهـا ولى ولدان صغيران يلعبان وعلى ثديى طفل يرضع فقمت لأصنع لهما طعاما إذ قـال ابنى الكبير للصغير ألا أريك كيف صنع أبى بالشاة قال بلى فأضجعه وذبحــه وخرج هاربا نحو الجبل فأكله الذئب فانطلق أبوه فى أثره يطلبه فـأدركه العطش فمات فـوضعت الطفل وخرجت إلى الباب أنظـر ما فعل أبوهم فدب الطفل إلى البرمة وهى على النار فوضع يده فيهـا فصبها على نفسه وهى تغلى فانتثر لحمه عن عظمه ، فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند زوجها فرمت بنفسها إلى الأرض فوافـقت أجلها فأفـردنى الدهر من بينهم فقلت لـها كيف صـبرت على هذه المصائب العظيمة فقـالت ما من أحد ميز بين الصبر والجزع إلا وجــدت بينهما منهاجا متفاوتا فأما الصبر بحسن العلانية فمحمـود العاقبة ، وأما الجزع فصاحبه غير معوض ثم أعرضت عنى وهى تنشد :

صبرت وكان الصبر غير معـــول وهل جزع يجدى على فأجــــــزع
صبرت على ما لو تحمل بعضــــه جبال شرود أصبحت تتصـــــدع
ملكت دموع العين حتى رددتهــــا إلى ناظرى فالعين فى القلب تدمـــع

الحكاية التسعون عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال عطـشت فى بعض أسفـارى وأسقطت من العطش فـإذا أنا بماء رش على وجهى ففتـحت عينى فإذا برجل حسن الوجه راكب على دابه شهباء فـسقانى وقال كن رديفى فما لبثت إلا يسيرا حتى قـال لى ما ترى فقلت أرى المدينة فقال فاقرأعلى رسول الله ﷺ السلام وقل له أخـوك الخضر يقرئك السلام ، وقال الشـيخ أبو الخير الأقطع رضى الله عنه قدمت مديـنة رسول الله ﷺ فأقمت خمسـة أيام ماذقت ذواقا فتقـدمت إلى القبر الشريف وسلمت على النبى ﷺ وعلـى أبى بكر وعمر رضى الله

عنهما وقلت يارسول الله أنا ضيفك الليلة وتنحيت ونمت خلف المنبر فرأيته ﷺ فى المنام وأبو بكر رضى الله عنه عن يمينه وعمر رضى الله عنه عن شماله وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بين يديه فحركنى على رضى الله عنه وقال لى قم فقد جاء رسول الله ﷺ فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلى رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وفى يدي والله نصفه وأنشد بعضهم :

أحن الى نوح الحمام إذا غنى   وأشتاق للوادى وأصبو إلى المغنى
ويعجبنى مر النسيم لأنه   يحدث عن نجد حديثا له معنى
ويخبر عن زوار ليلى بأنهم   رأوا عند بانات النقا وجهها الأسنى
بعيشك إن جئت الخيام فقف بها   وقل لمليح الحى إنى به مضنى
وعرض بذكرى عنده فلعله   يرق لمشتاق إلى ربعه حنا
متى بقبا تقضى منيه عاشق   ويدفن فى سلع ويمسى له سكنى
تملك قلبى الحب من سكن الحمى   فقلبى يهواه وعقلى به جنا
تكامل معناه فأصبح فاتنا   ألاياله بدرا حوى الحسن والحسنى
عليه صلاة الله مالاح بارق   وما ناح طير فى الغصون وما غنى

الحكاية الحادية والتسعون
عن أبى جعفر الصفار رضى الله عنه

قال تهت فى البادية أياما فعطشت مدة وضعفت فرأيت رجلا نحيفا فاتحا فاه ينظر إلى السماء فقلت له ما هذه الوقفة فقال مالك والدخول بين المولى والعبيد ثم أشار بيده وقال هذه الطريق فسرت نحو إشارته فما مضيت إلا قليلا حتى رأيت رغيفين على أحدهما قطعة لحم حار وهنالك كوز فيه ماء فأكلت حتى شبعت وشربت حتى رويت ثم رجعت إليه وقلت ما التصوف فتبسم ثم قال لاح لاح ، فاصنطلم فاستباح يعنى كشفا يرد على الأسرار فيخطف العبد ويستبيح منه كل ما كان له من مال وغيره حتى لايؤثر لنفسه شيئا والاصطلام محل القهر ونعت الحيرة وصفة الدهشة رضى الله عنه .

قال وإلى هذا الاصطلام المذكور أشار الشيخ أبو الغيث اليمنى المشهور رضى الله عنه بقوله أهل الحضرة على أربعة أقسام رجل خوطب فصار كله أذنا ورجل

أشهد فصار كله عينا ورجل مصطلم تحت أنوار التجلى والرابع لسان حال الشفاعة وهو أكمل .

الحكاية الثانية والتسعون عن على بن الموفق رضى الله عنه

قال حججت سنة من السنين فى محمل فرأيت رجالا يمشون فأحببت المشى معهم فنزلت وأركبت واحدا فى محملى ومشيت معهم فتقدمنا إلى البريد وعدلنا عن الطريق فنمنا فرأيت فى منامى جوارى معهن طسوت ذهب وأباريق فضة يغسلن أرجل المشاة فبقيت أنا فقالت إحداهن لصواحبها أليس هذا منهم قلن هذا له محمل فقالت بل هو منهم لأنه أحب المشى معهم فغسلن رجلى فذهب عنى كل تعب كنت أجده .

الحكاية الثالثة والتسعون عن على بن الموفق أيضا رضى الله عنه

قال حججت نيفا وخمسين حجة وجعلت ثوابها للنبى ﷺ ولأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولأبوى وبقيت حجة فنظرت إلى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم فقلت اللهم إن كان فى هؤلاء من لاتقبل حجته فقد وهبت له هذه الحجة ليكون ثوابها له فبت تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربى عز وجل فى المنام فقال يا على بن الموفق على تتسخى قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك وشفعت كل رجل منهم فى أهل بيته وخاصته وجيرانه وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

الحكاية الرابعة والتسعون عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال ركبنا مرة فى مركب وركب معنا شاب صبيح وجهه يشرق فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيسا فيه مال ففتش كل من فى المركب فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر وقام له الموج على مثال السرير ونحن ننظر إليه من المركب وقال يامولاى إن هؤلاء اتهمونى وأنا أقسم عليك ياحبيب قلبى أن يأمر كل دابة فى هذا المكان أن تخرج رأسها وفى أفواهها جواهر وقال ذو النون رضى الله عنه فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رءوسها وفى فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ وتلمع ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتختر على متن الماء ويقول (إياك نعبد وإياك نستعين) حتى غاب عن بصرى قال فحملنى هذا على السياحة وذكرت قول النبى ﷺ لايزال فى أمتى ثلاثون قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات منهم واحد بدل الله تعالى مكانه واحدا .

الحكاية الخامسة والتسعون عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال دخلت البادية فأصابتنى شدة فكابدتها وصابرتها فلما دخلت مكة داخلنى شيء من الإعجاب فنادتنى عجوز من الطواف يا إبراهيم كنت معك فى البادية فلم أكلمك لأنى لم أرد أن أشغل سرك عنه أخرج هذا الوسواس عنك.

(وقال الشيخ) أبو الحسين المزين رضى الله عنه دخلت البادية على التجريد حافيا حاسرا فخطر ببالى أنه ما دخل للبادية فى هذه السنة أحد أشد تجريدا منى فجذبنى إنسان من ورائى وقال ياحجام كيف تحدث نفسك بالأباطيل وأنشدوا :

نظرت فى الراحة الكبرى فلم أرهـا　　　تنال إلا على جنس من التعـب
والجد منها بعيد فى تطلبهـا　　　فكيف تدرك بالتقصير واللعـب

(وقال بعضهم) هجر النفس مواصلة الحق ومواصلة النفس هجر الحق وقيل الهجر نيران والوصل جنان وأنشدوا :

والهجر لو سكن الجنان تحولـت　　　نعم الجنان على العبيد جحيمـا
والوصل لو سكن الجحيم تحولـت　　　نقم الجحيم على العباد نعيمـا

(وقال) بعضهم إن الله تعالى وهب لكل عبد من معرفته مقدارا وحمله من البلاء على مقدار ما وهب له من المعرفة لتكون معرفته عونا له على حمل بلائه .

الحكاية السادسة والتسعون عن أحد الصالحين رضى الله عنهم

قال رأيت سمنون فى الطواف وهو يتمايل فقبضت على يده وقلت له ياشيخ بموقفك بين يديه إلا أخبرتنى بالأمر الذى أوصلك إليه فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشيا عليه فلما أفاق أنشد :

ومكتئب لج السقـام بجسمه　　　كذا قلبه بين القلوب سقيـم
يحق له لو مات خوفا ولوعة　　　فموقفه يوم الحساب عظيـم

ثم قال يا أخى أخذت نفسى بخمس خصال أحكمتها فأما الخصلة الأولى أمت منى ما كان حيا وهو هوى النفس وأحييت منى ماكان ميتا وهو القلب وأما الثانية فإنى أحضرت ماكان عني غائبا ، وهو حظى من الدار الآخرة، وغيبت عنى ما كان عندى حاضرا وهو نصيبى من الدنيا وأما الثالثة فإنى أبقيت ما كان فانيا عندى وهو التقى وأفنيت ما كان باقيا عندى وهو الهوى وأما الرابعة فإنى أنست بالأمر الذى منه تستوحشون وفررت من الأمر الذى إليه تسكنون ثم ولى عنى وهو يقول :

روحي إليك بكلها قد أقبلـــت لو كان فيك هلاكها ما أقلعـــت
تبكي عليك تخوفا وتلهفـــا حتى يقال من البكاء تقطعـــت
فانظر إليها نظرة بتعطـــف فلطالما متعتها فتمتعـــت

الحكاية السابعة والتسعون
عن الشيخ أبى الربيع رضى الله عنه

قال كنا جماعة من الفقراء بمكة وكان فيهم رجال لهم سياحات وأحوال عهدوها من أنفسهم وكنت قد وقف بى بحثى عن نفسي على أنى لم أجد لى عملا صالحا ففكرت فى نفسى هل لى حال أنظره فى المستقبل يرد على فوجدتنى فقيرا منه فقلت من العجز انتظار مالم يكن فتعلقت بفعل مايلزمنى فى الوقت فوجدت أنه ليس عمل صالح أفضل من الطواف فكنت أكثر منه فكان بعضهم يقول لى إلى متى تدور كحمار الساقية أفى كل هذا العمل أنت واجد قلبك فقلت لا ولا أعرف لى قلبا أجده ولا أعرف له مكانا فأطلبه ولكنى سمعت قوله تعالى : ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾[1] فأنا أعمل على ظاهر من الأمر.

الحكاية الثامنة والتسعون
روى عن الشيخ أبى يعقوب البصرى رضى الله عنه

أنه قال جعت مرة فى الحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فجذبتنى نفسى أن أخرج إلى الوادى لعلى أجد شيئا أسكن به جوعى فخرجت فوجدت سلجمة مطروحة متغيرة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة أيام فآخرتك يكون حظك سلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فإذا برجل جاء فجلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت له كيف خصصتنى بها فقال اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام فأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا نذرا إن خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشيء ونذرت أنا إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه الخمسمائة الدينار على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيته ، فقلت أفتحها ففتحتها فإذا فيها كعك سميد مصرى ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى إلى صبيانك هدية منى إليهم ، وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يا نفس سيِّر إليك

---

(١) سورة الحج : الآية ٢٩ .

عشرة أيام وأنت تطلبينه من الوادى وأنشدوا :

لقد علمت وما الإشراف من خلقى ... إن الذى هو رزقى سوف يأتينـــي
أسعى إليه فيعيينى تطلبـــــــــــه ... ولـــو قعدت أتانى لا يعنينـــــــى

الحكاية التاسعة والتسعون
عن بنان الحمال رضى الله عنه

قال كنت فى طريق مكة أجىء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت يابنان أنت حمـال تحمل على ظهرك وتتـوهم أنه لايرزقك قال فرمـيت بزادى ثم أتى على ثلاثة أيام لم آكل فـوجدت خلخـالا فى الطريق فقلت فى نفـسى أحمله حـتى يأتى صاحبه فربما يعطيـنى شيئا فإذا بتلك المرأة فقالت أنت تاجر تقـول يجىء صاحبه آخذ منه شيـئًا ثم رمت إلى شيئا من الدراهم وقـالت أنفقها فـاكتفيت بهـا إلى قريب من مصر وأنشدوا :

كم من قوى قوى فى تقلبـــــــه ... مهذب الرأى عنه الرزق منحـــرف
وكم ضعيف ضعيف فى تقلبــــه ... كانه من خليج البحر يغتـــــرف
هذا دليل على أن الإله لـــــــــه ... فى الخلق سر خفى ليس ينكشــف

الحكاية المائة
عن الشيخ أبى بكر الكتانى رضى الله عنه

قال جرت مـسألة بمكة أيام الموسم فى المحبة فـتكلم الشيوخ فيهـا وكان الجنيد رضى الله عنه أصغرهم فقالوا له هات ماعندك ياعراقى فأطرق رأسه وذرفت عيناه ثم قال المحب عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكـر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه قد أحرق قلبه أنوار هيبته وصفا شربه من كـاس وده وانكشفت له الحجب من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فـبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشـيوخ وقالوا ما على هذا من مزيد جـبرك الله يا تاج العارفين وأنشد بعضهم فى المحبة:

إذا فرقت بين المحبين ســـــــــلوة ... فحبك لى حتى أموت قريـــــــن
سأصفيك ودى ما حييت وإن أمـــت ... هواك لعظمى فى التراب رهيـــن

الحكاية الأولى بعد المائة
عن الضحاك بن مزاحم رضي الله عنه

قال خرجت في ليلة جمعة أريد المسجد الجامع فى الكوفة وكانت ليلة زاهرة مقمرة فإذا أنا بشاب فى بعض رحاب المسجد ساجدا وهو يجود بالبكاء ، فلم أشك أنه ولى من أولياء الله تعالى فقربت منه لأسمع مايقول فإذا هو يقول :

عليك يا ذا الجلال معتمـــدى طوبى لمن كنت أنت معنـــاه
طوبى لمن بات خائفا وجـــلا يشكو إلى ذى الجلال بلـــواه
وما به علة ولا سقـــم أكثر من حبـــه لمولاه
إذا خلا فى الظلام مبتهـــلا أجابه الله ثم لبـــاه

قال فلم يزل يكرر عليك يا ذا الجلال معتمدى وهو يبكى وأنا أبكى رحمة لبكائه ، ثم ذكر كلاما معناه أنه رأى نورا ، وسمع كلاما يقول :

لبيك عبدى فأنت فى كنفـــى وكل ما قلت قد سمعنـــاه
صوتك تشتاقة ملائكتـــى وذنبك الآن قد غفرنـــاه

(قلت) لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين وقعا فى حال النوم أو فى غيبة والله أعلم.

قال فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك فى ليلتك وبارك فيك من أنت يرحمك الله قال أنا راشد بن سليمان فعرفته بما كنت سمعت من أمره وخبره وكنت أتمنى لقياه فلم أقدر على ذلك حتى يسر الله تعالى فقلت له هل لك فى صحبتى فقال هيهات وهل يأنس بالمخلوقين من تلذذ بمناجاة رب العالمين أما والله لو خرج على أهل عصرنا هذا أحد من المشايخ أصحاب النيات الصحيحة لقال هؤلاء أحزاب لايؤمنون بيوم الحساب ،قال ثم غاب عن بصرى فلم أدر أفى السماء صعد أم فى الأرض نزل فأشفقت على مفارقته ، ثم سألت الله تعالى أن يجمع بينى وبينه قبل الموت فلما كان فى بعض الأعوام خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام ، فإذا أنا به فى ظل الكعبة ونفر يقرءون عليه سورة الأنعام فلما نظرنى تبسم وقال هذا لطف العلماء وذاك تواضع الأولياء ثم قام إلى وعانقنى وصافحنى وقال هل سألت الله تعالى أن يجمع بيننا قبل الموت فقلت نعم فقال الحمد لله رب العالمين على ذلك فقلت له رحمك الله أخبرنى عما رأيت تلك الليلة وسمعت فشهق شهقة ظننت أنه قد انفتق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ونفر الرهط الذين كانوا يقرءون عليه فلما أفاق قال يا أخي هل يغيب عنك ما الله تعالى فى قلوب أهل محبته من المهابة عن تفسير

تلك الإجابة فقلت له فما هؤلاء النفر الذين كانوا إليك قال أولئك نفر من الجن لهم على حرمة لقديم صحبة فهم يقرءون على القرآن ويحجون معى فى كل عام ، ثم ودعنى وقال يا أخى جمع الله بينى وبينك فى الجنة حيث لافرقة ولاتعب ولاحزن ولانصب ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الثانية بعد المائة

حكى أن عابدا من عباد الحرم كان يأتيه رجل كل ليلة بقرصين يفطر عليهما ولا يشتغل بغير الله عز وجل فقالت له نفسه يوما سكنت فى القوت إلى هذا المخلوق ونسيت رزاق المخلوقين ما هذه الغفلة فلما أتاه الرجل بالقرصين ردهما عليه فانصرف عنه وبقى الفقير ثلاثة أيام ولم يفتح عليه بشىء من القوت فشكا ذلك إلى ربه سبحانه وتعالى فرأى تلك الليلة فى النوم أنه واقف بين يدى الله تعالى فقال له ياعبدى لم رددت ما أرسلت به إليك مع عبدى فقال يارب لما وقع فى نفسي من الكون إلى غيرك فقال ياعبدى فمن أرسله إليك قال أنت يارب قال فأنت تأخذه ممن قال منك قال فخذ ولا تعد ثم رأى الرجل المتصدق كأنه واقف بين يدى الله سبحانه وتعالى فقال له ياعبدى لم منعت عبدى قوته قال يارب علمت ذلك فقال ياعبدى أنت لمن تعطى قال لك يارب قال فأجر الفقير على عادته وابق على عادتك وثوابك الجنة رضى الله عنهما وفى هذا المعنى قلت فى بعض القصائد .

فكل جميل أو جمال فجوده   وصنعته عن حكمة ذات إتقان
فلا نعمة إلا ومن عنده أتت   إليك وإن جاءتك من عند إنسان

الحكاية الثالثة بعد المائة
عن أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه

قال كنت مع أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه في طريق مكة فسقطت منى السطيحة فأخبرت أبا سليمان بذلك ، فقال ياراد الضالة اردد علينا الضالة فلم ألبث حتى أتى رجل يقول من سقطت منه سطيحة فنظرتها فإذا هى سطيحتى فأخذتها فقال أبو سليمان حسبت أن يتركنا بلا ماء يا أحمد فمشينا قليلا وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلا عليه طمران وهو يترشح من العرق فقال له أبو سليمان نواسيك ببعض ما علينا فقال الحر والبرد خلقان من خلق الله تعالى إن أمرهما غشيانى وإن أمرهما تركانى وأنا أسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسنى فيحا على محبته في الشتاء ويلبسنى في الصيف مذاق برد محبته يادارانى

تشيـر إلى ثوب وتدع الزهد تجد البرد يا دارانى تـبكى وتصيح وتستـريح إلى الترويح فمضى أبو سليمان رضى الله عنه وقال لـم يعرفنى غيره.

(قيل) في هذه الحكاية ما مـعناه أنه لما حقق الله سبحـانه يقين أبى سليمان في رد السطيحة صانه عن العجب بما أراه الله تعـالى من حال هذا الرجل حتى صغر فى عيـنه حال نفـسه وتلك سنة الله تعـالى في أوليـائه يصونهم عن مـلاحظة الأعمـال ويصغـر في أعينـهم ما يصفـو لهم من الأحـوال رضى الله تعالى عنهم ونفـعنا بهم آمين.

الحكاية الرابعة بعد المائة عن أحدهم

قال رأيت في الطواف كهلا قد أجهدته العبـادة وبيده عصا وهو يطوف معتمدا عليها فسألته عن بلده فـقال خراسان ثم قال لى في كم تقطعون هذه الطريق قلت في شهرين أو ثلاثة فـقال أفلا تحجون في كل عام فـقلت له وكم بينكم وبين هذا البيت قال مسيرة خمس سنين فقلت والله إن هذا لهو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك وأنشأ يقول :

زر من هويت وإن شطت بك الـــدار ... وحال من دونه حجب وأستــــــار
لا يمنعنك بعد عن زيارتـــــــــــه ... إن المحب لمن يهـــــــــــواه زوار

الحكاية الخامسة بعد المائة عن أحدهم

قال رأيت فتى في طريق مكة يتبختر في مشيته كأنه في صحن داره فقلت له ما هذه المشية يا فتى فقال هذه مشية الفتيان خدام الرحمن وأنشد:

أتيه بك افتخارا غير أنــــــــــى ... أذوب من المهابة عند ذكـــــــــرك
ولو أنى قدرت لمت شوقـــــــا ... وإجلالا لأجل عظيم قـــــــــدرك

فقلت له وأين زادك وراحلتك فنظر إلى منكرا لقولى ثم قال يا هذا أرأيت عبدا ضعيفا قـاصدا مولى كريما ثم حمل إلى بيته طعامـا وشرابا لو فعل ذلك لأمر الخدام بطرده عن بابه إن المولى جلت قدرته لما دعـاني إلى القصد إليه رزقنى حسن التوكل عليه ثم غاب عنى فما رأيته بعد رضى الله عنه.

الحكاية السادسة بعد المائة عن أحدهم

قال كنت بمكة فرأيت فقيرا يطوف بالبيت فأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها فلما كان في اليوم الثاني والثالث كان يفعل ذلك فطاف في يوم من الأيام ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها مكتوب ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾[١] رضى الله عنه ونفع به.

(وحكى عن أبى العباس الخضر رضوان الله عليه) أنه سأله بعض الأبدال هل رأيت وليا لله تعالى أرفع منك درجة قال نعم دخلت مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة فرأيت عبد الرزاق وحوله جماعة يستمعون الحديث وفي زاوية المسجد فتى جالس واضع رأسه على ركبته فقلت له أيها الشاب أما ترى الجماعة يسمعون أحاديث الرسول ﷺ من عبد الرزاق فهلا سمعت معهم فلم يرفع رأسه إلى ولا اكترث بي ولكن قال هنا من يسمع من عبد الرزاق وهنا من يسمع من الرزاق لا من عبده قال الخضر فقلت إن كان ما تقول حقا من أنا فرفع رأسه إلى وقال إن كانت الفراسة حقا فأنت الخضر فعلمت أن لله تبارك وتعالى أولياء لا أعرفهم لعلو رتبهم رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية السابعة بعد المائة عن أحدهم

قال كنا في المدينة نتكلم في بعض الأوقات في آيات الله تعالى المنعم بها على عباده من أوليائه وأهل وده وقربه من أصفيائه وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع ما نقول فتقدم إلينا وقال أنست بكلامكم، اعلموا أنه كان لي عيال وأطفال فخرجت إلى البقيع أحتطب فرأيت شابا عليه قميص من كتان ونعله في أصبعه فتوهمت أنه تائه فقصدت أن أسلبه ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال لي مر في حفظ الله تعالى فقلت له الثانية والثالثة فقال ولا بد قلت ولابد فأشار بأصبعيه إلى عيني فسقطتا فقلت له بالله عليك من أنت فقال أنا إبراهيم الخواص رضى الله عنه (قلت) وإنما دعا إبراهيم الخواص رضى الله عنه على اللص بالعمى ودعا إبراهيم بن أدهم للذى ضربه بالجنة لأن الخواص شهد من اللص أنه لا يتوب إلا بعد العمى فرأى العقوبة أصلح له وابن أدهم لم يشهد توبة الضارب له فى عقوبته فتفضل عليه بالدعاء له فتوة منه وكرما

---

(١) سورة الطور الآية ٤٨ .

فحصلت البركة والخير بدعائه للضارب فأتاه مستغفرا معتذرا فقال له إبراهيم الرأس الذى يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ يعنى أن نخوة الشرف وكبر الرياسة كان في رأسى حين كنت أجول في ميدان الخيلاء والاستكبار على فرس حب الجاه وزينة الدنيا في بلخ والآن قد خرج ذلك من رأسى واستبدلت بالخيلاء والاستكبار تواضع المسكنة والانكسار وخلعت خلعة الحمقى المنسوجة من غزل الغرور والعطب وحيلة السفهاء المصوغة من نحاس النجاسة والتيه والطرب ولبست خلعة الشرف الأبدى المنسوجة من غزل الزهد، وورع أهل التحقيق وخضوع العبودية والافتقار بمغزل التوفيق وتحليت بحلية الأولياء المصوغة من جواهر المعارف ويواقيت الأدب، وفيروز محاسن أهل الطريق وسقيت براح المحبة على بساط مشاهدة الحبيب فلا أبالى بخفاء جندى وأنا من الملك قريب إذا حصل من ليلى قبول وإقبال وإنزال المحب فى موضع عال وشاهد حسن جمال غال فليس يحزن إذا نبحه كلب من كلاب الحى أو عليه صال وفى ذلك قلت نائبا عن لسان الحال .

اذا ما كلاب الحى فينا تنابحت ... أناسا ومن ليلى قبول وإقبال
برؤيا الجمال الغال منها لنا المنى ... ومنها لنا فى المنزل العال إنزال

الحكاية الثامنة بعد المائة

قال المؤلف خبرنى بعض الثقات من أهل اليمن أنه خرج للحج مع بعض الصالحين من أهل بلده ، فلما بلغوا جدة اكتروا جمالا يركبونها إلى مكة وساروا مع القافلة فعرض لهم بعض أولاد سلاطين مكة وأخذ الجباية من تلك القافلة حتى لم يبق إلا نحن فطالبنا بالجباية ولزمنا جمالنا فقال له الشيخ الصالح أطلق الجمال فأبى ثم كرر عليه مرارا وهو يأبى ويزداد غيظا ثم قال وحق رأس أبى ما أطلقكم إلا بكذا وكذا وذكر شيئا كثيرا فقال له الشيخ وحق مولاى ما نعطيك شيئا ثم قال الشيخ سيروا قال فسرنا وبقى ذلك الجابى على فرسه لايقدر يتحرك فأرسل نحو الشيخ بعض غلمانه يسأل العفو عنه ويطلقه مما أصابه من العقوبة فأجابه الشيخ إلى ذلك فانطلق حينئذ ومشى به الفرس بعد أن كان لايستطيع المشى رضى الله عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم وببركاتهم آمين .

الحكاية التاسعة بعد المائة

حكى عن بشر الحافي رضى اللـه عنه أنه جاءه نفر فسلموا عليـه فقال من أنتم قالوا نحن من الشـام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فـقال شكرا لله تعـالى لكم قالوا تخرج معنا لنحج في صحبتك فـأبى فألحوا عليـه فقال إذا عزمـتم على ذلك فيكون على ثلاثة شروط ألا نحمل معنا شـيئا ولا نسأل أحدا شيئا وإن أعطينا لا نـقبل شيئا فقـالوا أما لا نحمل ولا نسـأل فنعم وأما إن أعطينا لا نقـبل فلا نستطيع ذلك فـقال كأنكم خرجـتم من بيوتكم متوكلين عـلى مزاود الحجاج لا متـوكلين على الله تعالى دعونى وحـالي روحوا إلى أشغـالكم ثم قال أحسن الفقـراء ثلاثة فقيـر لا يسأل وإن أعطى لا يقبل فذلك من الروحانيين أو قال مع الروحـانيين وفقير لا يسأل وإن أعطى قبل فذلك يوضع له موائد في حضرة القدس وفـقير يسأل وإن أعطى قبل قدر الكفاية فكفارته صدقة.

(وحكى) أنه أتى أيضـا إلى بشر رضى الله عنه جـماعة من الصـوفيـة عليهم المرقعات فقـال يا قوم اتقوا الله ودعوا هذا اللباس فإنكم تعرفـون به فسكتوا إلا شابا منهم فإنه قال والله لنلبـسنها ثم لنلبسنها ثم لنلبسنها حـتى يكون الدين كله لله فقال أحسنت يا شاب مثلك يصلح له أن يلبسها رضى الله عنهم.

الحكاية العاشرة بعد المائة عن أحدهم

قال رأيت فـقيرا ورد على بئر مـاء في البادية فأدلى ركـوته فيها فـانقطع حبله ووقـعت الركوة فـيهـا فـأقام زمـانا وقال وعـزتك لا أبرح إلا بركـوتي أو تأذن لي بالانصراف عنهـا قال فرأيت ظبيـة عطشى جاءت إلى البئـر ونظرت فيها فـفاض الماء وطفح على البئر وإذا بركوته على فم البئر فأخذها وبكى وقال إلهى ما كان لي عندك محل ظبية فهتف به هاتف يقول يا مسـكين جئت بالركوة والحبل وجاءت الظبية ذاهبة عن الأسباب لتوكلها علينا (قال) بعضهم سقى الله الظبـية المذكورة ببركة وقفة الفقير على باب انبساطه مع مولاه وأقسم أنه لا يبرح إلا بركوته فأبر الله قسمه بصورة ورود الظبيـة تهذيبا لأخلاق أوليـائه واهتماما بتـرك الأسباب واعتناء بالمسبب الوهاب عز وجل.

الحكاية الحادية عشرة بعد المائة

روى أنه سئل الشيخ أبو الخير الأقطع رضى الله عنه عن عجائب الأحوال فقال أعجب ما رأيت أنه أدخل عبد أسود رأسه في مرقعته في جامع طرسوس وخطر بباله

الحرم وزيارة الكعبة فأخرج رأسه وهو في الحرم (وقال) عبدالواحد بن زيد لأبي عاصم البصرى رضى الله عنهما كيف صنعت حين طلبك الحجاج قال كنت في غرفتى فدقوا علي الباب ودخلوا فدفعت بي دفعة فإذا أنا على أبى قبيس بمكة فقال له عبدالواحد من أين كنت تأكل قال كانت تأتى إلى عجوز وقت إفطارى بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة فقال عبدالواحد تلك الدنيا أمر الله تعالى أن تخدم أبا عاصم رضى الله عنه.

الحكاية الثانية عشرة بعد المائة

قال أحدهم كنا عند الشيخ أبى محمد الجريرى رضى الله عنه فقال هل منكم من إذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يحدث في المملكة حدثا أعلمه قبل أن يبديه قلنا لا قال ابكوا على قلوب لا تجد من الله تعالى شيئا (وقيل) اعتل بعضهم فحمل إليه دواء في قدح فأخذه ثم قال وقع اليوم في المملكة حدث لا آكل ولا أشرب حتى أعلم ما هو فورد الخبر بعد أيام أن القرمطى دخل مكة في ذلك اليوم وقتل بها مقتلة عظيمة فلما ذكرت هذه الحكاية لابن الكاتب قال هذا عجب فقال له الشيخ أبو عثمان المغربى رضى الله عنه ليس هذا بعجب فقال أبو على بن الكاتب فى أى شىء خبر مكة اليوم فقال هو ذا يتحارب الطلحيون وبنو الحسن ويقدم الطلحيون أسود عليه عمامة حمراء وعلى مكة اليوم غمامة على مقدار الحرم فكتب ابن الكاتب إلى مكة فكان كما ذكر أبو عثمان رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائة
عن أبي جعفر الحداد أستاذ الجنيد رضى الله عنهما

قال كنت بمكة فطال شعرى ولم يكن معى شىء أقطعه به فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير وقلت تأخذ شعرى لله تعالى فقال نعم وكرامة وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسنى وحلق شعرى ثم دفع إلى قرطاسا فيه دراهم، وقال تستعين بهذه على بعض حوائجك فأخذتها وعقدت أن أدفع إليه أول شىء يفتح على قال فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض إخوانى وقال لي جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة فيها ثلثمائة دينار جعلها لك في سبيل الله فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين وقلت هذه ثلثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك فقال ألا تستحيى يا شيخ تقول لي احلق شعرى لله ثم آخذ عليه شيئا انصرف عافاك الله تعالى رضى الله عنهما.

الحكاية الرابعة عشرة بعد المائة عن الشيخ الشبلي رضى الله عنه

قال لي خاطرى يوما أنت بخيل فقلت ما أنا ببخيل فقال بل أنت بخيل فنويت أن أول شيء يفتح علي أعطيه أول فقير ألقاه فما تم هذا الخاطر حتى دخل على فلان (سماه) بخمسين دينارا فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقيرا ضريرا أو قال أكمه بين يدى مزين يحلق له شعره فناولته ذلك فقال أعطها المزين فقلت إنها دنانير فرفع رأسه إلى وقال ما قلنا لك إنك بخيل فناولتها المزين فقال منذ قعد بين يدى هذا الفقير عقدت مع الله تعالى عقدا أنى لا آخذ على حلاقته شيئا قال فأخذتها وذهبت بها إلى البحر ورميت بها فيه وقلت فعل الله تعالى بك وفعل ما أحبك أحد إلا أذله الله تعالى رضى الله تعالى عن الثلاثة ونفعنا بهم آمين قلت وسيأتى الجواب في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى عن إنكار من أنكر هذه الحكاية.

الحكاية الخامسة عشرة بعد المائة عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه زنار فسألنى الصحبة فمشينا سبعة أيام ثم قال لي يا راهب الحنيفية هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا فقلت إلهى لا تفضحنى مع هذا الكافر فرأيت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت يا راهب النصرانية هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك فاتكأ على عصاه ودعا وإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى قال فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل فألح على فلم أجبه فقال كل فإنى أبشرك ببشارتين إحداهما أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحل الزنار، والأخرى قلت اللهم إن كان لهذا العبد حظ عندك فافتح علينا قال فأكلنا وشربنا ومشينا وحججنا وأقمنا سنة ومات رحمه الله ودفن بالبطحاء رضى الله عنه (وقال الخواص) رضى الله عنه دواء القلب في خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر، وقيام الليل، وخلاء البطن، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين رضى الله عنهم.

الحكاية السادسة عشرة بعد المائة

روى أنه قيل لحذيفة المرعشي رحمه الله تعالى ما أعجب ما رأيت من إبراهيم ابن أدهم رضى الله عنه قال بقينا في طريق مكة لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم بن أدهم وقال يا حذيفة أرى الجوع فقلت هو ما

رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى.

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا قانع أنا عارى
هي ستة وأنا الضمين بنصفها ... فكن الضمين بنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلىّ الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك إلا بالله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلانى فدفع إلى صرة فيها ستمائه دينار ثم لقيت رجلا آخر فقلت له من صاحب هذه البغلة قال نصرانى فجئت إلى إبراهيم بن أدهم فأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فإنه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة جاء النصراني وأكب على إبراهيم رضى الله عنه وأسلم ولله در القائل :

يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقى طيبكم فيطيب

الحكاية السابعة عشرة بعد المائة
عن الشيخ أبى حمزة الخراسانى رضى الله عنه

قال حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشى إذ وقعت في بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذه البئر لئلا يقع فيهاأحد فأتوا بقصب وبارية وسدوا رأس البئر فطمسوها فهممت أن أصيح ثم قلت في نفسى والله لا أصيح أدعو من هو أقرب منهما وسكت فبينما أنا بعد ساعة إذ بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في همهمة منه كنت أعرف منه ذلك فتعلقت به فأخرجنى فإذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول :

نهاني حيائي منك أن أكشف الغطا ... وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمرى فأبديت شاهدى ... إلى غائبى واللطف يدرك باللطف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنما ... تبشرنى بالغيب أنك في الكف
أرانى وبى من هيبتى لك وحشة ... فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحيى محبا أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

(قلت) وسيأتى الجواب في الخـاتمة عن إنكار من أنكر هذه الحكاية وأشباهها إن شاء الله تعالى

الحكاية الثامنة عشرة بعد المائة

روى أن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه كان يعمل في الحصاد ويحفظ البساتين فجاء يوما جندى وطلب منه أن يعطيه شيئا من الفواكه فأبى أن يعطيه فقلب الجندى سوطه وضرب رأسه فطأطأ له إبراهيم رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله عز وجل فلما عرفه الجندى اعتذر إليه فقال إبراهيم إن الرأس الذي يحتاج إلى الاعتذار تركته ببلخ (وقال) رضى الله عنه لرجل وهو في الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أولاها تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة، والثانية تغلق باب العز وتفتح باب الذل والثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت وأنشدوا:

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا ... أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

الحكاية التاسعة عشرة بعد المائة عن عبدالله بن المبارك رضى الله عنه

قال كنت بمكة وقد لحق الناس قحط واستمر إمساك المطر عنهم فخرج الناس يستسقون في المسجد الحرام ولم يبق أحد من الصغار والكبار وكنت في الناس مما يلى باب بنى شيبة وإذا بعبد أسود قد أقبل عليه قطعتا خيش وقد اتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فانتهى إلى موضع خفى بحذائى فسمعته يقول إلهى قد أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال وقد منعتنا غيث السماء لتؤدب الخليقة بذلك فأسألك ياحليما ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى استوت السماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبح وأخذت أبكى فلما قام اتبعته حتى عرفت موضعه.

فجئت إلى الفضيل بن عياض رضى الله عنه فقال مالى أراك كئيبا قلت سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا قال وما ذاك فقصصت عليه القصة فصاح وسقط وقال: ويحك يا ابن المبارك خذني إليه فقلت قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه.

فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا شيخ على الباب قد بسط له وهو جالس فلما رآنى عرفني وقال مرحبا بك يا أبا عبدالرحمن ما حاجتك فقلت له احتجت إلى غلام أسود فقال نعم عندى عدة فاختر أيهم شئت وصاح يا غلام فخرج غلام جلد فقال هذا محمود العاقبة أرضاه لك فقلت ليس هذا حاجتى فما زال يخرج لى واحدا بعد واحد حتى أخرج لي الغلام المذكور فلما بصرت به بدرت له عيناى بالنظر فقال هذا هو قلت نعم قال ليس لى إلى بيعه من سبيل فقلت ولم قال قد تبركت بموضعه في هذه الدار وذلك أنه لا يرزؤني شيئا.

قلت ومن أين طعامه قال يكتسب من فتل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قوته فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم وأخبرنى الغلمان عنه أنه لا ينام الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم وهو مهتم بنفسه وقد أحبه قلبى فقلت انصرف إلى سفيان الثورى وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة.

فقال إن ممشاك عندى كبير خذه بما شئت فاشتريته وأخذت به نحو دار الفضيل فمشيت ساعة ثم قال يا مولاى قلت لبيك فقال لا تقل لي لبيك فإن العبد أولى بأن يلبى مولاه قلت ما حاجتك يا حبيبي قال أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد كان لك في غيرى سعة وقد أخرج إليك من هو أجلد منى فقلت لا يرانى الله تعالى أستخدمك ولكن أشترى لك منزلا وأزوجك وأخدمك أنا بنفسي فبكى بكاء كثيراً فقلت ما يبكيك فقال أنت تفعل بي هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تبارك وتعالى وإلا فلم اخترتنى من بين أولئك الغلمان.

فقلت له ليس بي حاجة إلى هذا فقال سألتك بالله إلا أخبرتنى فقلت بإجابة دعوتك فقال لي أحسبك إن شاء الله تعالى رجلا صالحا إن لله عز وجل خيرة من خلقه ولا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلا من ارتضى من خلقه ثم قال ترى أن تقف على قليلا فإنه قد بقيت على ركعات من البارحة فقلت هذا منزل فضيل قريب قال لا ههنا أحب إلىّ أمر الله عز وجل لا يؤخر فدخل المسجد فما زال يصلى حتى أتى على ما أراد ثم التفت إلى وقال يا أبا عبدالرحمن هل من حاجة قلت لم قال إني أريد الانصراف قلت إلى أين قال إلى الآخرة فقلت لا تفعل دعنى أسر بك فقال إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه فأما إذا اطلعت عليها فسيطلع عليها غيرك ولا حاجة لي في ذلك ثم خر لوجهه فجعل يقول إلهى اقبضنى الساعة الساعة فدنوت منه فإذا هو قد مات.

فوالله مـا ذكرته قط إلا طال حـزنى وصغـرت الدنيا في عـيني رضى الله عنه ونفعنا به (قلت) وفي أمثاله أقول:

عـبـيـد لمولاهم تـعـالى وغـيـرهم   عـبـيـد الهوى بين الفـريقين كالثـرى
وعلو الثـريا في ارتفـاع مـقـامـهم   بهم يـدفع الله البـلايـا عن الورى

الحكاية العشرون بعد المائة
عن محمد بن الحسين البغدادي رضى الله عنه

قال حـجـجت في بعض السنين فبـينما أنا أدور في شـوارع مكة وإذا أنا بشيخ قابض على يد جارية متغير لونها نحيل جسمها وعلى وجهها نور ساطع وضياء لامع وهو ينادى هل من طالب هل من راغب هـل من زائد على عشـرين دينارا وأنا برىء من كل عيب قال فدنوت منه وقلت له الثمن عرفناه فما العيب.

قال اعلم أنها جارية مهـيومة مهمومة قائمة ليلها صـائمة نهارها لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا قد ألفت الانفراد والوحدة في كل أرض وبلدة.

فلما سمعت كلامه أحب قلبي الجارية فاشتريتها بالثمن المذكور ورحت بها إلى منزلي فرأيت الجارية مطرقة إلى الأرض ثم رفعت رأسها إلى وقالت يامولاى الصغير من أين أنت يرحمك الله قلت من العراق قالت من أي من العراق من البصرة أم من الكوفة فقلت لهـا لا من البصرة ولا من الكوفة فقالت لعلك من مـدينة السلام بغداد قلت نعم قالت بخ بخ مدينة الزهاد والعباد قال فتعجبت وقلت جارية ينادى عليها من حجرة إلى حجرة من أين لها معرفة بالزهاد والعـباد ثم أقبلت عليها شبه الملاعب لها وقلت لها ومـن تعرفين منهم قالـت أعرف مالك بن دينار، وبشـر الحافي، وصـالحا المرى، وأبا حاتم السـجستانى، ومـعروفا الكرخى، ومـحمد بن الحسين البـغدادى، ورابعة العدوية، وشعوانة، وميمونة.

فأقبلت عليها وقلت لها من أين لك معرفة هؤلاء قالت يا فتى كيف لا أعرفهم وهم والله أطباء القلوب ومن يدل المحب على المحبوب ثم أنشدت تقول:

قـوم هـمـمـهم بالله قـد علقت   فـمـا لهم همـم تسـمـو إلى أحـد
فـمطلب القـوم مولاهم وسـيـدهم   يا حـسن مطلبـهم للواحـد الصمـد
مـا إن تنـازعـهم دنيـا ولا شـرف   مـن المطـاعم والـلـذات والـولـد
ولا لبـاس لثـوب فـائـق أنق   ولا التـزيد في الأمـوال والعـدد

قال فـقلت لها ياجارية أنا مـحمد بن الحـسين قالت لقد سـألت الله تعالى أن يجمع بـينى وبينك يا أبا عبـدالله ما فعل حـسن صوتك الذى كنت تحـيي به قلوب المريدين وتبكي به عيـون السامعين فقلت باق على حـاله قالت فبالله عليـك أسمعنى شيئا من القرآن فقرأت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها فرشـشت على وجهها الماء فأفاقت ثم قالت يا أبا عـبدالله هذا اسمه فكيف لو عرفته وفي الجنان رأيته اقرأ يرحمك الله فقرأت ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجـعلهم كـالـذين آمنوا وعـملوا الصـالحـات سـواء مـحـيـاهـم ومماتهم سـاء مـا يحكمون﴾[١] فقـالت ياأبا عبدالله مـا عبدنا وثنا ولا قـبلنا صنما اقـرأ يرحمك الله فقرأت ﴿إنا أعتدنا للظـالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يسـتغيثوا يـغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾[٢].

فقالت ياأبا عـبدالله لقد ألزمت نفسك القنوط روح قـلبك بين الرجاء والخوف اقرأ يرحمك الله ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضـاحكة مستبشرة[٣]) وقرأت أيضـا (وجوه يومئذ ناضـرة إلى ربها ناظرة﴾[٤] فقـالت واشوقاه إلى لقائه يوم تجلى لأوليـائه اقرأ يرحمك الله فقرأت ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾[٥] إلى قوله ﴿لأصحاب اليمين﴾ فقالت يا أبا عبدالله أراك قد خطبت الحور العين فهل بذلت من مهورهن شـيئا فقلت دليني يا جارية فإنى مفلس فـقالت عليك بقـيام الليل وصـيام النهار وحب الفـقراء والمسـاكين ثم أنشأت تقول:

ياخـاطب الحـوراء في خـدرها … وطالبـا ذاك عـلى قـدرها
انهـض بجـد لا تكـن وانيـا … وجـاهد الـنفس على صـبـرها
وقـم إذا الـلـيـل بـدا شـطـره … وصم نهـارا فـهـو من مـهـرها
فلـو رأت عـينـاك إقـبـالهـا … وقـد بـدت رمـانتـا صـدرها
وهـي تماشـى بـين أترابـهـا … وعـقـدها يشـرق فـي نحـرها
لهـان في عـيـنيك هـذا الذى … تـراه في دنيـاك مـن زهرهـا

(١) الجاثية : الآية ٢١.
(٢) الكهف : الآية ٢٩.
(٣) عبس : الآيتان ٣٨، ٣٩.
(٤) القيامة : الآيتان ٢٢، ٢٣.
(٥) الواقعة : الآيات : ١٧ - ١٩.

قال ثم غشى عليها فرششت على وجهها الماء ثم أنشأت تقول:

إلهى لا تعــــذبنى فــــإنـى   مــقــر بالذي قــد كــان منى
فـكـم مـن زلـة لي فـي الخـطـايـا   غــفــرت وأنت ذو فــضل ومن
يظـن الناس بـى خــيــرا وإني   لشـــر الـناس إن لم تـعف عـنى
ومـــالـي حـــيلة إلا رجـــائى   لعـفـوك إن عـفـوت وحـسن ظنى

قال ثم غـشى عليها فـدنوت منها فـإذا هى قد ماتت رحـمة الله تعالى عليـها فاغتمـمت لذلك غما شديدا وخرجت إلى السوق لآخذ في جـهازها فلما رجعت إذا هي قد كـفنت وحنطت وعليها حلتـان خضراوان من حلل الجنة مـكتوب بالنور على الكفن سطران:

السطر الأول - لا إله إلا الله محمد رسول الله.

السطر الثاني - ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

قال فحملناها أنا وأصحابي وصلينا عليها ودفناها وقرأت عند رأسها سورة يس ورجعت إلى مـحرابي باكي العين حـزين القلب على فراقهـا فصليت ركـعتين ونمت فرأيت الجـارية في الجنة وعليهـا الحلل وهي في مرج من زعفـران أفيح عليـها حلل السندس والإستبرق وعلى رأسها إكليل مـرصع بالدر والجوهر وفي رجليها نعلان من الياقـوت الأحمر يفوح منهـا رائحة المسك والعنبر وجهـها أضوأ من الشمس والـقمر فقلت لها مهلا يا جارية.

ما الذي أبلغك هذه المنزلة قالت حب الفقراء والمساكـين وكثرة الاستغفار ونقل الأذى عن طريق المسلمين ثم أنشأت تقول:

طوبى لمن سـهـرت في الليل عـيناه   وبات ذا قـلق فـي حب مـــــولاه
وناح يومـــا عـلى تفـريطـه وبكى   خــوفـــا لما قـــد جناه من خـطاياه
وقـــام يرعى نجـــوم الليل منفـــردا   خـوف الوعـيـد وعـين الله ترعـاه

الحكاية الحادية والعشرون بعد المائة عن أحد أهل العلم

قال كانت تختلف إلى في بعض الأحيان جارية لها وضاءة وعليها حياء تسألنى عن شرائع الإسـلام وأمور الدين فأجـيبهـا وألطف بها وكان حـالها يميل الى التسـتر والكتمان وكان يعجـبنى سمتها وحسن حالها فبينمـا أنا بعد مدة مار بالسوق إذ رأيت الجارية وقد قبض على يدها إنسان وهو ينادى عليها من يشترى الجارية بعيبها.

(١) يونس : الآية ٦٢.

فقلت لها ألست التى كنت تسألينني عن أمور الدين وشرائع الإسلام فأطرقت رأسها وأشارت به نعم فقلت له خل يدك عنها فقال ياسيدي لا أقدر فإن سيدها مجوسى وقد أغضبته فبينما أنا أتكلم معه إذ بسيدها قد أقبل فتقدمت إليه وقلت له صف لى صفة جاريتك واذكر لى ما الذى تكرهه منها قال أخبر الشيخ أن الأبعد مجوسى يعبد النار والنور وقد كنت استحسنت هذه الجارية لما رأيت من عقلها وجمالها فاشتريتها بثمن جزيل وكنت أراها كثيرة العبادة والتعظيم لمعبودنا محبة طائعة لآلهتنا حتى كانت ليلة من الليالى مر بنا رجل من أهل ملتكم وقرأ شيئا من كتابكم فما هو إلا أن سمعت ما قرأه فصاحت صيحة عظيمة فدهشنا وأنشدت:

طق السمع يا أهيل المصلى ... خبر منكم فزاد اشتياقى
محكم النقل قد روته ثقات ... مسند بالرواة والاتفاق
عندما شمت بارقا من حماكم ... حن قلبى إلى لذيذ التلاقى
وكتمت الوشاة ما بى من الوجد ... ومن لوعتى وحر احتراقى
أنا أفنى بكم وتبلى عظامى ... ورسيس الغرام في القلب باقى

قال فدهشنا وهى باهته نسألها فلم ترد لنا جوابا إلا إنها هجرتنا وتركت عبادة آلهتنا وأبت أن تأكل طعامنا وإذا جن عليها الليل صلت إلى قبلتكم وكم نهيناها فلم تنته وقد أذهبت نضارتها وغيرت حالها ولم يحصل لنا بها انتفاع ولم نستطع أن نردها عما هى عليه وقد عزمت على بيعها قال فقلت لها الأمر كذلك فأشارت برأسها نعم فقلت في نفسى إنما عابها من جهلها فأنشدت:

يعيبون مالو أنهم فطنوا به ... لكانوا أشد الناس حبا لما عابوا

فقلت لها أى آية قرئت عليك قالت قول ربكم تبارك وتعالى ﴿ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين، ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إنى لكم منه نذير مبين﴾[(١)] قالت فمنذ سمعت هذا عدمت صبرى وظهر بي ما ترى من أمرى وأنشدت:

ما بين منعرج اللوى والوادى ... يا صاحبى ضحى عدمت فؤادى
ورجعت ذا وله وكم من عاشق ... مقتول عشق ماله من فادى
يا أهل نجد ارحموا ذا لوعة ... ما بين أطناب الخيام ينادى
ولهان لا يصغى لعذل عواذل ... ظمآن من ماء التواصل صادى
ما هب لى منكم نسيم مخبر ... بالوصل فيه منائح الإسعاد

---

(١) سورة الذاريات : ٥٠ ، ٥١.

إلا سـعـيت مـبـادرا للقـاكم ومنعت عـينى من لـذيذ رقـادى
وإذا نطقت بـذكـر غـزلان النـقـا أوزينـب أو علـوة وسـعـاد
فـلأنتـم قـصـدى وغـاية مـطلبى ولأنتـم دون الجـمـيـع مـرادى
لا شيء يشـبـهكم تعـالى ذكـركم عن قـول ذى زيـغ وذى إلحـاد

قال فقلت لها لو أسمعتك تمام الآيات فقالت إن كنت تحسنها فاقرأها فقرأت عليها حتى انتهيت إلى قوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**(١).

فقالت أحسنت حسبك ما ضمنه الإله المعبود ثم قلت لسيدها هل لك أن تقبض ثمنها منى فقال إن ثمنها جزيل ولى ابن عم قد تعلق بها وقصدنى فيها يروم أن ترجع عما هي عليه من الخاطر الذى قد اعتراها وهو مجوسى من أهل الملة.

قال فبينما هو يخاطبنى وإذ قد أقبل ابن عمه فقال أنا أردها عما هى عليه فدفعها إليه فلما علمت ذلك قالت لى يا شيخ لا تسمع كلامه ليكونن لى وله شأن عظيم يطلعك إلهك عليه فلما كان بعد مدة رأيت سيدها المجوسي الذي ذهب بها يصلى معنا في المسجد فقلت له ألست سيد الجارية قال بلى قلت كيف كان الخبر قال خير خبر، مضيت بالجارية إلى منزلى وخرجت لحاجة فلما رجعت وجدتها قد نصبت كرسيا وجلست عليه وجعلت تذكر الله تعالى وتوحده وتحذر أهلى وتنهاهم عن عبادة النار وتصف الجنة فخشيت أن تفسد علينا ديننا فقلت أخذت هذه الجارية طمعا أن أفسد عليها دينها فإذا هى تفسد علينا ديننا وقصصت قصتها على صاحب لي وقلت له ما تشير على أن أفعل.

قال أودعها مالا وخذه من ورائها واطلبه منها لتثبت لك عليها الحجة ثم اضربها قال فأودعتها كيسا فيه خمسمائة دينار فاشتغلت على عادتها في عبادتها فأخذت الكيس وهى لا تشعر وطلبته منها فوثبت إلى الموضع الذى وضعته فيه وإذا بالكيس في موضعه فناولتنى أياه فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي أنا أخذت الكيس وهذا آخر فلا شك بعد العيان هذا يدل على قدرة إلهها الذي تعبده فآمنت بإلهها وأسلمت أنا وصاحبي وأهلى كلهم وأطلقت سبيلها كما اختارت رضى الله عنها ونفع بها وما زالت تكتم الغرام حتى أظهر الله تعالى حالها للأنام كما أنشد لسان حالها:

---

(١) سورة الذاريات: الآيات: ٥٦ - ٥٨..

كـتمت الوشاة غرامى بكم / وحبكم في حشا أضلعى
وموهت عنكم بوادى النقا / وسكان رامة والأجرع
ولولاكم ما ذكرت اللوى / ولا حن قلبى إلى لعلع

الحكاية الثانية والعشرون بعد المائة عن سرى السقطى رضى الله عنه

قال سهرت ليلة من الليالي وقلقت قلقا شديدا فلم أطق الغمض مع ما حرمته من التهجد فلما صليت صلاة الصبح خرجت لا يقر لى قرار فوقفت في الجامع أستمع بعض القصاص لعلى أجد لقلبى راحة فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فمضيت ووقفت ببعض الوعاظ فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فقلت أمضى إلى بعض أطباء القلوب ومن يدل المحب على المحبوب فمضيت فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فقلت أفضى إلى أهل الشرط أعتبر بمن يعاقب فى الدنيا فمضيت فوجدت قلبى لا يزداد إلا قساوة فقلت أمضى إلى المارستان لعلى أتروع وأنزجر بمن ابتلى فلما ولجت المارستان وجدت قلبى قد انفسح وصدرى قد انشرح وإذا أنا بجارية من أنضر الناس وجها عليها أطمارحسنة رفيعة وشممت منها رائحة عطرية عفيفة المنظر وسيمة الخطر وهى مقيدة الرجلين مغلولة اليدين فلما رأتنى تغرغرت عيناها بالدموع وأنشأت تقول:

اعيذك أن تغل يدى / بغير جريمة سبقت
تغل يدى إلى عنقى / وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد / أحس بها قد احترقت
وحقك يا منى قلبى / يمينا برة صدقت
فلو قطعتها قطعا / وحقك عنك ما رجعت

قال السرى رضى الله عنه فلما سمعت كلامها قلت لصاحب المارستان ما هذه قال مملوكة اختل عقلها فحبسها مولاها لعلها تنصلح، فلما سمعت كلام القيم أغرورقت عيناها بالدموع ثم جعلت تقول:

معشر الناس ما جننت ولكن / أنا سكرانة وقلبى صاحى
أغللتم يدى ولم آت ذنبا / غير جهدى في حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب / لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى زعمتم فسادى / وفسادى الذي زعمتم صلاحي
وما على من أحب مولى الموالى / وارتضاه لنفسه من جناح

قال السرى رضى الله عنه فسمعت كلاما أقلقنى وأشجانى وأحرقنى وأبكانى فلما رأت دموعى قالت ياسرى هذا بكاؤك على صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ثم أغمى عليها ساعة فلما أفاقت جعلت تقول:

ألبستنى ثوب وصل طاب ملبسه فأنت مولى الورى حقا ومولائي
كانت بقلبى أهواء مفرقة فاستجمعت مذرأتك العين أهوائى
من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبى حزين على ما فات من زللى والنفس في جسدى من أعظم الداء
والشوق في خاطرى منى وفي كبدى والحب منى مصون في سويدائى
إليك منك قصدت الباب معتذرا وأنت تعلم ما ضمته أحشائى

فقلت لها ياجارية قالت لبيك يا سرى قلت من أين عرفتنى قالت ما جهلت مذ عرفت ولا فترت مذ خدمت ولا انقطعت مذ وصلت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا، قلت أسمعك تذكرين المحبة فمن تحبين قالت لمن تعرف إلينا بنعمائه وجاد علينا بجزيل عطائه، فهو قريب إلى القلوب مجيب لطلب المحبوب سميع بديع عليم حكيم جواد كريم غفور رحيم فقلت لها من حبسك ههنا، فقالت ياسرى حاسدون تعاونوا وتعاقدوا وتراسلوا، ثم شهقت شهقة حتى ظننت أنها فارقت الحياة ثم أفاقت وأنشأت تقول:

قلبى أراه إلى الأحباب مرتاحا سكران من راح حب بالهوى باحا
ياعين جودى بدمع خوف هجرهم فرب دمع أتى للخير مفتاحا
ورب عين رآها الله باكية بالخوف منه تنال الروح والراحا
لله عبد جنى ذنبا فأحزنه فبات يبكى ويذرى الدمع سفاحا
مستوحش خائف مستيقن فطن كأن في قلبه للنور مصباحا

قال السرى رضى الله عنه فقلت لقيم المارستان أطلقها ففعل فقلت اذهبى حيث شئت، قالت يا سرى إلى أين أذهب ومالى عنه مذهب إن حبيب قلبى قد ملكنى لبعض مماليكه فإن رضى مالكى ذهبت وإلا صبرت واحتسبت فقلت هذه والله أعقل منى فبينما هى تخاطبنى إذ دخل مولاها فقال للقيم أين تحفة قال هى داخل وعندها سرى السقطى رضى الله عنه.

قال: ففرح ودخل وسلم على ورحب بى وعظمنى فقلت له هى أولى بالتعظيم منى فما الذى تكره منها فقال أمور كثيرة لا تأكل ولا تشرب ذاهلة العقل مدهوشة اللب ولا تنام ولا تدعنا ننام كثيرة الفكرة سريعة العبرة ذات زفرة وحنين وبكاء وأنين

وهى بضاعتى اشتريتها بكل مالى بعشرين ألف درهم وأملت أن أربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها قال قلت وما صنعتها قال مطربة قلت ومنذ كم كان بها هذا الداء قال منذ سنة قلت وما كان بدؤه قال بينما العود في حجرتها وهى تغنى وتقول:

وحقك لا نقضت الدهر عهدا ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا فكيف ألذ أو أسلو وأهدا
فيامن ليس لى مولى سواه تراك تركتنى في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت وانتحبت فاتهمتها بمحبة إنسان فكشفت عن ذلك فلم أجد له أثرا فقلت لها أهكذا كان الحديث فأجابتنى بلسان طلق وقلب محترق وهى تقول:

خاطبنى الحق من جنانى فكان وعظى على لسانى
قربنى منه بعد بعد وخصنى الله واصطفانى
أجبت لما دعيت طوعا ملبيا للذى دعانى
وخفت مما جنيت قدما فوقع الحب بالأمانى

قال السرى رضى الله عنه فقلت على الثمن وأزيدك فصاح وقال وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية وأنت رجل فقير فقلت له لا تعجل على تكون في المارستان حتى آتى بثمنها ثم ذهبت باكى العين حزين القلب ووالله ما عندى من ثمنها درهم وبقيت طول الليل أتضرع وأبكى وأدعو إلى الله عز وجل فلم أطعم غمضا وأقول يا رب إنك تعلم سرى وجهرى وقد عولت على فضلك فلا تفضحنى عند مالكها، فبينما أنا في المحراب وإذا بقارع يقرع الباب فقلت من بالباب فقال حبيب من الأحباب جاء في سبب من الأسباب بأمر الملك الوهاب ففتحت الباب وإذا برجل معه أربعة غلمان وشمعة فقال يا أستاذ أتأذن لى في الدخول فقلت ادخل فدخل فقلت له من أنت، فقال أنا أحمد بن المثنى قد أعطانى من إذا أعطى لا يبخل بالعطاء كنت الليلة نائما فهتف بى هاتف يقول احمل خمس بدرات إلى السرى تطيب بها نفسه ويشترى بها تحفة فإن لنا بها عناية فسجدت شكرا لله على ما أولانى من نعمة وجلست أتوقع الفجر فلما صليت الصبح خرجت وأخذت بيد أحمد ومضيت به إلى المارستان فإذا الموكل بها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآنى قال مرحبا ادخل فإن لها عند الله تعالى عناية هتف بى البارحة هاتف وهو يقول:

إنها منا ببال ليس تخلو من نوال
قربت ثم ترقت وعلت في كل حال

قال السرى رضى الله عنه فلما رأتنا تحفة تغرغرت عيناها بالدموع وقالت شهرتنى بين المخلوقين ثم أنشأت تقول:

قد تصبرت إلى أن	عيل في حبك صبري
ضاق من قيدى وغلى	وامتهانى فيك صدرى
ليس يخفى عليك أمرى	يا منى سؤالى وذخرى

قال فبينما نحن جلوس إذ دخل مولاها وهو باكي العين حزين القلب متغير اللون فقلت له لاتبك فقد جئناك بما وزنت وربح خمسة آلاف فقال لا والله فقلت ربح عشرة آلاف فقال لا والله فقلت وربح المثل فقال لو أعطيتنى الدنيا ما قبلت هى حرة لوجه الله تعالى، فقلت له ما القصة فقال يا أستاذ وبخت البارحة أشهدك أنى قد خرجت من جميع مالى هاربا إلى الله تعالى اللهم كن لى في السعة كفيلا وبالرزق حميلا فالتفت إلى ابن المثنى فرأيته يبكى فقلت له ما يبكيك فقال كأن الحق مارضينى لما ندبنى إليه أشهدك أنى قد تصدقت بجميع مالى لوجه الله تعالى فقلت ما أعظم بركة تحفة على الجميع فقامت تحفة فنزعت ما كان عليها ولبست مدرعة من شعر وخرجت وهى تبكى فقلنا لها قد أطلقك الله تعالى فما يبكيك فأنشأت تقول:

هربت منه إليه	بكيت منه عليه
وحقه وهو سؤلى	لا زلت بين يديه
حتى أنال وأحظى	بما رجوت لديه

قال ثم خرجنا من الباب فلما سرنا في بعض الطريق طلبناها فلم نجدها ومات ابن المثنى فى الطريق ودخلت أنا ومولاها مكة فبينما نحن في الطواف إذ سمعت كلام مجروح من كبد مقروح وهو يقول:

محب الله في الدنيا سقيم	تطاول سقمه فدواه داه
سقاه من محبته بكأس	فأرواه المهيمن إذ سقاه
فهام بحبه وسما إليه	فليس يريد محبوسا سواه
كذاك من ادعى شوقا إليه	يهيم بحبه حتى يراه

قال فتقدمت إليها فلما رأتنى قالت ياسرى قلت لبيك من أنت يرحمك الله قالت لا إله إلا الله وقع التناكر بعد المعرفة أنا تحفة فإذا هى كالخيال فقلت يا تحفة ما

الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت آنسنى بقربه وأوحشنى من غيره فقلت لها مات ابن المثنى فقالت رحمه الله لقد أعطاه مولاى من الكرامات مالا عين رأت ولا أذن سمعت وهو بجوارى في الجنة فقلت جاء مولاك الذى أعتقك معى فدعت بدعاء خفى فلم يكن بأسرع ما عاينتها تلقاء الكعبة ميتة فلما نظرها سيدها لم يتمالك أن سقط على وجهه فحركته فإذا هو قد قضى نحبه فأخذت في جهازهما ودفنتهما رحمة الله عليهما.

الحكاية الثالثة والعشرون بعد المائة عن أبى هاشم المذكور رحمه الله

قال أردت البصرة فجئت إلى سفينة أكتريها وفيها رجل ومعه جارية فقال الرجل ليس ههنا موضع لك فسألته الجارية أن يحملنى ففعل فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع فقال ادعوا ذلك المسكين ليتغدى معنا فجئت على أنى مسكين فلما تغدينا قال ياجارية هاتى شرابك فشرب وأمرها أن تسقينى فقلت يرحمك الله إن للضيف حقا فتركنى فإذا دب فيه النبيذ قال ياجارية هاتى عودك وهاتي ماعندك فأخذت العود فغنت وقالت:

وكنا كغصنى بانة ليس واحد	يزول على الحالات عن رأى واحد
تبدل بى خلا فخاللت غيره	وخليته لما أراد تباعدى
فلو أن كفى لم تردنى أبنتها	فلم يصحبنها بعد ذلك ساعدى
ألا قبح الرحمن كل ممالق	يكون أخا في الخصب لا في الشدائد

فالتفت إلى الرجل وقال أتحسن مثل هذا فقلت أحسن خيرا منه فقرأت:

﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت﴾(١).

فجعل الشيخ يبكى فلما انتهيت إلى قوله تعالى: **﴿وإذا الصحف نشرت﴾**(٢).

قال ياجارية اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى وألقى ما معه من الشراب في الماء وكسر العود ثم عاد إلى فاعتنقنى وقال ياأخى أترى أن الله يقبل توبتى فقلت إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وواخيته في الله واصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة حتى مات فرأيته في المنام فقلت له إلى ماذا صرت فقال إلى جنة المأوى فقلت بماذا قال بقراءتك على **﴿وإذا الصحف نشرت﴾** وأنشدوا:

---

(١) سورة التكوير: الآيات ١ - ٤.   (٢) سورة التكوير: الآية: ١٠.

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا ... والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
فإنما المرء في الدنيا على خطر ... إن لم يكن ميتا في اليوم مات غدا

الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائة
عن إسماعيل بن عبدالله الخزاعى رحمه الله.

قال قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية فلما صار في دجلة إذا بفتى على ساحل دجلة عليه جبة صوف وبيده عكازه ومزود، فسأل الملاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء فأشرف المهلبى فلما رآه رق له وقال للملاح قرب واحمله معك على الطلل فحمله فلما كان وقت الغداء دعا بالسفرة وقال للملاح قل للفتى يأتى يتغدى معنا فأبى أن يأتى إليه فلم يزل يطلب إليه حتى أتى فأكلوا حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم فمنعه الرجل ثم دعا بالشراب فشرب قدحا ثم سقى الجارية قدحا ثم عرض على ا لفتى فأبى فسقى الجارية وقال هاتى ما عندك فأخرجت عودا لها في غشاء فهيأته وأصلحته ثم غنت فقالت يا فتى تحسن مثل هذا قال أحسن ما هو أحسن من هذا فافتتح الفتى وقرأ:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[(١)] وكان الفتى حسن الصوت فرمى الرجل بالقدح في الماء وقال أشهد أن هذا أحسن مما سمعت فهل غير هذا قال نعم **﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾**[(٢)] فوقعت في قلبه موقعا فرمى ظرف الشراب بما فيه في الماء وكسر العود ثم قال يا فتى أههنا فرج قال نعم **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾**[(٣)] فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فنظروا فإذا هو قد فارق الدنيا رحمه الله وكان رجلا معروفا فحمل إلى منزله واجتمع الناس فما رأيت جنازة أكثر جماعة من جنازته رحمه الله تعالى، قال وبلغنى أن الجارية المغنية تدرعت الشعر فوق الصوف وجعلت تصوم النهار وتقوم الليل فمكثت أربعين يوما ثم مرت بهذه الآية في

---

(١) سورة النساء الآية ٧٧، ٧٨.
(٢) سورة الكهف الآية ٢٩.
(٣) سورة الزمر الآية ٥٣.

بعض الليالي ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفرإنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾.

فلما كان الصبح وجدوها ميتة رحمها الله تعالى.

الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائة عن أحدهم

قال كنا نمشى على شاطئ الأبلة في الليل والقمر طالع فمررنا بقصر جندى وفيه جارية تضرب بالعود وإلى جانب القصر فقير عليه خرقتان فسمع الفقير الجارية وهى تغنى وتقول:

في سبيل الله ود ... كان منى لك يبذل
كل يوم تتلون ... غير هذا بك أجمل

فصاح الفقير فقال أعيديه يا جارية بحق مولاك الكبير فهذا حالى مع الله تعالى فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها اتركى العود وأقبلى عليه فإنه صوفى فجعلت تقول البيتين وترددهما والفقيريقول هذا حالى مع الله تعالى والجارية تقول وتردد إلى أن صاح الفقير صيحة وخر مغشيا عليه قال فحركناه فإذا هو ميت رضى الله عنه، فنزل صاحب القصر فأدخله القصر فاغتممنا عليه وقلنا هذا يكفنه بكفن غير طيب فصعد الجندى صاحب القصر وكسر كل ما كان بين يديه فقلنا ما بعد هذا إلا خير فمضينا إلى الأبلة وأعلمنا الناس فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة فكأنما نودى في البصرة حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم والجندى يمشى خلف الجنازة حافيا حاسر الرأس حتى دفن فلما هم الناس بالانصراف. قال الجندى للقاضى والشهود اشهدوا أن كل جارية لى حرة لوجه الله تعالى وكل ضياعى وعقارى حبس في سبيل الله وفي صندوقى أربعة آلاف دينار وهى في سبيل الله عز وجل ثم نزع الثوب الذى كان عليه فرمى به وبقى فى سراويله فأعطى ثوبين اتزر بواحد واتشح بالآخر وهام على وجهه فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم على الميت.

وقال بعضهم رأيت في تيه بنى إسرائيل رجلا قد أنحلته العبادة حتى صار كالشن البالى فقلت ما الذي بلغ بك إلى هذه الحالة فنظر إلى متعجبا من سؤالى فقال يا هذا ثقل الأوزار وخوف النار والحياء من الملك الجبار قال بعضهم في ذلك:

لما ذكرت عذاب النار أزعجنى ... ذاك التذكر على أهلى وأوطانى
وصرت في القفر أرعى الوحش منفردا ... كما ترانى على وجدى وأحزانى
وذا قليل لمثلى بعد جرأته ... فما عصى الله عبد مثل عصيانى
نادوا على وقولوا في مجالسكم ... هذا المسيء وهذا المجرم الجانى
فما أرعويت ولاقصرت من زللى ... ولا غسلت بماء الدمع أجفانى

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائة
عن عبد الله بن الأحنف رحمه الله تعالى

قال خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الروذبارى رضى الله عنه فرآنى عيسى ابن يونس المصرى رحمه الله فقال لى هل أدلك قلت نعم فقال عليك بصور فإن فيها شيخا وشابا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت إليهما نظرة لأغنتك باقى عمرك، قال فدخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على ما يسترنى من الشمس فوجدتهما مستقبلين القبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى فقلت أقسمت عليكما بالله ألا ما كلمتمانى فرفع الشيخ رأسه وقال ياابن الأحنف ما أقل شغلك حتى تفرغت إلينا ثم أطرق فأقمت بين يديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عنى الجوع والعطش فقلت للشاب علمنى بشئ أنتفع به فقال نحن أهل المصائب ليس لنا العظة فأقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليهن لم نأكل فيها ولم نشرب فلما كان عشية اليوم الثالث قلت في نفسى لابد من سؤالهما في وصية أنتفع بها باقى عمرى فرفع الشاب رأسه، وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما رضى الله عنهما ونفع بهما وأنشد لسان الحال:

شدوا المطايا قبيل الصبح وارتحلوا   وخلفونى على الأطلال أبكيها

الحكاية السابعة والعشرون بعد المائة
عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال رأيت إبليس في المنام نعوذ بالله منه وهو عريان فقلت له أما تستحيى من الناس فقال أهؤلاء عندك من الناس فقلت نعم قال لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم تلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غير هؤلاء قلت من هم قال قوم في مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى كلما هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أحترق.

قال الجنيد رضى الله عنه فلما استيقظت من النوم أتيت ذلك المسجد فإذا أنا بثلاثة رجال قد جعلوا رءوسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بى أخرج واحد منهم رأسه وقال يا أبا القاسم لا يغرنك حديث إبليس الخبيث لعنه الله ثم رد رأسه رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائة عن الجنيد أيضا رضى الله عنه

قال كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن سؤال الناس كان أجمل فلما انصرفت

إلى منزلى وكان لى شيء من الورد في الليل من البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد وغلبتنى عينى فنمت فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبته إنما قلت في نفسى شيئا فقيل لى ما أنت ممن نرضى منك بمثله اذهب فاستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء أوراقا مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال هل تعود يا أبا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائة عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال كنت في جبل لكام فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه وأخذت منه واحدة فشققته فوجدته حامضا فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم قلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء قلت له أرى لك مع الله تعالى حالا فلو سألته أن يقيك ويحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك مع الله تعالى ما لا فلو سألته أن يقيك ويحميك من شهوة الرمان فإن لدغ شهوة الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا قال إبراهيم فتركته ومشيت وأنشد في ذلك :

نون الهوان من الهوى مسروقة   فأسير كل هوى أسير هوان

(قلت) قوله من عرف الله لا يخفى عليه شيء أى شيء توجه إليه أو قصده أو تعلق به أو أطلعه الله تعالى عليه أو نحو ذلك من تخصيص اللفظ العام الواقع في الكلام الفصيح إذ لا يمكن حمل لفظه على العموم وقد قال الشيوخ العارفون المحققون رضي الله عنهم يجوز أن يعرف العارف بالله تعالى الأشياء من حيث التفصيل.

الحكاية الثلاثون بعد المائة عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه

قال كنت ببغداد وهناك جماعة من الفقراء فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الخلقة حسن الوجه فقلت لأصحابه يقع لي أنه يهودي فكره الأصحاب قولي فخرجت وخرج ثم رجع إليهم وقال أيش، قال الشيخ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا قال الشيخ إنك يهودي قال إبراهيم فجاءني وأكب على يدي وأسلم فقيل له في ذلك فقال نجد في كتبنا أن الصديق لا يخطئ فراسته فقلت في نفسي أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة يوجد لأنهم يقولون بترك ما سوى الله فلما اطلع هذا الشيخ علي فتفرس في علمت أنه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية رضي الله عنه.

الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائة
عن أبى العباس بن مسروق رضى الله عنه

قال قدم علينا شيخ وكان يتكلم علينا في هذا الشأن بكلام حسن عذب بالخاطر الجيد ويقول لنا كل ما وقع لكم في خاطركم فقولوا لى فوقع في خاطرى أنه يهودى وكان الخاطر يقوى على ذلك ولا يزول فذكرت ذلك للجريرى فكبر ذلك عليه فقلت لابد أن أخبر الرجل بذلك فقلت له أما أنت فقلت لنا ما وقع لكم في خواطركم فقولوا لى وقد وقع في خاطرى أنك يهودى فأطرق رأسه ساعة ثم رفعه، وقال صدقت أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وقال لقد مارست جميع المذاهب وكنت أقول إن كان مع قوم شيء من الصدق فهو مع هؤلاء فداخلتكم لأختبركم فوجدتكم على الحق فحسن إسلامه رحمه الله.

الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائة
عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال كان السرى يقول لى تكلم على الناس وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس وكنت أتهم نفسى في استحقاق ذلك حياء فرأيت النبى ﷺ في المنام في ليلة جمعة فقال لى تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن أصبح فدققت عليه الباب فقال لى لم تصدقنا حتى قيل لك ذلك فقعد للناس في الجامع بالغداة فانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقفت عليه غلاما نصرانيًا متنكرًا وقال أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تبارك وتعالى، فأطرق الجنيد رأسه ثم رفعه فقال أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام وقطع الزنار وتاب الله عليه اللهم تب علينا ياكريم.

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائة

حكى عن الشبلى رضى الله عنه أنه خرج ذات يوم على أصحابه وكانوا أربعين رجلا فقال لهم ياقوم إن الله تبارك وتعالى قد تكفل بأرزاق العباد فقال عز من قائل **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**(١) فتوكلوا على الله عز وجل، وتوجهو إليه ولا تتوجهوا إلى سواه ثم تركهم ومضى فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشيء، فلما كان في اليوم الرابع دخل عليهم الشيخ فقال يا قوم إن الله تبارك وتعالى قد أباح السبب للعباد فقال عز من

(١) سورة الطلاق الآية ٢، ٣.

قائل: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾[١] فانظروا إلى أصدقكم نية فليخرج عسى أن يأتيكم بشيء من القوت فاختاروا واحدا منهم فقيرا فخرج يمشى فى جانبى بغداد فلم يفتح له بشيء من القوت فأخذه الجوع وأعياه المشى فجلس عند دكان طبيب نصرانى عليه من الناس خلق كثير وهو يصف لهم الأدوية فنظر إلى الفقير فقال ما بك وما علتك فكره أن يشكو الجوع إلى نصرانى، فمد يده فجسها فقال علتك هذه أنا أعرفها وأعرف دواءها ثم التفت إلى غلامه فقال له امض إلى السوق فائتنى برطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء، فمضى الغلام إلى السوق وأتاه بذلك فأخذه النصرانى وناوله الفقير وقال له هذا دواء مرضك عندى فقال له الفقير إن كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة في أربعين رجلا فقال النصرانى لغلامه ارجع الى السوق مسرعًا وائتنى بأربعين رطلا مثلما أتيتنى به فأسرع الغلام فأتى بذلك جميعه فأعطاه الفقير وأمر حمالا أن يحمله معه إلى موضعه، وقال للفقير اذهب به إلى الفقراء الأربعين الذين ذكرت فذهب الفقير والحمال معه إلى أن وصلا إلى أصحابه والنصرانى يتبعه من بعيد ليختبر صدقه فلما دخل الدويرة التى فيها أصحابه وقف النصراني خلف طارق خارج الباب فوضع الطعام ونادوا الشيخ أبا بكر الشبلى وقدموا الطعام بين يديه فشال الشيخ يده عنه وقال يافقراء سر عجيب في هذا الطعام ثم أقبل على الفقير الذى أتى بالطعام وقال أخبرنى عن قصة هذا الطعام فحكى له القصة بكمالها فقال لهم الشبلى أترضون أن تأكلوا طعام نصرانى وصلكم به ولم تكافئوه فقالوا يا سيدنا وما مكافأته قال تدعون له قبل أن تأكلوا طعامه فدعوا له وهو يسمع فلما رأى النصرانى إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه وسمع ما قاله لهم الشيخ قرع الباب ففتحوا له فدخل وقطع زناره وقال ياشيخ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلام النصرانى وصار من جملة أصحاب الشبلى رضى الله عنهم.

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائة

حكى عن الشبلى أيضا رضى الله عنه أنه اعتل فحمل إلى المارستان وكتب على بن عيسى الوزير إلى الخليفة في ذلك فأرسل الخليفة إليه مقدم الأطباء وكان نصرانيا ليداويه فما أنجحت مداواته فقال الطبيب للشبلى والله لو علمت أن مداواتك في قطعة لحم من جسدى ما عسر على ذلك فقال الشبلى

---

(١) سورة الملك الآية ١٥.

رضى الله عنه دوائي في دون ذلك فقال الطبيب ومـا هو قال تقطع الزنار فقال الطبيب أشهـد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر الخليفـة بذلك فبكى وقال أنفذنا طبيبا إلى مريض ومـا علمنا أنا أنفذنا مريضا إلى طبيب (قلت) هذا هو الطبيب وحكمته هى الحكمة التى بها العلل تزول وفيه وفي أمثاله أقول:

إذا ما طبيب الجسم أصبـح قلبه عليـلا فمـن ذا للطبـيب طبيـب
فقل هم أولو العلم اللدنى وحكمة إلهيـة تشـفى بتـلك قلـوب

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائة

حكى عن إبراهيم الخواص رضي الله عنه أنه كان إذا أراد سـفرًا لم يعلم أحدا ولـم يذكره وإنما يأخذ ركوته ويمشى قال حامد الأسود فـبينما نحن معه في مسجده إذ تناول ركوته ومـشى فاتبـعته فـلما وافينا القـادسيـة، قال لى يا حامـد إلى أين قلت ياسيدى خرجت لخروجك قـال إنى أريد مكة إن شاء الله تعالى، قلت وأنا أريد مكة إن شاء الله تعالى فلمـا كان بعد ثلاثة أيام إذا بشاب قد انضم إلينا فمـشى معنا يوما وليلة لا يسجـد لله عز وجل سجـدة فعرفت إبراهيم وقـلت إن هذا الغلام لا يصلى فجلس، وقـال له ياغلام، مالك لا تصلى والصلاة أوجب عليك من الحـج، فقال يا شيخ ما على صـلاة قال ألست بمسلم قال لا قال فأى شـىء أنت قال نصرانى ولكن إشارتى في النصرانيـة إلى التوكل، وادعت نفسى أنها قـد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيمـا ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التى ليس فيها مـوجود غير المعبود أثير سـاكنى، وأمتحن خاطرى، فـقام إبراهيم ومشى وقال دعـه يكن معك فلم يزل يسايرناحتى وافينا بطن مر، فقـام إبراهيم فنزع خلقاته فطهرها بالماء ثم جلس فقال له ما اسمك فقال له عبدالمسيح فقال له، عبدالمسيح هذا دهليز مكة يعنى الحرم وقد حرم الله تعالى على أمثالك الدخول إليه فقـال إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام والذي أردت أن تستكشف من نفسك قد بان لك فاحذر أن تدخل مكة فإن رأيناك بها انكرنا عليك قال حامـد فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا إلى الموقف فـبينما نحن جلوس بعرفات إذا به قد أقبل عليه ثوبان وهو محـرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على إبراهيم يقبل رأسه فقـال له ما وراءك ياعبدالمسيح فقال هيهـات أنا اليوم عبد لمن المسيح عبـده، فقال إبراهيم حدثنى قـال لما سافرتم وتركتمـونى جلست مكانى حتى أقبلت قافلة الحجاج فقمت وتنكرت في زى المسلمين كـأنى محرم فساعة وقعت عينى

على الكعبة اضمحل عنى كل دين سوى دين الإسلام فأسلمت واغتسلت وأحرمت وهأنا أطلبك يومى فالتفت إلى إبراهيم، وقال ياحامد انظر بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام ثم صحبناه حتى مات بين الفقراء رحمة الله تعالى عليه وفي الصوفية الصادقين قلت هذه الأبيات:

سلام على السادات من كل صادق ... له مسرح في معرك ومراح
صفا ثم صوفى فهو صوفي مخيم ... على باب سعدى ليس عنه براح
تلافى طعان النفس في نيل وصلها ... ومن دونها بيض حمت ورماح
على حد سيف الصدق يسعون للعلا ... لتجلى لهم بيض هناك صباح
سقتهم حميا الوصل من كرم حسنها ... إذا شمها أهل الصبابة صاحوا
وناحوا وساحوا ثم فاحوا بنشرها ... عبيرا ومكتوم المحبة فاحوا

الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائة
عن أبى عبدالله بن حنيف رضى الله عنه

قال كنت مدة مديدة أسيح على وجه الأرض للالتقاء بالبدلاء فسئمت من السياحة والسفر فرجعت إلى بلد أصطخر فارس فدخلت دويرة الصوفية فرأيت جماعة من المشايخ وبين أيديهم مأكول هم تسعة نفر منهم الحسن بن أبى سعد وأبو الأزهر بن حيان وجماعة فوقفت ساعة فتوضأت فلما فرغت وسعوا لى فقعدت معهم وتناولت مما كانوا يأكلون ثم تفرقنا فرقدت رقدة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لى يا ابن حنيف من كنت تطلبهم وترجو مجالستهم هم هؤلاء في هذا البلد وأنت منهم فطالبتنى نفسى أن أخبر القوم بما رأيت فعلانى منهم وقار وهيبة فلم ألبث ساعة من النهار حتى قابلنى الشيخ أبو الحسن بن أبى سعد وقال لي يا أبا عبدالله أخبرهم بما رأيت في المنام فأخبرتهم فتفرقوا في البلدان حين فشا الخبر رضى الله عنهم وعن سائر الصالحين آمين.

الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائة عن أحدهم

قال سافرت شرقا وغربا طمعا أن أكتحل بالأبدال فوافيت ساحل البصرة عشاء فتيامنت من الطريق وقربت من الساحل لأكون قريبا من الماء فرأيت عشرة نفر قعودا على السجادات لم أر معهم الركى والآلات التى تكون مع الصوفية فقاموا كلهم واستقبلونى وعانقونى ثم جلسوا كلهم مطرقين لا ينظر بعضهم إلى بعض إلى وقت غروب الشمس، فقام واحد من الجماعة ودخل البحر ولم أعرف كيف كان حاله،

غيـر أنه أتى بإحدى عشـرة سمكة مشـوية، ولم أر نارا ولا حطبا فقـام واحد منهم فطرح عند كل واحد سمكة وانفـرد هو بسمكة أعظمها وتفرقـوا عن المجلس واشتغل كل واحد منهم بحاله ولم يتفرغ أحد لأحد.

فلما دنا الصـبح أذن المؤذن وصلوا الصبح جمـاعة وأخذوا سجـاداتهم فدخلوا البـحر ومـشوا في البـحر على الماء فـأراد خادمـهم الذى طرح السـمك بين أيديهم وتخصص بالكبـيرة أن يسير معـهم ويمشى على الماء فغاص في البـحر فالتفـتوا إليه، وقالوا يا فـلان من خاننا ليس منا وكنت أنظر إليـهم من بعيـد وأتحسر على فـراقهم وأخذت الركوة ومشيت وتركت ذلك الخادم في موضعه رضى الله عنهم.

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائة

عن الشيخ عبدالله بن عبيد العباداني رضي الله عنه

قال كنت في مسـجد عبادان بعد صلاة العـشاء الآخرة وفي الصف الأول ثلاثة نفر قد صلوا معنا، ثم خـرجوا نحو البحر فوقع لى أنهم أولياء فتبـعتهم فلما وصلوا إلى البحـر امتد لهم فـيه مثل الشراك من فـضة، فمـروا عليه فوضـعت رجلى عليه لأتبعهم فغاصت في الماء فقعدت أبكى ومضوا وانصرفت إلى المسجد.

فلما كـان وقت الصبح إذا بهم فى الصف الأول فـجلسوا فى المسـجد إلى أن صلوا العشاء الآخرة ثم خرجوا نحو البحر فامـتد لهم فيه مثل الشراك من فضه فمروا عليـه فـوضعت رجلى عـلى الماء فغـاصت رجلى فى الماء فـقـعدت أبـكى ومضـوا وانصرفت إلى المسجد.

فلما كـان اليوم الثالث إذا بهم في المسـجد في الصف الأول فـقلت في نفسى يانفس منك أتيت لو كـان فـيك خيـر لمررت مـعهم وعلم الله تـعالى منى الصـدق فخرجوا في الوقت الذي يخـرجون فيه كل ليلة فامتد لهم فيـه مثل الشراك من فضة فمروا عليه فـوضعت رجلى على الماء فمررت معهم وأخـذ واحد منهم بيدى فإذا هم سبع أنفس كل ثلاث ليال ينزل عليهم سبع سمكات وكان تلك الليلة الثالثة فإذا مائدة عليها ثمانى سمكات فقعدت مـعهم آكل فقلت لواحد منهم لو كان لنا ملح فقال لى أوه أنت منهم بلى أنت منهم فأخذ بيدى فإذا أنا في المشرعة وما رأيتهم بعد ذلك وأنا أسأل الله حسن التوفيق رضى الله عنهم ونفع بهم آمين.

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائة

عن عبدالواحد بن زيد رضى الله عنه

قال اشتريت غلاما للخـدمة فلما جن الليل طلبته في دارى فلم أجده والأبواب مغلقة على حالهـا فلما أصبحت جاء وأعطانى درهما منقوشـا عليه سورة الإخلاص فقلت له من أين لك هذا فقال ياسـيدى لك عندى كل يوم درهم مثل هذا على أنك

لا تطلبنى في الليـل فكان يغيب كل ليـلة ويأتى في الصبح بمـثل ذلك فلما كـان في بعض الأيام جاء إلى جيرانى وقـالوا ياعبدالواحد بع غلامك فإنه نباش القـبور فغمنى ذلك وقلت لهم ارجعـوا فأنا أحفظه فـي هذه الليلة فلما كان بعـد صلاة العشـاء قام ليخرج فأشار إلى البـاب المغلق فانفتح ثم أشار إليه فانغلق وقصـد الباب الثانى ففعل مثل ذلك ثم قـصد إلى الباب الثـالث ففعل مـثل ذلك وأنا أنظر إليه فخـرج فتبعـته ومشيت وراءه حتـى بلغ إلى أرض ملساء فنزع ثيابه ولبس مسبحـا وصلى إلى الفجر ورفع رأسه إلى السماء ياسيدى الكبير هات أجـرة سيدى الصغير فوقع عليه درهم من السماء فـأخذه وتركه في جيـبه فتحـيرت في أمره ودهشت بحاله وقـمت وتوضأت وصليت ركعتين واستـغفرت الله تعالى مما خطر ببالي ونويت أن أعتـقه ثم إنى طلبته فلم أجده فـانصرفت حزينا ومـا كنت أعرف تلك الأرض فإذا أنا بفـارس على فرس أشهب فقال لى ياعـبدالواحد ماقعودك ههنا قلت من شأن كـذا وكذا فقال أتدرى كم بينك وبين بلدك قلت لا قـال مسيـرة سنتين للراكب المسرح فلا تـبرح من هذا المكان حتى يرجع إليك عبـدك فإنه يأتيك في هذه الليلة قال فلما جـن الليل إذا به قد أقبل ومعه طوفرية عليها من كل الطعام قال لى كل ياسيدى ولا تعد إلى مثلها فأكلت وقام فصلى إلى الفجـر ثم أخذ بيدى فتكلم بكلام لم أفهـمه وخطا معى خطوات وإذا أنا واقف على باب دارى فقال ياسـيدى أليس قد نويت أن تعتـقنى قلت وهو كذلك قال فأعتقنى وخـذ ثمنى وأنت مأجور ثم أخذ حجرا من الأرض وأعطانـيه فإذا هى قطعة ذهب، ومضى الغلام وبقيت مـتحسرا على فراقى له ثم اجتمعت بجـيرانى فقالوا ما فعلت بالنباش قلت ذاك نـباش النور لا نباش القبور، ثم حدثـتهم بما شاهدته منه من الكرامات فبكوا وتابوا مما خطر ببالهم رضى الله عنهم ونفع بهم.

الحكاية الأربعون بعد المائة عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال رأيت بالبصـرة مملوكا في السوق ينادى عليه من يشترى هذا الغـلام بعيوبه وهى ثلاث خـصال لا يـنام الليل ولا يأكل بالنهـار ولا يتكلم إلا بما لابد منه، قـال إبراهيم فقلت للغلام أراك عارفا به، قال يا إبراهيم لو عرفـته ما اشتغلت بغيره، قال فعلمت أنـه من العارفين فقلت للبـائع بكم هذا الغلام، فـقال بما أردت فـإنه مجنون فأعطيته ثمنه وقلت فـي نفسى يارب إنى قد أعتقته لوجـهك الكريم فالتفت إلى وقال ياإبراهيم إن كنت قد أعتقتنى في الدنيـا من الرق فقد أعتقك الله في الآخرة من النار ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه.

الحكاية الحادية والأربعون بعد المائة

عن أحد الصالحين أنه قال اشتريت عبدا فقلت له ما اسمك قال يامولاى ما سميتنى فقلت له ما الذي تعمل قال يامولاى ما به أمرتنى فقلت له ما الذى تأكل فقال يامولاى ما أطعمتنى فقلت له فما لك إرادة في شيء فقال وأى إرادة تكون للعبد مع مولاه قال فأبكانى وذكرنى حالى مع مولاى فقلت له يا هذا لقد أدبتنى مع سيدى فأنشأ يقول:

لو تم لى كونى لعبدك خادما ما كنت أطلب فوق ذاك نعيما
فارحم بفضلك ذلتى وتحيرى فكذا عرفتك محسنا ورحيما

الحكاية الثانية والأربعون بعد المائة

حكى عن أحدهم أنه دعى إلى دار مرارا كثيرة في ساعة واحدة كلما وصل الباب رده الداعى وهو طيب بذلك لم يظهر منه انزعاج فتعجب الداعى من حلمه وصبره واستعظم ذلك منه فقال له لا تستعظم منى صفة هى صفة الكلاب فإنه كلما دعى أجاب وإن طرد ذهب وإنما فعل ذلك به اختبارا له رضى الله عنه.

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه قال في الكلب عشر خصال ينبغى لكل مؤمن أن تكون فيه الأولى أن يكون جائعا فإنها من آداب الصالحين، والثانية ألا يكون له مكان معروف وذلك من علامات المتوكلين، والثالثة ألا ينام من الليل إلا قليلا وذلك من صفات المحبين، والرابعة إذا مات لا يكون له ميراث وذلك من صفات الزاهدين، والخامسة ألا يترك صاحبه وإن جفاه وضربه وذلك من علامات المريدين الصادقين، والسادسة أن يرضى من الأرض بأدنى موضع وذلك من علامات المتواضعين، والسابعة إذا تَغلب على مكانه تركه وانصرف إلى غيره وذلك من علامات الراضين، والثامنة إذا ضرب وطرد وطرح له كسرة أجاب ولم يحقد على ما مضى وذلك من علامات الخاشعين، والتاسعة إذا حضر الأكل جلس بعيدا ينظر وذلك من علامات المساكين، والعاشرة أنه إذا ارتحل عن مكانه لا يلتفت إليه وهذه من علامات المحزونين.

الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائة

عن أحدهم قال كنا جماعة في بعض البلاد فخرجنا إلى باب البلد في بعض الأيام فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا الباب إذا نحن بدابة ميتة فلما نظر الكلب إليها رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه نحو عشرين كلبًا فجاءت إلى الميتة وأكلت منها

وذلك الكلب قائم ينظر من بعيد إلى أن فرغت الكلاب من الأكل وقضت وطرها وصدرت فورد وأكل من سؤرها من العظام وما بقى عليها ثم انصرف.

الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائة

حكى عن أحدهم أنه رأى كلابا في كهف في بعض الجبال مقيمة فيه لا تخرج منه ولا تدخل البلد إلا يوما واحدا في الأسبوع تدخل فتأكل من المزابل ثم تعود إلى مكانها وهكذا دأبها فأقام معها مدة يخرج معها يوم خروجها إلى البلد ويأكل معها من المزابل مما يحصل له أكله ثم يعود معها إلى الجبل فحصل له بتلك الكلاب رياضة وآداب.

وقال بعض الصالحين وقد جاز عليهم قوم معهم كلاب الصيد فنبحتها كلاب الدرب فقال سبحان الله كأن هذه حادثت هذه فقالت هذه الأهلية لكلاب الصيد يامساكين رغبتن في نعيم الملوك فسوجروكن ولو قنعتن بالمنبوذ مثلنا كنتن مخليات فقالت لها كلاب الصيد خفى عليكن حالنا نحن لما رأوا فينا آله الخدمة حبسونا للخدمة وقاموا لنا بالكفاية، فقالت الأهلية فالواحد منكن إذا كبر خلى وصار معنا، قالت كلاب الصيد لأنه قصر فيما يجب عليه وكل من قصر فيما يجب عليه طرد، اللهم لا تطردنا عن بابك ولا تعاقبنا بسخطك وعذابك.

الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائة

روى أن أويسا القرنى رضى الله عنه كان يقتات من المزابل ويكتسى منها فنبحه يوما كلب على مزبلة فقال له أويس كل مما يليك وأنا آكل مما يلينى ولا تنبحنى فإن جزت على الصراط فأنا خير منك وإلا فأنت خير منى وكان أهله يقولون هو مجنون وأقاربه يستخفون به ويستهزئون والصغار به يتولعون وبالحجارة له يرجمون وفيه أقول:

سقى الله قوما من شراب وداده ... فهاموا به من بين باد وحاضر
يظنهم الجهال جنوا وما بهم جنون ... سوى حب على القوم ظاهر
سقوا بكئوس الحب راحا من الهوى ... فراحوا سكارى بالحبيب المسامر
يناجونه في ظلمة الليل عندما ... به قد خلوا منهم أويس بن عامر
شهير يمانى حوى المجد والعلا ... لنا فيه عالى الفخر عند التفاخر

(وفي الحديث) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل يحب من خلقه الأتقياء الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رءوسهم المغبرة

وجوههم الخـمصة بطونهم الذين إن استأذنوا على الأمـراء لم يؤذن لهم وإن خطبوا المنعمـات لم ينكحوا، وإن غـابوا لم يفتـقدوا و إن طلعـوا لم يفرح بطلعـتهم، وإن مرضوا لم يعـادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا قالوا يارسول الـله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرنى قالوا يارسـول الله وماأويس القرنى قال أشهل ذو صهـوبة بعيد ما بين المنكبين معتـدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صـدره، رام ببصره إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يبـكى على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له متزر بإزار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله تعـالى لأبره، ألا وإن تحت منكبه الأيسـر لمعة بـيضاء ألا وإنه إذا كـان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة وقيل لأويس قف فاشفع فيشفعه الله عز وجل في مثل عدد ربيعة ومضر، ياعـمرو ياعلى إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستـغفر لكما، يغفر الله تعالى لكمـا قال فمكثا يطلبانه عـشر سنين لا يقدران عليه، فلمـا كان في آخر السنة التى انتقل فيها عمر رضى الله عنه قام على جبل أبى قبيس فنادى بأعلى صوته يا أهل اليمن أفيـكم أويس فقام شيخ كبـير طويل اللحية فـقال إنا لا ندرى ما أويس ولكن ابن أخ لى يقال له أويس وهو أجـل ذكرا وأقل مالا وأهون أمرا من أن نرفـعه إليك وأنه ليرعى إبلنا حقـير بين أظهرنا فعمى عليه عمـر كأنه لا يريده وقال لى أين ابن أخيك هذا أبحـرمنا هو قال نعم قال وأين يصـاب قال بأراك عرفات قـال فركب عمـر وعلى رضى الله عنهما مـسرعين إلى عرفـات فإذا هو قائم يصلى إلى شـجرة والإبل حوله ترعى فـشدا حمـاريهما ثم أقـبلا إليه فـقالا السلام عليك ورحـمة الله فخـفف أويس رضى الله عنه من الصلاة ورد السـلام عليهـما فقـالا من الرجل قال راعى إبل وأجير قـوم، قالا لسنا نسألك عن الرعاية ولا على الإجارة مـا اسمك قال عبدالله قـالا قد علمنا أن أهل السموات والأرض جمـيعا عبيد لله فـما اسمك الذى سمتك به أمك قال ياهذان مـاتريدان إلىّ ؟ قالا وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أويسا القرنى فقد عرفنا الصهـوبة والشهولة وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فإن كانت بك فأنت هو فأوضح منكبه فإذا اللمعة فابتدراه يقبلانه وقالا نشهد أنك أويس القرنى، فاستغفر لنا يغفر الله لك، فقال ما أخص باستغفارى نفسـى ولا أحدا من ولد آدم ولكنه في البـر والبحـر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من هو مستـجاب الدعوة، فقالا لابد من ذلك فقـال ياهذان قد شهر الله لكما حالى وعرفكما أمرى فمن أنتمـا فقال على رضى الله عنه أما هذا فأمير المؤمنين

عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما أنا فعلى بن أبى طالب فاستوى أويس قائما وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وأنت يا ابن أبى طالب فجزاكما الله تعالى عن هذه الأمة خيرا، فقالا وأنت فجزاك الله عن نفسك خيرا، فقال له عمر مكانك رحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من ثيابى هذا المكان ميعاد بينى وبينك، فقال يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم فعرفنى ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة ما ترى على إزارًا من صوف ورداء من صوف متى ترانى أخرقها ألا ترى أن نعلى مخصوفتان متى ترانى أبليهما، أما ترى أنى قد أخذت من رعايتى أربعة دراهم متى ترانى آكلها ياأمير المؤمنين إن بين يدى ويدك عتبة كئود، لا يجاوزها إلا كل ضامر مخف مهزل فأخف يرحمك الله، فلما سمع ذلك عمر ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ياليتها كانت عقيما لم تعالج حملها إلا من يأخذها بما فيها ولها يعنى الخلافة ثم قال يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا فولى عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم فأعطاهم إبلهم وترك الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل.

وفي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن عن مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل ثم ساق الحديث إلى أن ذكر اجتماع عمر به رضى الله عنه عند قوله له فاستغفر لى فاستغفر له، فقال له عمر رضى الله عنه أين تريد قال الكوفة، قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون في غبراء الناس أحب إلى وهذا بعض الحديث.

وفي رواية لمسلم عن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم، وقول أويس غبراء الناس بفتح الغين المعجمة وإسكان الباء الموحدة وبالمد وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا يعرف عينه من أخلاطهم.

(قلت) وقوله ﷺ إن أويسا خير التابعين صريح بأنه خيرهم مطلقا ودليل على أن النفع اللازم قد يكون أفضل من المتعدى وأن علماء الباطن العارفين بالله تعالى أفضل من علماء الظاهر العارفين بأحكام الله سبحانه.

وروى عن علقة بن مرثد رضى الله عنه قال انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أويس القرنى رضى اللـه عنه ظن أهله أنه مجنون فبنوا له بيتا على باب دارهم فكانت تأتى عليه السنة والسنون لا يرون له وجها وكان طعامه ما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بالموسم أيها الناس قوموا فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان من اليمين فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا إلا رجلا وكان عم أويس فقال له عمر أقرنى أنت قال نعم قال أفتعرف أويسا قال وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين فوالله ما فينا أحمق ولا أجن ولا أحوج منه فبكى عمر ثم قال بك لا به فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر.

(وروى) عن عمار بن يوسف الضبى.

قال قال رجل لأويس القرنى كيف أصبحت وكيف أمسيت، فقال أصبحت أحب الله وأمسيت أحمد الله، وما تسأل عن حال رجل إذا أصبح ظن أنه لا يمسى، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح، إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن حق الله تعالى في مال المسلم لم يدع له في ماله فضة ولا ذهبا، وإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدع لمؤمن صديقا يأمرهم بالمعروف ويشتمون أعراضنا ويجدون على ذلك أعوانا من الفاسقين حتى والله لقد رمونى بالعظائم، وايم الله لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقه ثم أخذ الطريق يعنى مشى وخلانى.

(وروى) عن هرم بن حيان رضى الله عنه قال بلغنى حديث أويس فقدمت الكوفة فلم يكن لى هم إلا طلبه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ فعرفته بالنعت الذى نعت له، فإذا رجل نحيل شديد الأدمة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر فسلمت عليه فرد على السلام ونظر إلى ومددت يدى إليه لأصافحه فأبى أن يصافحنى.

(قلت) وفي انقباض أويس رضى الله عنه وما كان فيه من رثاثة الحال والتوحش والانعزال وما نسب إليه الجهال من الجنون والاختلال وما كان فيه من التقشف والابتذال وغير ذلك من سائر الأحوال أظهر دليل لمن نحا ذلك النحو من الفقراء الصادقين ولا مبالاة بإنكار من ينكر عليهم ويزعم أن ذلك خلاف السنة ولم يدر أن السنة العظمى هى ترك الدنيا والإعراض عن الورى والإقبال على المولى وترك الخلائق كلها سوى الله عز وجل.

قال هرم بن حيان فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه لما رأيت من حاله حتى بكى وبكيت فقال وأنت فحياك الله ياهرم بن حيان كيف أنت يا أخي من دلك على قلت الله، قال لا إله إلا الله ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾(١)، فقلت ومن أين عرفت اسمى واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتنى قال نبأنى العليم الخبير عرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل، قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال إنى لم أدرك رسول الله ﷺ، ولم يكن لى معه صحبة بأبى وأمى رسول الله ﷺ، ولكنى قد رأيت رجالا رأوه ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو قاضيا أو مفتيا في نفسى شغل عن الناس، فقلت أى أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله تعالى أسمعها منك وأوصنى بوصية أحفظها عنك فإنى أحبك في الله فأخذ بيدى وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قال ربى وأحق القول قول ربى وأصدق الحديث حديث ربى ثم قرأ ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين وما خلقناهما إلا بالحق﴾(٢) إلى قوله ﴿العزيز الرحيم﴾ فشهق شهقة وأنا أحسبه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وتوشك أن تموت أنت فإما إلى الجنة وإما إلى النار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء يا ابن حيان ومات نبى الله ومات إبراهيم خليل الله ومات موسى نجيُّ الله ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء ومات أبو بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله ﷺ ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقلت له يرحمك الله إن عمر رضى الله عنه لم يمت قال بلى قد نعاه الناس ونعاه إلى ربى تبارك وتعالى ونعى إلى نفسى وأنا وأنت في الموتى ثم صلى على النبي ﷺ ودعا بدعوات خفاف ثم قال هذه وصيتى إليك كتاب الله، نعى المرسلين، ونعى صالحى المؤمنين، فعليك بذكر الموت، ولا يفارقن قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح للأمة جميعا، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار ادع لى ولنفسك.

ثم قال اللهم إن هذا زعم أنه يحبنى فيك وزارنى من أجلك فعرفنى وجهه في الجنة وأدخله على دارك دار السلام واحفظه في الدنيا ما دام حيا وأرضه من الدنيا باليسير واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين واجزه عنى خيرا ثم قال السلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم يرحمك الله فإنى أكره الشهرة والوحدة

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٨.

(٢) سورة الدخان: الآيتان ٣٨، ٣٩.

أحب إلى لأنى كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم أنك منى على بال وإن لم أرك وترنى واذكرني وادع لى فإنى سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله تعالى، فانطلق أنت ههنا حتى آخذ أنا ههنا فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على ففارقته فجعلت أبكى وهو يبكى وأنظر إليه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه ذلك وطلبته فلم أجد أحداً يخبرنى عنه بشيء وما أتت على جمعة إلا وأنا أراه في المنام مرة أو مرتين، قلت وإنما قال أويس رضى الله عنه ومات محمد ﷺ ولم يقل رسول الله ﷺ كما قال في الأنبياء قبله لأن فضله معروف والمعروف بكمال الشرف والسؤدد لا يحتاج أن يمدح ويمجد، ألا ترى أصحابنا إذا ذكروا الإمام الشافعى رضى الله عنه قالوا قال الشافعي وإذا ذكروا أحد أصحابه فقد يذكرون فضله فيقولون قال الإمام الحفيل السيد الجليل أو نحو ذلك بالسلطان لأن الشيء إذا اشتهر بكمال الفضل أو الشرف لا يحتاج إلى أن يمدح ويعرف لأنه إذا مدح لا يحتاج إلى مدح كثير، وربما وقع في مدحه تقصير فكانت شهرة قدره مغنية عن ذكره وقوله رضى الله عنه ونعى المرسلين ونعى صالح المؤمنين يعنى ذكر موتهم.

وروى عن أصبغ رحمه الله قال كان أويس رضى الله عنه إذا أمسى يقول هذه الليلة ليلة الركوع فيركع حتى يصبح وكان يقول هذه الليلة ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم يقول اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذنى به ومن مات عاريا فلا تؤاخذنى به.

وروى عن نصر بن إسماعيل رحمه الله قال كان أويس رضى الله عنه يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها ويقول اللهم إنى أبرأ إليك من كل كبد جائعة.

وروى عن عبد الله بن سلمة قال غزونا أذربيجان في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأويس القرنى معنا فلما رجعنا مرض فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه ومشينا فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا إلى القبر فإذا لا قبر ولا أثر.

وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى رحمه الله قال نادى مناد يوم صفين في القوم أويس القرنى فوجد في القتلى من أصحاب على رضى الله عنهم أجمعين والله أعلم.

الحكاية السادسة والأربعون بعد المائة

حكى أن الربيع بن خيثم رضى الله عنه قيل له في منامه إن ميمونة السوداء زوجتك في الجنة فلما أصبح سأل عنها فدل عليها فإذا هى ترعى غنما، فقال لأقيمن عندها أنظر عملها فأقام عندها فرآها لا تزيد على الفريضة فإذا أمست جاءت إلى عنز لها فحلبت ثم شربت ثم حلبت ثم سقته إياه فقال لها في اليوم الثالث ياهذه لم لا تسقينى من غير هذه العنز قالت ياعبد الله إنها ليست لى قال فلم تسقينى من هذه قالت إن هذه منحتها أشرب من لبنها وأسقى من شئت فقال ياهذه ليس لك من العمل أكثر مما أرى قالت لا إلا أنى ما أصبحت ولا أمسيت على حال قط فتمنيت سواها رضا بما قسم الله تعالى لى فقال ياهذه أعلمت أنى رأيت في المنام أنك زوجتى في الجنة، قالت فأنت الربيع بن خثيم قال نعم فقيل للراوى كيف علمت هذا قال لعلها رأت في منامها مثلما رأى.

(قلت) ماقاله الراوى صحيح لأنه يحتمل ولكن لا ينحصر ذلك في المنام بل يجوز أن يكون كشف لها في اليقظة بأن قيل لها ذلك فسمعت أو شهدت فرأت في حالة سكر الأحوال الواردة عليهم المشهورة عنهم وقد أخبرنى بعضهم أنه قيل له في اليقظة زوجتك في الجنة فلانة من الصالحات المشهورات رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية السابعة والأربعون بعد المائة
عن الشيخ أبى محمد الجريرى رضي الله عنه

قال حضر باب دارى باز أشهب فلم أصده ومكثت أربعين سنة أنصب حبالى عليه لعلى أظفر به أو بمثله فما ظفرت فقيل وما ذاك الباز الأشهب قال رجل دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الشعر حاسر الرأس حافى القدمين فجدد الوضوء وصلى ثم جلس ووضع رأسه في جبة إلى المغرب فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك وإذا رسول الخليفة يستدعينا في دعوة فقمت إلى الشاب وقلت له هل لك أن ترافقنا إلى دار الخليفة فرفع رأسه وقال ليس لى قلب إلى دار الخليفة ولكن أشتهى عصيدة حارة فأطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة والتمس شهوته وقلت في نفسى هذا قريب عهد بالطريقة لم يتأدب بعد ومضيت إلى دار الخليفة فأكلنا وسمعنا وتفرقنا آخر الليل فلما دخلت الرباط رأيت الشاب على تلك الحالة فجلست على سجادتى ساعة فلهجت عيناى في النوم وإذا جماعة وقائل يقول

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام فدنوت إليه لأسلم عليه فولى بوجهه عنى معرضا فكررت عليه وهو يعرض عنى ولا يلتفت ولا يجيب فخفت من ذلك فقلت يارسول الله ما الذى أذنبت حتى تعرض عنى بوجهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقير من أمتى اشتهى عليك شهوة فتهاونت به فاستيقظت مرعوبا وقمت نحو الفقير فلم أجده وسمعت صوت الباب فخرجت في طلبه فإذا به قد خرج فناديته يافتى اصبرحتى تحضر شهوتك التى طلبتها فالتفت إلى وقال إذا اشتهى عليك فقير شهوة لا توصلها إليه حتى يستشفع إليك بمائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبى فلا حاجة به إليها ثم تركنى ومضى رضى الله عنه ونفع به آمين وأنشد:

طلبت الغنى من صاحبى فأجابنى إن الفقير إلى الغنى بغيض

الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائة
عن سرى السقطى رضى الله عنه

قال قعدت يوما أتكلم بجامع المدينة فوقف على شاب حسن الشباب فاخر الثياب ومعه أصحابه فوعظت فسمعنى أقول في وعظى عجبا لضعيف كيف يعصى قويا فتغير لونه وانصرف فلما كان من الغد جلست في مجلسى وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال يا سرى سمعتك بالأمس تقول عجبا لضعيف كيف يعصى قويا فما معناه فقلت لا أقوى من المولى ولا أضعف من العبد وهو يعصيه فنهض فخرج ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد وقال يا سرى كيف الطريق إلى الله تعالى.

فقلت إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل وإن أردت الله عز وجل فاترك كل شىء سواه تصل إليه ولا تسكن إلا المساجد والخراب والمقابر فقام وهو يقول والله لا سلكت إلا أصعب الطرق وولى خارجا فلما كان بعد أيام أقبل إلى غلمان كثير فقالوا ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب فقلت لا أعرفه إلا أن رجلا جاءنى من صفته كذا وكذا فجرى لى معه كذا وكذا ولا أعلم حاله فقالوا بالله عليك متى عرفت حاله فعرفناه ودلنا على داره فبقيت سنة لا أعرف له خبرا فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس في بيتى وإذا بطارق يطرق الباب فأذنت له بالدخول فإذا أنا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه وبيده زنبيل به نوى فقبل بين عينى وقال ياسرى أعتقك الله من النار كما أعتقنى من رق الدنيا فنظرت فأومات إلى صاحبى أن امض إلى أهله فأخبرهم فمضى فإذا بزوجته قد جاءت ومعها ولده

وغلمـانه فدخلـت وألقت الولد في حجـره وعليـه حلى وحلل وقـالت له ياسيـدى أرملتنى وأنت حى وأيتمت ولدك وأنـت حى، قال السرى فنظر إلى وقال ياسـرى ما هذا وفاء ثم أقبل علـيها وقال والله إنكما لثـمرة فؤادى وحبيـبة قلبى وإن هذا ولدى لأعز الخلق علي غير أن هذا سـرى رضى الله عنه أخبرنى أن من أراد رضا الله قطع كل ما سـواه ثم نزع ما على الصبى وقـال ضعى هذا في الأكبـاد الجائعة والأجـساد العارية وقطع قطعـة من كسائه فلـف بها الصبى فـقالت المرأة والله لا أرى ولدى في هذه الحالة وانتزعته منه فحين رآها قد اشـتغلت به نهض وقال ضيعتم على ليلتى بينى وبينكم إلى وولى خـارجا وضـجت الدار بالبكاء، فقـالت امرأته إن عـاد يا سرى أو سمـعت له خبرًا فأعلمنـى فقلت إن شاء الله تعالى فلـما كان بعد أيام أتتنى عـجوز فقالت ياسرى بالشونيزية غلام يسألـك الحضور فمضيت فإذا أنا به مطروح تحت رأسه لبنة فسلمت عليـه ففتح عينيـه وقال يا سرى ترى يغفـر لى تلك الجنايات فقلت نعم فقال لمثلي فقلت نعم قال أنا غريق قلت هو منجى الغرقى فقال على مظالم فقلت في الخبر أنه يؤتى بالتائب يوم القـيامة ومعه خصومه فيـقال لهم خلوا عنه فإن الله تعالى يعوضكم، فقال يـا سرى معى دراهم من لقط النوى إذا أنا مت فاشتر مـا أحتاج إليه وكفنى ولا تعلم أهلى لئلا يغـيروا كفنى بحرام فجلست عنده قليلا ففـتح عينيه وقال لمثل هذا فليعـمل العاملون ثم مات رحمة الله علـيه، فأخذت الدراهم فاشـتريت ما يحتاج إليه وسرت نحوه فإذا الناس يهرعون فـقلت ما الخبر فقيل مات ولى من أولياء الله تعالى نريد أن نصلى عليه فـجئت فغسلته وصلينا عليه ودفناه فلمـا كان بعد مدة وفد أهله يستعلمون خبره فأخبرتهم بموته فأقـبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله فسألتنى أن أريها قـبره فقلت أخاف أن تغـيروا أكفـانه، فقالت لا والله فـأريتها القبـر فبكت وأمرت بإحضار شاهدين فـأحضرا فأعتقت جواريها ووقفـت عقارها وتصدقت بمالها ولزمت قبره حتى ماتت رحمة الله عليها وأنشدوا:

بان الـذين تجنبـوا الأشـغـالا ... بذلوا النفـوس وأنفـقـوا الأمـوالا
تركـوا النسـاء كـأنهـن أرامل ... قـبل المـمات وأيتـمـوا الأطفـالا
تجـوعـوا وتعطشـوا وتضـمـروا ... طلب السبـاق وخـفـفـوا الأثقـالا
وتعـزبوا وتـغـربوا عن أهلـهم ... حـذر الـفـوات، وفككـوا الأغـلالا
فطمـوا عن الدنيـا نفـوسـا طالما ... كـانت تتيـه على النعـيم دلالا
خـافـوا البـيات فـشـمـروا بعـزيمة ... طلب الـنجـاة وكـابدوا الأهوالا
حـتى إذا بـليت ضنى أجـسـادهم ... ولقـوا شـجونا من الـسرى وكـلالا
وردوا جناب مليكهم فـحـبـاهم ... رتبـا تفـوق الفـرقـديـن منالا

الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائة

حكى أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم عن أهله وماله وجاهه ورياسته وكان من أبناء الملوك، أنه خرج يوما يصطاد فرأى ثعلبا أو أرنبا فبينما هو في طلبه إذ هتف به هاتف ألهذا خلقت أم بهذا أمرت، ثم هتف به هاتف من قربوس سرجه وقال والله مالهذا خلقت ولا بهذا أُمرت فنزل عن مركوبه، وصادف راعيا لأبيه فأخذ جبة الراعى وكانت من صوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية وكان من شأنه ما كان رضى الله عنه.

الحكاية الخمسون بعد المائة

حكى أن الشيخ أبا الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى رضى الله عنه خرج للصيد وهو يومئذ ملك كرمان فأمعن في الطلب حتي وقع في برية مقفرة وحده فإذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا إليه سلم عليه وقال له ياشاه ما هذه الغفلة عن الله، اشتغلت بدنياك عن آخرتك، وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك، إنما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته، فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه، فبينما الشاب يحدثه إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها للشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه فشربه وقال ما شربت شيئا ألذ منه ولا أبرد ولا أعذب، ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله تعالى إلى خدمتى فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالى، أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك فلما رأى ذلك تاب وكان منه ما كان رضى الله عنه ونفعنا به وأنشد أحدهم:

خدمت لما قد صرت من خدمك ‏ ‏ ‏ ودار عندى السرور من نعمك
وكانت الحادثات تطرقنى ‏ ‏ ‏ فاحتشمتنى إذ صرت من حشمك

الحكاية الحادية والخمسون بعد المائة
عن مالك بن دينار رضى الله عنه

أنه سئل عن سبب توبته فقال كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر ثم إنى اشتريت جارية نفيسة ووقعت منى أحسن موقع فولدت لى بنتا فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت حبا في قلبى وألفتنى وألفتها فكنت إذا وضعت المسكر جاءت إلى وجاذبتنى إياه وأهرقته على ثوبى فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدنى الحزن عليها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل صلاة العشاء، فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم

فسمعت حسا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوى فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريقى فإذا أنا بشيخ نقى الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أجرنى وأغثنى فقال أنا ضعيف وهذا أقوى منى وأنا ما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله تعالى أن يسبب لك من ينجيك منه فوليت هاربا على وجهى فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى أهوالها وكدت أهوى فيها من فزعى من التنين الذى فى طلبى، فصاح بى صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فأتيت الشيخ فقلت له ياشيخ سألتك أن تجيرنى من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه للمسلمين ودائع فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك، فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل كوة مصراعان من الذهب الأحمر مرصع بالياقوت مكللة بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه والتنين ورائى حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه، فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت، فأشرف على أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين منى فتحيرت في أمرى فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجا بعد فوج فإذا بابنتى التى ماتت قد أشرفت على معهم فلما رأتنى بكت وقالت أبى والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدى فمدت يدها الشمال إلى يدى اليمين فتعلقت بها ومدت يدها اليمن إلى التنين فولى هاربا ثم أجلستنى وقعدت على حجرى وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتى وقالت يا أبت: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق**﴾(١) فبكيت وقلت يابنية وأنتم تعرفون القرآن قالت يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت فأخبرينى عن التنين الذى أراد هلاكى قالت ذلك عملك السوء الخبيث قويته فتقوى فأراد أن يغرقك في النار، قلت فأخبرينى عن الشيخ الذى مررت به في طريقى قالت يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته فضعف حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل، قالت نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع فيكم فانتبهت فزعا مرعوبا فلما أصبحت فارقت ماكنت عليه وتبت إلى الله عز وجل وهذاسبب توبتى رضى الله عنه.

---

(١) سورة الحديد الآية ١٦.

(قلت) وقد جاء في الحديث أن عمل الإنسان يدفن معه في قبره فإن كان العمل كريما أكرم صاحبه وإن كان لئيما أسلمه أى إن كان عملا صالحا أنس صاحبه وبشره ونور عليه قبره ووسعه وحماه من الشدائد والأهوال والعذاب والوبال.

وقد سمعت عن بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس عنه سمع في القبر ضربا ودقا عنيفا ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ الصالح ويحك أيش أنت قال أنا عمل الميت قال فهذا الضرب فيك أم فيه قال بل في وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بينى وبينه وضربت وطردت قلت لما قوى عمله الصالح غلب عمله القبيح وطرده عنه بكرم الله ورحمته، ولو كان عمله القبيح أقوى لغلبه وأفزعه وعذبه نسأل الله الكريم لطفه ورحمته وعفوه وعافيته لنا ولأصحابنا ولكافة المسلمين آمين.

الحكاية الثانية والخمسون بعد المائة

حكى عن أحد العصاة أنه مات فلما حفروا له قبرا وجدوا فيه حية عظيمة فحفروا له قبرا آخر فوجدوها فيه ثم كذلك قبرا بعد قبر إلى أن حفروا نحوا من ثلاثين قبرا وفى كل ذلك يجدونها فيه فلما رأوا أنه لا يقدر أن يهرب من الله هارب ولا يغلبه غالب دفنوه معها وهذه الحية هي عمله كما ذكرنا في حكاية مالك بن دينار نسأل الله الكريم التوفيق وحسن الخاتمة في عفو وعافية في الدين والدنيا والآخرة إنه المنان الكريم البر الرحيم.

الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائة
عن أبى إسحاق الفزارى رحمه الله

قال كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى، فقلت له إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى أطلعنى على هذا فقال وتعطينى الأمان قلت نعم قال كنت نباشا فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن فرفعته ثم ضربت بيدى إلى الرداء ثم ضربت بيدى إلى اللفافة فجررتها فجعلت تجرها فقلت أتراها تغلبنى فجثيت على ركبتى فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتنى وكشف عن وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه، فقلت له ثم ماذا فعلت قال ثم رددت عليها لفافتها وإزارها ثم رددت اللبن ثم التراب وجعلت على نفسى ألا أنبش قبرا ما عشت قال فكتبت إلى الأوزاعى بذلك فكتب إلى الأوزاعى سله ويحك عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة فسألته عن ذلك فقال أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك إلى الأوزاعى فكتب إلى إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات أما من حول

وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة انتهى كلامهم.

(قلت) لعل الإمام الأوزاعى رضى الله عنه أراد بالسنة ههنا ملة الإسلام والمعنى والله أعلم أن الإصرار على المعاصى يجر كثيرا من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله عز وجل، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون**﴾[١] كان عاقبة الإساءة التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها وذلك هو الكفر أعاذنا الله منه وسأذكر شيئا من ذلك الآن.

الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائة

روى أن أحد الناس حضرته الوفاة فكان كلما قيل له قل لا إله إلا الله قال:

يارُبَّ قائلة يوما وقد تعبت   أين الطريق إلى حمام منجاب

وذلك أن امرأة خرجت في بعض الأيام تريد حماما، يقال له منجاب فلم تعرف الطريق وتعبت من المشي، فصادفت رجلا على باب داره فسألته عن الحمام، فقال هو هذا وأشار إلى داره فلما دخلت أغلق عليها الباب فلما عرفت أنه قد خدعها أظهرت السرور وقالت له اذهب هات لنا من السوق ما نطيب به وقتنا فبادر إلى ذلك وترك الباب مفتوحا فخرجت بخديعة حتى تخلصت بها من خداعة الباطل بارك الله فيها وذلك بفضل الله عليها وحفظه إياها، فلما رجع الرجل على نية الفجور بها لم يلق في بيته إلا الويل والثبور فخرج على رأسه هائما يدور وينشد البيت المذكور حتى جعله عوضا عن شهادة (أن لا إله إلا الله) وهو في غمرات الموت محضور نستجير من ذلك بالله الكريم الغفور.

الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائة

روى عن آخر أيضا أنه كان حرفته بيع الحشيش وهو غافل عن الله تعالى فلما حضرته الوفاة كان كلما قيل له قل (لا إله إلا الله) قال حزمة بفلس.

وكان بعض الشيوخ بعد ذلك يقول لأصحابه أكثروا من الشهادة حتى تموتوا عليها كما مات هذا على هذه الكلمة التى عاش عليها.

(وروى) عن بعض الأخيار من أهل تلاوة القرآن الكريم أنه لما حضرته الوفاة كانوا كلما قالوا له قل (لا إله إلا الله) قال: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾[٢] إلى قوله تعالى: ﴿**الله لا إله إلا هو له الأسماء**

---

(١) سورة الروم الآية ١٠.   (٢) سورة طه: الآيتان: ١، ٢.

الحسنى﴾[1] فلم يزل يعيدها كلما أعادوا عليه إلى أن مات على هذه الآية الكريمة الجليلة العظيمة.

(قلت) وكل ما ذكرنا يحقق ما ورد أنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه نسأل الله الكريم التوفيق للطاعة والموت على الإسلام والسنة والجماعة لنا ولأحبابنا ووالدينا وأولادنا والمسلمين آمين.

الحكاية السادسة والخمسون بعد المائة

حكى أن امرأة من المتعبدات يقال لها باهية، لما أشرفت على الموت رفعت رأسها إلى السماء، وقالت ياذخرى وذخيرتى ومن عليه اعتمادى في حياتى ومماتى لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى في قبرى، فلما ماتت كان لها ولد يأتى قبرها في كل ليلة جمعة ويوم جمعة ويقرأ عند قبرها شيئا من القرآن ويدعو لها ويستغفر لها ولأهل المقابر، قال فرأيتها في المنام فسلمت عليها وقلت لها يا أماه كيف أنت وكيف حالك فقالت يا بنى إن للموت كربة شديدة وأنا بحمد الله في برزخ مفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم القيامة، فقلت ألك حاجة قالت نعم يابنى لا تدع ما كنت عليه من زيارتنا والقراءة والدعاء لنا فإنى يابنى أسر بمجيئك إلينا ليلة الجمعة ويوم الجمعة إذا أقبلت يقول لى الموتى يا باهية هذا ابنك قد أقبل فأسر بذلك ويسر من حولى من الموتى، قال فكنت أزورها في كل ليلة جمعة ويومها وأقرأ عندها شيئا من القرآن وأقول أنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وزاد بعضهم وتقبل حسناتكم قال فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ بخلق كثير قد جاءونى فقلت من أنتم وما حاجتكم فقالوا نحن أهل المقابر جئناك نشكرك ونسألك ألا تقطعنا من تلك القراءة والدعوات فما زلت أقرأ لهم وأدعو لهم بهن كل ليلة جمعة ويومها.

قلت وما ذكر في هذه الحكاية من نفع قراءة القرآن للموتى يؤيد قول من قال من العلماء بذلك ويؤيده أيضا ما سنذكره الآن إن شاء الله تعالى.

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة

ذكر أحد أهل العلم أن رجلا رأى في النوم أهل القبور في بعض المقابر قد خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة وإذا بهم يلتقطون شيئا لا يدرى ما هو، قال فتعجبت من ذلك ورأيت واحدا منهم جالسا لا يلتقط شيئا فدنوت منه وسألته ماالذى يلتقط هؤلاء، فقال يلتقطون مايهدى إليهم المسلمون من قراءة القرآن والصدقة والدعاء قال فقلت له فلم لا تلتقط أنت معهم، فقال أنا غنى عن ذلك فقلت بأى شىء قال

(١) سورة طه : الآية ٨.

بختمة يقرؤها ويهديها إلي ولدى في كل يوم وهو يبيع الزلابية في السوق الفلاني قال فلما استيقظت ذهبت إلى السوق حيث ذكر فإذا بشاب يبيع الزلابية ويحرك شفتيه فقلت بأى شيء تحرك شفتيك قال اقرأ القرآن وأهديه إلى والدى في قبره قال فلبثت مدة من الزمان ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور يلتقطون كما تقدم وإذا بالرجل الذى كان لا يلتقط معهم صار يلتقط معهم فاستيقظت وتعجبت من ذلك ثم ذهبت إلى السوق لأعرف خبر ولده فوجدته قد مات رحمه الله.

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائة

روى أن إحدى النساء توفيت فرأتها في النوم امرأة تعرفها وإذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ما في هذه الآنية قالت فيها هدية أهداها لي أولادى البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال قرأت البارحة شيئا من القرآن وأهديته إليها.

(قلت) وقد بلغنى أن أحد الموتى في بلاد اليمن رآه بعض أصحابه في النوم قال وكنت قد أهديت إليه شيئا من القرآن فقال لـه سلم لى على فلان وقل له جزاه الله عنى خيرا كما أهدى إلى شيئا من القرآن.

وروى بعض العلماء في بعض مصنفاته ما معناه أن الشيخ الإمام مفتى الأنام عز الدين بن عبدالسلام رضى الله عنه سئل بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى فقال هيهات وجدت الأمر بخلاف ما كنت أظن رحمه الله.

الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائة
عن صالح المرى رضى الله عنه

قال أقبلت ليلة جمعة إلى الجامع لأصلى فيه صلاة الفجر فمررت بمقبرة فجلست عند قبر فغلبتنى عينى فنمت فرأيت في نومى كأن أهل المقبرة قد خرجوا من قبورهم فقعدوا حلقا حلقا يتحدثون وإذا بشاب عليه ثياب دنسة قعد في جانب القبر مغموما مهموما فريدا بنفسه فلم يلبثوا إلا ساعة حتى أقبلت ملائكة على أيديهم أطباق مغطاة بمناديل كأنهن من نور فكلما جاء أحدا منهم طبق أخذه ودخل في قبره حتى بقى الفتى في آخر القوم فلم يأته شيء، فقام حزينا ليدخل في قبره، فقلت له ياعبدالله مالى أراك حزينا وما الذي رأيت قال ياصالح هل رأيت الأطباق قلت نعم فما هى قال تلك صدقات الأحياء ودعاؤهم لموتاهم يأتيهم ذلك في كل ليلة جمعة

ويومها ثم ذكر كلاما طويلا ذكر فيه أن له والدة اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت والتهت وأنه يحق له أن يحـزن إذ ليس له من يذكـره فسـأله صـالح عن منزل والدته أين هو فوصف له الموضع فلما أصبح صالح ذهب وسأل عنها فأرشد إليها فكلمها من خلف الستر وقص عليهـا القصة فبكت حتى تحدرت دموعهـا على خدها ثم قالت ياصالح ذاك ولدى وفلذة من كبدى ومن كان بطنى له وعاء وثديي لـه سقاء وحجرى له حواء قال ثم دفعت إلى ألف درهم وقالت تصدق بها على حـبيبى وقرة عيني ولست أنساه من الدعاء والصدقة في باقى عمري إن شاء الله تعالى قال فتصدقت بالألف عنه فلما كان يوم الجمعة الأخـرى أقبلت أريد الجامع فأتيت المقبرة واستندت إلى قـبر فخفقت برأسى وإذا بالقوم قـد خرجوا وإذا بالفتى عليـه ثياب بيض وهو فرح مسـرور فأقبل نحوى حتى دنا منى، وقال ياصالح جـزاك الله عنى خيرا قد وصلت إلى الهدية قلت له أنتم تعرفون يوم الجمعة قال نعم، وإن الطيـور في الهواء لتعرفه وتقول سلام سلام ليوم صالح يعنى يوم الجمعة أعاد الله علينا من بركته.

الحكاية الستون بعد المائة عن مالك بن دينار رضى الله عنه

قال رأيت قـوما بالبصـرة يحملون جنازة وليس مـعهم أحد ممـن يشيع الجنازة فسـألتهم عنه فقـالوا هذا رجل من كبـار المذنبين العصاة المسـرفين قال فصـليت عليه وأنزلته في قبـره ثم انصرفت إلى الظل فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السمـاء فشقا قبره ونزل أحدهمـا إليه وقال لصاحبه اكـتبه من أهل النار فما فيـه حاجة سلمت من المعاصى والأوزار، قـال فقـال له صاحبـه يا أخى لا تعجل عليـه اختبـر عينيـه قال اختبرتهما فـوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى محارم الله عز وجل قال فاختـبر سمعه قال قد اختبرته فوجدته مملوءا بسماع الفواحش والمنكرات، قـال فاختبر لسانه قال اختبرته فوجدته مملوءًا بالخـوض في المحظورات وارتكاب المحرمات، قال فاختـبر يديه قال قد اختبرتهـما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام ومـالا يحل من اللذات والشهوات، قال فاختبـر رجليه قال قد اختبرتهـما فوجدتهما مملوءتين بالسـعى في النجاسات والأمور المذمومات، قـال يا أخى لا تعجل عليه ودعنى أنزل إليه فنزل الملك الثـاني إليه وأقام عنده ساعة وقال لصاحبه يا أخى قد اختبرت قلـبه فوجدته مملوءًا إيمانا فاكتبه مرحوما سعيدا ففضل المولى سبحانه وتعالى يستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا وأنشدوا:

لما رأوه مبـــعدا عـــن طاعتـي   حكموا بأني لا أجـود برحمتـي
حلمى أجل ولن يضيق على الورى   مـن ذا يحد أوامـرى ومشيئتـي

(قلت) إنما حصلت هذه السعادة لهذا المذكور بعناية سابقة وماتحصل هذه لكل عاص فلا تغتر بهذا فالعصاة كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم نسأل الله الكريم حسن الخاتمة والمغفرة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة ويسلم لنا الدين ولأحبابنا ولسائر المسلمين آمين.

الحكاية الحادية والستون بعد المائة عن أحدهم

قال سألت الله عز وجل أن يريني مقامات أهل المقابر فرأيت ليلة من الليالي كأن القيامة قد قامت والقبور قد انشقت وإذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على السرر ومنهم النائم على الريحان ومنهم الضاحك ومنهم الباكي فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة قال فنادى مناد من أهل القبور يافلان هذه منازل الأعمال أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون وأما أصحاب الضحك فهم أصحاب التوبة والإنابة وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون وأما أصحاب المراتب فهم المتحابون في الله تعالى انتهى كلامه.

(قلت) هكذا ذكر في الاصل الذى نقلت منه أعنى تفسير أصحاب المراتب ولم يتقدم للمراتب ذكر وقد تقدم ذكر السرر ولم يفسر أصحابها بعد من هم فلعله أراد بالمراتب السرر المتقدم ذكرها وأما حقيقة المراتب فهى المناصب الشريفة والمقامات العالية المنيفة، ولا شك أن أصحاب السرر المذكورة أشرف مرتبة وأعلى منزلة ممن على الأرض وإن كان أهل الأرض على الحرير وغيره، مع أن السرر المذكورة المعدة للإكرام والمرتبة العالية لا تخلو من الفرش العزيزة الغالية وإن لم تذكر معها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**إخوانا على سرر متقابلين**﴾[1] ولم يذكر الفرش في هذه الآية، ومعلوم أن السرر المذكورة عليها الفرش المذكورة في آيات أخرى، وإذا قال قائل جلس الملك على سريره وجلسنا عنده علم من ذلك شيئان:

أحدهما أن السرير مفروش وإن لم يذكر ذلك.

والثاني أن الملك أنما جلس على السرير ليرتفع على من عنده برفعة المجلس مع رفعة المملكة، ولا يرضى أن يجلس معه غيره على السرير ولا يجلس هو مع غيره على الأرض في الغالب.

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٧.

ولما دخل الأحنف بن قيس على بعض الولاة لبعض مصالح المسلمين جلس معه على السرير بغير إذنه فرأى الأحنف الغضب في وجهه فقال الأحنف واعجباه كيف يتكبر من يغسل العذرة بيده كل يوم مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أكثر من ثلاث كيف يتكبر على مثله، ولما دخل عبد المطلب على بعض الملوك رأى منه الملك منظرا حسنا وخبر من سيادته وحسبه من قريش مخبرا شريفا ومنطقا حسنا فأجله الملك وأكرمه وكره أن يجلسه على الأرض ويجلس هو على السرير وكره أيضا أن يجلسه معه على السرير فيشاركه في سرير الملك ومجلس العلو فنزل الملك عن سريره وجلس مع عبد المطلب على الأرض وقضى له حاجته التى طلب وبجله وخصه بمرتبة عالية على المراتب فعلى كذا يكون المتحابون في الله تعالى أفضل من سائر المذكورين في هذه الحكاية وقد تقدم حديث الترمذى الصحيح قال الله عز وجل: (المتحابون في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) والحديث الصحيح في الموطأ يقول الله عز وجل: (وجبت محبتى للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في) فقد ظهر من هذين الحديثين ما يؤيد المنام المذكور أنهم أصحاب المراتب وناهيك بها من مراتب وأكرم بها من مناصب احتوت على شرف جل قدره وعظم فخره مع ما لهم من العيش الأهنى والجمال الأسنى والنعيم المقيم في جوار المولى الكريم زادهم الله من نعمه وتكرم علينا وعليهم بكرمه والمسلمين آمين، وأما ذكر السرر في المنام المذكور ورد ذكر منابر النور في الحديث الصحيح المشهور فليس بينهما تناقض ولا قادح محذور فالمنابر تكون في القيامة والسرر تكون في القبور كما رأى في المنام المذكور وكما هو في الحكايات الآتيات مسطور.

الحكاية الثانية والستون بعد المائة

روينا عن أحد من يحفرون القبور من الثقات رحمه الله أنه حفر قبرا في بعض البلاد فأشرف فيه على إنسان جالس على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه وربما قال وتحته نهر يجرى فغشى عليه وأخرجوه من القبر ولم يعلموا ما أصابه ثم أفاق في اليوم الثاني أو قال في الثالث فأخبرهم بما رأى فسأله بعض الناس أن يدله على ذلك القبر فعزم على ذلك فلما كان في الليل رأى صاحب القبر في النوم وهو يقول أقسم بالله عليك لئن دللت أحد على قبرى ليصيبنى كذا وكذا فاستيقظ وتاب مما نوى وعمى عليهم القبر فلم يعلموا أين هو رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثالثة والستون بعد المائة
عن منصور بن عمار رضى الله عنه

قال رأيت في بعض الأيام شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت في نفسى لعل هذا الشاب ولى من أولياء الله فـوقفت حتى فرغ من صلاته ثم سلمت عليـه فرد السلام فقلت له ألم تعلم أن في جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق الشاب شهقة خـر مغشيا عليه فلما أفاق زادنى فقلت: **﴿يا أيها الذين آمنوا قـوا أنفسكم وأهليكم نارا وقـودها الناس والحجارة عليـها مـلائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**(١).

قال فخر ميتا فكشفت عنه ثيابه فإذا على صدره مكتوب **﴿فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية﴾**(٢) قال فلما كـان في الليلة الثالثة رأيته فـى المنام جالسا على سرير وعـلى رأسه تاج فقلت له مـا فعل الله بك؟ قـال غفر لى وأعـطانى مثل ثواب أهل بدر وزادنى فقلت له: بم زادك قـال لأنهم قتلوا بسيف الكفـار وأنا قتلت بكلام الملك الجبار.

الحكاية الرابعة والستون بعد المائة

قال المؤلف عامله الله بلطفه ورحمتـه في دنياه وآخرته رأيت في النوم كأن قبرا مفتوحا فدخلت فيه فإذا هو واسع لا أرى فيه أحدا إلا أرجل سرير فرفعت طرفى فإذا السرير عـال وعليه شخص نائم فقلـت ما أقبح فعـال بنى الدنيا ما يتركـون الرعونة والترفـه حتى بعـد الموت يدخلون في القبـور السرر للمـوتى، فإذا بصاحـب السرير ينادينى إليه فلم أقدر أصعد لكون السـرير عاليا علوا مفرطا ثم إنه سُهل لى طريق من جانب القبر فصـعدت فيه كما يصعد في الدرج حتى حـاذيت القائم على السرير فإذا هى والدتى رحمـها الله تعالى وجزاها عنى أفـضل الجزاء فسلمت على سلامـا بغاية الشفقة البالغة والرحمة والرأفة الكاملة وسألتنى عن أخ لى كان حيا وأما إخوتى الذين خلفتـهم ثم ماتوا قبـل المنام المذكور فلم تسألنى عنـهم وهذا يؤدى ما روى أن الموتى يعلمـون بمن مات من الأحيـاء ويسألون من قـدم عليهم من الموتى عـن أحوال أهل الدنيا ثم إنها ودعتنى بعد السلام والسـؤال المذكورين فانتبهت ووجدت الشجن بذلك السلام وتلك الشـفقـة مدة طويلة حتى إذا ذكـرت ذلك وجدت تأثيره فـي قلبى بعد سنين.

---

(١) سورة التحريم الآية ٦.
(٢) سورة الحاقة الآيات ٢١ - ٢٣.

الحكاية الخامسة والستون بعد المائة

قال المؤلف أحسن الله خاتمته رؤية الموتى فى خير أو شر نوع من الكشف يظهر الله للأحياء حال الموتى لتبشير أو موعظة أو مصلحة للميت من إيصال خير إليه أو قضاء دين عليه أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الأولياء الذين هم أصحاب أحوال ومقامات عوال ينظرون إلى الموتى في اليقظة وقتما يريد الله لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى وفي ذلك حكايات صحيحات يطول ذكرها.

من ذلك ما قدمناه عن الشيخ نجم الدين الأصفهانى رضى الله عنه أنه سمع الميت يقول ألا تعجبون من ميت يلقن حيا لما قعد الملقن يلقنه كما مضى ومنها ما أخبرنى بعض الصالحين عن الشيخ العارف بالله بحر المعارف ذى الكرامات العظيمة والمناقب الكريمة الفقيه الإمام رفيع المقام أبى الذبيح إسماعيل بن محمد اليمنى المشهور بالحضرمى رضى الله عنه ونفعنا به، أنه مر على بعض المقابر في بلاد اليمن فبكا بكاء شديدًا وعلاه حزن وترح ثم ضحك ضحكا حميدا وعلاه في الحال سرور وفرح فتعجب الناس الحاضرون هنالك وسألوه عن ذلك، فقال رضى الله عنه كشف لى عن أهل هذه المقبرة فرأيتهم يعذبون فحزنت وبكيت لذلك ثم تضرعت إلى الله سبحانه وتعالى فيهم فقيل لى قد شفعناك فيهم فقالت صاحبة هذا القبر وأنا معهم يا فقيه إسماعيل أنا فلانة بنت المغنية فضحكت وقلت وأنت معهم ثم إنه أرسل إلى الحفار وقال من فى هذا القبر القريب العهد قال فلانة المغنية التى تشفع لها الشيخ نفع الله به.

الحكاية السادسة والستون بعد المائة

قال المؤلف غفر الله له أخبرنى الثقات أن الشيخين الكبيرين العارفين بالله الشهيرين كبيرى شيوخ اليمن المقدمين في وقتهما على شيوخ الزمان الشيخ محمد بن أبى بكر الحكمى والشيخ أبى الغيث بن جميل قدس الله روحهما ونور ضريحهما وأعاد علينا من بركاتهما جاءهما بعض الفقراء للصحبة بعد موتهما فخرج الشيخ محمد من قبره وصحب الذى أتاه وأخذ عليه العهد والشروط في كلام يطول شرحه وأخرج الشيخ أبو الغيث يده من القبر وصحب الذى أتاه وفي الحكاية كلام يطول رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية السابعة والستون بعد المائة

قال المؤلف غفر الله له أخبرنى بعض أهل العلم عن الفقيه الإمام محب الدين الطبرى رحمة الله عليه أنه كان مع الشيخ العارف بالله الإمام إسماعيل بن محمد

الحضرمى المذكور أولا في مقبرة زبيد قال المحب فقال لى يا محب الدين أتؤمن بكلام الموتى قلت نعم قال فإن صاحب هذا القبر يقول لى أنا من حشو الجنة وقال المؤلف وحكاياتهم في هذا المقام تطول في اليقظة والمنام ومن المنامات ما رأيت في ذلك أن بعض شيوخى وكان من العلماء الصالحين توفى فرأيته في المنام وهو لابس في ساقيه خلخالين نصف كل واحد منهما ذهب والنصف الآخر فضة في جهة الطول وليس بينهما لحمة ولا انفصال أصلا أعنى الذهب والفضة وهما يحيران العقل بحسنهما وهو يتبختر في مشيته فانتبهت وكأنى إلى الآن لم أجد حلاوة حسن الخلخالين اللذين صاغتهما يد القدرة.

وسألت بعض الصواغ هل يمكن الصيغة على الصفة المذكورة قال ما نقدر ولا يمكن ذلك ولا بد أن يبقى بينهما فصل ظاهر فعلمت أنه لا يقدر مخلوق على صنعة الخالق القادر سبحانه وتعالى.

الحكاية الثامنة والستون بعد المائة

قال المؤلف كان الله له وبلغه من الخير أمله وختم بالصالحات عمله رأيت والدى رحمه الله وغفر له وجزاه عنى أفضل الجزاء بعد موته في المنام وكأنه عتبان على لكونه مات وأنا غائب عنه غيبة بعيدة المكان طويلة الزمان فقلت له أما علمت أن يعقوب عليه السلام غاب عنه ابنه دهراً طويلا وقلت كذا وكذا وهو صابر فقال يا ولدى وتشبهنا بالأنبياء أو قال صبرنا كصبر الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ثم رأيته بعد ذلك في أول ليلة من رجب وهى ليلة جمعة بعد أن قرأت على قبره القرآن الكريم فبشرنى وسر بلقائى وقال الحمد لله الذى من على بثلاث خصال الأولى الاجتماع بك ثم انتبهت قبل أن يذكر لى الخصلتين الأخريين عامله الله بلطفه وعفوه وحلمه ومغفرته وفضله وكرمه وإيانا وجميع المسلمين آمين.

قلت مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترجع فى بعض الأوقات من عليين أو سجين إلى أجسادهم في قبورهم عندمايريد الله تعالى وخصوصا في ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم ما كان منها في عليين وبالعذاب ما كان منها في سجين وفي القبر يشرح الروح والجسد في النعيم والعذاب عندما تعود إلى الجسد إلا ليلة الجمعة ويومها فإنه بلغنا أنهم لا يعذبون فيها رحمة من الله وشرفا للوقت.

قلت ويحتمل أن يكون رفع العذاب في هذا الوقت المذكور عن عصاة المسلمين دون الكفار لأمرين أحدهما أن الكافر مخلد في العذاب دون المسلم والثانى أن المسلم كان يعتقد فضل الجمعة وبركتها دون الكافر والله أعلم وقد تظاهرت أدلة الشرع من الأخبار والآثار الصحيحة الشهيرة على النعيم والعذاب في القبور ونعيم الأرواح التى في عليين وعذاب الأرواح التى في سجين على حسب السعادة والشقاوة وكل هذا لا يحيله العقل ويطول ذكر ما صح فيه من النقل وأدلتنا من المنقول والمعقول موضع ذكرها كتب الأصول ففى ميدانها اتساع في العرض والطول تجول فيه خيل الاحتجاج السوابق وتصول وتضرب بالبيض المواضى وتطعن والقنا شواجر بالنصول فهنالك جيش السنة غالب مؤيد وجيش البدع مغلوب مخذول نسأل الله الكريم التوفيق والهدى ونعوذ به من الخذلان والردى ثم هذا الذى ذكرت من النعيم والعذاب للأرواح والأجساد أو للأرواح خاصة، إنما هو في البرزخ أما بعد البعث فإن الروح والجسد معا يشتركان في العذاب أو النعيم بإجماع المسلمين خلافا للفلاسفة الكفار الذين قالوا تبعث الأرواح دون الأجساد وهم الصابئون وأشد منهم كفرًا الفلاسفة الطبيعيون الذين أنكروا بعث الأجساد والأرواح معا وأشد كفرًا من القسمين المذكورين القسم الثالث من الفلاسفة وهم الدهريون الذين أنكروا بعث الأرواح والأجساد وأنكروا الصانع جل وعز عن قولهم وجهلهم وكفرهم علوا كبيرا وتبارك وتقدس في ذاته وصفاته عن كل نقص كبيرا كان أو صغيرا وخصنا بالمخصوص بالمقام المحمود واللواء المعقود سيد الأصفياء وخاتم الأنبياء بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الحكاية التاسعة والستون بعد المائة

حكى عن الشيخ أبى على الروذبارى رضى الله عنه أنه ورد عليه جماعة من الفقراء فاعتل واحد منهم وبقى في علته أياما فمل أصحابه من خدمته وشكوا ذلك إلى الشيخ أبى على ذات يوم فخالف الشيخ على نفسه وحلف ألا يتولى خدمته غيره فتولى خدمته بنفسه أياما ثم مات الفقير فغسله بيده وكفنه وصلى عليه ودفنه فلما أراد أن يفتح رأس كفنه عند إضجاعه في القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه وقال له يا أبا على لأنصرنك بجاهى يوم القيامة كما نصرتنى في مخالفتك نفسك.

الحكاية السبعون بعد المائة
عن الشيخ أبى سعيد الخراز رضى الله عنه

قال كنت بمكة فجزت يوما بباب بنى شيبة فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت في وجهه فتبسم في وجهى وقال لى يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباب أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار وقال أبو يعقوب السنوسى رضى الله عنه جاءنى مريد بمكة وقال يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفر لى بنصفه وكفنى بنصفه فلما كان الغد وقت الظهر جاء فطاف ثم تباعد ومات فغسلته ووضعته في اللحد ففتح عينيه فقلت له أحياء بعد الموت فقال أنا حى وكل محب لله حى رضى الله عنه.

الحكاية الحادية والسبعون بعد المائة عن أحدهم

قال غسلت ميتا مريدا فأمسك إبهامى وهو على المغتسل فقلت يا بنى خل يدى فأنا أدرى أنك لست بميت وإنما هى نقلة من مكان إلى مكان فخلى عن يدى.

قلت وبلغنى أن بعض الموتى قص غاسله أظفاره فحاف عليه في بعض الأظفار فجذب الميت أصبعه أخبرنى الغاسل بذلك وبأنه رآه يبتسم ويضيء وجهه والغاسل المذكور امرأة والميت امرأة وكلتاهما من الصالحات إن شاء الله تعالى وقال الشيخ ابن الجلاء رضى الله عنه لما مات أبى ضحك على المغتسل وقالوا إنه حى حتى جاء رجل من أقرانه فغسله رضى الله عنهم أجمعين.

الحكاية الثانية والسبعون بعد المائة عن أحدهم

قال كنا في مركب فمات رجل عليل كان فيه فأخذنا في جهازه وأردنا إلقاءه في البحر فرأيت البحر قد انشق نصفين ونزلت السفينة إلى الأرض فخرجنا وحفرنا له قبرا ودفناه فلما فرغنا استوى الماء وارتفعت السفينة وسرنا.

وقيل مات فقير في بيت مظلم فلما أرادوا غسله تكلفوا في طلب السراج فسطع لهم من كوة البيت نور أضاء البيت فغسلوه فلما فرغوا ذهب الضوء كأن لم يكن.

الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائة
عن أحدهم

قال رأيت أبا تراب النخشبى رضى الله عنه ميتا في البادية قائما مستقبلا القبلة لا يمسكه شيء فأردت أن أحمله وأواريه في التراب فما قدرت على رفعه وسمعت هاتفا يقول دع ولى الله مع الله.

(وروى) أنه لما حضرت وفاة الشيخ أبى على الروذبارى رضى الله عنه فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول لى يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها وأنشد يقول:

وحقك لانظرت إلى سواكا ... بين مودة حتى أراكا
ولا استحسنت في نظرى جمالا ... ولا أحببت حبا غير ذاكا
ولا استلذذت في الدنيا لذيذا ... ولا لى بغية إلا رضاكا
فمن بنظرة فضلا ومنا ... وبلغنى المنى حتى أراكا

الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائة
عن أحدهم

قال لما مات ابن الجلاء رضى الله عنه نظروا إليه فإذا هو يضحك فقال الطبيب إنه حى ثم جسه فقال إنه ميت ثم كشف عن وجهه فقال لا أدرى أهو حى أو ميت.

وقيل إن عبدالله بن المبارك فتح عينيه عند الوفاة ثم ضحك فقال لمثل هذا فليعمل العاملون رضى الله عنه.

وقال الشيخ أبو محمد الجريرى رضى الله عنه كنت عند الجنيد رضى الله عنه في حال نزعه وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له أفى هذا الحال يا أبا القاسم قال ومن أولى بذلك منى وها هى ذى تطوى صحيفتى.

الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائة
عن محمد بن حامد رضى الله عنه

قال كنت جالسا عند الإمام أحمد بن خضرويه رضى الله عنه وهو في النزع وقد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال يابنى باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح لى الساعة لا أدرى أيفتح بالسعادة أم بالشقاء وآن لى أوان الجواب وكان عليه سبعمائة دينار دينا وحضر غرماؤه

فنظر إليهم وقال اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عليهم وثيقتهم وقد قلت ادعونى أستجب لكم فاقض دينى وأرض عنى خصومى إنك على كل شيء قدير فدق الباب داق وقال أين غرماء أحمد فخرجوا فقضى عنه دينه ثم خرجت روحه رضى الله عنه.

الحكاية السادسة والسبعون بعد المائة
عن أحدهم

قال إن رجلا قال للشبلى رضى الله عنه لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله فقال لا أبغى به بدلا فقال يا أبا بكر أريد أعلى من هذا فقال أخشى أن أؤخذ في وحشة الحجاب فقال أريد أعلى من ذلك فقال قال الله تعالى: ﴿**قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾[1] فزعق الرجل فخرجت روحه فتعلق أولياء الميت بالشبلى وادعوا عليه طلب ثأره فحمل إلى مجلس الخليفة فخرجت الرسالة إليه فسأله عن دعواهم عليه فقال الشبلى روح حنت فرهبت ودعيت فاجأبت وسمعت فأنابت فما ذنبى أنا فصاح الخليفة وقال خلوه فلا ذنب له.

الحكاية السابعة والسبعون بعد المائة
عن الشيخ أبى الحسن المزنى رضى الله عنه

أنه قال لأحدهم في النزع قل لا إله إلا الله فتبسم وقال إياى تعنى وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه إلا حجاب العزة وانطفأ من ساعته وكان المزنى يأخذ بلحيته ويقول حجام مثلى يلقن أولياء الله الشهادة واخجلتاه منه وكان يبكى إذا ذكر هذه الحكاية وقيل للأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقا.

وقال الشيخ أبو محمد رويم رضى الله عنه حضرت وفاة أبى سعيد الخراز رضى الله عنه وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم عند المناجاة للسر
أديرت كئوس للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
همومهم جوالة بمعسكر ... به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسرى
وما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر

رضى الله عنه وعنهم ونفعنا بهم أجمعين والمسلمين آمين.

---
[1] سورة الأنعام : الآية ٩١ .

الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائة
عن خلف بن سالم رحمه الله

قال قلت لأبى على بن المغيرة أين مأواك، قال في دار يستوى فيها العزيز والذليل قلت وأين هذه الدار قال المقابر قلت له أما تستوحش من ظلمة الليل قال إنى أذكر ظلمة اللحد ووحشته فتهون على ظلمة الليل قلت فربما رأيت في المقابر شيئا تنكره قال ربما ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر وانشدوا ما وجدوا مكتوبا على بعض القبور:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلى في كل يوم وليلة وتبلى كما تبلى وأنت حبيب

الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائة
عن الإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه

قال سمعت إمام الحرمين رضى الله عنه يحكى عن الأستاذ أبى بكر يعنى الإمام ابن فورك رضى الله عنه قال كان لى صاحب أيام التعلم وكان مبتدئا كثير الجهد في التعلم تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد إلا القليل فكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الأولياء في الرباط ولم يدخل بيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتد به الحال وأنا بجانبه فبينا هو كذلك إذ شخص ببصره إلى السماء ثم قال: يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون فتوفى عند ذلك رحمه الله.

الحكاية الثمانون بعد المائة
عن مالك بن دينار رضى الله عنه

أنه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك حبلان من النار بين يدى أكلف الصعود عليهما قال مالك فسألت آله ما كان فعله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الأمر إلا شدة.

(وروى) عن أحدهم أنه قال لبعض الناس وهو في النزع وكان يعامل الناس بالميزان قل (لا إله إلا الله) فقال ما أقدر أقولها لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها قال فقلت له أما كنت توفى الوزن قال بلى ولكن ربما يقع الميزان بشىء من الغبار ولا أشعر به.

الحكاية الحادية والثمانون بعد المائة عن أحد أصحاب
أحمد بن حنبل رضى الله عنه

قال لما مات أحمد بن حنبل رأيته في النوم وهو يمشى ويتبختر في مشيته فقلت

له يا أخى أى مشية هذه قال هذه مشية الخدام في دار السلام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي وألبسنى نعلين من ذهب وقال لى هذا جزاء قولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وقال يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فإذا بسفيان الثورى رضى الله عنه له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ هذه الآية: **﴿الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾**(١) فقلت له أصيش خبر عبدالواحد الوراق رضى الله عنه فقال تركته في بحر من النور في مركب من النور يزار به الملك الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث قال بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدى الملك الجليل سبحانه مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم يأكل واشرب يامن لم يشرب وأنعم يا من لم ينعم وقال أحدهم رأيت معروفا الكرخى رضى الله عنه في النوم كأنه تحت العرش والحق عز وجل يقول لملائكته من هذا فقالوا أنت أعلم به يا رب فقال هذا معروف الكرخى سكر في حبى فلا يفيق إلا بلقائى وقال الربيع بن سليمان رحمه الله رأيت الإمام الشافعى رضى الله عنه بعد وفاته في المنام فقلت له يا أبا عبدالله ما فعل الله بك قال أجلسنى على كرسى ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب وقال بعض الأخيار رأيت الشيخ أبا إسحق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى رضى الله عنه في المنام بعد وفاته وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقلت له ما هذا البياض فقال شرف الطاعة قلت والتاج قال عز العلم وقال الشيخ العارف أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لى باهى الله موسى وعيسى وصلى الله عليهما وسلم بالإمام الغزالى رضى الله عنه وقال أفى أمتكما حبر كهذا قالا لا رضى الله عنه وعن جميع الأولياء والعلماء ونفع بهم أجمعين آمين.

الحكاية الثانية والثمانون بعد المائة
عن بلال الخواص رضى الله عنه

قال كنت في تيه بنى إسرائيل وإذا برجل يماشينى فتعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر رضوان الله عليه فقلت له بحق الحق من أنت قال أخوك الخضر فلت له أريد أن أسألك فقال سل فقلت ما تقول في الشافعى فقال هو من الأوتاد فقلت ما تقول في أحمد بن حنبل فقال رجل صديق فقلت ما تقول في بشر بن الحرث فقال لم يخلف بعده مثله فقلت بأى وسيلة رأيتك قال ببرك لأمك.

الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائة

عن أحدهم أنه رأى بشر بن الحرث في النوم بعد وفاته فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لى وأتاح لى نصف الجنة وقال كل يامن لم يأكل واشرب يا من لم يشرب

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧٤.

وقال لى يابشر لو سجدت على الجمر مـا أديت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادى وفي رواية أخرى أنه قال له قبضتك يوم قـبضتك وليس على وجه الأرض أحد أحب إلى منك قلت وهذا يؤيد قول الخضر رضى الله عنه لم يخلف بعده مثله.

الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائة عن أحد الصالحين

قال كـان لي ابن استشـهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفى عـمر بن عبـدالعزيز رضى الله عنه تـراءى لى تلك الليلة فـقلت يا بنى ألم تـك ميـتـا فـقـال لا ولكني استشهدت وأنا حى عند الله أرزق فقلت له مـا جاء بك فقال نودى في السماء ألا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شـهيد إلا ويحضر الصـلاة على عمر بن عبدالعـزيز فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم.

.الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائة عن أحد الصالحين

أنه رأى "الإمام سفـيان الثورى رضى الله عنه في النوم بعد موته فـقال له كيف حالك يا أبا عبدالله قال فأعـرض عنى وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك يا سفيان فأنشد :

نظرت إلى ربى عيانا فقـال لـى هنيئا رضائى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا أظلم الدجى بعبـرة مشتـاق وقلـب عميــد
فدونك فاختر أى قصـر أردتــه وزرنـى فإنى عنـك غير بعيـد

الحكاية السادسة والثمانون بعد المائة

حكى أنه لما مات سـهل بن عبـدالله التسـترى رضى الله عنه أكب الناس على جنازته وكان في البلد رجل يهودى قـد نيف على السبعين سنة فسمع الضـجة فخرج لينظر ما الخبـر فلما نظر إلى الجنازة قال أترون ما أرى قالوا وما تـرى قال أرى أقواما ينزلون من السماء يتبركون بالجنازة ثم أسلم وحسن إسـلامه رحمه الله ونفعنا بجميع الصالحين آمين.

الحكاية السابعة والثمانون بعد المائة
عن خادمة رابعة العدوية رضى الله عنها

قالت كانت رابعة تصلى الليل كله فإذا طلع الفجـر هجعت هجعة في مصلاها حتى يسفر الفـجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مقـعدها ذلك وهى فزعة يانفس كم تنامين وإلى كم تقـومين يوشك أن تنامى نومـة لا تقومين منهـا إلا لصرخـة يوم النشور قـالت وكان هذا دأبهـا إلى أن ماتت فلمـا حضرتهـا الوفاة دعـتنى وقالت لا تؤذنى بموتى أحدا وكفنينى في جـبتى هذه وكانت جبة من شعر تقـوم فيها إذا هدأت العيون قالت فكفناها بتلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه قالت فرأيتها في المنام

عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منها قلت يا رابعة ما فعلت في الجبة التى كفناك بها والخمار الصوف قالت إنه والله نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترينه وطويت أكفانى وختم عليها ورفعت في عليين ليكون لى ثوابها يوم القيامة فقلت لها لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت وما هذا عندما رأيت مما أعد الله من كرامات الله عز وجل لأوليائه قلت فمرينى بأمر أتقرب به إلى الله تعالى قالت عليك بكثرة ذكره فإنه يوشك أن تغتبطى بذلك في قبرك.

الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائة

روى عن أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه قال كان لرابعة أحوال شتى يعنى زوجته رابعة الشامية قال فمرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الأنس ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها في حال الحب تقول:

حبيب ليس يعدله حبيب ... وما لسواه في قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى ... ولكن عن فؤادى ما يغيب

(وسمعتها في حال الأنس تقول)

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثى ... وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس ... وحبيب قلبى في الفؤاد أنيسى

(وسمعتها في حال الخوف تقول)

وزادى قليل ما هو مبلغى ... للزاد أبكى أم لطول مسافتى
أتحرقنى بالنار ياغاية المنى ... فأين رجائي فيك أين مخافتى

قال وقلت لها وقد قامت بليل ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك، فقالت سبحان الله مثلك يتكلم بهذا إنما أقوم إذا نوديت قال فجلست آكل في وقت قيامها فجعلت تذكرنى فقلت لها دعينا نتهنى بطعامنا.

فقالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام عند ذكر الإله.

وقالت لى لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان وكانت إذا طبخت قدرا قالت كلها ياسيدى فما نضجت إلا بالتسبيح.

قال وقالت لى اذهب فتزوج فتزوجت ثلاثا وكانت تطعمنى اللحم وتقول اذهب بقوتك إلى أهلك وقالت ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها قلت الظاهر والله أعلم أن هذه الرؤية المذكورة كانت في اليقظة فأما رؤية المنام فلغير الأولياء.

وهذه رابعة الشامية زوجة ابن أبى الحوارى كما ذكرناه وليست رابعة العدوية البصرية التى تقدمت وبعض أهل العلم يقول هذه الشامية رايعة بالياء المثناة المنقوطة

بنقطتين من تحت وبعضهم يقول بنقطة واحدة كرابعة البصرية رضى الله عنهما ونفع بهما أجمعين آمين.

الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائة
حكاية شعوانة رضى الله عنها

ذكر أن شعوانة رضى الله عنها قد كبرت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة فأتاها آت في منامها فقال:

أذرى دموعك إذا ما كنت شاكية ... إن النياحة لا تشفى الحزينينا
جدى وقومى وصومى الدهر دائبة ... فإن الدأب من فعل المطيعينا

فأخذت بالترنم والبكاء وراجعت العمل وكانت رضى الله تعالى عنها تردد هذا البيت فتبكى وتبكى النساء معها ثم تقول:

لقد أمن المغرور دار مقامه ... ويوشك يوما أن يخالف كما أمن

وروى أنه أتاها الفضيل بن عياض رضى الله عنه لما قدمت وسألها أن تدعو له فقالت: يا فضيل أما بينك وبين الله تعالى سريرة ما إن دعوته استجاب لك فشق الفضيل شهقة وخر مغشيا عليه رضى الله تعالى عنهما ونفع بهما.

الحكاية التسعون بعد المائة
حكاية: عمرة امرأة حبيب العجمي

روى أن عمرة امرأة حبيب العجمى رضى الله تعالى عنهما كانت توقظه بالليل وتقول قم يارجل فقد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا وبقينا نحن.

قال بعض الصالحين تزوجت امرأة فكانت إذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخرت ثم تأتينى فتقول ألك حاجة فإن قلت نعم كانت معى وإن قلت لا قامت فنزعت ثيابها ثم صفت قدميها حتى تصبح.

الحكاية الحادية والتسعون بعد المائة

حكى أنه كان لأحد الملوك جارية يقال لها جوهرة فأعتقها فمرت بأبى عبدالله البراثى رضى الله عنه وهو في كوخ له يتعبد فتزوجت به وتعبدت معه فرأت في المنام خياما مضروبة فقالت لمن ضربت هذه الخيام فقيل للمتهجدين بالقرآن فكانت بعد لا تنام وكانت توقظ زوجها وتقول يا أبا عبدالله قد سارت القافلة وأنشد بعضهم:

أرانى بعيد الدار لم أقرب الحمى ... وقد نصبت للساهرين خيام
علامة طردى طول ليلى نائم ... وغيرى يرى أن المنام حرام
إذا كنت لم أصلح لخدمة مثله ... على طيب أيام الوصال سلام

الحكاية الثانية والتسعون بعد المائة

حكى أن ملك كرمان خطب بنت الشيخ شاه الكرمانى رضى الله تعالى عنه

فاستمهله ثلاثة أيام ثم أقبل شاه يطوف المساجد فرأى غلاما يحسن صلاته، فلما فرغ قال يا غلام ألك زوجة قال لا فقال فهل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصلى وتصوم وهى جميلة نظيفة عفيفة فقال ومن يزوجنى فقال شاه أنا أزوجك فخذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والأمر مفروغ منه فعقد عليها فلما دخلت بيت الغلام رأت رغيفا يابسا على رأس جرة فلما رأت ذلك قالت ما هذا فقال لها رغيف بقى من أمس فتركته لأفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال الشاب قد عرفت أن بنت شاه لا تقنع بفقرى ولا ترضى بى لها بعلا فقالت إن بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك ولست أعجب منك إنما أعجب من أبى كيف قال زوجتك من شاب عفيف كيف وصف بالعفة من لا يعتمد على الله تعالى إلا مع ادخار رغيف، فقال الشاب أنا عن هذا معتذر، فقالت أما العذر فأنت أعرف بشأنك وأما أنا فلا أقيم في بيت فيه مطعوم فإما أن أخرج أنا وإما أن تخرج الرغيف من البيت فتصدق الشاب بالرغيف رضى الله تعالى عنهما.

قلت هذا التزويج المذكور صدر من الشيخ الجليل العارف بالله شاه بن شجاع الكرمانى المذكور بعد ما زهد في الملك ودخل في طريق القوم وقد تقدمت حكايته قبل ذلك وقد حكيت هذه الحكاية في كتاب الإرشاد على غير هذا الوجه ولكن اختلاف الحكايتين متقارب ويليق بهذه المرأة المذكورة قول القائل :

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائة

حكى أن بعض العباد المرابطين بعسقلان قال ذات ليلة يريد التهجد على السطح فإذا هو بهاتف يهتف من البحر يقول يا معشر العبّاد قسمت العبادة ثلاثة أجزاء، أولها قيام الليل، وثانيها صيام النهار، وثالثها الدعاء والتسبيح والاستغفار، وهذا خير القسمة فخذوا منه بالحظ الأوفر فسقط العابد على وجهه لما دخله من الصوت رضى الله عنه وحكى أن أبليس نعوذ بالله منه تمثل ليحيى بن زكريا عليه السلام فلوى عنه وجهه فأوحى الله تعالى إلى يحيى عليه السلام أن سله فإنه يصدقك فسأله عن مسائل منها أن قال له هل قدرت على قط قال نعم ليلة واحدة امتلأت بطنك من الطعام فنمت عن وردك فقال يحيى إذًا لا أشبع من طعام أبدا فقال إبليس نعوذ بالله منه وإذًا لا أنصح أحدا أبدا وأنشد بعضهم :

وكم من أكلة منعت أخاها بأكلة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشىء وفيه هلاكه لو كان يدرى

قلت ذكر بعض المصنفين هذين البيتين بعد هذه الحكاية وليس ذلك مناسبا لحال يحيى عليه السلام وإنما يناسب أكلا يورث تخمة تحرم أكلات بعدها كما يتفق لكثير من الناس ولكنى أقول في هذا المعنى :

وكم من أكلة حرمت كثيرا من الخيرات في طاعات مولى
ولذات بخلوات تجلى بها المولى وقد ناجاه ليلا

الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائة

حكى عن يحيى بن زكريا عليه السلام أنه شبع مرة من خبز شعير فنام عن حزبه تلك الليلة، فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرا لك من دارى أو جوارا خيرا لك من جوارى، وعزتى وجلالى لو اطلعت في الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولزهقت نفسك اشتياقا إلى الفردوس، ولو اطلعت في جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وأنشدوا:

اقتنع بالقليل تحيا غنيا أن من يطلب الكثير فقير
إن خبز الشعير بالماء والملح لمن لم يطلب النجاة كثير

الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائة

حكى عن الجنيد رضى الله عنه قال كنت في مسجد الجامع مرة فإذا برجل قد دخل إلينا وصلى ركعتين ثم امتد ناحية من المسجد وأشار إلى فلما جئته قال لى يا أبا القاسم إنه قد حان لقاء الله تعالى ولقاء الأحباب فإذا فرغت من أمرى فسيدخل عليك شاب مغن فادفع إليه مرقعتى وعصاى وركوتى فقلت إلى مغن وكيف يكون ذلك قال إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى في مقامى قال الجنيد فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته إذا نحن بشاب مصرى قد دخل علينا وسلم وقال أين الوديعة يا أبا القاسم فقلت وكيف ذاك أخبرنا بذلك قال كنت في مشربة بنى فلان فهتف بي هاتف أن قم إلى الجنيد وتسلم ما عنده وهو كيت وكيت فإنك قد جعلت مكان فلان الفلانى من الأبدال فقال الجنيد فدفعت إليه ذلك فنزع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة وخرج على وجهه نحو الشام رضى الله تعالى عنه.

الحكاية السادسة والتسعون بعد المائة

حكى أن شابا من أهل الصلاح والخير أمر بمعروف ونهى عن منكر فشق فيه على هارون الرشيد فأمر به فجعل في بيت وسد عليه بابه ومنافذه ليهلك فيه، فلما كان بعد خمسة أيام قال بعض الناس للرشيد رأيت الرجل الذي أمرت بسد الباب عليه يتفرج في البستان الفلانى فأمر هارون الرشيد بإحضاره فلما حضر قال من أخرجك من البيت قال الذى أدخلنى البستان قال ومن أدخلك البستان قال الذى

أخرجنى من البيت فقال الرشيد هذا عجيب فقال الشاب وأى أمر ربك ليس بعجيب فبكى الرشيد وأمر بالإحسان إليه وإن يركب الفرس الخاص وأن ينادى بين يديه هذا عبد أعزه الله أراد هارون إهانته فلم يقدر إلا على إكرامه واحترامه رضى الله عنه ونفعنا به وفي هذا المعنى قلت :

إذا أكرم الرحمن عبدا بعـزه فلن يقدر المخلوق يوما يهينه
ومن كان مولاه العزيز أهانه فلا أحد بالعز يوما يعينه

الحكاية السابعة والتسعون بعد المائة

عن بعض أهل عبادان قال ملح الماء عندنا نيفا وستين سنة وكان عندنا رجل من أهل الساحل له فضل ولم يكن في الصهاريج شيء وحضرت صلاة المغرب فهبطت لأتوضأ للصلاة من النهر، وذلك في رمضان في حر شديد فإذا به يقول سيدى أرضيت عملى حتى أتمنى عليك، أرضيت طاعتى حتى أسألك، سيدى غسالة الحمام كثير لمن عصاك، سيدى لولا أنى أخاف غضبك لم أذق الماء ثم أخذ بكفه فشرب شرابا مالحا فتعجبت من صبره على ملوحته ثم أخذت من الموضع الذى أخذ منه فإذا هو مثل السكر فشربت حتى رويت، قال وأخبرنى أنه رأى في المنام كأن رجلا يقول له قد فرغنا من بناء دارك لو رأيتها قرت عيناك وقد أمرنا بتنجيزها والفراغ منها إلى سبعة أيام واسمها دار السرور فأبشر بخير، قال فلما كان في اليوم السابع وهو يوم الجمعة بكر للوضوء فنزل في النهر فزلق فغرق فأخرجناه بعد الصلاة ودفناه فرأيته في المنام بعد ثالثة وعليه حلل خضر فسألته عن حاله فقال أنزلنى الكريم في دار السرور فيما أعد لى فيها فقلت له صف لى فقال هيهات هيهات يعجز الواصفون عن وصف ما فيها فليت عيالى يعلمون أنه قد هيئ لهم منازل معى، فيها كل ما اشتهت أنفسهم نعم وإخوانى وأنت معهم إن شاء الله تعالى عنه ونفعنا به وأنشدت ريحانة رضى الله عنها:

إلهى لا تعذبنى فإنـــي أومل أن أفوز بخيـــر دار
وأنت مجاور الأبرار فيهـا فياطوبى لهم في ذا الجـوار

الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائة
عن سهل بن عبدالله رضى الله عنه

قال أول ما رأيت من العجائب والكرامات أنى خرجت يوما إلى موضع خال فطاب لى المقام فيه فوجدت من قلبى قربا إلى الله تعالى وحضرت الصلاة وأردت الوضوء وكانت عادتى من صباى تجديد الوضوء لكل صلاة فكأنى اغتممت لفقد الماء فبينما أنا كذلك وإذا دب يمشى على رجليه كأنه إنسان معه جرة خضراء قد أمسك

بيديه عليها فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمى حتى دنا منى وسلم على ووضع الجرة بين يدي فجاءنى اعتراض العلم فقلت هذه الجرة والماء من أين هو فنطق الذب وقال يا سهل إنا قوم من الوحوش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة، إذ نودينا ألا إن سهلا يريد ماء ليجدد الوضوء فوضعت هذه الجرة بيدى وإذا بجنبي ملكان فدنوت منهما فصبا فيها هذا الماء من ا لهواء وأنا أسمع خرير الماء قال سهل فغشى علي فلما افقت إذا بالجرة موضوعة ولا علم لى بالدب أين ذهب وأنا متحسر إذ لم أكلمه فتوضأت فلما فرغت أردت أن أشرب منها فنوديت من الوادى يا سهل لم يأن لك شرب هذا الماء بعد فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر إليها فلا أدرى أين ذهبت.

الحكاية التاسعة والتسعون بعد المائة

عن سهل أيضا رضى الله عنه

قال توضأت يوم جمعة ومضيت إلى الجامع في أيام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وهم بالخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست وإذا عن يمينى شاب حسن المظهر طيب الرائحة عليه أطمار صوف فلما نظر إلى قال كيف تجدك ياسهل قلت بخير أصلحك الله وبقيت متفكرا في معرفته لى وأنا لم أعرفه فبينما أنا كذلك إذ أخذنى حرقان بول فأكربني، فبقيت على وجل خوفا أن أتخطى رقاب الناس وإن جلست لم يكن لى صلاة فالتفت إلى وقال يا سهل أخذك حرقان بول قلت أجل فنزع حرامه عن منكبه فغشانى به ثم قال اقض حاجتك وأسرع تلحق الصلاة قال فغمى على وفتحت عينى وإذا بباب مفتوح وسمعت قائلا يقول لى لج الباب يرحمك الله فولجت وإذا بقصر مشيد عال البناء شامخ الأركان وإذا بنخلة قائمة وإلى جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ومنزل إراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فحللت لباسى وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة وتوضأت فسمعته ينادينى ويقول إن كنت قد قضيت إربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الحرام عنى فإذا أنا جالس بمكانى ولم يشعر بى أحد فبقيت متفكرا في نفسى وأنا مكذب ومصدق نفسى فيما جرى فأقيمت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لى شغل إلا الفتى لأعرفه فلما فرغ تتبعت أثره فإذا به قد دخل إلى درب والتفت إلى وقال ياسهل كأنك ما أيقنت بما رأيت قلت كلا، قال لج الباب يرحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة، فقلت آمنت بالله، فقال ياسهل من أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء، يا سهل اطلبه تجده فتغرغرت عيناى بالدموع فمسحتها وفتحتهما فلم أر الفتى

ولا القصر فبقيت متحسرا على ما فاتنى منه ثم أخذت في العبادة رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

الحكاية المائتان

عن أحد أصحاب سهل بن عبدالله رضى الله عنهما

قال خدمت سهلا ثلاثين سنة، فما رأيته يضع جنبه على الفراش لا في ليل ولا في نهار وكان يصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء فهرب من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة، وإنما فر من الناس لأن رجلا حج سنة من السنين فلما رجع قال لأخ له رأيت سهل بن عبدالله في الموقف بعرفة فقال له أخوه نحن كنا عنده يوم التروية في رباطه بباب بشر الحافى فحلف بالطلاق أنه رآه بالموقف فقال له أخوه قم بنا حتى نسأله فقاما ودخلا عليه وذكرا له ما جرى بينهما من الاختلاف في هذا الحديث وسألاه عن حكم اليمين التى حلفها فقال سهل رضى الله عنه مالكم بهذا الكلام حاجة اشتغلوا بالله تعالى وقال للحاج أمسك عليك زوجك ولا تخبر بهذا أحدا رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الواحدة بعد المائتين

حكى عن أحد الصالحين أنه كان يتكلم مع الناس ويعظهم، فمر عليه في بعض الأيام يهودى وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً**﴾[1] فقال اليهودى إن كان هذا الكلام حقا فنحن وأنتم سواء فقال له الشيخ لا ما نحن سواء بل نحن نرد ونصدر وأنتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها بالتقوى وتبقون أنتم فيها جثيا بالظلم ثم قرأ الآية الثانية: ﴿**ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا**﴾[2] فقال له اليهودى نحن المتقون فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون**﴾[3] الذين يتبعون الرسول النبى الأمى فقال اليهودى هات برهانا على صدق هذا فقال الشيخ رضى الله عنه البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو أن تطرح ثيابي وثيابك في النار فمن سلمت ثيابه فهو الناجى منها ومن احترقت ثيابه فهو الباقى فيها فنزعا ثيابهما، وأخذ الشيخ ثياب اليهودى ولفها ولف عليها ثيابه ورمى بالجميع في النار ثم دخل النار فأخذ الثياب وخرج من الجانب الآخر ثم فتحت الثياب فإذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وأزالت عنها الوسخ، وثياب اليهودى قد صارت حراقة مع أنها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك أسلم والحمد لله المنعم المنان الذى أظهر دين الإسلام على سائر

---

(١) سورة مريم: الآية ٧١.

(٢) سورة مريم: الآية ٧٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

الأديان وهدانا للدين القويم وجعلنا من أمة النبى الكريم الذى أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الحكاية الثانية بعد المائتين

عن أحدهم قال كنت عند الشيخ أبى محمد الجريرى رحمة الله عليه فجاءه رجل فقال له كنت على بساط من الأنس ففتح على باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مكانى فكيف السبيل إلى ما كنت عليه فبكى أبو محمد الجريرى وقال الكل في قهر هذه الخلة لكنى أنشدك أبياتًا تجد فيها جوابك ثم أنشأ يقول :

قف بالديار فهذه آثارهم ... وابك الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا ... عن أهلها متحيرا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى وعز الملتقى

الحكاية الثالثة بعد المائتين

عن أحدهم قال كنت مع الجنيد رضى الله عنه فسمع مغنيا يغنى :

منازل كنت تهواها وتألفها ... أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد رضى الله عنه وقال ما أطيب الألفة والمؤانسة وما أوحش مقامات المخالفة والوحشة لا أزال أحن إلى بدو إرادتى وجدة سعيى وركوبى الأهوال وجعل يقول :

خليلى هل بالشام عين حزينة ... تبكى على نجد فإنى أعينها
وأسلمها الواشون إلا حمامة ... مطوقة ورقاء أين قرينها

الحكاية الرابعة بعد المائتين عن أحد الصالحين

قال رأيت في سياحتى أعرابية صغيرة السن فقلت لها أين تنزلون قالت بالبادية قلت لها أما تستوحشون فقالت يابطال وهل يستوحش مع الله من أنس به فقلت من أين تأكلون قالت الله أعلم من أين يرزق عباده يرزق من جحده فكيف لا يرزق من وحده، ثم قالت قلوب عاشت بمعرفته وطاشت بوحدانيته وتلاشت في محبته غذاؤهم الأنس بالله تعالى والمشاهدة ربانيون روحانيون يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

الحكاية الخامسة بعد المائتين

حكى أنه قيل للحسن البصرى رضى الله عنه يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط إلا جالسا وحده خلف سارية فمضى إليه الحسن وقال يا عبدالله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس، فقال أمرشغلنى عن الناس، قال فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذي يقال له الحسن البصرى تجلس إليه فقال أمر شغلنى عن الناس

وعن الحسن البصرى فقال له الحسن ماذا الشغل يرحمك الله تعالى فقال إنى أصبحت بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسى بالشكر على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن يا عبدالله أنت أفقه من الحسن فالزم ما أنت عليه.

الحكاية السادسة بعد المائتين

حكى أنه كان رجل يشرب مع جمع من ندمائه فدفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشترى بها شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار الواعظ رضى الله عنه، وهو يسأل لفقير عنده شيئا ويقول من يدفع إليه أربعة دراهم أدعو له أربع دعوات فدفع الغلام الدراهم إليه فقال منصور ما الذى تريد أن أدعو لك فقال لى سيد أريد أن أتخلص من مملكته فدعا له فقال الأخرى قال أن يخلف الله على دراهمى فدعا له ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على وعلى سيدى فدعا ثم قال الأخرى فقال أن يغفر الله تعالى لى ولسيدى ولك للقوم فدعا منصور فرجع الغلام إلى سيده فقال ما أبطأك فقص عليه القصة فقال له وبم دعا قال أن تعتقنى قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى قال وأيش الثانية قال أن يخلف الله تعالى على دراهمى فقال لك أربعة آلاف درهم من مالى قال وأيش الثالثة: قال أن يتوب الله تعالى عليك قال تبت إلى الله عز وجل فأيش الرابعة قال أن يغفر الله تعالى لى ولك وللمذكر والقوم فقال هذه ليست لى فلما جن الليل رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت قد فعلت ما كان إليك أفترانى لا أفعل ما كان إلى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين وأنا أرحم الراحمين.

الحكاية السابعة بعد المائتين

حكى أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مر في موكبه والطير والدواب الوحوش والأنعام والجن والإنس وسائر الحيوانات من يمينه وشماله فمر بعابد من عباد بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما فسمع ذلك سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى أبن داود يذهب والتسبيحة تبقى وأنشد بعضهم :

إذا ما لم تكن ملكا مطاعـــا فكن عبدا لمالكه مطيعـــا
وإن لم تملك الدنيا جميعـــا كما تختار فاتركها جميعـا
هما شيئان من ملك ونـــسك ينيلان الفتى شرفا رفيعـــا
ومن يقنع من الدنيـــا بشيء سوى هذين يحيا بها وضيعا

الحكاية الثامنة بعد المائتين

روى أن أحد الملوك كان متنسكا ثم رجع ومال إلى الدنيا ورياسة الملك وبنى

دارا وشيدها وأمر بهـا ففرشت ونجدت واتخذ مائدة ووضع عليهـا طعاما ودعا الناس فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويتـعجبون من ذلك ويدعون له وينصرفون فمكـث بذلك أياما ثم جلس هو ونفر من خاصة أصحـابه فقال قد ترون سروري بداري هذه وقد حدثت نفسي أن أتخذ لكل واحـد من أولادي مثلها فأقيموا عندي أياما أستـأنس بحديثكم وأشاوركم فيـما أريد من هذا البناء فأقامـوا عنده أياما يلهون ويلعبـون ويشاورهم كيف يبني وكيف يصنع ويرتب ذلك فـبينما هم ذات ليلة في لهوهم إذ سمعوا قائلا من أقصى الدار يقول :

أيها الباني الناسي منيتـــــــــــه ... لا تأمنن فإن الموت مكتـــــــــوب
على الخلائق إن سروا وإن حزنـــــوا ... فالموت حتف لذي الآمال منصـوب
لا تبنين ديارا لست تسكنـهـــــــا ... وراجع النسك كيما يغفر الحـــوب

ففزع لذلك وفزع أصحـابه فزعا شديدًا وراعهم، فقال هل سمـعتم ما سمعت فقالوا نعم قال هل تجـدون ما أجد قالوا ما تجد قال مـسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت، فقـالوا كلا بل البقـاء والعافيـة فبكى ثم أمر بالشـراب فأهريق وبالملاهي فأخرجت أو قال كسرت وتاب إلى الله تبارك وتعالى ولـم يزل يقول الموت الموت حتى خرجت نفسه رحمة الله تعالى عليه.

الحكاية التاسعة بعد المائتيـن

روى أن ملكا من ملوك كندة كان كـثير المصاحـبة للهو وللذات كثير العكوف على اللعب، فركب يوما للاصطياد أو غيره فانقطع عن أصحابه فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاما من عظام الموتى وهي بين يديه يقبلها فـقال ما قصتك أيها الرجل وما بلغ بك ما أرى من سـوء الحال ويبس الجسم وتـغير اللون والانفـراد في هذه الفلاة، فقـال أما مـا ذكرت من ذلك فلأني على جنـاح سفر بعـيد وبي موكـلان مزعـجان يحدوان بي إلى منزل ضنك المحل مظلـم القعر كريه المقـر ثم يسلماني إلى مصاحـبة البلى بمجاورة الهلكى تحـت أطباق الثرى فلو تركت بذلك المنزل مع ضـيقه ووحشـته وارتعاء خشاش الأرض من لحـمي حتى أعود رفاتا وتصير أعظمي رمـاما لكان للبلاء انقضاء وللشقـاق انتهاء ولكني أدفع بعد ذلك إلى صيحـة الحشر وأرد أهوال ومواقف الجـزاء، ثم لا أدري إلى أي الدارين يؤمـر بي فأي حـال يلتـذ به من يكون إلى هذا الأمر مـصيره، فلمـا سمع الملك كلامـه ألقى عن فرسه وجلس بين يديه وقـال أيها الرجل لقد كدر على مقالك صفو عـيشي وملك قلبي فأعد على بعض قولك واشرح لي ذلك، فقـال له أما ترى هذه التي بين يدي قال بلى قـال هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفـها واستحوذت على قلوبهم بـغرورها فألهتهم عن التـأهب لهذه المصارع

حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبهم بهاء النعمة وستنشر هذه العظام فتعود أجساما ثم تجازى بأعمالها، فإما إلى دار النعيم والقرار، وإما إلى دار العذاب والبوار، ثم غاب الرجل فلم ندر أين ذهب وتلاحق أصحاب الملك به وقد تغير لونه وتواصلت عبراته فلما جن عليه الليل نزع ما كان عليه من لباس الملك ولبس طمرين وخرج تحت الليل فكان آخر العهد به رحمه الله وأنشدوا :

أفنى الملوك التى كانت منعمة ... كر الليالي إقبالا وإدبارا
يا راقد الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تأمنن بليل طاب أوله ... فرب آخر ليل أجج النارا

الحكاية العاشرة بعد المائتين

حكى أنه كان فى الأمم الماضية ملك متمرد على ربه عز وجل فغزاه المسلمون وأخذوه أسيرا فقالوا بأى قتلة نقتله فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقما عظيما ويجعلوه فيه ويوقدوا تحته النار ولا يقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك به ، فجعل يدعو آلهته واحدا بعد واحد يافلان بما كنت أعبدك أنقذنى مما أنا فيه فلما رأى الآلهة لاتغنى عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء وقال لا إله إلا الله ودعا مخلصا فصب الله عليه مبعث ماء من السماء فأطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم وجعلت تدور به بين السماء والأرض وهو يقول لا إله إلا الله فقذفته إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل وهو يقول لا إله إلا الله فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك فقال أنا ملك بنى فلان كان من خبرى وأمرى كيت وكيت وقص عليهم القصة فآمنوا رحمة الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

الحكاية الحادية عشرة بعد المائتين

حكى أن أحد ملوك الأمم السابقة بنى مدينة وتأنق فيها وتغالى فى حسنها وزينتها ثم صنع طعاما ودعا الناس وأجلس أناسا على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيبا فيقولون لا حتى جاء أناس فى آخر القوم عليهم أكسية فسألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا عيبين اثنين فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا فقال ما كنت أرضى بعيب واحد ائتونى بهم فأدخلوهم عليه فسألهم عن العيبين ماهما فقالوا تخرب ويموت صاحبها قال أفتعلمون دارا لاتخرب ولا يموت صاحبها قالوا نعم فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه إليها ، وذكروا النار وعذابها وخوفوه منها ، ودعوه إلى عبادة الله عز وجل فاجابهم إلى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا إلى الله سبحانه وتعالى رحمة الله عليه.

الحكاية الثانية عشرة بعد المائتين

روى أنه تحارب ملكان من ملوك اليمن فى قديم الزمان فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرد أصحابه وهيئت له السرر وزينت له دار الملك وتلقاه الناس ليدخل فبينما هو فى بعض السكك يقصد دار الملك إذ وقف له رجل ينسب إلى الجنون فأنشد :

تمتع من الأيام إن كنت حازمـا فإنك فيها بين ناه وآمـر
فكم ملك قد ركم الترب فوقـه وعهدى به بالأمس فوق المنابـر
إذا كنت فى الدنيا بصيرًا فإنمـا بلاغك منها مثل زاد المسافـر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينـه فما فاته منها فليس بضائـر

فقال له صدقت ونزل عن فرسه وفارق أصحابه ورقى الجبل وأقسم على أصحابه ألا يتبعه أحد فكان آخر العهد به ، وبقيت اليمن شاغرة أياما حتى اختير لها من عقد له رايه الملك عليها رحمه الله تعالى .

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائتين عن أحدهم

قال مررت ببعض القرى فإذا بثلاثة قبور على قدر واحد وهى على نشز من الأرض وعليها مكتوب أبيات من الشعر على الأول مكتوب :

وكيف يلذ العيش من هو عالـم بأن إله الخلق لابد سائلـه
فيأخذ منه ظلمه لعبـاده ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

(وعلى القير الثانى مكتوب)

وكيف يلذ العيش من كان موقنا بأن المنايا بغتة ستعاجلـه
فتسلبه ملكا عظيما وبهجـة وتسكنه القبر الذى هو أهله

(وعلى القبر الثالث مكتوب)

وكيف يلذ العيش من كان صائرا إلى جدث يبلى الشباب منازلـه
ويذهب ماء الوجه بعد بهائـه سريعا ويبلى جسمه ومفاصلـه

فقلت لشيخ جلست إليه لقد رأيت فى قريتكم عجبا فقال وما هو فقصصت عليه قصة القبور قال وحديثهم أعجب مما رأيته على قبورهم فقلت حدثنى ، فقال كانوا ثلاثة أخوة أمير وتاجر وزاهد فحضرت الزاهد الوفاة فاجتمع إليه أخواه وعرضا عليه ما أحب من مالهما ليتصدق به فأبى أن يقبل ، وقال لاحاجة لى فى مالكما ولكن أعهد إليكما عهدا فلا تخالفا عهدى قالا اعهد قال إذا مت فغسلانى وكفنانى وصليا على وادفنانى على نشز من الأرض واكتبا على قبرى هذين البيتين

وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله الخلق لابد سائلـه
فيأخذ منه ظلمه لعبـاده ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

فإذا أنتما فعلتما ذلك فأتيـانى فى كل يوم مرة لعلكما تتعظان ففعلا ذلك وكان أخوه الأمير يركب فى جنده حتى يقف على قبره فينزل ويقرأ ما عليه ويبكى فلما كان اليوم الثالث جاء كما كان يـجىء مع الجند فنزل وقرأ وبكى كما كان يبكى فلما أراد أن ينصرف سمع هدّة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف مذعورا فزعا فلما كان الليل رأى أخاه فى منامـه فقال يا أخى ما الذى سمعت فى قـبرك قال تلك هذه المقمعـة قيل لى رأيت مظلوما فلم تنصره فـأصبح مهموما فـزعا فدعا أخاه وخـاصته وقال ما أرى أخى أراد بما أوصى أن يكتب على قبره غـيرى . وإنى أشهدكم ألا أقيم بين أظهركم أبدا ، فـترك الإمارة ولزم العبـادة وكان يأوى إلى الجبال والبـرارى حتى حضرته الوفاة مع بعض الرعـاة فلما بلغ ذلك أخاه أتاه وقال له يا أخى ألا توصى ، قال بأى شىء أوصى يا أخى ليس لى مـال فأوصى به ولكنى أعهد عـهدا إذا أنا مت فادفنى إلى جنب أخى واكتب على قبرى هذين البيتين :

وكيف يلذ العيش من كان موقنا ... بأن المنايا بغتة ستعاجلـــــه
فتسلبه ملكا عظيما وبهجـــــة ... وتسكنه القبر الذى هو آهـله

ثم زرنى ثلاثة أيام بعـد موتى فـادع الله لى لعل الله يرحمـنى ثم مات فـفعل أخوه ما أمـره به فلما كان اليوم الثالث أتاه وبكى عنده ودعـا له فلما أراد أن ينصرف سمع رجة عظيمـة داخل القبر كادت تذهب عقله فرجع قلقـا ، فلما كان الليل رأى أخاه في المنام قـد أتاه فقال له يا أخى جـئتنا زائرا فقـال هيهات بعد المزار فـلا مزار واطمأنت بنا الدار فقال له كيف أنت قال بخير ما أجمع التوبة لكل خير ، فقال كيف أخى قال مع الأئمة الأبرار قال فـما تأمر قال من قدم شيئا وجده فـاغتنم وجدك قبل عدمك فأصبح معـتزلا للدنيا قد انخلع قلبه منها وفرق مـاله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عـز وجل ونشأ له ولد كـامل الشباب وجـها وكمـالا وجمالا فـأقبل على التجارة حتى حضرت أباه الوفاة فقال الابن يا أبت ألا توصى قال والله يابنى مالأبيك مال يوصى به ، ولكنى أعهد إليك عهدا إذا أنا مت فادفنى مع عمومتك واكتب على قبرى هذين البيتين :

وكيف يلذ العيش من كان صائرا ... إلى جدث يبلى الشباب منازلـــــه
ويذهب ماء الوجه بعد بهائـــــه ... سريعا ويبلى جسمه ومفاصلـــــه

فإذا فعلت ذلك فتعاهدنى ثلاثا فادع الله لى لعل الله يرحمنى ففعل الفتى ذلك فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه فرجع إلى أهله مهموما أو قال محموما ، فلما كان الليل أتاه أبوه فى المنام فقال يابنى أنت عندنا عن قريب والأمر بآخره والموت أقرب من ذلك ، فاستـعد لسفرك وتأهب لرحيلك وحول

جهازك من المنزل الذى أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذى أنت فيه مقيم ، ولا تغتر بما اغتر به البطالون قبلك من طول آمالهم فقصروا فى أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأسفوا على تضييع أعمارهم أشد الأسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما نالهم وشدة ماهالهم ، ثم قال يابنى بادر ثم بادر فأصبح الفتى وقال ما أظن هذا الأمر إلا قد أظلنى فأدى دينه ولم يزل يقسم ويعطى ويتصدق إلى أن كان اليوم الثالث من صبيحة الرؤيا فدعا أهله وولده فودعهم وسلم عليهم ثم استقبل القبلة وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله فكان الناس يزورون قبورهم ويتوسلون بهم إلى الله تعالى فى قضاء حوائجهم فتقضى رضى الله عنهم ونفعنا بهم أمين .

الحكاية الرابعة عشرة بعد المائتين عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال دخلت الكوفة فى بعض أسفارى فرأيت دارا لبعض الرؤساء وقد شف عليها النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان وفى بعض رواشنها جارية تغنى وهى تقول :

ألا يادار لا يدخلك حزن ... ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف ... إذا ما الضيف أعوزه المكان

قال ثم مررت بها بعد مدة فإذا الباب مسود والجمع مبدد وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان وأنشد لسان الحال :

ذهبت محاسنها وبان شجونها ... والدهر لايبقى مكانا سالما
فاستبدلت من أنسها بتوحش ... ومن السرور بها عزاء راغما

قال فسألت عن خبرها فقيل لى مات صاحبها قال أمرها إلى ما ترى فقرعت الباب الذى كان لايقرع فكلمتنى جارية بكلام ضعيف فقلت لها يا جارية أين بهجة هذا المكان وأين أنواره وأين شموسه وأقماره وأين قصاده وأين زواره فبكت ، ثم قالت ياشيخ كانوا فيه على سبيل العارية ، ثم نقلتهم الأقدار الى دار القرار ، وهذه عادة الدنيا ترحل من سكن فيها وتسىء إلى من أحسن إليها فقلت لها ياجارية مررت بها فى بعض الأعوام وفى هذا الروشن جارية تغنى :

ألا يادار لا يدخلك حزن

فبكت وقالت أنا والله تلك الجارية ولم يبق من أهل هذه الدار أحد غيرى فالويل لمن غرته دنياه فقلت لها فكيف قربك القرار فى هذا الموضع الخرب فقالت لى ما أعظم جفاءك اما كان هذا منزل الأحباب ثم أنشدت :

قالوا ألفت وقوفا فى منازلهم ... ونفس مثلك لايفنى تحملها

فقلت والقلب قد ضجت أضالعه ... والروح تنزع والأشواق تبذلها
منازل الحب فى قلبى معظمة ... وإن خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف أتركها والقلب يتبعها ... حبا لمن كان قبل اليوم ينزلها

قال فتركتها ومضيت وقد وقع شعرها من قلبى موقعا وازداد قلبى تولعا ، قلت إنما أعجب أبا القاسم الجنيد رضى الله عنه تعالى عند قولها لأنها ذكرت صفة الحب والمحب والمحبوب وصدقت فى الوصف وصدقت فى التحقيق بالحب الذى ذكرته وصبرت على ملازمة منزل الأحباب مع مافيه من شعث الحال وتجدد أحزان المصاب .

وقد حكى عن بعض اللصوص أنه قطعت يده اليمنى فى السرقة ثم سرق فقطعت رجله اليسرى ثم سرق فقطعت يده اليسرى ثم سرق فقطعت رجله اليمنى كما هو حكم الشرع فى ذلك ، ثم سرق فعلق فى الهواء تعزيرا له إذ لم يبق بعد قطع الأعضاء الأربعة إلا التعزير على حسب ما يليق بالحال فمن عليه بعض الشيوخ الصوفية وهو معلق مقطوع يداه ورجلاه فقال الشيخ لأصحابه الذين معه أنا عبد هذا الشخص قالوا وكيف ذلك قال لأنه صبر على ما أصابه فى طلب محبوبه ولم يرده عنه كل ما أصابه من تعب وعقوبة قلت وقول الجارية فى أول الحكاية .

ألا يادار لايدخلك حزن

اغترار بسرور لم يشبه كدر فى أيام إقبال الدنيا الخادعة ولهو بلعب يلهى عن اكتساب الخيرات والسعى في الطاعة أصمهم حب الدنيا عن سماع قول المولى سبحانه وتعالى : ﴿**أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة**﴾[1] الآية . وقوله تعالى : ﴿**ذرهم يأكلون ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون**﴾[2] وقوله تعالى : ﴿**أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتعون**﴾[3] وغير ذلك من الآيات الكريمات ، وكذلك من الأحاديث النبويات مثل قوله ﷺ إن الدنيا حلوة خضرة وقوله ﷺ نعمت المرضعة وبئست الفاطمة وغير ذلك مما يطول ذكره وأيضا من ذلك قول القائل :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقول الإمام الشافعى رضى الله عنه

ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها ... وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.
(٢) سورة الحجر : الآية ٣.
(٣) سورة الشعراء : الآيات ٢٠٥- ٢٠٧

وما هى إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها

(وقلت فى بعض القصائد)

عجوز السوء سودا الجسم شوها ... وحدبا تحت أثواب حسان
بها يغتر غر لم يشاهد ... عيوبا في هواها ذو افتتان
جميع الدهر يجرى ليس يدرى ... بجسم من محارمها ملان
إلى تقبيل ثغر ليس فيه ... من الأسنان ما غير اللسان
غرور حبها رأس الخطايا ... جميعا ذات مكر واختيان
ترى عيشا هنيا فيه دست ... سموما تلك منها مهلكان
حساب طال في يوم عبوس ... يشيب الطفل من هول ومان
عقاب في جحيم رب سلم ... بهاجلد ولحم ناضجان

(وقال) بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكان الخزف الباقي أولى بالرغبة أو الطلب من الذهب الفانى، فكيف والأمر بالعكس يعنى أن الدنيا هى الخزف الفانى والآخرة هى الذهب الباقي، قلت بل الآخرة أجل وأفضل من الذهب المذكور فإنها مخلوقة من فاخر الجوار والنور ذات اللذات والنعيم والسرور والحور.

(وقال) بعض العارفين أيضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فياعجبا لمن يختار الذل في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى.

(قلت) ولما كتبت حكاية الجارية المذكورة خطر لى أبيات في معارضة قولها ألا يا دار لا يدخلك حزن حيث ذكرتها بوصف الدار الآخرة التى قال الله سبحانه وتعالى أخبارا عن أهلها ﴿**وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن**﴾[(١)] ثم قال في آخر كلامهم ﴿**لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب**﴾[(٢)] أى تعب وغير ذلك وهى هذه الأبيات :

ألا يا دار خلد طبت دارا ... نعيمك لا يغيره الزمان
إذا دار الفنا غرت وأضحت ... خرابا ثم أعوزنا المكان
فنعم الدار أنت لكل ثاو ... بك اللذات والحور الحسان
وأخرى لا يساوى تلك فضل ... جوار الرب والنظر العيان
محل زاد في الجنات حسنا ... على حسن به تنسى الجنان

---

(١) سورة فاطر : الآية ٣٤.

(٢) سورة فاطر : الآية ٣٥.

وقولى فنعم الدار أنت لكل ثاو أى مقيم ولم أقل لكل ضيف كما قالت الجارية لأن الدنيا دار ضيف لأن الضيف من ينزل عند قوم مدة يسيرة ثم يرحل وهكذا أهل الدنيا كما قال القائل:

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله   يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

وأما الآخرة فهى دار الإقامة الأبدية وقد سماها صانعها سبحانه وتعالى دار المقامة في قوله تعالى حاكيا عن أهل الجنة **﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾**[1] أى تعب والمراد دار المقام والهاء للمبالغة مثل علامة وشبهه وخطر لى أيضا مع الأبيات المذكورة هذه القصيدة المسماة اللآلئ الفاخرة في مدح الدار الآخرة :

ألا يادار خلد طبت دارا   جمعت الحسن مأمون الزوال
قصورا ثم حورا ثم خيرا   مداما غير مجذوذ النوال
ولذات وعيشا ذا نعيم   مقيم ليس في دهر ببال
بها ما لم ترى عين وتسمع   به أذن ولم يخطر ببال
خيام الدر فيها باهيات   وغرفات مضيئات عوالى
بها حور حسان فائقات   منيرات مليحات غوالى
يرى مخ لساقيها عيانا   ورا سبعين ملبوس الجمال
ولو تبصق ببحر عاد عذبا   فراتا طيبا للشرب حالى
ولو تبدو بدنيا عطرتها   وأمسى النور للظلماء جالى
تضيء الخلد في نور ابتسام   بوجه الزوج في زاهى الحجال
تغنى في الأرائك رافعات   بأصوات رخيمات حوالى
على خيل ونجب من بهاء   كمثل البرق زاروا ذا الجلال
فلا أحلى وأهنا من جمال   رأوا لما تجلى ذو الكمال
ونالوا في جوار الرب ملكا   ورضوانا ويالك من نوال
فهذا العيش لا عيش بدنيا   وهذا الفخر لا فخر بمال
سيدرى كل ذى فخر بدنيا   لدى الأخرى لمن فخر المعالى
إلهى لا تخيب يا فعيا   فقيرا من صفات الخير خالى
فمالى قربة إلا رجائى   لفيض الفضل يا مولى الموالى
ومسك الختم حمد الله ربى   على نعمائه في كل حال
وتغشى أحمدا مولى البرايا   صلاة مع صحاب ثم آل

---

(١) سورة فاطر : الآيتان ٣٤ ، ٣٥.

الحكاية الخامسة عشرة بعد المائتين عن ذى النون المصري رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير في جبل لكام مررت على واد كثير الأشجار والنبات فبينما أنا واقف أتعجب من حسن زهرته ومن خضرة العشب في جنباته إذ سمعت صوتا أهطل مدامعى وهيج بلابل حزنى فاتبعت الصوت حتى أوقفنى بباب مغارة في سفح ذلك الوادى، فإذا الكلام يخرج من جوف المغارة، فاطلعت فيها فإذا برجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول سبحان من نزه قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوى البصائر فهى لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس آل المحبة فهى لا تحن إلا إليه، ثم أمسك فقلت السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان فقال وعليك السلام ما الذى أوصلك إلى من أفرده خوف المسألة عن الأنام واشتغل بمحاسبة نفسه عن التنطع في الكلام فقلت أوصلنى إليك الرغبة في التصفح والاعتبار والتماس المواهب من قلوب المقربين والأبرار، فقال يا فتى إن لله تعالى عبادا قدح في قلوبهم زند الشغف ونار الومق فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في رياض الملكوت وتنظر إلى ما ادخر لها في حجب الجبروت، قلت صفهم لى قال أولئك قوم أووا إلى كهف رحمته وشربوا كئوس راح محبته، ثم قال سيدى بهم فألحقنى ولأعمالهم فوفقنى قلت ألا توصنى بوصية قال أحب الله تعالى شوقًا إلى لقائه فإن له يوما يتجلى فيه لأوليائه وأنشأ يقول :

قد كان لى دمع فأفنيته ... وكان لى جفن فأدميته
وكان لى جسم فأبليته ... وكان لى قلب فأضنيته
وكان لى ياسيدى ناظر ... أرى به الحق فأعميته
عبدك أضحى - سيدى - موثقا ... لو شئت قبل اليوم آويته

رضى الله عنه ونفعنا به آمين وبجميع الصالحين.

الحكاية السادسة عشرة بعد المائتين عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير على جبل لبنان في جوف الليل إذا أنا بعريش من ورق البلوط وإذا بشاب قد أخرج رأسه من العريش بوجه أحسن من القمر فقال شهد لك قلبى من النوازل بنهاية الصفات الكوامل وحيرت القلوب في كنه ذاتك وسكرها براح محبتك وكيف لا يشهد لك قلبى بذاك ولا يحسن قلبى أن يألف غيرك هيهات هيهات.

لقد خاب لديك المقصرون عنك ثم أدخل رأسه في عريشه وفاتنى كلامه فلم أزل واقفا إلى أن طلع الفجر ثم أخرج رأسه ونظر إلى القمر فقال أشرقت بنورك

السموات والأرض وأنارت الظلمات وحجبت جلالك عن العيون ووصلت به معارف القلوب ثم قال بالتجائى إليك في حزنى لتنظر إلى نظرة من ناديته فأجاب فوثبت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يـرحمك الله أسألك عن مسأله قال لا قلت ولم ذاك قال ما خرج روعك من قلبى قلت حبيبى وما الذى أفزعك منى قال بطالتك في يوم شغلـك وتركك الزاد ليوم مـعادك ووقوفك على الـظنون ياذا النون قال فـوقعت مغشيـا على فما أفقت إلا بحر الشمس ثم رفعت رأسـى فلم أره ولا العريش فقمت وسرت وفي قلبى منه حسرة رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية السابعة عشرة بعد المائتين

سئل إبراهيم بـن شيبـان رضى الله عنه عن وصف العارف فـقال: كنت على جبل الطور مع شيخى أبى عبد الله المغربى ومعنا نحو من سبعين رجلا فأتانا ذات يوم شاب عليه أثر الخشـوع فكنا إذا صلينا قام يصلى معنا فإذا تجاذبنا العلم يستـمع فبينما نحن ذات يوم قعود تحت شجرة في مكان فيـه عشب وكانت أيام الربيع فتكلم الشيخ علينا في علوم المعارف فرأيت الشاب تنفس فاحـترق ما بين يديه من العشب ثم غاب فلم نره بعد ذلك فقال الشيخ هذا هو العارف وهذا وصفه رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية الثامنة عشرة بعد المائتين عن أحدهم

قال كنت في جبل لكام أطلب الزهاد والعـباد فرأيت رجلا عليه مرقـعة جالسا على حجر مطرقـا إلى الأرض فقلت له ياشيخ ماتصنع ههنا فـقال أنظر وأرعى فقلت ما أرى بين يديك إلا الحجـارة فما الذى تنظر وترعى فتـغير لونه ثم نظر إلى مغـضبا وقال أنظر خواطر قلبى وأرعى أوامر ربى فبحق الذى أظهرك على ألا ما رحلت عنى فقلت كلمنى بـشىء أنتفع به حتى أمـضى عنك فقال من لزم البـاب أثبت من الخدم ومن أكثر ذكـر الذنوب أعقبه كـثرة الندم، ومن استغنى بالله تبـارك وتعالى أمن من العدم ثم تركنى ومضى رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية التاسعة عشرة بعد المائتين عن أحدهم

قال خرجت من بيت المقدس أريد بعض القرى لحاجة فلقيت عجوزا عليها جبة صوف وخمار صوف فسلمت عليها فردت على السلام ثم قالت يا فتى أين تريد قلت

بعض القرى لحاجة قالت كم بينك وبين أهلك ومنزلك قلت ثمانية عشر ميلا قالت ثمانية عشر ميلا في طلب حاجة إن هذه لحاجة مهمة قلت أجل قالت ألا سألت صاحب القرية أن يوجه إليك بحاجتك ولا تتعب قال ولم أدر ما الذى أرادت فقلت يا عجوز ليس بينى وبين صاحب القرية معرفة قالت وما الذي أوحش بينك وبين معرفته وقطع بينك وبين الاتصال به فعرفت الذى أرادت فبكيت فقالت أتحب الله قلت نعم قالت أصدقنى فقلت أى والله إنى لأحب الله عز وجل قالت فما الذي أفادك من طرائق حكمته إذا وصلك إلى محبته قال فبقيت لا أدرى ما أقول، فقالت لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة فلم أدر ما أقول فقالت يأبى الله تعالى أن يدنس طرائق حكمته وخفى معرفته ومكنون محبته بممارسة قلوب البطالين قلت يرحمك الله لو دعوت الله عز وجل أن يشغلنى بشىء من محبته فنفضت يدها في وجهى فأعدت القول فقالت امض لحاجتك ثم قالت لولا خوف السلب لبحت بالعجب أواه من شوق لا يبرأ إلا بك ومن حنين لا يسكن إلا إليك رضى الله عنها ونفعنا بها آمين.

الحكاية العشرون بعد المائتين

حكى أنه كان شابان يتعبدان بالشام يسميان الصبيح والمليح لحسن عبادتهما جاعا أياما فقال أحدهما لصاحبه اخرج بنا إلى الصحراء لعلنا نرى رجلا نعلمه بعض دينه لعل الله أن ينفعنا به فخرجا قالا فلما أصحرنا استقبلنا أسود على رأسه حزمة حطب فقلنا له يا هذا من ربك فرمى الحزمة عن رأسه وجلس عليها ثم قال لا تقولا لى من ربك ولكن قولا لى أين محل الإيمان من قلبك فنظر كل واحد منا إلى صاحبه ثم قال لنا اسألا اسألا فإن المريد لا تتقطع مسائله فلما رآنا لا نرد جوابا قال اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا كلما سألوك أعطيتهم فحول حزمتى هذه ذهبا فإذا هى قضبان ذهب تلمع ثم قال اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا الخمول أحب إليهم من الشهرة فردها حطبا فرجعت حطبا ثم حملها على رأسه ومضى فلم نجترئ أن نتبعه رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الحادية والعشرون بعد المائتين عن أحدهم

قال صليت خلف ذى النون صلاة العصر فقال الله ثم بهت وبقى كأنه جسد ليس به روح من إجلاله لله تعالى ثم قال أكبر فظننت أن قلبى قد انقطع من هيبة تكبيره.

(وقال) ذو النون رضى الله عنه سمعت بعض المتعبدين بساحل الشام يقول إن

لله تبارك وتعالى عبادا عرفوه بيقين من معرفته فشمروا قصدا إليه، احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان وتنعموا فيها بطول الأحزان فما نظروا إليها بعين راغب وما تزودوا منها إلا كزاد الراكب، خافوا البيات فأسرعوا ورجوا النجاة فأزمعوا وبذلوا مهج نفوسهم في رضا سيدهم ونصبوا الآخرة نصب أعينهم وأصغوا إليها بآذان قلوبهم فلو رأيتهم لرأيت قوما ذبلا شفاههم خمصا بطونهم حزينة قلوبهم ناحلة أجسادهم باكية أعينهم لم يصحبوا التعليل والتسويف وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف لبسوا من اللباس أطمارا بالية وسكنوا من البلاد قفرا خالية هربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الأخدان فلو رأيتهم لرأيت قوما قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصل أعضائهم بخناجر التعب خمص البطون لطول السرى شعث الرءوس لفقد الكرى قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهبوا للنقلة والارتحال رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين قلت وفي مثل هؤلاء الرجال أحسن الذي قال :

أنت بالصدق قد خبرت رجالا ... قد أطالوا البكا إذا الليل طالا
وملأت القلوب منهم بنور ... من نفيس اليقين يا من تعالى
وتوليتهم فكنت دليلا ... وكسوت الجميع منهم جمالا
فإذا ما الظلام جن عليهم ... وصلوا بالكلال منهم كلالا
عفروا بالتراب منهم وجوها ... ذاك لله خشية وابتهالا
هجرت للمنام منهم عيون ... فاستطار المنام عنهم وزالا
إنما لذة البكا لمريد ... أسلم الأهل والديار وجالا
خاضعا باكيا حزينا ينادي ... يا كريما إذا استقيل أقالا

الحكاية الثانية والعشرون بعد المائتين عن سعيد بن أبي عروبة رضي الله عنه

قال حج الحجاج بن يوسف الثقفي فنزل في بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء وقال لحاجبه انظر إلى من يتغدي معي واساله عن بعض الأمر فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابي بين شملتين نائم فضربه برجله وقال إيت الأمير فأتاه، فقال «الحجاج اغسل يدك وتغدّ معي فقال إنه قد دعاني من هو خير منك فأجبته قال ومن هو قال الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد حرا من هذا اليوم قال فأفطر وصم غدا قال إن ضمنت لي البقاء إلى غد أفطرت، قال ليس ذلك إلى قال فكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه.

قال إنه طعام طيب قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية رضى الله عنه وفي هذا المعنى قلت :

وما طيب الطباخ عيشا وإنمـــا بعافية طاب الطعام لطاعـــــم
إذا كان بى سقم فلا شىء طيـب وإن لم يكن طابت جميع المطاعم

الحكاية الثالثة والعشرون بعد المائتين

روى أن الحجـاج بن يوسف حج فسمع ملـبيا يلبى حـول البيت رافعـا صوته بالتلبيـة وكان إذ ذاك بمكة فقال على بالرجل فـأتي به إليه فقال ممن الرجـل فقال من المسلمين فقال ليس عن الإسلام سألتك قال فعم سألت قال سألتك البلد قال من أهل اليمن قال كيـف تركت محمد بن يوسف يعنى أخاه قال تركـته عظيما جسيـما لباسا ركابا خراجا ولاجا قال ليس عن هذا سألتك قال فعم سألت.

قال سألتك عن سيرته قال تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق.

فقال له الحجاج ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانه منى فقال الرجل أتراه بمكانه منك أعز منى بمكانى من الله تبارك وتعالى وأنا وافد بيـته ومصدق نبيه أو قال زائر بيـته وقاضى دينه ومـتبع دينه فسكت الحـجاج ولم يحسن جـوابًا وانصرف الرجل من غير إذن فتعلق بأستار الكعبة وقال اللهم بك أعوذ وبك ألوذ اللهم فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائتين عن طاهر المقدسى رحمه الله تعالى

قال خرجت من عـسقلان أريد غزة في طلب البدلاء فإذا أنا بفـتى عليه أطمار رثة على ساحل البحر فكأنى لم أعبأ به فالتفت إلى وقال :

لا تنب عنى بأن تـــرى خَلَقى فإنمـــا الدر داخل الصـــدف
عملى جديد وملبسى خـــلـــق ومنتهى اللبس منتهى الصلـف

(وقال) الشيخ أبو عبد الله الدينورى رحمه الله تعالى دخل على يوما فقير عليه آثار الضر فطالبتنى نفسى أن آتيه بشىء فهـممت أن أرهن نعلى فمنعتنى نفسي وقالت كيف تتم لك طهارة مع الحـفاء فقلت أرهن ركوتي فمنعتنى أيضـا وقالت فبأي شىء تتوضأ فهممت أن أرهن منديلي فمنعتني أيضا وقالت تبقى مكشوف الرأس فقلت وما

في ذلك فجعلت أراجعها في ذلك فقام الفقيروشد وسطه وأخذ عصاه بيده ثم التفت إلي وقال يا خسيس الهمة احفظ منديلك فأنا خارج قال فعقدت مع الله تعالى ألا آكل خبزًا حتى ألقاه فقيل لى إنه أقام بعد ذلك ثلاثين سنة لم يأكل الخبز رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائيتن عن سري السقطى رضى الله عنه

قال بلغني أن امراة كانت إذا قامت من الليل قالت اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ناصيته بيدك يراني من حيث لا أراه وأنت تراه من حيث لا يراك اللهم إنك تقدر على أمره كله ولا يقدر على شيء من أمرك اللهم إن أرادني بشر فارده وإن كادنى فكده أعوذ بك منْ شره وأدرأ بك في نحره ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها فقيل لها اتقى الله تعالى لئلا تذهب الأخرى فقالت إن كانت عينى من عيون أهل الجنة فسيبدلني الله تبارك وتعالى بها ما هو أحسن منها، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدها الله تعالى عنى رضى الله عنها ونفعنا بها آمين.

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائتين عن أبي العباس بن مسروق رضي الله عنه

قال كنت بالبصرة فرأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة له صغيرة فكان كلما اصطاد سمكة فتركها في دوخلة له ردت الصبية السمكة إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئا فقال لابنته أى شيء عملت بالسمك فقالت يا أبت أليس سمعتك تروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله تبارك وتعالى فبكى الرجل ورمى بالسنارة رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما آمين.

(قلت) تعنى كل من كان غافلا عن ذكر الله تعالى لا نريده لنقصه وعدم بركته.

الحكاية السابعة والعشرون بعد المائتين

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعس المدينة فمشى حتى أعيا فاتكأ إلى جدار فإذا امرأة تقول لابنة لها صغيرة قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء فقالت يا أماه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم قالت وما كان من عزمته قالت إنه أمر مناديه فنادى ألا يشاب اللبن بالماء فقالت امذقيه فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر فقالت الصبية والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا رضي الله عنهما

(قلت) وهذه البنية المذكورة أعجب عمر رضى الله عنه حالها فزوجها أحد أولاده ومن ذريتها عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وسلفه وبجميع الأولياء والصالحين آمين .

الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائتين

روى أنه اجتاز بعض الأمراء على باب الشيخ حاتم الأصم رضي الله عنه فاستسقى ماء فلما شرب رمى إليهم شيئا من المال ووافقه أصحابه ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة لحاتم فإنها بكت فقيل لها ما يبكيك قالت مخلوق نظر إلينا نظرة فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق سبحانه وتعالى رضى الله عنها ونفعنا بها آمين.

(وروى) أن بنية للشيخ يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنهما طلبت من أبيها شيئا تأكله فقال لها اطلبي من ربك فقالت والله إني لأستحيى منه أن أسأله شيئا للأكل رضى الله عنهما.

الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائتين عن أبي عبد الله بن الجلاء رضي الله عنه

قال اشتهت والدتى على والدى يوما من الأيام سمكة فمضى والدي إلى السوق وأنا معه فاشترى سمكة ووقف ينتظر من يحملها له فرأى صبيا وقف بحذائه وقال يا عم تريد من يحمل لك فقال نعم فحمل لنا ومشى معنا فسمعنا الأذان فقال الصبي أذن المؤذن وأنا أحتاج أن أتطهر وأصلى فإن رضيت وإلا فاحمل السمكة ووضع الصبي السمكة ومر فقال أبي فنحن أولى أن نتوكل في السمكة على الله تعالى فدخلنا المسجد وصلينا وصلى الصبي فلما خرجنا إذا بالسمكة موضوعة في مكانها فحملها الصبي ومضى معنا إلى دارنا فذكر ذلك والدي لوالدتي فقالت قل له يقعد حتى يأكل معنا فقال له أنا صائم قال فتعود إلينا بالعشي فقال إذا حملت في اليوم مرة فلا أحمل ثانيا فأدخل المسجد إلى المساء ثم أدخل عليكم فمضى فلما أمسينا

دخل الصبي فأكلنا فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة ورأيناه يؤثر الخلوة فتركناه في بيت وكان بالقرب منا امرأة زمنة فلما كان في بعض الليل جاءت تمشى فسألناها عن حالها فقالت قلت يا رب بحرمة ضيفنا عافني فقمت قال فمضينا نطلب الصبي فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجده رضى الله عنه.

(قلت) منهم الصغار ومنهم الكبار ومنهم العبيد ومنهم الأحرار ومنهم النساء ومنهم الرجال ومنهم المجانين ومنهم العقلاء ومن جملة الصغار صغير كان في بلاد اليمن من أولاد بعض المشايخ كان يلعب مع الصغار وأي شيء طلبوه منه من الشهوات يحضره لهم في الحال في الموضع الذي يلعبون فيه فلما علم بذلك الشيخ قال له يا ولدي أطعمني كذا وكذا فأطعمه فكل شيء طلبه منه أحضره في الحال فمسح عليه وقال بارك الله فيك أطعمني كذا وكذا فطلب الصغير أن يحصل ذلك كالعادة فلم يحصل شيء ومن ذلك الوقت أنسد عنه هذا الباب بنظر الشيخ إذ رأى ذلك أسلم له لأنه خاف عليه الشهرة والعجب وغير ذلك رضي الله عنهما.

الحكاية الثلاثون بعد المائتين عن ذي النون رضي الله عنه

قال خرجت من وادي كنعان في الليل فإذا بشخص قد أقبل إلي وهو يقرأ ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[1] فلما قرب الشخص مني إذا هي امرأة عليها جبة صوف وبرقع صوف وفي يدها ركوة وعكاز فقالت من أنت غير فزعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل تجد مع الله تعالى غربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء فبكيت فقالت ما بكاؤك فقلت وقع الدواء على الداء فقالت إن كنت صادقا في قولك فلم بكيت فقلت يرحمك الله والصادق لا يبكي فقالت لا فقلت ولم ذلك قالت لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير وأما البكاء فهو عند الأولياء ضعف فبقيت متعجبا من كلامها فقالت مالك قلت متعجب من كلامك فقالت أنسيت الداء الذي ذكرته قلت يرحمك الله إن رأيت أن تفيديني شيئا لعل الله تعالى ينفعني به قالت فما أفادك الحكيم من الإفادة ما تستغنى به عن طلب الزيادة. قلت يرحمك الله ما أنا بمستغن عن الزيادة من الأولياء السادة.

قالت صدقت يا مسكين اذكر مولاك واشتق إليه فإن له يوما يتجلى فيه ببهاء

---

(١) سورة الزمر : الآية ٤٧.

جماله لإظهار كرامته لأوليائه وأصفيائه وأهل مودته فيسقيهم عندما يتجلى لهم بجمال كمال صفاته غدا كأسا من راح الجمال وسلسبيل الوصال لا يظمئون بعدها أبدا ثم غلب عليها الوجد فنادت يا حبيب قلبي إلى كم تخلفني بدار لا أجد فيها صديقا صادقا ثم تركتني وانحدرت في الوادي وهي تقول إليك لا إلى النار إليك لا إلى النار حتى انقطع صوتها عنى رضي الله عنها ونفعنا بها آمين.

الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائتين عن ذي النون رضي الله عنه

قال بينما أنا أمشي علي شاطئ النيل إذ رأيت عقربا تدب فأخذت حجرا وأردت قتلها فهربت مسرعة فوقفت على شاطئ النيل فخرجت ضفدعة فوثبت العقرب على ظهرها فعامت بها حتى خرجت بها إلى الجانب الآخر فتبعتها فلما بلغت البر نزلت عن ظهرها وإذا برجل نائم وهو سكران وثعبان قد قبل إليه ليلدغه فأسرعت العقرب إلى الثعبان فلدغته لدغة تقطع الثعبان منها قطعا فأيقظت ذلك الرجل من نومه فقام فزعا مرعوبا فلما رأى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت أمره فقصصت عليه القصة فأطرق برأسه ثم رفعه إلي السماء وقال يا رب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك وعزتك وجلالك لا عصيتك بعدها أبدا ثم ولى باكيا وهو يقول:

يا راقدا والجليل يحرســـــه من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك تأتيك منه كرائم النعـــــم

الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائتين

حكي أن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه مر بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد طفح سكره من فمه فنظر إليه إبراهيم وقال أي لسان أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله عز وجل به ثم دنا منه وغسل فمه فلما أفاق أخبر بما فعل إبراهيم به فخجل وتاب وحسنت توبته فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له يا إبراهيم طهرت لأجلنا فمه فطهرنا لأجلك قلبه رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائتين

حكي عن بشر بن الحرث رضي الله عنه أنه سئل ما كان بدء أمرك لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي قال هذا من فضل الله تعالى كنت رجلا عيارا صاحب عصبية فوجدت يوما قرطاسا في الطريق فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

فمســحته وجعلته في جـيبي وكان عندي درهمان كنت لا أملك غيـرهما فذهبت إلى العطار فاشتريـت بهما غالية وطيبت بها القـرطاس فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلا يقول يا بشر طيـبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

(وقيل) كان سـبب توبة منصور بن عمار الواعظ رضي الله عنه أنه وجـد رقعة في الطريق مكتوب عليها بسم الله الـرحمن الرحيم فلم يجد لها موضعا يضــمها فيه فابتلعــها فسمع في النوم قـائلا يقول له فتح الله عليك باب الحكمة باحـترامك تلك الرقعة رضي الله عنه.

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائتين

حكي أن بشراً الحـافي رضي الله عنه كان في زمن لهـوه في دار وعنده ندماؤه يشربون ويطربون فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية فقال لها صاحب هذه الدار حر أو عـبد قالت بل حر قال صدقت لو كان عبـدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهـو والطرب فسمع بشر محـاورته لها فسارع إلى الباب حـافيا حاسرا وقد ولى الرجل فقال للجارية أين ذهب الرجل قالت انطلق فجد فى أثره حتى لحق به قال، يا سـيدي أنت الذي وقفت بالبـاب وخاطبت الجارية قال نعم قـال أعد علي الكلام فأعاده عليه فمرغ بشر خـديه على الأرض وقال بل عبد عبد عبد ثم هام على وجهه حافـيا حاسرا حتى عرف بالحافي فقـيل له لم لا تلبس نعلين قال لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف فلا أزول عن هذه الحال حتى أموت رضي الله عنه.

(وقيل) قـالت له يوما بعض البنات الصـغار لو اشتـريت نعلين بدانقين لذهب عنك اسم الحافي رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائتين

عن الأستاذ أبي علي الدقاق رضي الله عنه

قال مـر بشر رضي الله عنه ببـعض الناس فقـالوا هذا الرجل لا ينام الليل ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة فـبكى بشر وقال والله ما أذكر أني سـهرت ليلة كاملة ولا صمت يومـا إلا وأفطرت من ليلته ولكن الله سـبحانه وتعـالى يلقي فى القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفا منه سبحانه وتعالى وإكراما وفي هذا المعنى أقول :

فسبحان من أبدى جميل جمالـه ... على عبده لطفا وجود جـــــواد
وأخفى المساوي والعيوب تكرمـا ... وحلما تعالى ساتر العبــــــاد

الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائتين
عن فاطمة بنت احمد اخت الشيخ أبى على الروذبارى
رضى الله عنهما

قالت كان ببغداد عشرة من الفتيان معهم عشرة أحداث فوجهوا واحدا من الأحداث في حاجة لهم فأبطأ فحردوا عليه فجاء وهو يضحك وبيده بطيخة فقالوا تبطئ وتجيء وأنت تضحك فقال جئتكم بأعجوبة قالوا وما هي قال وضع بشر رضى الله عنه يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهما فأخذ كل واحد منهم يقبلها ويضعها على عينيه فقال واحد منهم أى شيء بلغ بشرا رضى الله عنه هذه المرتبة فقالوا التقوى فقال أنا أشهدكم أنى تائب إلى الله تعالى فقال القوم كلهم مثله ويقال إنهم خرجوا إلى طرطوس فاستشهدوا كلهم رحمهم الله تعالى.

الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائتين عن أحد أهل العلم

قال كان عندنا ببغداد رجل من التجار كنت أسمعه يقع في الصوفية كثيرا ثم رأيته بعد ذلك صحبهم وأنفق جميع ماله عليهم، فقلت له أليس كنت تبغضهم، فقال لي ليس الأمر على ما كنت أتوهم قلت له كيف قال صليت الجمعة يوما من الأيام وخرجت فرأيت بشرا الحافي رضي الله عنه خارجا من الجامع مسرعا فقلت في نفسي أنظر هذا الرجل الموصوف بالزهد ليس يستقر في المسجد فتركت حاجتى وقلت أنظر أين يذهب فتبعته فرأيته يقدم إلى الخباز فاشترى بدرهم خبزا ثم تقدم إلى الشواء فأعطاه درهما وأخذ شواء فزادنى غيظا ثم تقدم إلى الحلواني فاشترى فالوذجا بدرهم فقلت في نفسي والله لأنغصن عليه حين يجلس يأكل فخرج إلى الصحراء وأنا أقول يريد الخضرة والماء فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه فدخل قرية ثم دخل مسجدا فيه مريض فجلس عند رأسه وجعل يلقمه فقمت لأنظر إلى القرية فغبت ساعة ثم رجعت فلم أجده فقلت للعليل أين بشر قال ذهب إلى بغداد قلت وكم بيننا وبين بغداد قال أربعون فرسخا يعنى مسيرة خمس مراحل فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ما هذا الذي عملت بنفسي وليس معى ما أكترى به ولا أقدر على المشى قال اجلس حتى يرجع فجلست إلى الجمعة الأخرى فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شيء يأكله المريض فلما فرغ قال له يا أبا نصر هذا صحبك من بغداد وبقى عندى منذ يوم الجمعة الأولى فرده قال فنظر إلى كالمغضب وقال لم صحبتني فقلت أخطأت قال قم فامش فمشيت إلى قرب المغرب فلما قربنا قال أين محلتك من بغداد قلت في موضع

كذا وكذا قال اذهب ولا تعـد فتبت إلى الله تعالى وصحبـتهم وأنا على ذلك إن شاء الله تعالى رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائتين

حكي عن أحـد الصـالحين كـلام معنـاه أنه قال دخلت الخـلوة في أيام بدايتي وعاهدت الله تعـالى ألا آكل شيئـا إلا بعد أربعين يوما فمكـثت نيفا وعشـرين يوما واشتـدت على الفاقـة والضرورة فخـرجت من الخلوة ولم أشعر بـنفسي الا وأنا في السوق وأذا بفقـير يتمنى في السوق ويقول تمنيت على الله الكريم رطل خـبز حوارى ورطل شواء ورطل حلوى قـال فكنت أستثقـله وهو يطوف في السوق ويمر على ولا يكلمنى وأنا أقول في نفسى والله إن هذا ثقيل يتمنى هذه الشهوات العزيزة وأنا أطلب كسرة يابسة ما حصلت لى فلما كان بعـد ساعة حصل له الذى تمنى فجاءني وأعطانيه وعصر بأذنى وقال من هو الثقيل الذي نقض العهد وخرج من الخلوة لأجل الشهوة أو الذي يطلب له من الطيبات النفاس ما يرد عليه القوة والحواس إن الذى يريد أن يطوى الأربعين يطويها بالتدريج ولا يطويها وثبة واحدة فيثور عليه كلب الجوع ويهيج ثم قال لا تعد إلى هذا المذهب وتركني وذهب رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائتين

روى عن أحد شيـوخ اليمن رضي الله عنهم أنه خرج يوما مـن زبيد إلى نحو الساحل المعـروف بالأهواب ومعه تلميـذ له فمر بطريقـه على قصب ذرة كبار فـقال التلميذ خذ معك من هذا القصب ففعل التلميذ وتعجب في نفسه وقال ما أراد الشيخ بهذا ولم يقل لـه الشيخ شيـئا حتى بلغـا إلى محلة العـبيد الذين يقـال لهم السناكم يأكلون الميتـات ويشربون المسكرات ولا يعـرفون الصلوات وإذا بهم يشربون ويلعـبون ويلهون ويطربون ويغنون ويضربون فقال الشيخ للتلميذ أئتني بهذا الشيخ الطويل الذي يضرب الطبل فأتاه التلميذ فقال له أجب الشيخ فرمى بالطبل من رقبته ومشى معه إلى الشيخ فلما وقفنا بين يديه قال الشيخ للتلميذ اضربه بالقصب فضربه حتى استوفى منه الحد ثم قال الشيخ امش أمـامنا فمشى حتى بلغوا البحر فأمـره الشيخ أن يغسل ثيابه ويغتسل وعلمه كيـفية ذلك وكيفية الوضوء ففعل ثـم علمه كيف يصلى وتقدم الشيخ فصلى بهما الظهر فلما فرغوا من الصـلاة قام الشيخ ووضع سجادته على البحر وقال له تقدم فقام ووضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين فالتفت التلميذ إلى الشيخ وقال وامصيبتاه واحسرتاه لى معك كذا وكذا سنة ماحصل لي شيء

من هذا وهذا في ساعة واحدة حصل له هذا المقام وهذه الكرامات العظام فبكى الشيخ وقال يا ولدى وأيش كنت أنا هذا فعل الله تعالى قيل لي فلان من الأبدال توفى فأقم فلانا مقامه فامتثلت الأمر كما تمثل الخدام وودت أنه حصل لى هذا المقام رضى الله عنه.

وهذا الشيخ الجليل الفاضل يقال له الشيخ على بن المرتضى من أصحاب الشيخ الكبير محمد بن أبى الباطل الذى أنشد فيه تلميذه وهو راحل وقال لله دره من قائل :

ليت شعرى أى أرض أجدبت   فسقوها بك يا وجـــه الفرج
ساقـك الـله إليـها رحمـــة   فبجاهك ما عليهم مـن حـرج

يعني ساقك الله في هذا السفر إلى مكان يريد إغاثة أهله بك ولست أدرى الآن أين ذلك المكان فلما وصل إلى عدن أقام بها مدة يسيرة وتوفى وقبره هناك مزور ومشهور رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الأربعون بعد المائتين

روي أن الشيخ الكبير المشكور المسمى بجوهر المشهور الذي هو في عدن مقبور رضي الله عنه كان مملوكا فعتق وكان يبيع ويشتري في السوق ويحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم وهو أمي فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير الحداد المدفون بعدن رضي الله عنه قال له الفقراء من يكون الشيخ بعدك قال الذي يقع على رأسه طائر أخضر في اليوم الثالث من موتي عندما يجتمع الفقراء هو الشيخ فلما توفى اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث وفرغوا من القراءة والذكر قعدوا ينتظرون ما وعدهم الشيخ فإذا بطير أخضر وقع قريبا منهم فبقى كل واحد من كبار الفقراء ينتظر ذلك ويتمناه فبينما هم كذلك ينتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم وإذا بالطائر قد طار ووقع على رأس جوهر ولم يكن يخطر له ولا لأحد من الفقراء ذلك فقام إليه الفقراء ليزفوه إلى زاوية الشيخ وينزلوه منزلة المشيخة فبكى وقال كيف أصلح للمشيخة وأنا رجل سوقي وأمي لا أعرف طريق الفقراء وآدابهم وعلى تبعات وبيني وبين الناس معاملات فقالوا له هذا أمر سماوي نزل ولا بد لك منه والله تعالى يتولى تعليمك ومعونتك وهو يتولى الصالحين فقال أمهلوني حتى أمضي إلى السوق وأبرأ من حقوق الخلق فأمهلوه فذهب إلى دكانه ووفى كل ذي حق حقه ثم ترك السوق ولزم الزاوية ولازمه الفقراء وصار جوهرا كاسمه وله رضى الله عنه من الفضائل والكرامات ما يطول ذكره فسبحان المنان الكريم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(قال) أحد العارفين رضي الله عنه من تولته رعاية الحق أجل ممن تؤدبه سياسة العلم ولقد أحسن في هذا المقال.

(وقال) آخر منهم يحتاج المسافر في سفره أو قال السالك في سلوكه إلى أربعة أشياء علم يسوسه وذكر يؤنسه وورع يحجزه ويقين يحمله قلت ومن حصل له ما قاله الأول من تولى رعاية الحق لا يحتاج إلى هذه الأربعة المذكورة لأنه حينئذ يكون معلما ومؤنسا ومحفوظا ومحمولا والله أعلم.

الحكاية الحادية والأربعون بعد المائتين

روي أن ابن السماك رضي الله عنه وعظ يوما فأعجبه وعظه فلما انصرف إلى منزله ونام سمع قائلا يقول:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقامة والضنا ... ومن الضنا والداء أنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... صفة وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى ... بالوعظ منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

فلما استيقظ حلف ألا يعظ الناس شهراً.

(وقيل) إنه اجتمع فضيل بن عياض ومحمد بن السماك رضى الله عنهما فقال الفضيل العلم طبيب الدين والمال داء الدين فإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه فكيف يداوى غيره وفي هذا المعنى أنشدوا لبعض الفضلاء:

إن زاد مالك لم تزدد به قنعا ... أو زاد علمك لم تزدد به وجعا
آثرت دنياك مسرورا بلذتها ... وقد تركت التقى والزهد والورعا
وكيف ينفع علم منك سامعه ... ولا يراك بذاك العلم منتفعا

الحكاية الثانية والأربعون بعد المائتين
حكي عن الحسن البصرى رضي الله عنه

أنه أفتى في مسأله فقال له رجل إن الفقهاء خالفوك فيها فقال له الحسن ويحك وهل رأيت فقيها قط إنما الفقيه من زهد في الدنيا.

(وقال) رضى الله عنه الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف العلماء وهم ورثة الأنبياء والزهاد هم الأدلاء والغزاة هم أسياف الله تعالى والتجار هم أمناء الله عز وجل والملوك هم رعاة الخلق فإذا أصبح العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدى وإذا أصبح الزاهد راغبا فبمن يستدل ويهتدى وإذا أصبح الغازى مرائيا والمرائي لا عمل له فمن يظفر بالعدا وإذا كان التاجر خائنا فمن يؤتمن ويرتضى وإذا أصبح الملك ذئبا فمن يحفظ الغنم ويرعى والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون والغزاة المراءون والتجار الخائنون والملوك الظالمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأنشد الشيخ الصالح العالم العامل الإمام الفاضل عبدالعزيز الديريني لنفسه رضى الله عنه:

إذا مات ذو علم وتقوى فقد ثلمت من الإسلام ثلمه
وموت العابد المرضى نقص ففي مرآه للأسرار نسمه
وموت العادل الملك المولى بحكم الحق منقصه وقصمه
وموت الفارس الضرغام هدم فكم شهدت له بالنصر عزمه
وموت فتى كثير الجود محل فإن بقاءه خصب ونعمه
فحسبك خمسة يبكى عليهم وموت الغير تخفيف ورحمه

الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائتين قال المؤلف غفر الله له

أخبرني أحد أصحاب الشيخ عبد العزيز الديريني المذكور رضي الله عنه قال كنت مع الشيخ عبد العزيز في بعض السياحات فانتهينا إلى قبر في بعض البراري فجلس الشيخ عبد العزيز عند القبر يبكي فسألته عن ذلك فقال كان صاحب هذا القبر من أولياء الله سبحانه وتعالى اتفق لي معه حكاية عجيبة قال فقلت له وما هي قال عرضت لي حاجة في بعض البلاد مع بعض الناس فسافرت لتلك الحاجة وأدركتني صلاة المغرب في الطريق فعدلت إلى مسجد فوجدت فيه فقيرا يصلى بجماعة فصليت خلفه وإذا به يلحن في قراءته فتشوشت من ذلك وقلت في نفسي وأنا في الصلاة أقيم ههنا أعلم هذا الفقير كيف يقرأ في صلاته وأترك حاجتي فهذا أولى أو هذا

يتعين على فلما سلمنا من الصلاة التفت إلى وقال يـا شيخ عبد العزيز الحق حاجتك التي جئت إليها فـإن صاحبك الذي هى عنده يريد السفر فاذهـب لحاجتك وما عليك من هذا اللحن الذي سـمعته والتـعليم الذي نويته قـال فتعـجبت من مكاشفـته لي وخرجت في الحال بإشارته وأسـرعت في السير فلما دخلت البلدة التي فيـها حاجتي وجدت صـاحبي قد ركب يريد سـفرا فلما رآني تـوقف حتى قضى لي حـاجتي ولو تأخرت قليلا لفاتني مطلوبي فـازددت تعجبا من ذلك الفقير وحبـا له ونويت ملازمته والتماس بركته وما لبثت إلا مدة يسيرة وتوفى وهذا قبره رضى الله عنه ونفعنا بهم.

الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائتين عن أحد أهل العلم

قال كنت في المصيصة فـإذا برجلين يتكلمان في الخلوة مع الله تعالى فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر تعال نجـعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ما شئت فقال عزمت على ألا آكل لمخلوق فيه صنع قال فتبعتهما وقلت أنا معكما فقالا على الشرط قلت على أي شرط شـرطتما فصعدا جبل لكام ودلاني على كهف وقـالا تعبد فيـه فدخلت فيه وجـعل كل واحد منهمـا يأتيني بما قسم الله تعالى لي وبقـيت مدة ثم قلت إلى متـى أقيم ههنا أنا أسيـر إلى طرسوس وآكل من الحلال وأعلم الناس العلم وأقرئ القرآن فخـرجت ودخلت طرسوس فأقمت بها سنة فإذا أنا برجل منهما وقد وقف على وقال يا فلان خنت في عهدك ونقضت الميثاق أما إنك لو صبـرت كما صبرنـا لوهب لك كما وهب لنا قلت ما الذي وهب لكـما قال ثلاثة أشياء طى الأرض من المشرق إلى المغرب بقـدم واحدة والمشى على الماء والحجبة إذا شئنـا ثم احتجب عنـى قلت بالذى وهب لك هذا الحال إلا مـا ظهرت لى فـقد شويت قلبى فظهر وقال سل فقلت هل لى إلى ذلك الحال عودة فقال هيهات لا يؤتمن الخائن وأنشد يقول:

من سـارروه فأبدى السـر مشـتهـرا ... لم يأمنوه علـى الأسرار مـا عـاشـا
وأبعـــدوه ولم يســعــد بقـــربهم ... وأبدلـوه مكان الأنس إيحـــاشـــا
ومن أتاهم بــهم لم يحـجـبـوه به ... حـاشـا ودادهم من ذلـكم حـاشـا
فكــن بهم ولــهم في كــل نائبــــة ... إليـهم مــا بقـيت الدهر هـشـاشـا

الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائتين عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى

قال بلغنى أن ذا النون رضى الله عنه تعلم اسم الله تعالى الأعظم فخرجت من مكة قاصدا إليه حتـى وافيته في جيزة مصر فأول مـا بصر بى رآنى طويل اللحية وفي

يدي ركوة كبيرة متزرا بمئزرة وعلى كتفي مئزر وفي رجلي تاسومة فاستبشع منظرى فلما سلمت عليه كأنه ازدراني وما رأيت منه تلك البشاشة فقلت في نفسي ترى مع من وقعت فجلست عنده فلما كان بعد يومين أو ثلاثة جاء رجل من المتكلمين فناظره في شيء من الكلام فاستظهر على ذي النون وغلبه فاغتممت لذلك فتقدمت وجلست بين أيديهما واستملت المتكلم إلي وناظرته حتى قطعته، ثم دققت حتى لم يفهم كلامى قال فعجب ذو النون من ذلك وكان شيخا وأنا أصغر منه فقام من مكانه وجلس بين يدى وقال اعذرني فإني لم أعرف من مكانك من العلم وأنت آثر الناس عندي وما زال بعد ذلك يبجلني ويرفعني على جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة كاملة، فقلت له بعد السنة يا أستاذ أنا رجل غريب وقد اشتقت إلى أهلى ولى في خدمتك سنة ووجب حقي عليك وقيل لي إنك تعلم الاسم الأعظم وقد جربتني وعرفتني فإن كنت تعرفه فعلمني إياه، قال فسكت عني ولم يجبني بشيء وأوهمني أنه ربما علمني ثم سكت عنى ستة أشهر فلما كان بعد ذلك قال يا أبا يعقوب أليس تعرف فلانا صديقنا بالفسطاط الذى يأتينا وسمى رجلا فقلت له بلى قال فأخرج إلى طبقا فوقه مكبة مشدودة بمنديل فقال لي أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط فأخذت الطبق فإذا هو خفيف كأنه ليس فيه شيء فلما بلغت الجسر الذي بين الفسطاط والجيزة قلت في نفسي يوجه ذو النون بهدية إلى رجل في طبق ليس فيه شيء لأبصرن ما فيه فحللت المنديل ورفعت المكبة فإذا فأرة قد نفرت من الطبق فذهبت فاغتظت وقلت سخر بى ذو النون ولم يذهب وهمى في الوقت إلى ما أراد فرجعت إليه مغضبا فلما رآنى تبسم وعرف القصة وقال يا مجنون أئتمنتك على فأرة فخنتني فكيف أئتمنك على اسم الله الأعظم قم عني فارتحل ولا أراك بعد هذا فانصرفت عنه.

الحكاية السادسة والأربعون بعد المائتين عن عمر البناني رضي الله عنه

قال مررت براهب في مقبرة وفي كفه اليمنى حصى أبيض وفي كفه اليسرى حصى أسود فقلت يا راهب ما تصنع ههنا قال إذا فقدت قلبى أتيت المقابر فاعتبرت بمن فيها فقلت ما هذا الحصى الذي في كفك فقال أما الحصى الأبيض إذا عملت حسنة ألقيت منها واحدة في الأسود وإذا عملت سيئة ألقيت من هذا الأسود واحدة في الأبيض فإذا كان الليل نظرت فإن فضلت الحسنات على السيئات أفطرت وقمت إلى وردى وإن فضلت السيئات على الحسنات لم آكل طعاما ولم أشرب شرابا في تلك الليلة هذه حالتي والسلام عليك.

الحكاية السابعة والأربعون بعد المائتين عن ذى النون رضي الله عنه

قال لقيت شيبان المصاب فقلت له ادع لي فقال آنسك الله بقربه ثم شهق شهقة وغشى عليه ولم يفق إلا بعد يومين فلما أفاق قال :

إن ذكر الحبيب هيج شوقـــي ثم حب الحبيب أذهل عقلـــي

وقال أيضا رضي الله عنه :

ترى المحبين صرعى في ديارهــم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثــوا
والله لو حلف العشاق أنهـــم قتلى من الحب يوم البين ما حنثوا

(وقيل) أتى رجل إلى العـلاء بن زياد رضي الله عنه فقـال له إن آتيا أتانى في منامي فقال لي ائت العلاء بن زياد وقل له كم تبكى وقد غـفر لك قال فبكى ثم قال الآن يحق لى ألا أهدأ وأنشدوا :

وما في الأرض أشقي من محب وإن وجد الهوى حلو المـــذاق
تراه باكيا في كـــل حيـــن مخافة فرقة أو لاشتيـــاق
فيبكي إن نأوا شوقا اليهـــم ويبكى إن دنوا خوف الفـــراق

(وحكى) عن الجنيـد رضى الله عنه قـال رأيت آدم عليه السـلام في المنام وهو يبكي فـقلت له ما يبكيك أليس قـد غفر اللـه تعالى لك ووعدك بالرجـوع إلى الجنة فناولني ورقة مكتوبة فاستيقظت من منامي ووجدتها في يدى وإذا فيها.

أتحـــرقني بـالنـار نار من الـنوى ونـار النـوى أحـــر مـن النـار
شـغـفـت بجـار لابدار سكنتـــهـا على الجـار أبكي لا على سكنة الدار
ولو لم يعـدنى بـالرجـوع إلى المنى هلكت ولكن نـلت بالوعـد أوطارى

الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائتين

حكى أن سـالما الحـداد رضى الله عنه كـان من الأبدال وكان يتـردد إلى فـتح الموصلي رضي الله عنه وكـان إذا سمع الأذان يتغـير لونه ويصفـر ويضطرب ثم يثب ويترك الحانوت مفتوحا وينشد:

إذا مـا دعا داعـيكم قمت مـسرعـا مـجـيـبـا لمولى جـل ليس له مـثل
أجـــيب إذا نادى بســمع وطاعـــة وبي نشـوة لبـيك يا من له الفـضل
ويصـفـــر لونى خـيـفـة ومـهـابة ويرجع لى عن كل شـغل به شـغل
وحـقكم مـا لـذ لى غـيـر ذكـركم وذكـر سواكم في فـمي قط لا يحلو

متى تجمع الأيام بيني وبينكـــــم ويفرح مشتاق إذا جمع الشمـــل
فمن شاهدت عيناه نور جمالكـــم يموت اشتياقا نحوكم قط لا يسلو

الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائتين
عن أحد أصحاب فتح الموصلي رضي الله عنه

قال دخلت يوما على فـتح فوجدته يبكى وقد خالطت دموعـه صفرة فقلت له بالله عليك يا سيـدي فتح هل بكيت الدم، فقال والله لو أنك أقسـمت بالله على ما أخبـرتك بكيت الدمع وبكيت الدم، فـقلت علام بكيت الدمع قـال على تخلفي عن الله عز وجـل، فقلت فعـلام بكيت الدم قال علـى الدموع ألا تصح لى، قـال فلما توفي رأيته في المنام فقلت له مـا فعل الله تعالى بك قال غفـر لى وقال يا فتح بكيت كل هذا البكاء على ماذا فقلت يا رب على تخلفي عن حقك قال والدم لم بكيته قلت يا رب على الدموع ألا تصح لي قال يا فتح فمـا أردت بهذا كله وعزتى وجلالي لقد صعد إلى حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وما فيها خطيئة.

(قلت) قوله ألا تصح لى معناه ألا تقبل مني والله أعلم.

الحكاية الخمسون بعد المائتين عن ذي النون رضى الله عنه

قال كـنت في جبـال بيت المقدس وإذا برجل قـد اتزر بالخوف واتشح بالـرجاء فتقدمت إليه وسلمت عليه فـرد على السلام فقلت له من أين أقبلت يرحمك الله قال من حظيرة الأنس قلت وإلى أين تريد قال إلى راحة النفس ثم ولى وهو يقول:

هجـــر الخلق كـلهـم وتخـلى فـــهـــو بـالله طيب الخلوات
قـــال للنفس ســاعـديني وجـدى ليس نقض العـهـود فـعل الثـقـات
ليس من يـطلب الحبـيب فـتـورا فـاسبلى الدمـع واهجرى التـرهات
هل رأيـتم مـــدللا فـي عـــذاب وعــروســا تواصل العـــبــرات
فـقـيـر جـائع خـيـر من ملك غنى مـــشـرق وجـهـه من الحـسنات
لم يرم عـــرســه الذي هو مـــاضٍ إنما رام عـــرســه الـذى هو آت
فلعـمـري لتـخلـعن عليـــــه خلع العـــز مع جـــزيل الهـبـات

الحكاية الحادية والخمسون بعد المائتين عن أحدهـم

قال خرجت فـي بعض حوائجي فبينمـا أنا في فلاة من الأرض إذا برجل يدور بشجرة شوك ويأكـل منها رطبا فسلمت عليه، فقـال وعليك السلام تقدم وكل فنزلت

عن ناقتي وتقدمت إلى الشجرة فكلما أخذت منها رطبا عاد شوكا فتبسم الرجل وقال هيهات لو أطعمتــه في الخلوات أطعمك الرطب في الفلوات رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

(وقال) أحدهم كنت مع ذي النون رضي الله عنه في البــادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا مــا أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقــال تشتهون الرطب وحرك الشجرة وقال أقســمت عليك بالذي ابتداك وخلقك شجرة إلا ما نثرت علينا رطبا جنيــا ثم حركها فنثــرت رطبا جنيا فأكــلنا وشبعنا ثم نمنا وانتبــهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكا.

(وقال) محمد بن المبــارك الصوري رحمه الله كنت مع إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجــرة رمانة فصلينا ركعات وسمعت صــوتا من أصل تلك الرمانة يقول يا أبا إســحق أكرمنا بأن تأكل منها شــيئا فطأطأ إبراهيم رضى الله عنه رأسه فقال ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعنا إليه ليتناول منا شيــئا فقلت له يا أبا إسحق لقد ســمعت فقام وأخذ رمــانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما رجعنا من زيارتنا إذا هي شجرة عاليــة ورمانها حلو وهي تثمر في كل عام مرتين وســموها رمانة العابدين ويأوى إلى ظلها العابدون رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية الثانية والخمسون بعد المائتين عن أحدهــم

قال انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فــصاحت بي وقالت يقتلني العطش فقلت هو ذا يرى حــالنا فرفعت رأسي فإذا برجل في الهواء جالس وبيده سلسلة من ذهب فيهــا كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب من المسك فقلت له من أنت يرحــمك الله فقال أنا عبــد لمولاك فقلت بم وصلت إلى هذا فقال تركت الهوى لمرضاته فأجلسنى على الهواء ثم غاب عني فلم أره رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

(وقال) أحــدهم كنا بعسقلان وشــاب يغشانا يتــحدث معنا فإذا فــرغنا قام إلى الصلاة يصلي فــودعنى يوما وقال أريد الإسكندرية فخــرجت معه وناولته دريــهمات فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفــا من الرمل في ركوته واستقى من ماء البحر وقال كلمــة فإذا هو سويق بسكر كثــير فقال من كان حــاله معه مثل هذا يــحتاج إلى

دراهمك ثم أنشد يقول:

بحق الهوى يا أهل ودى تفهموا   لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى   يكون لغير الحق فيه نصيب

الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين
عن أحد أصحاب الشيخ أبى تراب النخشي رضي الله عنه

قال كنا مع أبى تراب في طريق مكة فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه يا سيدى أنا عطشان فضرب برجله الأرض فإذا عين ماء زلال فقال الفتى أحب أن أشربه في قدح فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وسقانا ومازال القدح معنا إلى مكة.

(وقال) الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه ظهرت علة بيعقوب بن الليث أعيت الأطباء فقالوا له في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبدالله رضي الله عنه لو دعا لك لعل الله سبحانه يستجيب له فاستحضره، وقال له ادع الله تعالى لي فقال سهل كيف يستجيب دعائي فيك وفي حبسك مظلومون فأطلق كل من كان في حبسه فقال سهل اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفي فعرض مالا على سهل فأبى أن يقبله فقيل له لو قبلته ودفعته إلى الفقراء فنظر إلى الحصباء في الصحراء فإذا هي جواهر فقال من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث.

الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائتين
عن سعيد بن يحيى البصري رضى الله عنه

قال أتيت عبدالواحد بن زيد رضي الله عنه وهو جالس في ظل فقلت له لو سألت الله عز وجل أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل، فقال ربي أعلم بمصالح عباده ثم أخذ حصاة من الأرض وقال اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا فعلت فإذا هي والله في يده ذهب، فألقاها إلى وقال أنفقها أنت فلا خير في الدنيا إلا للآخرة.

(وقال) أبو زيد رضي الله عنه دخل علي أستاذي أبو على السندي وبيده جراب فصبه فإذا هو جواهر فقلت له من أين لك ذلك قال أتيت واديا هناك فإذا هو يضيء كالسراج فحملت هذا منه.

(وقال) الشيخ أبو بكر الكتاني رضى الله عنه كنت في طريق مكة تائها يوما فإذا بهميان يلمع فإذا به دنانير فهممت أن أحمله وأفرقه على فقراء مكة فهتف بي هاتف إن أخذته سلبنا عنك فقرك.

الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائتين

حكى أن حبيبا العجمي رضي الله تعالى عنه

كانت له زوجة سيئة الخلق فقالت له يوما إذا لم يفتح الله عليك بشيء فأجر نفسك واعمل في الفاعل، فخرج إلى الجبانة وصلى إلى العشاء ثم أتى بيته خجلا من توبيخها مشغول القلب من شرها فقالت أين أجرتك فقال لها إن الذي استأجرني كريم استحييت من استعجاله، فمكث كذلك أياما يصلى في الجبانة إلى الليل وتقول له أين أجرتك كل يوم فيقول لها استأجرني كريم فخفت من استعجاله فلما طال عليها الحال قالت له اطلب أجرتك من هذا أو أجر نفسك من غيره فوعدها أنه يطلب الأجرة وخرج إلى عادته فلما أمسى الليل عاد إلى منزله خائفا منها فرأى فى بيته دخانا ومائدة منصوبة وزوجته مستبشرة فرحة فقالت له قد بعث لنا الذى أستأجرك ما يبعث الكرام وقال رسوله لي قولي لحبيب يجد في العمل وليعلم أنا لم نؤخر أجرته بخلا ولا عدما، فيقر عينا ويطيب نفسا ثم أرته أكياسا مملوءة دنانير فبكى حبيب وقال لزوجته هذه الأجرة من كريم بيده خزائن السموات والأرض فلما سمعت ذلك تابت إلى الله تعالى وأقسمت أنها لا تعود إلى ما كانت عليه.

الحكاية السادسة والخمسون بعد المائتين

روى أن عطاء الأزرق رضى الله عنه دفعت إليه زوجته درهمين وقالت له اشتر لنا دقيقا بهما فخرج إلى السوق فرأى مملوكا يبكى فقال له لم تبكى فقال إن مولاى دفع إلى درهمين أشترى بهما شيئا فسقطا منى وأخاف أن يضربني فدفع إليه عطاء الدرهمين ومضى يصلي إلى وقت المساء وانتظر شيئا يفتح عليه فلم يفتح عليه بشيء فقعد على دكان صديق له نجار فقال له خذ من هذه النجارة لعلكم تحتاجون إليها تحمون بها التنور فليس لى شيء أواسيك به فأخذ ذلك في جرابه ورجع إلى بيته وفتح الباب وطرح الجراب في البيت ومضى إلى المسجد فصلى فيه العشاء وقعد حتى مضى شيء من الليل رجاء أن ينام أهله كي لا يخاصموه ثم جاء إلى البيت فوجدهم يخبزون الخبز فقال لهم من أين لكم الدقيق قالوا من الذي حملته في الجراب لابقيت تشترى لنا الدقيق إلا من الذى اشتريت لنا هذا منه فقال أفعل هذا إن شاء الله تعالى.

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائتين عن أحد الصالحين

(قال) خرج رجل من عباد البصرة يشترى حزمة حطب فسمع إقامة الصلاة في بعض المساجد فمال إليه وترك السوق فـرأى صرة في طريقه مكتوبا عليها هذه الصرة فيها مائة دينار فتركها ولم يعرج عليها وأقبل على صلاته ثم رجع إلى السوق فاشترى حزمة حطب ودخل بها إلى بيـته فلما حلها وجد الصرة فيها فـرفع طرفه إلى السماء وقـال اللهم كمـا لم تنس عبـدك من رزقك فـاجعله لا ينسـاك في أوقات طاعـتك وخدمتك وجعل يقول لو أقبلت على خدمته ونهيت نفسك عن معصيته رأيت لطائف إحسانه ونعمته.

(وقال) أحـد الفقراء دخلت على أبى الخير فناولني تفاحتين فجعلتهما في جيبي فقلت لا أتناولهما لكن أتبرك بهما لموضع الشيخ عندى فكانت تجرى على فاقات ولا أتناولهما حتى أجـهدتني الفاقة مرة فأخرجت واحدة فـأكلتها ثم أدخلت يدى لأخرج الأخرى وإذا بالتفاحتين مكانهما فمازلت آكل منهما حتى دخلت الموصل فجزت على خرابة وإذا بعليـل ينادى من الخرابة أشتـهى تفاحة ولم يكـن وقت التفاح فـأخرجت التفـاحتين وناولتـهما إياه فـأكلهمـا وخرجت روحه من وقـته فعلمـت أن الشيخ إنما أعطانيهما من أجل ذلك العليل.

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائتين عن ذي النون المصري رضي الله عنه

قال كان عندنا فتى من أهل خراسان بقى عنـدنا في المسجد سبعة أيام لم يطعم الطعام وكنت أعرض عليه فيأبى فدخل ذات يوم إنسان يطلب شيئا فقال له الخراساني لو قصـدت الله عز وجل دون خـلقه أتاك فقـال السائل مـالى إلى هذا المكان فـقال الخراسانى أي شيء تريد قال ماسد فاقتي وسـتر عورتي، فقام الخراساني إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتى بثوب جديد وطبق فيه فاكهة فأعطاه السائل قال ذو النون رضى الله عنه فقلت له يا عبد الله ألك هذا الجاه عند الله عز وجل وأنت منذ سبعة أيام لم تطعم شيئا فجثا على ركبته وقال، يا أبا الفيض كيف تنبسط الألسن بالمسألة والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه فـقلت له والراضون لا يسألون شيئا فـقال منهم من يسأل من باب الإدلال ومنهم من يسأل عناية ومنهم من يسأل عطفا على غيره ثم أقيمت الصلاة فصلى معنا وأخذ ركوته وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة فلم أره بعد ذلك رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائتين عن أحدهم

قال كنا مع إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه على ساحل البحر فانتهينا إلى غيضة فيها حطب كثير يابس فقلنا لإبراهيم لو أقمنا الليلة ههنا وأوقدنا من هذا الحطب فقال افعلوا فأوقدنا وكان معنا خبز فأكلنا فقال واحد منا ما أحسن هذا الجمر لو كان لنا لحم نشويه، فقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه إن الله عز وجل قادر على أن يطعمكموه قال فبينما نحن كذلك إذا بأسد يطرد أيلا فلما قرب منا وقع فاندق عنقه فقام إبراهيم وقال اذبحوه فقد أطعمكم الله تعالى فشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا.

(وقال) ابراهيم الخراساني رضي الله عنه احتجت يوما إلى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة ألين من الخز فاستكت وتوضأت وتركتهما وانصرفت قال وبقيت في بعض سياحاتي أياما لم أر فيها أحدا من الناس ولا طيراً ولا ذا روح وإذا بشخص لا أدرى من أين خرج فقال لى قل لهذه الشجرة تحمل دنانير فقلت احملى دنانير فلم تحمل ثم قال لها احملى وإذا بشماريخ الشجرة دنانير معلقة فاشتغلت أنظر إليها ثم التفت فلم أر الشخص وذهبت الدنانير من الشجرة رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الستون بعد المائتين عن أحدهم

قال كنت أنا وصاحب لي نتعبد في بعض الجبال وكان صاحبي يأكل من نبات الأرض وأما أنا فكانت ظبية تأتيني كل يوم وتدنو مني وتفتح رجليها فأشرب لبنها ثم تذهب عنى، ودمنا على هذه الحالة مدة وكان صاحبي بعيدا فجاءني يوما وقال قد نزل بقربنا نفر من البدو فتعال بنا نمش لعله يحصل لنا منهم شيء من لبن أو غيره فامتنعت فلم يزل يلح على حتى وافقته فذهبنا إليهم فأطعمونا من طعامهم ورجعنا وعاد كل واحد منا إلى مكانه الذي كان فيه ثم إني انتظرت الظبية في الوقت الذي كانت تأتيني فيه فلم تأتني ثم انتظرتها بعد ذلك فلم تأتني وانقطعت عني فعلمت أن ذلك بشؤم ذنبي الذي أحدثته بعد أن كنت مستغنيا بلبنها قلت الظاهر والله أعلم أن الذنب الذي ذكر ثلاثة أشياء، أحدها خروجه عن التوكل الذي قد كان دخل فيه، والثاني طمعه وعدم قناعته بالرزق الذي قد كان مستغنيا به، والثالث أكله طعاما خبيثا ليس بطيب فحرمه رزقا طيبا حلالا محضا أخرجته القدرة الإلهية من باب خرق العادة فأدخلته في باب الإيجاد بمحض الجود والكرم آتيا من طريق باب خرق العادة كرامة

لولي من أوليائه أولى السعادة كان وعاؤه طيبا يصلح للطيبات كهذه التحف المحبوبة فنجسته ينجاسة لا يطهرها إلا ماء عين التوكل بعد أن يغتسل بماء عين التوبة مع صابون الصدق في مغسلة الاستغفار على شاطئ فرات الأسحار ثم يصفى بماء عين الصفا ويرش عليها ماء ورد الوفا ويقرأ عليها آية وحديثا فيسمعها بأذن قلب موقن إيقانا ومن يتوكل على الله فهو حسبه لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا.

ثم ينشد عنده وأذنا قلبه سامعتان هذين البيتين :

حقيقة العبد عندي في توكله سكون إحساسه عن كل مطلوب
وإن تراه لكل الخلق مطرحا يصون أسراره عن كل محبوب

فإن لم يقدر على جميع ما وصفنا بل هو عاجز مثلنا فليعترف بما اعترفت به من نحسى وينشد ما قلته في ذم نفسي:

إلهي هأنا العاصي خليا من الإحسان حاو للمساوى
فلا فعلي لأقوالي مناسب ولا قولي لأ فعالي مساوى
كذوبا خائنا لم أوف عهدا ولم أصدق بمضمون الدعاوى
فسامح مذنبا وارحم ضعيفا وآنس موحشا في القبر ثاوى
فقد عودتنا السراء فضلا وعنا أنت للضراء زاوى
لنا معروفك المعروف بحر به العطشان للغفران راوى

الحكاية الحادية والستون بعد المائتين عن ذي النون المصري رضي الله عنه

قال خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق وانتبهت وفتحت عيني فإذا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة في إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء ورد أو قال ماء فأكلت من هذه وشربت من هذه فقلت حسبي ولزمت الباب إلى أن قبلني.

وقيل خرج إنسان من أهل الخير لطلب الرزق في وقت حصاد الزرع فأصابه المطر فأوى إلى كهف فوجد فيه عقابا أعمى فبقى متفكرا من أين يأكل ذلك العقاب وإذا بحمامة قد دخلت تستكن في الكهف من المطر فوقعت فوق العقاب فأمسكها العقاب فأكلها فرجع ذلك الإنسان إلى مكانه وتوكل على الله عز وجل.

الحكاية الثانية والستون بعد المائتين
عن أحد الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الأموال

قال بينما أنا وجماعة من أصحابي جلوس وقد خرجنا لقطع الطريق وانتهينا إلى مكان فيه ثلاث نخلات واحدة منهن ليس فيها ثمرة وإذا بعصفور يحمل رطبة من نخلة مثمرة إلى رأس النخلة التي ليس فيها ثمر حتى تكرر منه ذلك عشر مرات، وأنا أنظر فخطر بقلبي أن أقوم فأنظر فصعدت النخلة فإذا في رأسها حية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع الرطب فيه فبكيت وقلت سيدى هذه حية قد أمر نبيك صلى الله عليه وسلم بقتلها فلما أعميتها أقمت لها عصفورا يقوم لها بالكفاية وأنا عبدك أقر بأنك إله واحد أقمتني لقطع الطريق وإخافة السبيل فوقع بقلبي يا فلان بابي مفتوح للتوبة فكسرت سيفي ووضعت التراب على رأسي وصحت الإقالة الإقالة فإذا بهاتف يقول قد أقلناك قد أقلناك فأتيت رفقائي فقالوا مالك قد أزعجتنا فقلت كنت مهجورا وقد صولحت، وحكيت لهم القصة فقالوا ونحن نصالح أيضا فرمينا ثيابنا وسلاحنا وأحرمنا وقصدنا مكة وأقمنا نمشي ثلاثة أيام في البرية ثم دخلنا قرية فإذا نحن بعجوز عمياء مررنا عليها فسألتنا أفيكم فلان الكردى قال فأخرجت ثيابا وقالت مات ولدى وخلف هذه الثياب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث ليال يقول لي أعطى هذه الثياب فلانا الكردى قال فأخذتها واكتسيت بها أنا وأصحابي ثم مضينا إلى أن أتينا مكة.

الحكاية الثالثة والستون بعد المائتين

روى أن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه كان يجلس إليه أناس من قريش فأتوه يوما وقالوا إنا نخاف من الضيعة فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إنى أسألك باسمك المرتفع الذي تكرم به من شئت من أوليائه وتلهمه الصفى من أحبابك أن ترزقنا برزق من لدنك الساعة تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا فإنك أنت الحنان المنان القديم الإحسان اللهم الساعة الساعة فسمعوا قعقعة السقف ثم تناثرت عليهم دنانير ودراهم فقال عبد الواحد استغنوا بالله عز وجل عن غيره فأخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد منه شيئا رحمه الله تعالى ونفع به آمين.

الحكاية الرابعة والستون بعد المائتين
بركة بـــر الوالديـــن

حكى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجبا، فخرج سليمان ومن معه من الجن والإنس فلما وصل الساحل التفت يمينا وشمالا فلم ير شيئا فقال لعفريت غص في هذا البحر ثم ائتني بعلم ما تجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال يا نبي الله إنى غصت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا فلم أصل إلى قعره ولا وجدت فيه شيئا، فقال لعفريت آخر غص في هذا البحر وائتني بعلم ما تجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول الأول إلا أنه غاص مثل الأول مرتين فقال لآصف بن برخيا وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى فى القرآن بقوله قال الذي عنده علم من الكتاب ائتني بعلم ما في هذا البحر فجاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب باب من در وباب من ياقوت وباب من جوهر وباب من زبرجد أخضر والأبواب كلها مفتحة ولا يدخلها قطرة من الماء وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات فوضعها بين يدى سليمان عليه السلام وإذا في وسطها شاب حسن الهيئة نقي الثياب وهو قائم يصلى فدخل سليمان القبة وسلم على ذلك الشاب وقال له ما أنزلك في قعر هذا البحر قال يانبي الله إنه كان أبي رجلا مقعدا وكانت أمى عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت وفاة أمي قالت اللهم أطل حياة ابني في طاعتك ولما حضرت وفاة أبي قال اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فخرجت إلى هذا الساحل بعد ما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنها فجاء ملك من الملائكة فاحتمل القبة وأنا فيها وأنزلنى فى قاع البحر قال سليمان ففى أى زمان كنت أتيت هذا الساحل قال في زمان إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فنظر سليمان عليه السلام في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لا شيب فيه قال فماكان طعامك وشرابك داخل هذا البحر قال يا نبي الله يأتينى كل يوم طير أخضر في منقارة شيء أصفر مثل رأس الإنسان فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة فقال سليمان أتحب أن تقعد معنا أو نردك إلى موضعك فقال ردني يا نبي الله فقال رده يا آصف فرده ثم التفت فقال انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين فأحذركم عقوق الوالدين يرحمكم الله اللهم ألهمني برهما.

الحكاية الخامسة والستون بعد المائتين
عن ذي النون رضي الله عنه

قال أوحى الله سبحانه إلى موسى صلى الله عليه وسلم يا موسى كن كالطير الوحداني يأكل من رءوس الأشجار ويشرب من الماء القراح أو قال من الأنهار إذا جنّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناسا بي واستيحاشا ممن عصاني يا موسى إني آليت على نفسي ألا أتم لمدع عملا ولأقطعن أمل من أمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سواى ولأطيلن وحشة من أنس بغيري ولأعرضن عمن أحب حبيبا سواي، يا موسى إن لي عبادا إن ناجوني أصغيت إليهم وإن نادوني أقبلت عليهم وإن أقبلوا على أدنيتهم مني وإن دنوا مني قربتهم إلي وإن تقربوا مني واصلتهم وكفيتهم وإن والوني واليتهم وإن صافوني صافيتهم وإن عملوا إلي جازيتهم فأنا مدبر أمرهم وسائس قلوبهم ومتولى أحوالهم لم أجعل بقلوبهم راحة في شيء إلا في ذكرى فهؤلاء سقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلا بي ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي ولا يستقر بهم قرار في الإيواء إلا إليّ اللهم ألحقنا بهم يا رب العالمين.

الحكاية السادسة والستون بعد المائتين

حكى أن رجلا جاء إلى الفضيل رضي الله عنه وهو جالس في المسجد فسلم عليه ثم جلس عنده فقال له الفضيل لم جئت قال للأنس بك يا أبا على فقال الفضيل ما هى والله إلا الوحشة إما أن تقوم عني وإلا قمت عنك فقام الرجل.

وعن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه قال إن أدمت النظر في مرآة التوبة بان لك قبح المعصية وقال أقلوا معرفتكم من الناس ولا تتعرفوا إلى من لم تعرفوا وأنكروا من تعرفون واهربوا منهم كهربكم من السبع الضاري ولا تتخلفوا عن الجمعة والجماعة.

وقال بعضهم أنتم تتعرفون بالمناكير ونحن ننكر المعاريف وأنشد أحدهم :

ولمابلوت الناس أطلب صاحبا ... أخا ثقة عند ارتكاب الشدائد
تفكرت في الدنيا رخاء وشدة ... وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ... ولم أر فيما سرني غير حاسد

(قلت) وهذا المذكور عن إبراهيم بن أدهم وغيره هو أحد مذهبين للسلف رضى الله عنهم منهم من لايرى اتخاذ الإخوان والتعرف بالناس لأنه أقرب إلى السلامة من الآفات وأبعد من تحمل الحقوق فى المخالطات وأفرغ للاشتغال بالطاعات ومنهم من يرى ذلك لظاهر أحاديث وردت فى الترغيب فى صحبة الإخوان المتقين الأخيار الذين تبقى صداقتهم فى الأخرى كما قال تعالى ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾[(١)] اللهم اجعلنا منهم.

وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه لما سئل عن طريق النجاة قال هيهات إن بيننا وبين الطريق عقبات وتلك العقبات لاتقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة وحذف العلائق الشاغلة.

الحكاية السابعة والستون بعد المائتين

قال أحدهم كنا مع إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه فأتاه الناس فقالوا يا أبا إسحق وقف الأسد على طريقنا فأتى إبراهيم إلى الأسد فقال له يا أبا الحرث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإن لم تؤمر بشيء فتنح عن طريقنا فأدبر الأسد وهو يهمهم ، فقال إبراهيم وما على أحدكم أن يقول إذا أصبح وأمسى اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واحفظنا بركنك الذى لايرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا .

وقال إبراهيم الخواص رضى الله عنه. كنت فى البادية مرة فسرت فى وسط النهار فإذا أنا بسبع عظيم أقبل على وقد نزلت تحت شجرة فاستسلمت فلما قرب منى إذا هو يعرج فهمهم وبرك بين يدى ووضع يده فى حجرى فنظرت فإذا يد منتفخه فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح والدم وشددت على يده خرقة ومضى فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان يبصبصان فحملا إلى رغيفين .

وقال الخواص أيضا كنت فى طريق مكة فدخلت إلى خرابة بالليل فإذا فيها سبع عظيم فهتف بى هاتف اثبت فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك.

الحكاية الثامنه والستون بعد المائتين
عن سفيان الثورى رضى الله عنه

قال خرجت حاجا أنا وشيبان الراعى فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بأسد قد عارضنا فقلت لشيبان ، أما ترى هذا الكلب قد عرض لنا فقال لاتخف ياسفيان

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٦٧ .

فما هو إلا أن سمع الأسد كلام شيبان فبصبص وحرك ذنبه مثل الكلب فالتفت إليه شيبان وعرك أذنه فقلت له ما هذه الشهرة فقال وأى شهرة هذه ياثورى لولا كراهة ما حملت زادى إلى مكة إلا على ظهره .

وحكى أن بعضهم كان فى بعض الجبال وكان إذا اصابه المطر والبرد يأتيه بعض الأسود ويبرك عليه ويدفئه .

الحكاية التاسعة والستون بعد المائتين

قال المؤلف غفر الله له أخبرنى بعض الإخوان الصالحين قال غضبت على نفسى يوما فقلت لها أرميك فى المهالك وكنت فى موضع قريب من الأسود فجئت فاضطجعت بين شبلين صغيرين ثم أقبل أبوهما بعد ساعة وهو حامل فى فمه لحما فلما رآنى وضعه من فيه وجلس بعيدا منى ثم أقبلت أمهما وهى حاملة لحما أيضا فلما رأتنى رمت باللحم وصاحت وحملت على فتلقاها الأسد بيده ومنعها فجلست ولم يتحركا فمكثا ساعة ثم جاء الأسد يمشى قليلا قليلا فأخذهما بلطف ورماهما إلى أمهما واحدا بعد واحد قلت وهذا من عجيب لطف الله بأوليائه رضى الله عنه وعن سائر الصالحين.

الحكاية السبعون بعد المائتين

روى أن بعض المشايخ غضب عليه بعض الولاة فأمر بإلقائه بين يدى الأسد فأخذ الأسد يشمه ولايضره ، أو قال يبصبص قيل للشيخ كيف وجدت قلبك فى ذلك الوقت فقال كنت أتفكر فى سؤر السباع ولعابها يعنى فى طهارته وكلام العلماء فى ذلك رضى الله عنه .

وقيل قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض الشيوخ فلما أتوه صلوا خلفه فسمعوه يلحن فى قراءته فتغير اعتقادهم إليه فلما ناموا أجنبوا كلهم تلك الليلة فخرجوا فى السحر يغتسلون ووضعوا ثيابهم عند بركة ماء هناك ونزلوا فى الماء فجاء الأسد وجلس على ثيابهم فلاقوا شدة من شدة البرد ، فجاء الشيخ وأخذ بأذن الأسد وقال ما قلت لك لا تتعرض لضيفانى ثم قال لهم أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر فخفتم الأسد ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد رضى الله عنه .

(قلت) سألت بعض الإخوان الصالحين المنقطعين فى البرارى فقلت له كيف كان من حالك مع الأسود فقال ألبست هيبة الله فكنت أسد الأسود وكانت إذا رأتنى

هربت رضى الله عنهم وفيهم قلت :

هم الأسود حقا والأسود تهابهــــــم وما النمر ما أظفار فهد ونابــــــه
وما الرمى بالنشاب ما الطعن بالقنـــا وما الضرب بالماضى الكمى ما ذبابه
من الله خافوا لاسواه فخافهــــــم جميع جمادات الورى ودوابـــــه
لهم همم للقاطعات قواطــــــــع لهم قلب أعيان المراد انقلابـــــه
لهم كلى شيء طائع ومسخــــــر فلا قط يعصيهم بل الطوع دابــــه
بترك الهوى أمسوا يطيرون فى الهـوا ويمشون فوق الماء أمن جنابـــــه
لقد شمروا فى نيل كل عزيــــــة ومكرمة مما يطول حسابـــــــه
إلى أن جنوا ثمر الهوى بعد ما جنى عليهم وصار الحب عذبا عذابــــه
وحتى استحال المر في الحال حاليـــا وحتى دنا النائى وهانت صعابــــه
عليهم من الرحمن أزكى تحــــــية وأفضل رضوان ولازال بابــــــه
مدى الدهر مفتوحا لإكرام وافـــــد به أقبلت تفرى الفيافى ركابـــــه
ولازال ذاك القرب والأنس والصفـــا ولا حال من دون الحبيب حجابــــه

الحكاية الحادية والسبعون بعد المائتين

عن أحدهم قال سمعت سمنون يتكلم فى المحبة وهو جالس فى المسجد إذ جاء طير صغير فقرب منه فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره على الأرض حتى سال منه الدم ثم مات ، وتكلم يوما فى المحبة فتكسرت قناديل المساجد كلها .

وقال الشيخ أبو الربيع المالقى رضى الله عنه كنت فى بعض سياحاتى منفردا فقيض الله طيرا إذا كان الليل ينزل قريبا منى يبيت يسامرنى فكنت أسمعه فى الليل ينطق يا قدوس ياقدوس فإذا أصبح صفق بجناحيه وقال سبحان الرزاق .

وقال السرى رضى الله عنه كنت ليلة فى قرية من قرى الشام وإذا بصوت يصيح أسأت فلا أعود فلما أصبحت سألت عن الصوت فقيل لى إنه طائر فقلت ما يقال له فقيل فاقد إلفه ثم .سمعت فى الوقت صوتا ولم أر شخصا وهو ينشد ويقول :

طير نحيل بأرض الشام أقلقــــه ذكر الحبيب له نطق بإضمـــار
يقول أخطأت حتى الصبح يسعده صوت شجى ويبكى وقت أسحار

وروى أن أبا مسلم الخولانى رضى الله عنه كان مع المسلمين فى غزاة بأرض الروم فبعث الوالى سرية إلى موضع وجعل الميعاد بينه وبينها يوما معلوما فجاء الميعاد، ولم تقدم السرية فحزن الوالى والمسلمون فبينما هم فى الحزن وأبو مسلم

يصلى إلى رمحه المركوز فى الأرض جاء طير وجلس على رأس الرمح وقال إن السرية قد سلمت وغنمت وسترد عليكم يوم كذا وقت كذا قال أبو مسلم من أنت يرحمك الله فقال الطير أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين فجاءت السرية كما ذكر.

الحكاية الثانية والسبعون بعد المائتين
عن خير النساج رضى الله عنه

قال كنا فى المسجد فجاء الشبلى رضى الله عنه فى حال سكره أى فى حال ورد عليه فنظر إلينا ولم يكلمنا وتهجم على الجنيد رضي الله عنه وهو جالس فى بيته وعنده زوجته فأرادت أن تستتر فقال لها الجنيد لا بأس عليك هو غائب لا علم له بك فصفق الشبلى رأس الجنيد وأنشأ يقول :

عودونى الوصال والوصل عـــذب ورمونى بالصد والصد صعـــب
زعموا حين عاتبوا أن جرمـــى فرط حبى لهم وما ذاك ذنـــب
لا وحسن الخضوع عند التلاقـــى ما جزا من يحب إلا يحـــب

فاهتز الجنيد وقال هو ذاك يا أبا بكر فخر مغشيا عليه ثم بعد ساعة بكى الشبلى، فقال الجنيد لامرأته استترى عنه فقد أفاق رضى الله عنه ونفعنا به .

وقال بعضهم دخلت على الشبلى وهو ينتف اللحم من حاجبه بمنقاش فقلت له ياسيدى إنك تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه إليك فقال ويحك لى ظهرت الحقيقة ولست أطيقها فأنا أدخل على نفسي الألم لعلى أحس به فيستتر ذلك عنى فلا وجدت الألم ولا ستر ذلك عنى ولا لى به طاقة .

وقال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه كنت أسمع السرى رضى الله عنه يقول قد يبلغ البعد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به قال وكان فى قلبى ذلك شيء حتى بان لى الأمر كذلك .

(قلت) ومما يشهد لصحة ذلك قوله تعالى : ﴿**فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن**﴾(١) جاء فى التفسير أنهن لم يشعرن بتقطيع أيديهن وهذا فى محبة مخلوق فكيف فى محبة الخالق وما ينكر ذلك إلا من لم يذق ذلك ولم يصدق أحوال القوم وكذلك يشهد له ما اشتهر عنه أحدهم أنه ظهرت برجله الأكلة فدخل عليه الحكماء ، وقالوا إن لم تقطع رجله مات فقالت أمه دعوه حتى يدخل فى الصلاة فإنه لايحس بشيء إذا دخل فيها فتركوه حتى دخل فيها ثم قطعوا رجله ولم يشعر بذلك رضى الله عنه ونفعنا به .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٣١.

وكذلك يشهد له ما اشتهر أن الشيخ أبا حفص النيسابورى الحداد رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ آية من القرآن فورد على قلبه وارد غاب عن إحساسه فأدخل يده فى النار وأخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذ له ذلك فصاح يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه فترك الحرفة وقام من حانوته رضى الله عنه ونفعنا به .

قال الشيوخ العارفون رضى الله عنهم الغيبة معناها غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغاله بما ورد عليه ثم قد يغيب الشخص عن إحساسه بنفسه وغيره .

قال أبو سعيد الخراز رضى الله عنه تهت فى البادية فكنت أقول :

أتيه فلا أدرى من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس فى وفى جنسى
أتيه على جن البلاد وإنسها ... فإن لم أجد شخصا أتيه على نفسى

فسمعت هاتفا يهتف بى ويقول :

أنا من يرى الأسباب أعلى وجوده ... ويفرح بالتيه الدنىء وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة ... لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى
وكنت بلا حال مع الله واقفا ... تصان عن التذكار للجن والإنس

قال الشيوخ رضى الله عنهم الصحو رجوع من الغيبة إلى الإحساس والسكر بوارد قوى والفرق بين السكر والغيبة تكون بوادر من ذكر عقاب أو ثواب ينشأ من شدة الخوف أو قوة الرجاء وأما السكر فلا يكون إلا لأصحاب المواجيد فإذا كوشف العبد بنعوت الجمال حصل له السكر وطرب الروح وهام القلب وأنشدوا :

فصحوك من لفظى هو الوصل كله ... وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا
فما مل ساقيها وما مل شارب ... عقار لحظ كأسه يسكر القلبا

قالوا وإذا كوشف بأوصاف الجلال ظهرت من سلطان الحقيقة صفة القهر وأنشدوا :

إذا طلع الصباح كنجم راح ... تساوى فيه سكران وصاح

قال الله عز وجل : ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾[1]

الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائتين

روى أنه كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر زعق فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لن تصحبنى فكان إذا سمع يتغير ويضبط نفسه

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ .

حتى يقطر من كل شعره قطرة دم من بدنه فلما كـان بعض الأيام صاح صيحة تلفت فيها نفسه رضى الله عنه .

وقال الشيخ أبو علـى الروذبارى رضى الله عنه جزت يوما بقصـر فرأيت شابا حسن الوجه مطروحا وحوله ناس مجتمعـون فسألت عنه فقالوا إنه جاز بهذا القصر فسمع جارية تغنى وتقول :

كبرت همة عبــــــــد طمعت فـــــى أن تراكـــــا
أو ما حسب لعــــــين أن تــــرى من قـــد رآكـــا

فشهق ومات رحمه الله.

الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائتين

قال أحدهم قال دخل عمرو بن عثـمان المكى رضى الله عنه أصبهان وكان فى صحبتـه شاب من أهلها وكان والده يمنعه من صـحبة الصوفية فـمرض الشاب ودخل عليه الشيخ عمرو بن عثمان ومـعه قوال فنظر الشاب إلى الشيخ وقال ياسيدى قل له يقول شيئا فقال القوال :

مالى مرضت فلم يعدنى عائـــــد منكم ويمرض عبدكم فأعــــــود

فتمطى الشاب على فراشة وجلس وقال للقوال زدنى فقال :

وأشد من مرضى على صدودكم وصدود عبدكم على شديــــــــد

فزاد به البرء إلى أن قام وخرج مع الجميع فـسئل عمرو بن عثمان رضى الله عنه عن ذلك فقـال إن الإشارة إذا كانت قـبل السماع كـانت من فوق فالـعليل منها يشفى وإذا كـانت بعد السمـاع كانت من تحت فالعلـيل منها يهلك قال بعـضهم أراد إشـارة المنادمة إذا وردت قـبل السمـاع شفـت وإذا وردت بعده أهلكت لفـقد القـوة كالمريض ينتـكس مرضه بأدنى شيء ، وإذا انتكس كـان أشد عليـه من ابتداء المرض لفقد قوته وكثيرا ما يهلك بالانتكاس .

الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائتين

قال أحـد السلف دخلت البادية مع خمـسة نفر من الفـقراء وكان فيـهم قوال ينشد شيئا وكـان فى القوم فقير صاحب وجد وكان دائما يـقول للقوال قل ثم يتواجد فزجرته يوما وقلت له كم هذا الوجد فـسكت عنى ولـم يجبنى ورجع إلى حاله فلما كان بعـد مدة نظرت إلى خلفى فـإذا بذلك الفقـير يرقص فى الهـواء فرجـعت إليه لأستحل منه مما زجرتـه فغاب عنى وبقيت حسرة فقـده فى قلبى ، وسئل أبو القاسم

الجنيد رضى الله عنه ما بال الإنسان يكون هاديا فإذا سمع السماع اضطرب ، فقال إن الله سبحانه وتعالى لما خاطب الذر فى الميثاق الأول فى قوله تعالى ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾[1] استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح فإذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك.

وسئل أبو إسحق الخواص رضى الله عنه ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ويجد مالايجد فى سماع القرآن فقال إن سماع القرآن صدمة لايمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته ، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه .

وسئل ذو النون رضى الله عنه عن السماع فقال وارد حتى يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بفسق تزندق .

وقال أبو القاسم النصراباذى السماع على قدر قوة القلب وصفائه وكشفه من الله عجائب القرب والغيب .

وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه الرحمة تنزل على الفقراء فى ثلاثة مواطن عند السماع لأنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقومون إلا عن وجد وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجاراة العلم فإنهم لايذكرون إلا صفة الأولياء.

الحكاية السادسة والسبعون بعد المائتين

روى أنه صاح الشبلى رضى الله عنه يوما فى السماع فقيل له فى ذلك فقال :

لو يسمعون كما سمعت كلامها   خروا لعزة ركعا وسجودا

وسمع أيضا يوما منشدا يقول :

أسائل عن سلمى فهل من مخبر   يكون له علم بها أين تنزل

فصاح وقال والله ما فى الدارين عنه مخبر .

وسمع أبو الحسن النووى رضى الله عنه منشدا يقول :

مازلت أنزل من ودادك منزلا   تتحير الألباب دون نزوله

فتواجد وهام فى الصحراء ووقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه ومات رحمة الله عليه .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢.

الحكاية السابعة والسبعون بعد المائتين
عن أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه

قال كنت مع جماعة فى جبل طور سيناء فنزلنا على عين ماء تحت دير النصارى وكان معنا قوال فقال شيئا فظهر وجد الأصحاب فقاموا ورقصوا وصاحب الدير ينظر إلينا من فوق الدير وينادى ويقول بالله عليكم وبحق الدين الحنيف ألا جئتمونى فلم يلتفت إليه منا أحد من طيب الوقت فلما سكت الجميع وقعدوا ، قال من منكم الأستاذ فأشاروا إلى فقال يا أستاذ هذا الذى كنتم فيه من السماع والحركات والرقص خصوص فى دينكم أو عموم فقلت لا بل خصوص بشرط الزهد فى الدنيا، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ هكذا وجدت فى إنجيل عيسى عليه السلام أن الخواص من أمة محمد ﷺ يتحركون عند السماع بشرط الزهد فى الدنيا ويكون لباسهم الصوف والملونات يرضون من الدنيا بالبلغة هكذا نقل عنه رضى الله عنه .

الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائتين

حكى أن الجنيد رضى الله عنه حضر ليلة فى جمع من الأصحاب فى دار دعى إليها فلما دخل الدار رأى شخصا أجنبيا بين الجماعة فدعاه الجنيد وأعطاه بردته وقال له امض بها إلى السوق وارهنها على منوين من السكر للفقراء ، فلما خرج الرجل من بينهم أغلق الباب دونه وناداه يا فلان خذ البردة ، ولا ترجع إلى ههنا فقيل له فى ذلك فقال اشتريت ببردتى لكم صفاء الوقت فى هذه الليلة بإخراج من ليس منكم من بينكم .

وقال رضى الله عنه السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء : الزمان والمكان والإخوان

وروى عن بعضهم قال كنت ليلة مع الأصحاب وهم مجتمعون للسماع فلما قال القوال سمعوا وقاموا ورقصوا ورأيت فأنكرت عليهم بقلبى فرأيت تلك الليلة فى منامى كأن القيامة قد قامت ورأيت الصوفية يجوزون الصراط راقصين والخلق قد انقطعوا عنهم فانتبهت ونذرت لله تعالى نذرا ألا أعود أنكر عليهم أبدا.

الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائتين

روى عن الشيخ الجليل بحر الحقائق وموضح الدقائق أبى الغيث بن جميل اليمنى قدس الله روحه ونور ضريحه ونفعنا به أنه كان ينكر السماع ويقاتل من يتعاطاه فى أول أمره ثم رجع عن ذلك فى الآخر وسببه أنه قدم عليه بعض المشايخ

الكبار فى جمع من الفقراء عازمين على أن يدخلوا عليه قريته فى السماع فأمر أهل قريته أن يخرجوا لقتالهم بالعيدان وخرج معهم فلما تقاربوا والقادمون فى حال السماع أخذه حال فصار يدور كما يدور أهل السماع الواجدون فتعجب أصحابه منه وكلموه فى ذلك فقال وعزة من له العزة ما درت حتى رأيت السماء دارت وأنشدوا :

يرنحنى إليك الشوق حتى ... أميل من اليمين إلى الشمال
كما مال المعاقر عاودته ... حميا الكأس حالا بعد حال
ويأخذنى لذاكرك ارتياح ... كما نشط الأسير من العقال

يعنى بالمعاقر الذى يشرب الخمر

وروى أنه كان أحد الفقهاء الكبار ينكر على الشيخ الكبير العارف بالله تعالى محمد بن أبى بكر الحكمى اليمنى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به فقال الشيخ محمد للفقيه المنكّر يوما فى حال السماع يافقيه ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى الملائكة تدور فى الهواء .

وروى أن الفقية الإمام العارف بالله رفيع المقام الورع المشكور السيد المشهور ذا الكرامات والمجد الأثيل أحمد بن موسى بن عجيل اليمنى الذى قيل فيه مثل أحمد ابن موسى فى الأولياء كمثل يحيي بن زكريا عليهما السلام فى الأنبياء لم يعص ولم يهم بمعصية رضى الله عنه ونفعنا به أنه سئل عن سماع الصوفية فقال إن أبحه فلست من أهله وأن أنكره فقد سمعه من هو خير منى .

(قلت) جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من جميع المعاصى وفى جواز الصغائر عليهم سهوا اختلاف بين العلماء رضى الله عنهم وعصمتهم المذكورة واجبه وأما الأولياء رضى الله عنهم فلا تجب عصمتهم بل يجوز أن يكونوا محفوظين ويجوز ألا يحفظ أحد منهم ويجوز أن يحفظ بعضهم ولما كان ابن عجيل المذكور ومن صغره محفوظا شديد الخوف من الاجتهاد ملازما للزهد دقيق الورع مشهورا بهذه المذكورات وغيرها من المحاسن السنية شبه هذا فى جنسه وإذا شبه الأدنى فى جنسه بالأعلى فى جنسه فى وصف لم يكن الأدنى مساويا للأعلى ولا مقاربا له فى ذلك الوصف ولا يلزم أيضا من كون يحيى عليه السلام موصوفا بهذه الصفات من صغره أن يكون أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

وقيل للشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى الحسن بن الحسن بن سالم رضى الله عنه هل تنكر على أهل السماع شيئا فقال كيف أنكره وقد سمعه من هو خير منى

ومنهم عبد الله بن جعفر الطيار ومعروف الكرخي والسرى السقطى وذو النون المصرى وأبو الحسن النورى وأبو القاسم الجنيد والشبلى رضى الله عنهم وقال بعض الشيوخ الكبار إنا أنكرنا السماع على سبعين صديقا.

وقال بعض الفقهاء لبعضهم ألم تسمع الجلاجل التى فى الدف فقال والله ما أسمع جلاجل وإنما أسمعها تقول الله الله.

وروى أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه سمع صوت ناقوس فقال أتدرون ما يقول فقالوا لا فقال إنه يقول سبحان الله حقا إن المولى صمد يبقى وكذلك كان بعض الفقهاء ينكر على الصوفية سماعهم فدخل عليه بعضهم يوما فوجده يدور فى بيته فقال له يا فقيه أراك تدور فقال كانت مسألة أشكلت على فاطلعت عليها الآن فملئت بذلك فرحا ولم أتمالك من الطرب فقمت ودرت كما رأيت فقال له يا فقيه هذا فرحك بمسأله فكيف تنكر على من فرح بالله تعالى.

قلت كم بين الفرح بالاطلاع على حكم من أحكام الله والفرح بالاطلاع على تجلى جمال جلال الله تعالى وكمال صفاته وامتلاء القلب بمحبته والشوق إلى لقاء ذاته والطرب بذكره الحالى العذب الزلال والغيبة بواردات الأحوال والمنازلة فى المقامات العوالى والشرب من راح المحبة التى فيها قائلهم قال :

هنيئا لأهل الدير كم سكروا بها وما شربوا منهاولكنهم هموا
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت يا رسول الله ما يقول فى السماعات التى نحضرها فى الليالى وربما تبدو منا الحركات فيها فقال ﷺ : «ما من ليلة إلا وأحضر معكم ولكن ابدءوا بالقرآن واختموا بالقرآن».

(قلت) لا يغتر جاهل بماذكر عن الشيخ فى السماع فيحسب أنه يجوز لكل أحد هيهات إنما هو لمن حدا به حادى الشوق إلى مواطن القرب فى الحضرة القدسية خال عن هوى النفس والصفات الدنية متصفا بما أنشده أهل الأحوال السنية :

ولما حضرنا للسرور بمجلس وأضاءت لنا من عالم الغيب أنوار
وطافت علينا للعوارف خمرة يطوف بها فى حضرة القدس خمار
تخامر أرباب العقول بلطفها فتبدو لنا عند المسرة أسرار

فلما شربناها بأفواه كشفنا أضاءت لنا منها شموس وأقمار
رفعنا حجاب الأنس بالأنس عنوة وجاءت إلينا بالبشائر أخبار
وغبنا بها عنا ونلنا مرادنا ولم يبق منا بعد ذلك آثار
وخاطبنا فى سكرنا عند محونا كريم قدير فائض الجود جبار
وكاشفنا حتى رأيناه جهرة بأبصار فهم لا تواريه أستار

(قلت) هذا هو السماع الحقيقى وقد يجوز على غير هذا الوجه بشروط مذكورة فى تصانيف المشايخ السالكين العارفين ومن أحسنها تصنيفا وترتيبا وأتقنها تحقيقا وتهذيبا كتاب عوارف المعارف للشيخ الجليل العالم الربانى شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه وما أحسن ما قاله الشيخ العارف أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه السماع على ثلاثة أوجه فوجه منها للمريدين المبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم الفتنة والمراءاة والثانى للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم ويستمعون فى ذلك ما يوافق أوقاتهم والثالث لأهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لا يختارون على الله فيما يرد عليهم من الحركة والسكون يعنى لا يختارون لأنفسهم شيئا بل واقفون مع اختيار الله لهم رضى الله عنهم.

وهذا القسم الثالث هو الذى أشار إليه بعضهم حيث قال إنما يصح السماع لمن عالج نفسه بأنواع الرياضات وتزكية الصفات وفطم النفس عن المحظورات ونزه سرائره وقلبه عن السموم والآفات وتحققت له المعرفة بالأسماء والصفات وعند ذلك يحتمل أن يصح له أخذ السماع من المشاهدات.

(قلت) وكذلك لا يتغير أحد رجلين أحدهما يتوهم أن لى مشربا من مورد هؤلاء الذين ذكرت فوالله إنى فقير إلى ورود مشربهم والله والله إنى لمحتاج إلى واحد منهم يقع على منه نظرة يكون فيها نفحة من نفحات الله تعالى والثانى يعرف فقرى من ذلك الحال ويتوهم أنى أدعيه بهذا الكلام الذى ذكرته عن هؤلاء الأقوام فليعلم أنى لا أدعى ذلك بل أعترف بالإفلاس والعدم وفى ذلك قلت فيما تقدم حين أمدح جواهر نفوس أهل العطاء والوصول وأذم فلوس إفلاس نفسى وأنادى عليها وأقول :

وكم من جـوهر أحـكى نفـيس ولى وصف حكى وصـف الفلوس
وكم أجلـو على حـسنا ومـالى نصـيب مـثل مـا شطة العـروس
رضـا يا نفس تستـوفى نصـيبـا بتـسليم قـضـا بارى النـفـوس
فلـو بالمدح قـابلتـى أمـيـرا رجـعـتى منه بالمال النـفـيس
فكيـف الظن بالرحـمن مـعط عطايا لـيس تحصى فى الطروس
حـبـاكى مـدح سادات الـبـرايا وقـد عـافاك من مـدح النحـوس
فـفـى هذا له حـمـد عظيم عليكى فـاشكرى سـاقى الكئـوس
لأ حـبـاب حـبـاهم واصطفـاهم كـرام سـادة غـر رءوس
إذا مـا اليـافـعى أمسى عـبيـدا لسـادات فللأقـدام بـوسى
عـسى يومـا يقـول الفـضل ذوقى حـمـيـا حـبـهم والفـرش دوسى
إلهى لا تخـيـب سعى مـدحى لسـاداتى ولا مـعـهم جلوسى
فـحـاشى جـود رحـمن كـريم يرد القـاصـد الـراجى ببـوس
وصلـى الله مـولانا علـى من يغـيث الخلق فى يـوم عبـوس

(قلت) وإذ قد أشرت إلى نفى وهم هذين الرجلين المذكوريـن فهأنا أشير إلى إثبـات تحقـيق الحـال وهو أن ذكرى لهم وحـديثى عنهم بأخـبارهـم تلذذ بحكاياتهم وأشعارهم كما أنشد بعض أخيارهم :

إيه أحاديـث نعمـان وساكـنه إن الحديث عن الأحبـاب أسمار
أستنشق الريح عنكم كلما نفحت من نحو أرضـكم نكباء معطار

ويحـصل إن شاء الله المقـصود المعظم بماقـاله ﷺ أعنى حديث الـصحيـحين المنتخب قوله ﷺ «المرء مع من أحب».

الحكاية الثمانون بعد المائتين
عن أحمد بن مقاتل العكى رحمه الله

قال لما دخل ذو النون المصرى بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه بأن يقول بين أيديهم شيئا فأذن فابتدأ يقول :

صغير هـواك عذبنـى فكف به إذا احتنكـا
وأنت جمعـت فى قلبـى هوى قـد كان مشتركـا
أما ترثـى لمكتئـب إذا ضحك الخلـى بكـى

قال فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطرمنه ولا يسقط على الأرض ثم قام رجل من القوم يتواجد فقال له ذو النون الذى يراك حين تقوم وتقلبك فجلس الرجل قال الأستاذ أبو على الدقائق رضى الله عنه كان ذو النون رضى الله عنه صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد.

وروى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه سمع جارية تغنى وتقول :

خليلى ما بال المطايا كأنها　　تراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال لابن علية وكان معه كيف تسمع أيطربك فقال لا فقال الشافعى مالك حس.

وحكى أن أحدهم قام ليلة إلى الصباح يقوم ويسقط على هذا البيت والناس قيام يبكون :

بالله ردوا فؤاد مكتئب　　ليس له من حبيبه خلف

وقد تقدمت حكاية الفقير الذى مات لما سمع جارية تقول :

فى سبيل الله ود　　كان منى لك يبذل

كل يوم تتلون　　غير هذا بك أجمل

الحكاية الحادية والثمانون بعد المائتين
عن أبى عبد الله بن الجلاء رضى الله عنه

قال كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما جبلة والآخر زريق فزار زريق يوما جبلة فى أصحابه فقرأ رجل من أصحاب زريق شيئا فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات فلما أصبحوا قال جبلة لزريق أين الذى قرأ بالأمس فليقرأ آية فقرأ فصاح جبلة صيحة فمات القارئ فقال جبلة واحد بواحد والبادى أظلم رضى الله عنهم أجمعين.

قلت: وتشبه هذه الحكاية الآتية بعدها إن شاء الله تعالى.

الحكاية الثانية والثمانون بعد المائتين

قال المؤلف رحمه الله كان فى بلاد اليمن شيخان أحدهما الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أحمد بن الجعد والآخر الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سعيد المكنى أبا عيسى وكان لكل واحد منهما أصحاب وتلامذة فورد الشيخ أحمد المذكور فى جمع من أصحابه على الشيخ سعيد فى وقت جاء إلى زيارة بعض القبور الشريفة فوافقه

الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع فى هذا الوقت ويزور فى وقت آخر فرجع هو وأصحابه إلى موضعه وذلك فى حضرموت واستمر الشيخ أحمد على عزمه حتى انتهى إلى مقصده ، فزار ورجع والشيخ سعيد مكث أياما ثم خرج هو وأصحابه للزيارة المذكورة ، فالتقى الشيخان وأصحابهما فى الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد توجه عليك حق الفقراء فى رجوعك فقال لا ما توجه على حق فقال له الشيخ أحمد بلى قم فأنصف.

فقال الشيخ سعيد من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد ومن أقعدنا ابتليناه فأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه فصار الشيخ أحمد مقعدا إلى أن لقى الله وصار الشيخ سعيد مبتلى فى جسمه بلاء قطع جسمه حتى لقى الله رضى الله عنهما وهذه لعمرى أحوال تكل فى جنب قطعها السيوف القاطعة وإنما يقطع الحالان معا إذا كان صاحباهما متكافئين أو قريبين من التكافؤ فإن لم يكونا كذلك قطع القوى منهما دون الضعيف وقد يقطع السابق دون المسبوق هذا الظاهر والله أعلم.

الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائتين عن أحدهم

قال احتبس على أهلى خروج الولد فذهبت إلى الشيخ أبى الحسن الدينورى رضى الله عنه بجام أتبرك بخطه فيه فلما كتب بسم الله الرحمن الرحيم انفلق الجام وسقط الشيخ مغشيا عليه فأتيته بجام آخر فكان منه ما كان من الأول ثم جئته بثالث ورابع وخامس فقال يا هذا اذهب إلى غيرى فلو جئتنى بما أمكن أن تجيء به لم يكن إلا ما رأيت فإنى عبد إذا ذكرت مولاى ذكرته بهيبة وحضور.

الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائتين

حكى أن أبا تراب النخشبى رضى الله عنه كان معجبا ببعض المريدين فكان يخدمه ويقوم بمصالحة والمريد مشغول بعبادته فقال أبو تراب له يوما لو رأيت أبا يزيد فقال أنا عنه مشغول فلما أكثر عليه فى قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك وما أصنع بأبى يزيد فقد رأيت الله عز وجل فأغنى بى عن أبى يزيد قال أبو تراب فهاج طبعى فلم أملك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رأيت أبا يزيد مرة كان خيرا لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولى وأنكره وقال كيف ذلك فقلت له إنك إنما ترى الله عز وجل عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله فيظهر لك على مقداره قلت يعنى يظهر لك من تجلى صفات الجلال والجمال وغيرهما على مقدار حال أبى يزيد قال فعرف ما قلت فقال احملنى إليه فذكر قصته قال فى آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليتحرك إلينا من الغيضة وكان

يأوى إلى غيضة فيها سباع قال فمر بنا أبو يزيد وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر إليه فنظر الفتى إليه فصعق فحركناه فإذا هو ميت فقلت لأبى يزيد يا سيدى قتلت صاحبنا أو قال قلت نظره إليك قتله فقال لا ولكن صاحبك كان صادقا وأسكن فى قلبه سر لم ينكشف له وصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لأنه كان فى مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك رضى الله عنه ونفع به آمين.

الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائتين
عن يحيى بن معاذ رضى الله عنه

قال رأيت أبا يزيد فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيهما على عقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء وطى الأرض وانقلاب الأعين حتى عدد نيفا وعشرين نوعا من كرامات الأولياء فرضوا بذلك وإنى أعوذ بك من ذلك ثم التفت فرآنى فقال يحيى قلت نعم يا سيدى قال منذ متى أنت ههنا قلت من حين فسكت فقلت يا سيدى حدثنى بشىء فقال أحدثك بما يصلح لك أدخلنى الحق فى الفلك السفلى وأرانى الأرض وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى وطوف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك فقلت ما رأيت شيئا أستحسنه فأسألكه فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لأجلى صدقا لأفعلن ولأفعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك وعجبت منه فقلت له يا سيدى لم تسأله المعرفة وقد قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال اسكت ويلك غِرت عليه منى لأنى لا أحب أن يعرفه سواه وأنشد أحدهم :

ولا تذكرا لى العامرية إننى   أغار عليها من فم المتكلم

الحكاية السادسة والثمانون بعد المائتين

قال أحدهم سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لو أدخلت يدك فى فم التنين حتى بلغ الرسغ لا تخاف مع الله غيره قال فخرجت إلى أبى يزيد لأسأله عن التوكل فدققت الباب فقال أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية فقلت افتح لى الباب فقال إنك ما جئتنى زائرا وقد أتاك الجواب من وراء الباب ولم يفتح لى فمضيت ولبثت سنة ثم قصدته فقال مرحبا جئتنى الآن زائرا فبقيت عنده شهرا فكان لا يخطر بقلبى شىء إلا أخبرنى به.

الحكاية السابعة والثمانون بعد المائتين

روى أن يحيى بن معاذ الرازى كتب إلى أبى يزيد رضى الله عنهما أننى سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج وهو يقول هل من مزيد وأنشدوا فى المعنى :

عجبت لمن يقول ذكرت ربى وهل أنسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت

وروى أن شقيقا البلخى وأبا تراب النخشبى قدما على أبى يزيد رضى الله عنهما فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقال له البلخى كل معنا يا بنى أو قال يا فتى فقال إنى صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال له شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده نعوذ بالله من سخط الله.

الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائتين عن زيتونة خادمة أبى الحسن النورى وخادمة أبى القاسم الجنيد رضى الله عنهم

قالت كان يوم بارد فقلت للنورى أحمل إليك شيئا فقال نعم فقلت أى شىء تريد فقال خبزا ولبنا فحملته إليه وكان بين يديه فحم يقلبه بيده وقد اشتعلت النار فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها سواد الفحم فقلت فى نفسى سبحانك ما أقذر أولياءك يا رب ما فيهم أحد نظيف قالت فخرجت من عنده فتعلقت بى امرأة قالت سرقت لى رزمة ثياب وجرونى إلى الشرطى فأخبر النورى بذلك فخرج وقال للشرطى لا تتعرض لها فإنها ولية من أولياء الله تعالى فقال الشرطى كيف أصنع والمرأة تدعى قالت فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة فاسترد النورى المرأة وقال لها أتقولين بعد هذا ما أقذر أولياءك يا رب قالت فقلت قد تبت.

الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائتين عن أحدهم

قال رأيت ذا النون رضى الله عنه وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان والآخر من الرعية فعدا الذى من الرعية على الجندى فكسر ثنيته فتعلق الجندى وقال بينى وبينك الأمير فجازوا بذى النون فقال لهم أناس اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه وعرفوه بما جرى فأخذ الثنية وبلها بريقه وردها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت

فيه فحرك شفتيه فتعلقت بإذن الله عز وجل فبقى الرجل يفتش فمه فلم يجد الأسنان إلا سواء.

(قلت) ويشبه هذه الحكايه الحكاية الآتية بعدها إن شـــاء الله تعـــالى .

الحكاية التسعون بعد المائتين

قال المؤلف غـفر الله له كان إنسـان فى بلاد اليمن فى يده سلعـة دار بها على جمع من الصالحين ليدعوا بذهابها عنه فلم تذهب فـجاء إلى ابن عجيل المتقدم ذكره رضى الله عنه فقـال له ادع الله لى أن يذهب عنى هذه السلعة وإلا ما بقـيت أحسن ظنى بأحـد من الصـالحين فقـال لا حـول ولا قوة إلا بالله العـلى العظيم هات يدك ومسح عليهـا ولفها بخرقة وقـال له لا تفتحها إلى أن تصل إلـى منزلك فمشى من عنده هو ورفقـاؤه ومروا فى طريقهم بـبعض القرى فـدخلوها واشتروا منهـا غداءهم خبزا ولبنا وفـتوه فتا تسميـه أهل اليمن ثرافة بالثاء المثلثة المضـمومة ثم بالراء والألف والهاء وكانت سلعته المـذكورة فى كفه اليمنى فنسيها وفتح الخـرقة وأكل فلما فرغ من الأكل لم يجد لها أثرا ولم يتميز موضعها من سائر الكف وهذا معنى الحكاية وإن لم يكن لفظها بعينه وأكل الثـرافة المذكور يشبع هو بخلاف السنة وفيـه بشاعة وقبح ولا سيما أكل كثير من الجهال فإنهم يتغالون فى ذلك ويفتخرون من يغلب صاحبه بالأكل بأن يحمل فى كـفه أكثر من الآخـر حتى يحكى أن الواحد منهم يحـمل بكفه ثلاث مرات نحـو المد الشرعـى أكلا يهول ويفـجع وليسـت هكذا السنة بل السنة أن يأكل بصنعة وظرافة بحيث لا يلطخ شفتيه ولا غيرهما باللبن ومثل هذا الأكل منه ما يكون مكروها ومنه ما يكون حـراما فالحرام إذا ظلم غـيره بأكل شىء من نصيبـه بشركة أو نحوهـا ولم يرض ذلك الغيـر بذلك الأكل والمكروه إذا لم يظلم أحدا وهذه الخـصلة وإن كانت فى أهل اليمن قبيحة فلهم لعمرى كثير من المحاسن المليحة منها ما شهدت به الأحاديث الصحيـحة بنصوص صريحة وذكر هذه الخـصلة المذكورة لا يحسن ههنا إلا على جهة التنبيه والنصيحة.

الحكاية الحادية والتسعون بعد المائتين

قال المؤلف غفرالله له أخبرنى أحد الإخوان الصالحين أنه جاء إنسان إلى الفقيه الإمام الكبير العـارف بالله محمد بن حسين الخبيـر البجلى رضى الله عنه وقال سرق لى ثور فقـال له تريد ثورك قال نعم قـال اذهب إلى المكان الفلانى تجـد فيه شـيخنا يحرث لا تفكه إلا بثورك يعنى بذلك الشيخ شيخه المشهـور كبير شيوخ اليمن محمد

ابن أبى بكر الحكمى المتقدم ذكره رضى الله تعالى عنه فجاء إليه ، وقال له رد لى ثورى ولازمه ملازمة يبدو منها أنه هو السارق إذ كان لا يعرف الشيخ المذكور فقال له الشيخ من أمرك بهذا فقال محمد بن الحسين ثم قال خلصنى بثورى وخلنى من هذا الكلام قال أخبرنى كيف صفة ثورك قال تسرق ثورى وتزعم أنك لا تعرف صفته فتبسم الشيخ رضى الله عنه وقال اذهب إلى المكان الفلانى تجد فيه ثورك مربوطا بشجرة فحله وخذه فذهب إلى ذلك المكان فوجده فيه كما ذكر الشيخ فأخذه ورجع فرحا مسرورا وجاء السارق ليأخذ الثور فلم يجده فرجع محروما مخذولا بل مأثوما مأزورا ورجع الشيخ مبرورا مأجورا.

الحكاية الثانية والتسعون بعد المائتين عن واحد من السلف

قال كان لرجل على رجل مائة دينار بوثيقة إلى أجل فلما جاءه الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها فجاء إلى بنان الحمال فسأله الدعاء فقال له أنا قد كبرت وأنا أحب الحلوى اذهب فاشتر لى رطل حلوى معقودا وجئنى به حتى أدعو لك فذهب فاشترى له ما قال ثم جاء به فقال له بنان افتح القرطاس ففتحته فإذا بالوثيقة فيه فقال له بنان خذ وثيقتك وخذ المعقود أطعمه صبيانك فأخذهما ومضى ولم يأخذ بنان منه شيئا رضى الله عنه ونفعنا به.

وقال بنان رضى الله عنه دخلت البرية وحدى فاستوحشت فإذا بهاتف يهتف بى يا بنان نقضت العهد لم تستوحش؟ أليس حبيبك معك .

الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائتين عن بكير صاحب الشبلى رضى الله عنه

قال وجد الشبلى رضى الله عنه فى يوم جمعة خفة من وجع كان فيه فنهض إلى الجامع واتكأ على يدى حتى انتهينا إلى الوارقين فتلقانا رجل جاء من الرصافة فقال الشبلى سيكون لى غدا مع هذا الشيخ شأن قال فلما كان الليل مات الشبلى رحمه الله ، وقيل لى فى درب السقايين شيخ صالح يغسل الموتى فدلونى عليه فنقرت الباب نقرا خفيفا وقلت سلام عليكم فقال مات الشبلى فقلت نعم فخرج إلى وإذا به الشيخ الذى أشار إليه الشبلى فقلت له لا إله إلا الله تعجبا فقال لا إله إلا الله من ماذا قلت قال لى الشبلى أمس لما لقيناك سيكون لى غدا مع هذا الشيخ شأن فبحق معبودك من أين لك أن الشبلى قد مات قال يا أبله فمن أين للشبلى أنه يكون له معى شأن اليوم رضى الله عنهما ولما حضرت الشبلى الوفاة قال على درهم مظلمة وقد تصدقت عنه بألوف فما على قلبى شىء أعظم منه.

الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائتين

حكى أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك وكانت تشين القصر وكلما رام الملك منها أن تبيع منه الدار أبت أن تبيع منه فخرجت المرأة فى سفر فأمر الملك بهدمها فلما جاءت المرأة من السفر قالت من هدم دارى قيل لها الملك فرفعت طرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى غبت أنا وأنت حاضر وأنت للضعيف معين وللمظلوم ناصر وجلست فخرج الملك فى موكبه فلما نظر إليها قال ما تنظرين قالت أنتظر خراب قصرك فهزأ بقولها وضحك منها فلما جن عليه الليل خسف به وبقصره ووجد على بعض حيطان القصر مكتوبا هذه الأبيات :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
وقد شاء الإله بما تراه فما للملك عندكم بقاء

وروى عن رجاء بن كثير رحمه الله قال كنا قعودا عند شيخنا فى الكوفة نكتب الحديث عنه فمرت بنا امرأة عليها قميص صوف وكساء صوف فقالت السلام عليكم ثم أشارت بيدها إلى قبة الملك ، وقالت فرحوا بقصورهم واغتبطوا بسرورهم وندموا على ما قدموا فى قبورهم فلا تغتر وإنما نحن نزرع والموت حصادنا والقبر بيدرنا والقيامة موعدنا ، فمن زرع خيرا حصد سرورا ومن زرع شرا حصد ندامة فصبر يسير فيه غنم كثير فى أيام قليلة تعقب راحة طويلة رضى الله عنها.

الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائتين
عن عمرو بن دينار رحمه الله

قال كان رجل من بنى إسرائيل على ساحل البحر فرأى رجلا وهو ينادى بأعلى صوته ألا من رآنى فلا يظلمن أحدا قال فدنا منه وقال يا عبد الله ما خبرك فقال اعلم أنى كنت رجلا شرطيا فجئت يوما إلى هذا الساحل فرأيت صيادا قد صاد سمكة فسألته أن يهبها لى فأبى فسألته أن يبيعها منى فأبى فضربت رأسه بسوطى وأخذت السمكة منه فذهبت بها فى يدى معلقة فبينما أنا ذاهب إلى منزلى قبضت السمكة على إبهامى فرمت أن أخلص إبهامى منها فلم أقدر فجئت إلى عيالى فعالجوا أن يخلصوا إبهامى منها فلم يقدروا إلا بعد تعب ، وقيل إنما تعلقت بإبهامة عندما قدمت إليه ليأكلها قال فأصبح إبهامى قد ورم ، ثم انتفخ وانتفخت فيه عيون من آثار

السمكة، فذهبت إلى طبيب محسن فلما نظر إبهامى قال هذه أكلة بلا شك وإن لم تقطع إبهامك هلكت فقطعته ، فوقع الداء فى كفى فجئت إليه فقال إن لم تقطع كفك هلكت فقطعتها فوقع الداء فى عضدى فلما رأيت ذلك خرجت من منزلى هاربا فبينما أنا أسير فى البلاد وأصيح كالهائم إذ رفعت لى شجرة عظيمة فأويت إلى ظلها فنعست عند أصلها فأتانى آت فى منامى وقال لى كم تقطعت أعضاؤك وترمى بها إربا إربا اردد الحق عند أهله فإنك تنجو قال فانتبهت وعلمت الحق وإن ذلك من قبل الله عز وجل ، فأتيت الصياد فوجدته قد طرح شبكته فانتظرته حتى أخرجها فإذا فيها سمك كثير فقلت يا عبد الله أنا مملوك لك قال ومن أنت يا ابن أخى قلت أنا الشرطى الذى ضربت رأسك بالسوط وأخذت السمكة منك وأريته يدى فلما رآها استعاذ من بلاء الله وسخطه وقال لى أنت فى حل فتناثر الدود من عضده فلما هممت أن أنصرف قال قف ما كان منى هذا عدلا دعوت عليك فى سمكة لا خطر لها فاستجيب لى فأخذ بيدى وذهب بى إلى منزله ، فدعا ابنا له فقال احفر ههنا فى هذه الزاوية فحفر فأخرج منها جرة فيها ثلاثون ألف درهم فأمر ابنه فعد لى منها عشرة آلاف درهم وقال استعن بها على زمانك واجبر بها بعض مصائبك ثم أمره فعد لى عشرة آلاف أخرى وقال اجعلها فى فقراء جيرانك وقرابتك فلما أردت أن أنصرف قلت سألتك بالله أخبرنى كيف دعوت على قال لما ضربت رأسى وأخذت السمكة منى ونظرت إلى السماء وبكيت وقلت يا رب خلقتنى وخلقته وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا ثم سلطته على فلا أنا منعته من ظلمى ولا أنت جعلتنى قويا أمتنع من ظلمه أسألك بالقدرة التى بها خلقته وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا أن تجعله عبرة لخلقك رحمهما الله تعالى.

الحكاية السادسة والتسعون بعد المائتين
عن على بن حرب رحمه الله

قال خرجت يوما أنا وبعض شباب الموصل إلى الشط فركبنا فى زورق فلما بعدنا من البلد وتوسطنا الشط إذا بسمكة كبيرة ظهرت من الشط إلى وسط الزورق فقام الشباب ونزلوا إلى حافة الشط ليجمعوا حطبا برسم السمكة فنزلت معهم فبينما نحن نمشى على جانب الشط إذا بالقرب منا خرابة فذهبنا إليها نبصر آثارها وإذا فيها شاب مكتوف وآخر مذبوح إلى جانبه وبغل واقف عليه قماش فقلنا للشاب ما قصتك وما هذا المذبوح فقال إنى كنت مكتريا مع هذا المكارى صاحب هذا البغل

فعدل بى إلى هذا المكان وكتفنى كما ترون ثم قال لابد من قتلك فعاهدته بالله تعالى لا يظلمنى ولا يربح إثمى ولا يعدمنى روحى بل يأخذ القماش وهو فى حل منه وحلفت له بالله تعالى إنى لا أغمز عليه أحدا وما زلت أناشده الله تعالى وهو لا يفعل فمد يده إلى سكين كانت فى وسطه ليجذبها فتعسر عليه أن تخرج من غلافها فما زال يجذبها حتى خرجت بصعوبة فما أخطأت حلقه فذبحته فهو كما ترون وأنا على حالتى هذه قال فحللنا كتافه وأعطيناه البغل والقماش وراح وعدنا إلى الزورق فلما صعدنا قفزت السمكة إلى الشط فذلك أعجب ما رأيت وسمعت فسبحان اللطيف الخبير.

الحكاية السابعة والتسعون بعد المائتين
عن أحد الصالحين

قال بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بجارية على كتفها طفل صغير وهى تنادى (يا كريم يا كريم عهدك القديم) قال فقلت لها ما هذا العهد الذى بينك وبينه قالت ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار فعصفت بنا ريح فغرقت السفينة وجميع من فيها ولم ينج أحد منهم غيرى وهذا الطفل فى حجرى على لوح ورجل أسود على لوح آخر فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلى وجعل يدفع الماء بيديه حتى لصق بى واستوى معنا على اللوح وجعل يراودنى عن نفسى فقلت يا عبد الله أما تخاف الله تعالى نحن فى بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته فقال دعى عنى هذا فوالله لابد لى من الأمر قالت وكان هذا الطفل نائما فى حجرى فقرصته قرصة فاستيقظ وبكى فقلت له يا عبد الله دعنى أنوم هذا ويكون من الأمر ما قدره الله علينا فمد الأسود يده إلى الطفل ورمى به فى البحر فرمقت السماء بطرفى وقلت (يا من يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا الأسود بحولك وقوتك إنك على كل شىء قدير) فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر وعصمنى الله عنه بحوله وقوته وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى قالت وما زالت الأمواج تدفعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر فقلت فى نفسى آكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره فلا فرج لى إلا منه فمكثت أربعة أيام فلما كان فى اليوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بعد خطوات فعلوت على تل وأشرت إليهم بثوب كان على فخرج إلى منهم ثلاثة نفر فى زورق فركبت معهم فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذى رمى

به الأسود فـى البحر عنـد رجل منهم فلم أتمالك أن أرتميت عليه وقـبلت بين عيـنيه وقلت والله ولدى وقطعة من كبدى فقال لى أهل السفينة مجنونة أنت أم اختل عقلك فقلت والله ما أنا مجنونة ولا اختل عـقلى ولكن جرى لى من الأمر ما هو كذا وكذا وذكرت لهم القصة إلى آخرها ، فلما سمـعوها منى أطرقوا رءوسهم وقالوا يا جارية قد أخبرتنا بأمر تعجبنا منه ونحن أيضا نخبرك بأمر تعجبين منه بينما نحن نجرى بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضـتنا ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها وإذا مناد ينادى إن لـم تأخذوا هـذا الطفل من ظهرها وإلا هلكتم فـصعـد واحد منا على ظهـرها وأخذ الطفل فلمـا دخل به فى السفينة غـاصت الدابة فى البحـر وقد تعجـبنا من هذا ومما أخبرتنا به وقد عاهدنا الله تعالى ألا يرانا على معـصية بعد هذا اليوم قالت فتابوا عن آخرهم فـسبحـان الله اللطيف الخبـير جمـيل العوائد سبـحان مدرك الملـهوف عنـد الشدائد وفى هذا المعنى أقول :

يا مـدركا بسـريع اللطف والفـرج ... عند الشـدائد للملهـوف ذى الحـرج
كلمحـة الطرف بل أدنى تغيث ولو ... فى قعر بحـر وجوف الحوت فى اللجج
عـــوائد منك يا رحــمن جــارية ... على جـمـيل يدى معـروفك البـهج
عــودتـناها وكم عــودت من نعم ... وكم بغـوثك بعـد البـؤس مبـتـهج
فـالخـيـر منك نراه غـيـر منقطع ... والشـر لسنا نـراه غـيـر منفـرج
لك المحامـد يا محـمود أجـمعـها ... هديتنـا دين حق غـيـر ذى عـــوج
بأحـمد المجـتـبى صلى الإله على ... بدر الدجى مع نجـوم بعـده سـرج

الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائتين

روى أنه كان على عـهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يتـجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى بلاد الشام ولا يصحب القوافل توكلا على الله عز وجل فبـينما هو قـد جاء من الشام يريد المدينة إذ عـرض له لص على فرس فـصاح بالتاجر فوقف له التاجر وقال شأنك بمالى وخل سبيلى فقال له اللص المال مالى وإنما أريد نفسك فقـال له التاجر ما تريد بنفـسى شأنك المال وخل سبيلى فـرد عليه اللص مثل المقال الأول فقال له التاجر أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعو ربى عز وجل قال افعل ما بدالك قال فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء :

فكان من دعائه أن قال يا ودود يا ودود ياذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شىء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثنى ثلاث مرات.

فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب وعليه ثياب خضر وبيده حربة من نور فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أرداه عن فرسه ثم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله، فقال له التاجر من أنت فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسى بقتله قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم رجع إلى التاجر وقال اعلم أنى ملك من ملائكة السماء الثالثة حين دعوت المرة الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ، ففتحت أبواب السماء ولها شرر عظيم كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام وعلى سائر الملائكة الكرام وهو ينادى من لهذا المكروب فدعوت ربى أن يولينى قتله ، واعلم يا عبد الله أن من دعا بدعائك هذا فى كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله عنه وأغاثه قال فجاء التاجر غانما سالما حتى دخل المدينة وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التى إذا دُعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى قلت هذا الحديث ذكره جماعة من الأئمه العلماء فى تصانيفهم رضى الله عنهم.

الحكاية التاسعة والتسعون بعد المائتين

روى أنه كان فى الكوفة رجل مكارى تثق به التجار ويأمنونه على أموالهم فسافر وحده فى وقت فلما خرج من العمران لقيه فى الطريق رجل فقال له أين تريد فقال المكارى أريد بلد كذا وكذا فقال له الرجل لولا قلة قدرتى على المشى لكنت رفيقك إليها لكن إن شئت أعطيتك دينارا على أن تحملنى إليها على دابتك فقال له المكارى أفعل فأخرج له دينارا فأخذه وحمله على دابته فلما صار فى بعض الطريق عرض لهما طريقان فقال الراكب لصاحب الدابة أى الطريق تأخذ قال ألزم الجادة فقال له الراكب أليس هذا الطريق أقصد وأخصب لدابتك قال صاحب الدابة ما سلكته قط قال له أنا سلكته مرارا كثيرة قال فسر حيث شئت فسارا ساعة من النهار حتى دقت تلك الطريق ورمتهم إلى واد موحش فيه جيف القتلى كثيرة فقال صاحب الدابة أرى

هذا الطريق قد انقطع فنزل الرجل عن الدابة وأخرج سكينا وقصد المكارى ليقتله فقال له لا تفعل ودونك البغل وما عليه قال لا والله لا آخذ البغل حتى أقتلك فقال له سألتك بالله العظيم إلا ما تركتنى وأخذت البغل بما عليه فقال لابد من قتلك إلا أن يسبقنى ملك الموت قال فدعنى أختم عملى بركعتين ولا تعجل على ، فضحك من كلامه وقال قم فافعل فإنه فعل مثل ذلك كل من ترى من الجيف فى هذا الوادى فما نفعتهم صلاتهم ولا خلصتهم منى فعجل صلاتك فقام يصلى فكبر ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم تلجلج ولم يدر ما يقول فنهره وقال عجّل لا أم لك فألهمه الله أن يقول ﴿أمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾(١) فرفع صوته وهو يبكى فإذا بفارس قد خرج من بطن الوادى وبيده رمح وفى رأسه سنان كأنه كوكب مضىء فجاء وقصد الرجل أسرع من اللحظة فطعنه طعنة من ورائه خر بها على وجهه ثم التهبت فى مكانه الذى وقع فيه النار فلما رأى ذلك صاحب الدابة خر ساجدا لله تعالى ما شاء الله ثم رفع رأسه ومضى إلى الفارس وقال له سألتك بالله الذى رحمنى بك فى هذا المكان من أنت فقال الفارس أنا عبد ﴿أمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه﴾ اذهب حيث شئت فلا بأس عليك وأنشد بعضهم :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا أملى فى كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها ... مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدى بالذل مبتهلا ... إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة ... فبحر جودك يروى كل من يرد
ثم الصلاة على المختار من مضر ... محمد المصطفى مامثله أحد

الحكاية الثلثمائة

روى أنه كان شاب من بنى إسرائيل لم ير فى زمانه أحسن منه وكان يبيع القفاف ، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بنى إسرائيل فلما رأته رجعت مبادرة ، فقالت لابنة الملك إنى رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا قط أحسن منه فقالت لها أدخليه فخرجت إليه وقالت يا فتى ادخل نشتر منك فدخل فأغلقت الباب دونه ثم دخل بابا آخر فكذلك حتى أغلقت ثلاثة أبواب ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها فقال اشتروا حاجتكم فقالت

(١) سورة النمل : الآية ٦٢.

إنا لم ندعك لهذا إنما دعوناك لكذا وكذا يعنى تراوده عن نفسه فقال لها اتقى الله قالت إن لم تطاوعنى على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت على تراودنى عن نفسى فوعظها فأبت فقال ضعوا لى وضوءا فقالت أعلى تتعلل يا جارية ضعى له وضوءاً فوق الجوسق مكانا لا يستطيع أن يفر منه قال وكان من فوق الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعا فلما صار فى أعلى الجوسق قال اللهم إنى دعيت إلى معصيتك وإنى أختار أن أرمى بنفسى من أعلى الجوسق فأهبط الله تعالى إليه ملكا من الملائكة فأخذ بضبعيه فوقع قائما على رجليه فلما صار فى الأرض قال اللهم إن شئت رزقتنى رزقا تغنينى به عن بيع هذه القفاف فأرسل الله تعالى إليه جرابا من ذهب فأخذ منه حتى ملأ ثوبه قال اللهم إن كان هذا رزقا رزقتنيه فى الدنيا فبارك لى فيه وإن كان ينقصنى مما لى عندك فى الآخرة فلا حاجة لى فيه قال فنودى إن هذا الذى أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً من أجر صبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق فقال اللهم لا حاجة لى فيما ينقصنى مما لى عندك فى الآخرة فرفع ذلك عنه.

وقيل للشيطان لعنة الله تعالى هلا أغويته يعنى بارتكاب الفاحشة فقال كيف أقدر أن أغوى من بذل نفسه لله عز وجل رضى الله عنه ونفعنا به آمين ولله در القائل:

وسائل عنهم ماذا تقدمهم ... فقلت فضل به عن غيرهم بانوا
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا ... منهن فى طرف العلياء ما صانوا

الحكاية الأولى بعد الثلثمائة

حكى أن بعض الأخيار الأمناء استودعه بعض الملوك جوهرة نفيسة فوضعها ذلك الأمين فى موضع فى بيته فظفر بها ابن له صغير فضربها بحجر فانكسرت أربع فلق فدخل على ذلك الرجل من الغم والخوف من الملك مالا يطيق فعزم على الهرب فلقيه شخص فقال له أراك محزونا فذكر له قصته وما أصابه من الضيق والخوف فعلمه هذه الأبيات الأربعة :

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر ... وفرج كربة للقلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحا ... وتأتيك المسرة بالعشى
إذا ضاقت بك الأحوال يوما ... فثق بالواحد الفرد العلى

وقال له قلها وكررها فالفرج يأتيك من الله تبارك وتعالى ، ففعل ما أمره به

فبينما هو كذلك إذا برسول الملك قد جـاء وقال له إن سرية الملك حدث فيها وجع ، وقال الحكماء تكسر جوهرة أربع فلق وتطرح فى ماء وتشربه ، والملك يقول لك انظر لنا صائغا عارفا يكسـر لنا الجوهرة التى عندك أربع فلق لا تزيد ولا تنقص وأكد عليه في ذلك فقـال السمع والطاعة ، وانفرج عنـه الكرب والغم وذهب عنه الخوف والهم وحمـد الله وشكره على ما أولاه فى ذلك من النعم باللطف الخـفى والكرم ثم حمل تلك الفلق الأربع إلى الملك فـرأى الملك له صنيعا فى ذلـك ، وإحسانا فـأنعم عليه وأحسن إليـه فعـاد بالجائزة مـسرورا آمنا مما كان مـحذورا فـسبحـان اللطيف الكريم الرحمن الرحيم الذى يكشف الأحـزان والشرور ويخلفها بالإحسان والسـرور سبحانه ما أقرب فرجه من المضطرين ورحمته من المحسنين تبارك الله رب العالمين.

الحكاية الثانية بعد الثلثمائة

حكى ان بعض الملوك غضب على بعض الفقراء فبنى له قـبة وجعله فيها وسد بابها ولا يترك لها منفذا ومنعه من الطعام والشراب فلما كان بعد ثلاثة أيام وجد ذلك الفقير خـارجا فى عافية طيبا مـسرورا فأخبر الملك بذلك فقـال هاتوه فلما حضر بين يديه قال له الملك بالذى نجاك من هذه الشـدة وفرج عنك هذه الكربة وأنقذك مما كنت فيه قل لى سبب خلاصك.

فقال له الفقير دعاء دعوت به قال وما هو ؟

قال قلت اللهم إنى أسألك يا لطيف يا من وسع لطفه أهل السموات والأرضين أسألك اللهم أن تلطف بى من خفى خفى خـفى لطفك الخفى الخفى الخفى الذى إذا لطفت به لأحد من عبادك كفى فـإنك قلت وقولك الحق المبين الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز رضى الله عنه.

الحكاية الثالثة بعد الثلثمائة عن سرى السقطى رضى الله عنه

قال كان يسكن فى جوارى رجل من أهل القرآن صالح ورع وكان فقيرا ذا عيلة فاشتـدت به الفاقة والضيقـة فى بعض أيامه فوقع فى نفســه أن يكتب حاله فى ورقة ويرفعها إلى الله عز وجل فكتبهـا فلما أدركه الليل انتصب فى محرابه يصلى ويدعو ويشير بالورقة إلى السماء فلم يزل كذلك أكثر ليله فـمسه السهر وأعياه القيام فجلس يصلى قاعدا إلى أن بقى من الليل قليل فغلب عليه النوم فرأى فى منامه رجلا حسن الوجه يقـول له يا أبا البشـرما هذه الغـفلة التى لحقتك ، ترفـع إلى ربك عز وجل

سوادا فى بياض قال فكيف أصنع قال إذا أردت ذلك فاستمد بيد الشكر من بحرالذكر بقلم الصبر واكتب على قلبك ببياض الفكر على أرهب الطلب قال قلت فماذا أكتب؟

قال قل يا من أفضاله أفضل من أفضال المفضلين وإنعامه أنعم من إنعام المنعمين يا من عجز عن شكره شكر الشاكرين قد جربت غيرك من المأمولين بغيرى من السائلين فإذا كل قاصد إلى غيرك مردود وكل طريق إلى سواك مسدود وكل خير عندك موجود وعند سواك معدوم ومفقود، قال فقلت يا سيدى ما أحسن هذا قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك من بقية فاكتب يا من إليه توسلت وعليه فى السراء والضراء عولت حاجاتى مصروفة إليك وآمالى موقوفة لديك كل ما وفقتنى له من خير أعمله وأطيقه فأنت دليلى عليه وطريقه قال فقلت يا سيدى وهذا أحسن قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية فاكتب يا قديرا لا تئوده المطالب ويا ملكا يرغب إليه كل راغب ما زلت مصحوبا منك بالنعم جاريا على عادات الإحسان والكرم يا من بكرمه يُبلغ الكرم ومن حمده يزيد النعم ، قال فقلت يا سيدى وهذا أحسن قال فإن بقى فى بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية ، فاكتب يا من جعل الصبر عونا على بلائه وجعل الشكر مادا لنعمائه أسألك صبرا جميلا على المحن وتوفيقا للشكر على المنن فقد عظمت محنتك عن صبرى وجلت نعمتك عن شكرى فتفضل على إقرارى بعفو أنت أوسع له وأقدر عليه فإن لم يكن لذنبى عذر تقبله فاجعله ذنبا يغفر ثم قال يا أبا البشر قم فى مقام التبتل وقف موقف التنصل متعرضا للتفضل بخشوع التذلل وللقبول بلسان التوسل إلى العزيز المتفضل قال قلت يا سيدى ما أحسن هذا قال هو من دعاء خاصة الملك أفهمت قلت نعم إن شاء الله ثم مسح بيده على بطنى وصدرى فانتبهت وأنا ذاكر لما خاطبنى به وما ذهب عنى منه حرف.

قال السرى حدثنا أبو البشر عند صلاة الفجر بهذا الحديث فاستحسناه وكتبناه رضى الله عنه.

الحكاية الرابعة بعد الثلثمائة عن أحد أهل العراق

قال كنت أقرأ عند أبى بكر بن مجاهد المقرئ رضى الله عنه فدخل عليه شيخ عليه ثياب رثة فسأله أبو بكر عن حال أولاده ، فقال يا أبا بكر جاءتنى البارحة ابنة ثالثة وطلب منى أهلى دانقا يشترون به سمنا وعسلا يحنكونها به فلم أقدر عليه فبت مهموما مغموما محزونا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا فلان لا تغتم ولا تحزن إذا كان غد ادخل على على بن عيسى وزير الخليفة فأقرئه منى السلام

وقل له بعلامة أنك صليت على عند قبرى أربعة آلاف مرة يدفع لك مائة دينار عينا قال الراوى فقال لى أبو بكر يا عبد الله فى هذا فائدة وقطع على القراءة وأخذ بيد الشيخ ودخل به على الوزير فرأى الوزير مع ابن مجاهد شيخا لم يعرفه فقال له من أين هذا يا أبا بكر فقال يدنيه للوزير ويسمع كلامه قال فأدناه وقال ما خطبك أيها الشيخ فقال إن أبا بكر يعلم أن لى ابنتين وجاءتنى ابنة ثالثة البارحة فطلب منى أهلى دانقا يشترون به سمنا وعسلا يحنكونها به فلم أقدر عليه فبت مهموما فرأيت النبى ﷺ فى المنام وهو يقول لى كذا وكذا وذكر ما تقدم قال فاغرورقت عينا على بن عيسى بالدموع وقال صدق الله ورسوله وصدقت أنت رجل صالح هذا شىء ما كان يعلم به إلا الله ورسوله يا غلام هات الكيس فأحضره بين يديه فأخرج منه ثلثمائة دينار وقال هذه المائة التى قال لك رسول الله ﷺ وهذه مائة أخرى بشارة وهذه مائة أخرى هدية لك فخرج الرجل ومعه ثلثمائة دينار وقد زال عنه همه وغمه وحزنه.

قلت وكما حصل لهذا الرجل من الخير برحمة الله تعالى وبركة رسول الله ﷺ حصل ذلك الخير لوزير الخليفة على بن عيسى المذكور إذ ترك الوزارة وعلو الرياسة وظلم السلطنة وعظمة الجبابرة وذهب إلى مكة وجاور بها فما ذكره رسول الله ﷺ وخصه بذلك إلا لما علم الله ورسوله ما يئول إليه أمره من الخير وذلك أنه روى أن على بن عيسى ركب فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى كم تقولون من هذا من هذا، هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله فاستعفى عن الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها رحمه الله.

الحكاية الخامسة بعد الثلثمائة عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه

قال رأيت النبى ﷺ فى ليلة القدر وكانت ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ليلة جمعة قال لى يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس.

قال فقلت أي رسول الله وما ثيابى قال اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع خلعة المحبة وخلعة المعرفة وخلعة التوحيد وخلعة الإيمان وخلعة الإسلام فمن

أحب الله هان عليه كل شيء ومن عرف الله صغر في عينيه كل شيء ، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ومن آمن بالله من كل شيء ومن أسلم لله لم يعصه وإن عصاه اعتذر إليه وإن اعتذر إليه قبل عذره قال ففهمت عند ذلك تفسير قوله تعالى : ﴿وثيابك فطهر﴾(١) انتهى كلامه.

قلت إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله هان عليه كل شيء لأن المحب يذل نفسه لمحبوبه فكلما أصابه من تعب وشدة هان عليه في رضا محبوبه ولأنه لا يرى في الوجود إلا فعل المحبوب ذي الفضل والكرم والجود ، وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

وإنما قال ﷺ ومن عرف الله صغر في عينيه كل شيء لأن العارف بالله شهد من جلال الله وعظمته وكبريائه وقدرته ما صغر في عينيه سواه من جميع بريته ومع هذا يعظم ويكرم ويشرف ويحترم من اصطفاه الله وعظمه وشرفه وكرمه من الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وسائر المصطفين من الأنام تعظيما لائقا بمخلوق مخصوص بالاصطفاء والمحبة ليس بينه وبين تعظيم الخالق نسبة وإنما قال ﷺ ومن وحد الله لم يشرك به شيئا لأن التوحيد ينافيه الشرك والمراد بهذا الشرك الشرك الخفي الذي يعرفه العارفون بالله تعالى ويحترزون منه لئلا يقدح في توحيدهم الحقيقي الخاص وأما الشرك الجلي فيعرفه أهل التوحيد الخاص والعام ويقدح في التوحيدين معا ومما يقدح في التوحيد الخاص دون العام محبة غير الله تعالى لغير الله كمحبوبات النفس وشهواتها المباحات إذا لم يقصد بها الاستعانة على طاعة الله تعالى ما محبة غير الله تعالى لله عز وجل فلا يقدح في التوحيدين معا وللنفس أغراض وحظوظ دقيقة خفية في بعض الأعمال لا يفطن لها ولا يحترز منها إلا الرجال أهل المقامات والأحوال هي عندهم من الشرك الخفي من ذلك ما قال بعضهم من عبد الله طمعا في جنته أو خوفا من ناره فقد أشرك به ، ولكن يعبده لكونه أهلا لأن يعبد ولو لم يخلق جنة ولا نارا تبارك وتعالى كذلك حب المنزلة عند الخلق وخوف الخلق واعتقاد نفعهم وضرهم والرجوع في الشدائد إليهم ، وغير ذلك مما يطول فيه الكلام وقد تكون حظوظ النفس المذكورة مع كونها مباحة مندوبا إليها في ظاهر الشرع إذا استعملها العارفون بغير نية صالحة نزلوا عن مقامهم العالي بسببها .

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤ .

كما روينا عن الشيخ أبى الغيث رضى الله عنه أنه رآه بعض الفقراء فى المنام فوق جبل عال ثم رآه بعد ذلك أسفل الجبل فسأله عن ذلك فقال له الشيخ اصبر حتى ترى رؤيا ثالثة وتعال أعبر لك الجميع فمكث سنة ثم رأى الشيخ برأس الجبل فى مكانه الأول فأخبر الشيخ بذلك فقال الشيخ نعم كان لي منزلة عند الله تعالى ومقام فدنوت ذات ليلة إلى أم الفقراء يعنى زوجته فقبلتها قبلة بشهوة نفس لم يكن لله تعالى فيها نية منى فنزلت عن ذلك المقام كما رأيت ثم لم أزل أكد وأجتهد سنة حتى رجعت إلى مقامى كما رأيت رضى الله عنه وعن سائر الأولياء ونفعنا بهم.

وإنما قال ﷺ ومن آمن بالله من من كل شيء يعنى من آمن بالله بالإيمان الكامل لأن من حصل له الإيمان الكامل حصل له التوكل الكامل ، واستولى على قلبه خوف الله تعالى وهيبته وجلاله وعظمته وكبرياؤه وقدرته وقهره وسطوته فلم ير فى الوجود معطيا ولا مانعا ولا ضارا ولا نافعا ولا خافضا ولا رافعا ولا مفرقا ولا جامعا إلا الله الواحد الرب الماجد ذا الأسماء الحسنى والصفات العلا سبحانه وتعالى فلم يخف سواه ولم يرج إلا إياه إذ كل الوجود فى قبضته لا يتحرك متحرك إلا بإرادته وكل خير وشر ونفع وضر بقضاء وقدر فالحركات والسكنات والإرادات والخطوات مع جميع المخلوقات فى جميع الأمكنة والأوقات بقضاء رب الأرض والسموات علم ذلك علماء الظاهربقواطع الأدلة المعقولات والمنقولات وعلمه علماء الباطن بقواطع الأدلة اليقينية الحاصلة بالمكاشفات والمشاهدات فلما شاهدوا الكل منه لم يخافوا سواه ولم يرجوا إلا إياه وإنما قال ﷺ من أسلم لله لم يعصه وإن عصاه اعتذر إليه وإن اعتذر إليه قبل عذره لأن من أسلم إسلاما صحيحا حقيقيا فقد استسلم لله وسلم نفسه له وانقاد لطاعته فلا يعصيه لأن العصيان ينافى الانقياد والإذعان فإن أزله الشيطان فى معصية سبق بها القدر تاب إلى المولى وتاب عليه برحمته وكرمه وجاد عليه بالمغفرة اللهم يا ذا الجود والفضل العظيم يا معروفا بالمعروف والإحسان القديم صل وسلم أفضل الصلاة والتسليم على رسولك سيدنا محمد النبى الكريم واجعلنا متصفين بالأفعال كما جعلتنا واصفين بالأقوال ووفقنا لمحاسن الآداب وصالح الأعمال ، وجد علينا بالمغفرة الشاملة والتوبة الكاملة والعطية السنية الفاضلة فإنك أنت التواب الرحيم ذو الجلال والإكرام والفضل الواسع العميم برحمتك يا أرحم الراحمين.

الحكاية السادسة بعد الثلثمائة عن أبى الحسن الشاذلى أيضا رضى الله عنه

قال وقع لى تردد فى بدايتى بين الانقطاع إلى الله فى البرارى والقفار وبين الرجوع إلى العمران والديار وصحبة العلماء والأخيار فوصف لى ولى من أولياء الله تعالى فى رأس جبل فقصدته فوصلت إليه بعد ما أمسيت فقلت ما أدخل عليه فى هذه الليلة إلى الصبح فبت على باب المغارة فسمعته يقول من داخل المغارة ، اللهم إن أناسا من عبادك سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم لهم فرضوا منك بذلك ، وأنا أسألك أن تعوج على خلقك حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك يا رب العالمين فقلت يا نفس اسمعى من أى بحر يغترف هذا الشيخ فلما أصبحت دخلت عليه فسلمت عليه وملئت منه رعبا وقلت له يا سيدى كيف حالك فقال أشكو إلى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار فقلت له يا سيدى أما حر التدبير والاختيار فأنا أعرفه وأنا فيه الآن فما برد الرضا والتسليم ولم تشكو ذلك؟ فقال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عنه فقلت له يا سيدى سمعتك تقول اللهم إن أناسا من عبادك سألوك وذكرت ما تقدم فتبسم وقال يا بنى عوض ما تقول سخر لى قل كن لى أترى من كان له يحتاج إلى شيء آخر فما هذه الجناية؟ رضى الله عنه.

قال المؤلف كان الله له وقد سمعت بعض المشايخ الأجلة الملاح الجامعين بين العلم والصلاح إذا سأل منه إنسان الدعاء يقول له كان الله لك وهذه الكلمة لعمرى وإن صغر لفظها فقد كبر قدرها إذ هى مع وجازتها جامعة لكل المطلوبات فإن من كان الله له أعطاه المحبوبات وكفاه المرهوبات ولكن من كان لله كان الله له كما أن من آثر الله آثره الله ومن رضى عن الله رضى الله عنه وكذلك سائر الصفات المحمودات التى لا يقدر على الاتصاف بها إلا من اصطفاه الله لحضرة قدسه وصفاه من كدورات نفسه ونحن نستغفر الله من أقوال بلا أفعال ونسأله التوفيق وصلاح الحال وحسن الخاتمة فى المآل إنه المنان الجواد المفضال.

الحكاية السابعة بعد الثلثمائة عن أحدهم

قال كنت أنا والشيخ نصر الخرائطى ليلة فى موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخرائطى الذاكر لله سبحانه فائدته فى أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله له ذكر الله قال فخالفته فى ذلك فقال لو كان الخضر عليه السلام ههنا لشهد بصحة هذا فلما تلفظ بهذا اللفظ إذا نحن بشخص يجيء بين السماء والأرض حتى

وصل إلينا وقال صدق الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله سبحانه له ذكره قال فعلمنا أنه الخضر عليه السلام.

(قلت) وذكر السلام على الخضر مما اختلف فيه وكذلك سائر الذين اختلف فى نبوتهم فبعض العلماء قال يجوز السلام عليهم وبعضهم قال لا يجوز ذلك ، بل هو مخصوص بالأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ، وأما غيرهم فيقتصر فيهم علي الترضى والقائل الأول كأنه يقول المختلف فى نبوتهم وإن نزلوا عن درجة الأنبياء فقد ارتفعوا عن درجة غيرهم فلهم منزلة بين منزلتين فكذلك لهم دعاء بين دعاءين أعنى بدعاء الأنبياء والملائكة بالصلاة والصحابة وسائر الأولياء والعلماء بالترضى ولهؤلاء المذكورين بما بينهما وهو السلام وهذا القول لا بأس به إن شاء الله بل هو حسن وإن كان قول الأكثرين على خلافه والخلاف فى مذهب الشافعى رضى الله عنه فى هذا معروف عند من يعرف المذهب والله أعلم.

الحكاية الثامنة بعد الثلثمائة عن الشيخ أحمد بن عطاء رضى الله عنه

قال كلمنى جمل فى مسيرى إلى مكة وذلك أنى رأيت الجمال المحملة عليها المحامل والأثقال وقد مدت أعناقها إلى السماء فقلت سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت إلى جمل منها وقال قل جل الله فقلت جل الله.

وقال الشبلى رضى الله عنه اعتقدت وقتا أنى لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى إليها لآكل فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فإنى ليهودى.

الحكاية التاسعة بعد الثلثمائة عن أحد السلف رضى الله عنه

قال غاب ابنى محمد فوجدنا عليه وجدا شديدا فأتيت معروفا الكرخى رضى الله عنه فقلت له يا أبا محفوظ إنه قد غاب عنى ابنى وأمه واجدة عليه فقال ما تشاء فقلت ادع الله أن يرده ، فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك ، ائت بمحمد قال أبوه فأتيت باب الشام فإذا هو واقف فقلت يا محمد فقال يا أبت كنت الساعة بالأنبار.

قلت كان معروف رضى الله عنه معروفا بإجابه الدعوة وقد ذكر أن الدعاء مستجاب عند قبره وأهل بغداد يسمونه الترياق المجرب رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية العاشرة بعد الثلثمائة

روى ن امرة جاءت إلى بعض المشايخ وقـالت إن ابنى قد أسره أهل الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فإنه ليس لى ليل ولا نهار ولا نوم ولا قـرار ، فقال نعم انصرفى حـتى أنظر فى أمره إن شاء الله وأطرق الشيخ سـاعة إلى الأرض وحرك شفتيه حـتى جاءت المرأة بعد مدة ومعها ابنها وأخذت تدعو للشيخ وتقـول قد رجع سالما وله حديث عجيب يحدثك به فـقال الشـاب كنت بين يدى ملـك الروم مع جمـاعـة من الأسرى وكـان له إنسـان يستخدمنا كل يوم يخـرجنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا قيـودنا فبينما نحن راجعون من العمل بعـد المغرب مع صاحبه الذى كان يحفظنـا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف اليوم والسـاعة فوافق الوقت الذى جاءت فـيه المرأة إلى الشيخ ودعا فـيه لها قال فنهض إلى الـذى كان يحفظنى وصاح على وقـال كسرت القيد فقلت لا بل سقط من رجلى فتحير وأخبـر صاحبه وأحضر الحداد وقيدونى فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى ثانيا فتحيروا فى أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى ألك والدة قلت نعم فقالوا وافق دعاؤها الإجابة وقـالوا أطلقك الله فلا يمكننا تقييدك فردونى وأصحبونى إلى ناحية المسلمين.

الحكاية الحادية عشرة بعد الثلثمائة

حكى أنه كان فى طبرستان أمير ظالم يفتض الأبكار سفاحا فلما كان فى بعض الأيام جاءت عجوز باكية إلى الشيخ أبى سعيد القصاب فقالت له يا شيخ أغثنى فلى بنت عاتق جميلة وقد أرسل إلى هذا الظالم ، لأصلح حالهـا ليأتى منزلى ويفتضها وقد جئتـك عسى أن تدعو دعوة تكف شره عنا فأطرق الشـيخ ثم رفع رأسه وقال يا عجوز إن الأحياء لم يبق فيهم من يستجاب له دعوة فاذهبى إلى مقابر المسلمين فإنك ستجـدين هناك من يقضى حاجتك فذهبت إلـى مقابر المسلمين فلقيهـا شاب حسن الصورة جميل الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد عليها السلام وقال لها ما حالك فأخبرته بما جرى فقال ارجعى إلى الشيخ أبى سعيد فقولى له يدعو لك فإنه يستجاب له فقـالت الأحيـاء يدلوننى على الأموات والموتى يدلـوننى على الأحيـاء وليس أحد يغيثنى فـإلى من أذهب فقال انصرفى إليه وقـد قضيت حاجتك بدعائه فـرجعت إليه فأخبرته بالحال فأطرق مفكرا حتى عرق فصاح صيحة وسقط على وجهه وإذا الصوت قد وقع فى المدينة أن الأمير قد ركب يتوجه إلى دار العجوز لافتضاض ابنتها فانكبت

به فرسه فعثر واندقت عنقه وفرج الله عنها وعن الناس بدعوة الشيخ فلما أفاق الشيخ أبو سعيد قيل له لماذا أحلتها على المقابر ولم تقض حاجتها فى أول مرة فقال كرهت أن يسفك دمه بدعوتى فأحلتها على أخى الخضر عليه السلام فردها إلى يعرفنى جواز الدعاء عليه وأنشدوا :

أما والله إن الظلم شـــــــؤم   وما زال المسىء هـــو الظلـوم
إلى ديان يوم الدين نمضـــى   وعند الله تجتمع الخصـــوم

الحكاية الثانية عشرة بعد الثلثمائة

قال المؤلف كان الله له أخبرنى بعض الأخيار فى بعض البلدان قال حبس المطر عنا وقل الماء وتعب الناس فخرج إنسان منا يشترى ماء فاشتراه غاليا فلقى فقيرا لا يعرفه فقال للفقير أما تنظر هذا الحال الذى نحن فيه فادع الله لنا قال فقال الفقير وبأى شىء أدعو لكم قال قلت بالغيث قال فاحمر وجهه وسكت ساعة ثم صاح صيحة عظيمة ثم خلانى وذهب فما بلغت منزلى ولا أفرغت الماء الذى اشتريته إلا وقد جاء المطر وجرى السيل رضى الله عنه ونفعنا به.

قلت وقد تقدم الكلام فى مقدمة الكتاب أن كرامات الأولياء من هذه الأمة من آثار معجزات النبى ﷺ ومن تتماتها وهى لعمرى عيون تجرى فى سائر الأقطار من بحره الزاخر التيار وفى هذه الوجاهة فى استسقاء الغمام الساكب قال فيه ﷺ عمه أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ﷺ وشرف وكرم وعظم

الحكاية الثالثة عشرة بعد الثلثمائة عن أحدهم

قال كنا نمشى مع الشيخ أبى سعيد الخراز رضى الله عنه على ساحل بحر صيدا فرأى أبو سعيد شخصا من بعيد فقال اجلسوا لا يخلو هذا من أن يكون وليا من أولياء الله تعالى قال فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه وبيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة فالتفت إليه أبو سعيد منكرا عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له يا فتى كيف الطريق إلى الله عز وجل.

فقال يا أبا سعيد أعرف إلى الله طريقين طريقا خاصا وطريقا عاما ، فأما الطريق العام فالذى أنت عليه وأصحابك ، وأما الطريق الخاص فهلم ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقى أبو سعيد حيران مما رأى من كرامة الله عز وجل للشاب رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

الحكاية الرابعة عشرة بعد الثلثمائة عن أحد المشايخ

قال مررت يوما على شاطئ الفرات فعـرضت لنفسى شهوة السمك الطرى فإذا الماء قذف بسـمكة نحوى وإذا رجل يعـدو ويقول أشويهـا لك ، فقلت نعم فـشواها فقعدت وأكلتها .

وقال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقـراء يتكلمون فى الآيات يعنى فى الكرامات فقـال فقير منهـم أعرف رجلا لو قال لهذه الأسطـوانة كونى ذهبا نصفك وفضـة نصفك كانت قال الجنيـد فنظرت فإذا الأسطوانه نصفها فضة ونصفها ذهب .

وقال بعضهم كنت عند ذى النون المصرى رضى الله عنه فتذاكرنا طاعة الأشياء للأولياء فقال ذو النون من الطاعة أن أقـول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مكانه فيـفعل قال فـسار السرير فى أربع زوايا البـيت وعاد إلى مكانه ، وهناك شاب قاعد فأخذ يبكى حتى مات فى الوقت رضى الله عنه .

وكان الفضـيل بن عياض رضى الله عنه على جبل من جبـال منى فقال لو أن وليا من أولياء الله تعالى أمر هذاالجبل أن يميد لماد فتحرك الجبل فقال اسكن فلم أردك بهذا إنما ضربت مثلا فسكن، رضى الله عنه .

الحكاية الخامسة عشرة بعد الثلثمائة

عن أبى عـمرو الزجـاجى رحمه الـله قال دخلت على الجنيـد رضى الله عنه وكنت أريد الحج فأعطانى درهما صـحيحا فشـددته على مئزرى فلم أدخل منزلا إلا وجدت فيـه رفقا ولم أحتج إلـى الدرهم فلما حججت ورجـعت دخلت على الجنيد فمد يده وقال هات فناولته الدرهم فقال كيف كان الختم فقلت كان الختم نافذا .

وقال أبو نصر السراج رحمه الله دخلنا تستـر فرأينا فى قصر سهل بن عبد الله رضى الله عنه بيتا كان الناس يسمونه بيت السـباع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا كانت السباع تجىء إلى سهل وكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم قال أبو نصر ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجم الغفير .

وروى أن أكثر أهل الرحبة ينكرون كرامـات الأولياء فركب الشيخ جابر الرحبى رضى الله عنه أسدا يوما ودخل الرحبة وقـال أين الذين يكذبون أولياء الله تعالى قال فكفوا بعد ذلك .

قلت وروى أنه خرج الشيخ أبو الغيث اليمنى رضى الله عنه فى بدايته يوما يحتطب فجاء الأسد فافترس حماره فقال أكلت حمارى فعلى أى شىء أحمل حطبى وعزة المعبود ما أحمله إلا على ظهرك فحمل الحطب على ظهره وساقه إلى باب البلد ثم حط الحطب عنه وقال له اذهب.

الحكاية السادسة عشرة بعد الثلثمائة

قال المؤلف كان الله له

من المشهور أن الفقراء قالوا يوما للشيخ أبى الغيث رضى الله عنه نشتهى اللحم فقال اصبروا إلى اليوم الفلانى وكان يوم سوق تأتيه القوافل فلما جاء ذلك اليوم جاء الخبر أن قطاع الطريق أخذوا القافلة ثم جاء بعض القطاع الحرامية بحب وجاء آخر بثور فقال الشيخ للفقراء تصرفوا فيه فتصرفوا وأحضروا العيش فتنحى الفقهاء فدعاهم الفقراء للأكل فامتنعوا فقال الشيخ للفقراء كلوا فإن الفقهاء ما يأكلون الحرام فلما فرغوا من الأكل جاء إنسان إلى الشيخ وقال يا سيدى إنى نذرت للفقراء كذا وكذا من الحب فأخذه الحرامية وجاء آخر إليه وقال نذرت للفقراء ثورا فنهب فقال لهما الشيخ قد وصل إلى الفقراء متاعهم فبقى الفقهاء يضربون يدا عل يد متندمين على ترك موافقة الفقراء.

وكان رضى الله عنه صباغا أعنى صباغا للقلوب يصبغ الناس وينقلهم من الصفات الدنية إلى الصفات السنية.

وروى أنه وقعت بين يديه مغنية فغشى عليها ووقعت فلما أفاقت طلبت التوبة وصحبت الفقراء وكانت من المترفهات فقال لها الشيخ إنا نذبحك أتصبرين على الذبح فقالت نعم فأمرها أن تسقى الماء للفقراء فمكثت ستة أشهر تحمل الماء على ظهرها ورآها الشيخ قد تبدلت عن حالها الأول ثم قالت للشيخ إنى اشتقت إلى ربى فقال لها الشيخ يوم الخميس تلقين ربك فماتت يوم الخميس رحمها الله تعالى.

وفى الشيخ أبى الغيث رضى الله عنه قلت :

لنا سيدكم ساد بالفضل سيدا … بكل مكان ثم كل زمان
إذا أهل أرض فاخروا بشيوخهم … أبو الغيث فينا فخر كل يمانى

الحكاية السابعة عشرة بعد الثلثمائة

قال المؤلف كان الله له ومن المشهور أيضا ما سمعناه ورواه الكبار من الشيوخ عن الشيخ الكبير العارف الربانى المربى عيسى المعروف بالهتار اليمنى رضى الله عنه

ونفعنا به أنه مر يوما على امرأة بغى فقال لها بعد العشاء آتيك ففرحت بذلك وتزينت وتعجب من سمع منه ذلك فلما كان بعد العشاء دخل عليها فصلى ركعتين فى البيت ثم خرج.

فقالت له أراك خرجت فقال حصل المقصود فتمزقت عن حالها وخرجت بعد الشيخ تائبة وخرجت عن كل ما تملكه فزوجها الشيخ ببعض الفقراء وقال اعملوا الوليمة عصيدة ولا تشتروا لها إداما ففعلوا ذلك وأحضروه إلى الشيخ فذهب إنسان إلى أمير رفيق لتلك المرأة فقال له إن فلانة تابت قال أيش تقول قال إى والله تابت وقد تزوجها بعض الفقراء وأولموا بعصيدة وقد أحضروها ، وما معهم إدام فأخرج له قارورتين فيهما خمر وقال اذهب بهما إلى الشيخ وسلم عليه وقل له سرنى ما سمعت وبلغنى أن ما عندكم إدام للوليمة فخذوا هذا فتأدموا به وأراد يستهزئ بالفقراء ويفضحهم فلما دنا رسول الأمير من الشيخ قال له أبطأت ثم تناول إحدى القارورتين منه وخضها ثم صبها على العيش ثم فعل بالأخرى كذلك ثم قال للرسول اجلس فكل قال الرسول فطعمت سمنا لم أر أطيب منه ثم رجع إلى الأمير وأخبره بالقصة فجاء الأمير فرأى شيئا حيره فتاب أيضا على يد الشيخ المذكور نفع الله به وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الحكاية الثامنة عشرة بعد الثلثمائة

حكي أن رجلا من بني إسرائيل عبد الله عشرين سنة ما عصاه فيها طرفة عين ثم عصاه عشرين سنة ما أطاعه فيها طرفة عين فلما كان بعض الأيام نظر فى المرآة فرأى شيبا فى لحيته فقال آه آه أشيب وعيب وعزتك لا عدت إلى معصيتك وقام من وقته وتطهر للتوبة فلما جنه الليل قال إلهى أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فياليت شعرى إن رجعت إليك هل تقبلنى فسمع صوتا من جانب البيت يسمع الصوت ولا يرى الشخص وهو يقول أحببتنا فأحببناك وأطعتنا فأطعناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك وأنشد :

أخلقت وجهى المعاصى ... عند علام الغيوب
سيدى شؤم المعاصى ... أبعدت منك نصيبى
سيدى قسوة قلبى ... حيرت كل طبيب
يا طبيبا للأطبا ... أنت عونى وطبيبى
اشفنى هب لى إلهى ... توبة تمحو ذنوبى

الحكاية التاسعة عشرة بعد الثلثمائة
عن عبد الله بن الفضيل رضى الله عنه

قال حـضرت عند السـرى السقطى رضى الله عنه وهو يـجود بنفسـه فلحظنى بعينه فرآنى أبكى فقال لى مالك تبكى يا أبا محمد ، فقلت مما أرى بك فقال لا تبك فإني قد حسـبت حسابى مع الله عز وجل كنت أطلبه عشريـن سنة حتى وجدته فلما وجدته استخدمنى فخدمته عشرين سنة ثم أبكانى فبكيت عليه عشرين سنة ثم شوقنى فاشتـقت إليه عشرين سنة ثم أفنانى ففنيـت به عشرين سنة ، وأنا الآن أؤمل أن أراه فأبقى له وبه ومعه فينبغى يا أبا محمد أن تهنئنى.

وقال أحـدهم دخلت على السـرى رضى الله عنه فرأيتـه يكنس بيـته بخـرقة ويتمثل بهذين البيتين :

وما رمت الدخول عليه حتى ... حللت محلة العبد الذليــــل
وأغمضت الجفون على قذاها ... وصنت النفس عن قال وقيــل

(وقال الفضيل بن عياض) رضى الله عنه مـن عرف الله من طريـق المحبة بغير خوف هلك فى البسط والإدلال ، ومن عـرفه من طريق الخوف من غير مـحبة انقطع عنه بالبعد والاسـتيحاش ومن عرفه من طريق المحـبة والخوف معا أحبـه الله وأكرمه وقربه وفهمه ومكنه وعلمه.

قلت يشهد لصـحة قول الفضيل مـا اشتهر عن المشايخ الكبـار المحبين العارفين أنهم لم يزالوا وجلين خائفين رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية العشرون بعد الثلثمائة

قال أحد السلف بينما عيسى ابن مـريم عليه السلام يسيح فى بعض بلاد الشام اشتد به المطر والرعـد والبرق فجعل يطلب شيئـا يلج إليه فرفعت له خيمـة من بعيد فأتاها فـإذا هو بامرأة فحاد عنهـا فإذا هو بكهف فى جبل فأتاه فـإذا فى الكهف سبع فوضع يده عليـه ثم قال إلهى جعلت لكـل شيئا مـأوى ولم تجعل لى مأوى فـأجابه الجليل تعالى مـأواك عندى فى مستـقر رحمتى لأزوجنـك يوم القيامة مـائة حوراء ، خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعـة آلاف عام كل يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا احضروا عرس عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وقال عبد الواحـد بن زيد رضى الله عنه مررت براهب فى صومعة فـقلت لأصحابى قفـوا فكلمته وقلت له يا راهب فكشف سـترا على باب صومـعته فـقلت له ما علم اليقين فقال يا عـبد الواحد إن أحببت أن تعلم علم اليقين فـاجعل بينك وبين شهوات الدنيا حائطا من حديد وأرخى الستر.

الحكاية الحادية والعشرون بعد الثلثمائة
عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبنى فناديته ثانية فلم يجبنى فناديته ثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله عز وجل فى سمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهيبته وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فذلك هو الراهب ، وأما أنا فكلب عقور حبست نفسى بهذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم بلسانى فقلت يا راهب ما الذى قطع الخلق عن الله عز وجل بعد أن عرفوه قال يا أخى لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل الذنوب والمعاصى والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه.

الحكاية الثانية والعشرون بعد الثلثمائة

روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام صحبه رجل وقال يا نبى الله أكون معك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب منه ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف قال لا أدرى فانطلق ومعه الرجل فرأى ظبية ومعها ولدان لها فدعا واحدا فأتاه فذبحه واشتوى منه هو وذلك الرجل ثم قال له بعد ما ذبحه وأكلا منه قم بإذن الله عز وجل فقام فقال الرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدرى فانطلقا حتى انتهيا إلى مفازة فجمع عيسى ﷺ ترابا وكثيبا ثم قال له كن ذهبا بإذن الله عز وجل فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أقسام فقال ثلث لى وثلث لك وثلث للذى أخذ الرغيف.

فقال أنا الذى أخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان فى المفازة ومعه الذهب فأراد ان يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا ثلاثا فقبلا ذلك فقال يذهب واحد إلى القرية حتى يشترى لنا طعاما فذهب واحد واشترى طعاما وقال فى نفسه لأى شىء أقاسمهما فى هذا المال أنا أجعل فى هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال جميعه فجعل فيه السم وقالا هما فيما بينهما لأى شىء نجعل له الثلث إذا رجع إلينا قتلناه واقتسمنا المال نصفين فلما رجع إليهما قتلاه ثم أكلا الطعام

فمـاتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولـئك الثلاثه قتلى عنده فـمر عليهم عيـسى عليه السلام وهم على تلك الحال فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها.

وروى أن عيسى عليه السـلام كشفت له الدنيا فى صورة عجـوز شمطاء عليها من كل زينة فقال لهـا كم تزوجت قالت لا أحصيهم قـال فكلهم ماتوا عنك و كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت ، فقال عيـسى عليه السلام بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد فلا يكونون منك على حذر.

قال الفـضيل رضى الله عنه بلغني أن رجـلا عرج بروحه فى المنام فـرأى امرأة على قارعة الطريق عليـها من كل زينة من الحلى والثياب الفاخـرة وإذا بها لا يمر بها أحد إلا جرحته ، فإذا هى أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإن أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس عجوزا زرقاء شمطاء عمشـاء ، قال فقلت لها أعوذ بالله منك فقالت لا والله لا يعيـذك الله منى حتى تبـغض الدرهم قلت من أنت قالت أنا الدنيـا نعوذ بالله منها.

الحكاية الثالثة والعشرون بعد الثلثمائة
عن إبراهيم بن بشار رضى الله عنه

قال كنت مع إبراهيـم بن أدهم رضى الله عنه فى سفر وليس مـعنا شيء نفطر عليه ولا بنا حيلة ، قال فرآنى الشيخ مغـتما يعنى ابن أدهم فقال لى يا ابن بشار ماذا أنعم الله على الفقـراء والمساكين من النعم والراحة فى الدنيا والآخـرة لا يسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عـن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة وإنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين يعنى الأغنياء ثم قـال إن الأغنياء فى الدنيا فقراء فى الآخرة أعـزة فى الدنيا أذله يوم القيـامة ولا تغتم ولا تحـزن فرزق الله مضـمون سيأتيك نحن والله الملوك الأغنياء تعجلنا الراحة فى الدنيا والآخرة لا نغتم ولا نحزن ولا نبـالى على أى حال أصـبحنا وأمـسينا إذا أطعنا الله تعـالى ثم قام إلى صـلاته وقمت إلى صلاتى فمـا لبثنا إلا ساعة وإذا نحن برجل قد جاءنا بثمـانية أرغفة وتمر كثير فـوضعه بين أيدينا وقال كلوا رحمكم الله فـسلم إبراهيم من صلاته وقال كل يا مغموم يا حـزين فمر بنا سائل فقـال أطعمونى شيئا لوجـه الله تعالى فأعطاه إبراهيم ثلاثة أرغفه وتمرا وأعطانى ثلاثة أرغفة وتمرا وأكل هو رغيفين وقال المواساة من أخلاق المؤمنين ثم أنشأ يقول :

أخـى نحن والله الملوك حقيقة　　　لنا الملك فى الدارين والعز والغنى

نولى ونعزل والملوك جميــعهم   لنا خدم والذل يجزون والعـــنا

الحكاية الرابعة والعشرون بعد الثلثمائة
عن الشبلى رضى الله عنه

قال خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شابا صغير السن نحيل الجسم أشعث أغبر عليه ثياب رثة وهو جالس فى الجبـانة يمرغ خديه بين القبور وجعل يرمق السماء تارة بعد تارة ويحرك شفتيه والدموع تسيل مـن عينيه وهو مستغرق فى الدعاء والذكر والاستغفار ولا يشغله شاغل عن التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والتعظيم فلما رأيت الشاب على تلك الحالة مالت نفسى إليه وطابت على لقائه فتركت الطريق التى أروح عليها وقـصدت نحوه فلما رآنى أقبلت إليه انـتفض فى مكانه وقام يمشى هاربا منى فنهضت نفسى فى اتباعه لعلى ألحقــه فلم أقدر على إدراكه فقلت له رفقا يا ولى الله فقال والله فقلت بحقه إلا ما صبرت فأشار بأصبعه لا أفعل وقال الله فقلت له إن كان حقا ما تقول أرنى صدقك مع الله تعالى فنادى بصوت عال الله الله الله، ووقع على الأرض مغشـيا عليه فدنوت منه وحركـته فإذا هو ميت من ساعتـه فتوهمت من ذلك وتعجـبت من حاله وصدقه مع الله وقـلت يختص برحمتـه من يشاء وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم تركته فى موضعه وسرت إلى حى من أحياء العرب لآخذ في جهازه وإصلاح شأنه فلمـا رجعت إليه حجب عنى فطلبته فى المكان فلم أجد له أثرا ولا سمـعت له خبرا فبقـيت متحيرا وقلـت حجب عنى هذا الشاب ومن سبـقنى إليه فـسمعت قـائلا يقول يا شـبلي قد كفـيت أمر الفـتى وما تولاه إلا الملائكة فعليك أنت بعبـادة ربك وأكثر الصدقة من مالك ، فمـا بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يومـا في الدهر فقلت سألتك بالله إلا ما أخبرتنى ما هى تلك الصـدقة فقال لى يا شبلى إن هذا الفتي كان فى أول عمره عاصيا مذنبا فاسقا زانيا فعرض الله عليه رؤية أفزعـته وأقلقتـه وهى أنه رأى فى المنام أن إحليله قد رجع ثـعبانا ودار بفـيه ثم أطلق من فيه لهيب النار فأحرقه حتى عاد كالفحمة السوداء فانتبه فزعا مرعوبا وخرج فارا بنفسه مشتغلا بعبادة ربه وله اليوم منذ رجع إلى طاعة ربه اثنتا عشرة سنة ، وهو على حالة التـضرع والبكاء والخشوع والخـوف فلما كان بالأمس وقف له سـائل سأله قوت يومه فخلع ثيـابه وسلمها إليه ففرح السائل بذلك وبسط كفـيه ودعـا له بالمغفرة فأجاب الله تعالى دعـاءه ببركة الصـدقة التى أفرحه بها كما جـاء فى الحديث اغتنموا

دعوة السائل عند فرحه قلبه بالصدقة.

الحكاية الخامسة والعشرون بعد الثلثمائة
عن أبى جعفر بن الخطاب رضى الله عنه

وكان يقال إنـه من الأبدال قال وقف على بابى سائل فقلت لزوجـتى هل معك شيء قالت أربع بيضات فقلت ادفعيهن إلى السائل ففعلت فلماانصرف السائل أهدى إلى بعض الإخوان مخلاة فيها بيض فـقلت لزوجتى كم فيها من بيض فقالت ثلاثون بيضة فقـلت لها ويحك أعطيت السائل أربع بيضات فجـاءك ثلاثون أين حساب هذا فقالت هن أربعون إلا إن عشرا مكسورات.

وقيل فى هـذه الحكاية كان ثلاث من البـيض التى أعطت السائل صـحيـحات وواحدة مكسورة فجاء بكل واحدة منهن عشرة على صفتها.

(وحكى) أن امرأة تصدقت برغيف على سائل ثم خـرجت تحمل غداء زوجها وكان يحصـد زرعه فمرت بروضة ومعـها ابن لها وإذا سبع قد التقم ابنهـا فإذا يد قد لطمت السبع فـقذف الطفل من فـيه وإذا بمناد تسمع صـوته ولا ترى شخصـه يقول خذى ولدك فقد جازيناك لقمة بلقمة.

الحكاية السادسة والعشرون بعد الثلثمائة

حكى عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال خـرجت يوما فى بعض الغزوات وكان قد أرسل إلىّ أمير الجيـش شيئا من النفقة فكرهت ذلك ففرقتـه على محاويج الغزاة فلما كـان فى بعض الأيام صليت الظهـر وجلست متـفكرا فى ذلك نادماعلى قـبوله وتفريقى إياه فـغلبنى النعاس فرأيت قـصورا تبنى مزخرفـة ونعما طائلة فسـألت عنها فقيل لى هذه لأصـحاب المال الذى فرقته فى الـغزاة فقلت فمالى معـهم شيء فقيل ذلك القصـر وأشاروا إلى قـصر عظيم من أحـسن القصـور وأعظمها فـقلت فكيف فضلت عنهم فقيل أولئك أخرجوا المال وهم يتوقعون الثواب عليه فكان هذا جزاءهم وأنت فرقت ذلك المال خائفا وجلا محاسبا نفسك نادما فضاعف الله تعالى لك ذلك على ثواب سعيك وأنشد أحدهم :

إذا كـانت الدنيـا تـعـد نفـيسـة فـدار ثـواب أغـلى وأنـبـل
وإن كانـت الأرزاق قسـما مـقدرًا فـقلة سـعى المـرء فى الرزق أجـمل
وإن كانت الأجساد للموت أنشئت فـقتل امـرئ فى الله بالسيف أفـضل
وإن كانت الأمـوال للترك جمعـها فـمـا بال مـتـروك به المرء يـبـخل

الحكاية السابعة والعشرون بعد الثلثمائه

حكى أنه كان بـالرى قاض غنى فجـاءه فقـير يوم عاشـوراء فقـال له أعز الله القاضى أنا رجل فقير ذو عيـال وقد جئتك مستشفعا بحرمـة هذا اليوم لتعطينى عشرة أمنان خبزا وخمسة أمنان لحما ودرهمين فوعده القاضى بذلك إلى وقت الظهر فدافعه إلى العصر فلما جاءه العصر لم يعطه شيئا فذهب الفقير منكسرا فمر بنصرانى جالس بباب داره فقال له بحق هذا وحرمته أعطنى شيئا فقال النصرانى وما هذا اليوم فذكر له الفقير شـيئا من صفاته وحرمتـه فقال له النصرانى اذكر حاجتك فـقد أقسمت بعظيم الحرمـة فذكر له الخبـز واللحم والدرهمين فأعطاه من الخبـز عشرة أقـفزة حنطة ومن اللحم مائة مَنٍّ ومن الدراهم عشـرين درهما وقال هذا لك ولعيالك مـادمت حيا فى كل شهر كرامة لهذا اليوم فذهب الفـقير إلى منزله فلما كان الليل ونام القاضى سمع هاتفا يقول له ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى قـصرًا مبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وقصرا آخـر من ياقوته حمراء يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره فـقال إلهي ما هذان القصران فقيل له هذان كانا لك لو قضيت حـاجة الفقير فلما رددته صارا لفلان النصرانى قال فانتبه القاضى مرعـوبا ينادي بالويل والثبور فغدا إلى النصرانى فقال له ماذا فعلت البارحة من الخير فقـال له وكيف ذلك فذكر الرؤيا ثم قال له بعنى الجميل الذى عملته مع الفقير بمائة ألف فقال له النصرانى إنى لا أبيع ذلك بملء الأرض كلها ما أحـسن المعاملة مع هذا الرب الكريم أشـهد أن لا إله إلا الله وأشـهد أن محـمدا رسول الله وأن دينه هو الحق وأنشدوا فى معنى ذلك :

لا يلحـقنـك ضـجـرة من سـائل فـدوام عـزك أن ترى مـسـئـولا
لا تصـرفن بالرد وجـه مـؤمل فلخـيـر يـومك أن ترى مـأمـولا
واعلـم بأنك عـن قليـل صـائر خـبـرا فكن خـبـرا يروق جـمـيـلا
تلقى الكـريم فـتـسـتـدل ببـشـره وترى العـبـوس على الـلئيم دليـلا

وأنشدوا أيضا :

يا طالب العفو هذا يوم عاشورا ... يوم غدا فضله فى الناس مشهورا
ما إن دعا ربه داع لحاجته ... إلا وعاد بما يهواه مسرورا
ولا أتى الله فيه مذنب خجل ... إلا وأصبح ذاك الذنب مغفورا
فتب إلى الله وابغ رحمته ... من قبل توقف يوم العرض مذعورا
وأنت فى فرق مضن وفى عرق ... تقرا كتابك بين الخلق منشورا
فأسل إلهك فيه فضل رحمته ... وقف على بابه خجلان مكسورا

الحكاية الثامنة والعشرون بعد الثلثمائة

يروى عن حبيب العجمي رضى الله عنه أنه اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم أخرج عشرة آلاف وقال يا رب اشتريت منك نفسى بهذه ثم أخرج عشرة آلاف أخرى فقال يا رب إن كنت قبلت تلك فهذه شكر لها ، ثم أخرج عشرة آلاف ثالثة وقال إلهى إن لم تقبل الأولى والثانية فاقبل هذه ثم أخرج عشرة آلاف رابعة وقال إلهى إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكر لها وروى أنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب رضى الله عنه طعاما وفرقه على المساكين ثم خاط أكيسة فجعلها تحت رأسه ثم دعا الله تبارك وتعالى فجاءه أصحاب الطعام يتقاضونه فأخرج تلك الأكيسة فإذا هى مملوءة دراهم فوزنها فإذا هى قدر حقوقهم فدفعها إليهم.

(وروى) أنه أتاه سائل وقد عجنت امرأته عجينا وذهبت تجئ بنار لتخبزه فقال للسائل خذ العجين فأخذه فجاءت امرأته وقالت أين العجين فقال لها ذهبوا به يخبزونه فلما أكثرت عليه أخبرها فقالت سبحان الله إنه لابد لنا من شىء نأكله فإذا برجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزا ولحما فقالت ما أسرع ما ردوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحما رضى الله عنه ونفعنا به.

(قلت) وسنذكر فى الحكاية الآتية ما يشبه هذا إن شاء الله تعالى.

الحكاية التاسعة والعشرون بعد الثلثمائة

قال المؤلف ـ كان الله تعالى له ـ كنا جماعة فى بعض الأسفار جمعت بيننا فى الطريق الأقدار فمررنا فى بعض الأيام بقرية فنزلنا فيها وأرسل الجماعة حين دخلوها واحدا منهم فاستعار برمة فعصدوا فيها عصيدة وأكلوها إلا واحدا منهم فإنه غاب ولم ينادوه يأكل معهم ومعه قليل من الدقيق فلم يجد من يصنعه له من صاحب معروف أو صديق فخرج يدور بدقيقه بين البيوت لعل أحدا يصنع له ذلك القوت فلم يجد فبينما هو كذلك يدور إذا بشخص ضعيف مضرور جمعت القدرة بينهما بواسطة اللطف الخفي من غير وعد ونادى لسان حال الحكمة الإلهية هذا رزق هذا الضعيف

ورزقك يأتى فيما بعد فدفع إليه رزقه ورجع إلى رفقته بلا غداء فبينما هو غائب عن علم الغيب وإذا باللطف قد بدا قيض الله له إنسانا دعاه من بين الجماعة فأطعمه ثريدا ولحما سمينا فى تلك الساعة حتى شبع وقوى على المشى الكثير فسبحان الكريم اللطيف الخبير ، أيتها النفس الهلوعة الضعيفة اليقين أما تصدقين ويحك بوعد الحق المبين أما تثقين ويلك بضمان خير ضمين أما توقنين بقول أصدق القائلين ﴿**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾[١] ﴿**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾[٢] ﴿**وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾[٣] ﴿**وفى السماء رزقكم وما توعدون**﴾[٤] ثم أتبع ذلك بقسم عظيم أقسم به العظيم رب العالمين مع أن قوله حق ووعده صدق لا يحتاج إلى يمين فقال عز من قائل ﴿**فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون**﴾[٥] أما تعلمين أن وعده الوفى ولطفه الخفى قد ضمنا للعباد فى جميع البلاد بسط أيادى الجود فى جميع الوجود وساق مطايا الأرزاق من خزائن رحمة الرزاق القادر السابق فى القدم بسوط القدرة وقادها بزمام اللطف والكرم حتى دخلت في باب الإيجاد بعد ما خرجت من باب العدم وسارت فى الوجود إلى أن وصلت إلى من له بالقسمة السابقة حصلت وقطعت قلاص مواهب الخواص فيافي قفار عالم التقليب والتكوين حتى وصلت إلى سرادقات عالم التقريب والتمكين فبركت فى مبارك البركات بالمواهب الجليلة فحط عنها تحف الفوائد وطرف العوائد الجميلة ثم حمل تلك التحف والطرف خدام القدرة ودخلوا بها إلى حضرة أهل الحضرة فنالوا بتلك المواهب أعز المطالب من المقامات العالية والمعارف الغالية خصهم بها إلى المولى الكريم ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[٦] وأنشد لسان الحال فى الحال :

تبارك من عم الوجود بجوده ... ومن منه فيض للخلق يغمر
ومن خص أهل القرب صفوة خلقه ... بفضل عظيم وصفه ليس يقدر
فللقوم أعلام الولايات أعلمت ... بمجد وخلعات الكرامات تزهر

الحكاية الثلاثون بعد الثلثمائة عن أحد الصالحين

قال دخلت مسجدا من المساجد أصلى فيه ركعتين فإذا فيه رجل عابد ورجل من التجار جالس فسمعت العابد يقول يا سيدى ومولاى أشتهى عليك اليوم أن تشبعنى

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٨ .
(٢) سورة هود : الآية ٦ .
(٣) سورة سبأ : الآية ٣٩ .
(٤) سورة الذاريات : الآية ٢٢ .
(٥) سورة الذاريات : الآية ٢٣ .
(٦) سورة الحديد : الآية ٢١ .

من لون كذا وكذا من الطعام ولون كذا وكذا من الحلوى فقال التاجر والله لو سألنى لأعطيته ولكن هذا يحتال على ويرائينى حتى أعطيه والله لا أعطيه شيئا قال فلما فرغ من دعائه نام فى ناحية المسجد وإذا برجل قد دخل المسجد ومعه قعبة مغطاة فنظر فى المسجد يمينا وشمالا فرأى العابد نائما فى ناحية المسجد فأتى إليه فأيقظه وترك القعبة بين يديه والتاجر ينظر إليه فوجد اللون الذى اشتهاه من الطعام والحلوى فأكل منه قدر ما اشتهى وغطاه ورده فقال التاجرللذى جاء بالقعبة سألتك بالله هل تعرف هذا الرجل قبل هذا اليوم قال لا والله ما أعرفه وإنما أنا رجل حمال وكانت قد اشتهت على زوجتى وابنتى هذا اللون منذ سنة فما طالت يدى إليه فلماكان اليوم حملت لرجل وأعطانى مثقالا من الذهب فاشتريت به لحما وغيره وأتيت به إلى منزلى فصنعته زوجتى فغلبتنى عيناى فنمت فرأيت النبى ﷺ فقال لى قد قدم عليكم ولى من أولياء الله تعالى وها هو فى المسجد وقداشتهى مما عملته لأهلك فاحمله إليه يأكل منه شهوته ويجعل الله تعالى لك البركة فيما بقى وأنا الكفيل لك بالجنة فانتبهت وجئت به كماترى فقال التاجر قد سمعته يسأل الله تعالى ذلك ثم قال له كم أنفقت على هذا الطعام قال مثقالا فقال التاجر خذ منى عشرة مثاقيل واجعل لى فى أجرك قيراطا قال لا قال خذ عشرين مثقالا قال لا قال خذ خمسين مثقالا ، قال لا قال خذ مائة مثقال ، قال لا والله لا بعت شيئا مما ضمنه لى رسول الله ﷺ وتكلفه ولو أعطيت الدنيا جميعا فلو كان لك نصيب من أجر شهوة هذا الولى لكنت سبقتنى أنت إليه ولكن الله يختص برحمته من يشاء.

قال فندم التاجر حيث لا ينفعه الندم وخرج من المسجد كالواله على ما فاته.

الحكاية الحادية والثلاثون بعد الثلثمائة

عن إبراهيم الخواص رضى الله عنه

قال كنت فى مسجد فرأيت فقيرا ساكتا ثلاثه أيام لم يتحرك ولم يطعم ولم يشرب وكنت أرقبه وأصبر معه فعجزت عنه فتقدمت إليه وقلت له ما تشتهى قال خبزا حارا ومصليا فخرجت وتكلفت طول نهارى حتى أحصل ما قال فلم يتفق لى فعدت إلى المسجد وأغلقت الباب فلما كان بعد حين من الليل دق علينا الباب ففتحته فإذا بإنسان معه خبز حار ومصلية فسألته عن السبب فقال اشتهى على صبيانى هذا فتخاصمنا وحلفنا ألا يأكل هذا إلا أهل المسجد قال إبراهيم فقلت إلهى إذا كنت تريد أن تطعمه فلم أتعبتنى طول النهار رضى الله عنهما.

الحكاية الثانية والثلاثون بعد الثلثمائة

حكى أن عابدا اعتكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الإمام لو اكتسبت لكان خيرا لك وأفضل فلم يجبه حتى أعـاد إليه القول ثلاثا فقال له فى الرابعة بجوار المسجـد رجل يهودى قـد ضمن لى كل يوم رغـيفين ، فقـال له إن كان صـادقا فى ضمانه فقعودك فى المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن إماما تقف بين يدى الله تعالى وبين عـباده مع هذا النقص فى التوحيـد لكان خيرا لك تفضل ضـمان يهودى على ضمان الله عز وجل وأنشدوا فى هذا المعنى لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه:

أتطلب رزق الله من عند غـــيره ... وتصبح من خوف العواقب آمــنا
وترضى بصراف وإن كان مشركــا ... ضمينا ولا ترضى بربك ضامـــنا

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الثلثمائة عن أحد الصالحين

قال إن الله تعالى لما أظـهر الخلق فى القدم أظهر لهم الصنائع كلهـا ثم خيرهم فيها فاختار كل إنسان صنعته فلما أبداهم إلى الوجود أجرى على لسان كل واحد ما اختار لنـفسه قال وانفردت طـائفة فلم تختر شيئا ، فقـال لها اختارى ، فقـالت ما أعجبنا شىء رأيناه فنختاره ، فأظهر لهم مقامـات العبادة فقالت قد اخترنا خدمتك يا مولانا ، فقال وعزتى وجلالى لأسخرنهم لكم ولأجعلنهم لكم خدما وعزتى وجلالى لأشفعنكم غدا فيمن عرفكم وخدمكم وفيهم قال القائل :

تشـــاغل قـــوم بدنيـــاهم ... وقـــــوم تـخـلـوا لمـولاهـم
فــألـزمــهم بـاب مـرضـاته ... وعـن ســائر الخلق أغـناهـم
يصـــفـــون بالليل أقـــدامــهم ... وعين المهـــيـــمن ترعـــاهم
فـمـــا يعـرفـــون سـوى حـبـه ... وطاعـــتــه طول مـــحـــياهم
فـطوبـى لـهم ثـم طـوبـى لهم ... وطـــوبـــاهـم ثـم طـوبـــاهـم

(وقيل) دخل جـماعة على أبى القـاسم الجنيد رضى الله عنه فـقالوا له نطلب أرزاقنا فقال إن علمتم أين هى فاطلبوها ، فقالوا نسأل الله تعالى ذلك فقال إن علمتم أنه ينساكم فـذكروه فقالوا ندخـل بيوتنا ونتوكل فقـال التجربة مع الله تبـارك وتعالى شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة.

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الثلثمائة

حكى أنه خرج أحـد المريدين فى طلب الرزق فسـعى حتى تعب فوجـد خرابة فجلس ليستريح فـبينما هو يتصفح الجدران إذ نظر فى بعضهـا لوحا من رخام أخضر مكتوب فيه بخط أبيض هذه الأبيات :

لما رأيتك جـالسـا مـسـتـقـبـلا — أيقنت أنك للهـمـوم قـرين
مـالا يكون فـلا يكـون بحـيلة — أبدا ومـا هوكـائن سـيكون
سـيكون مـا هو كـائن فى وقـتـه — وأخـو الجـهالـة متـعب مـحـزون
فلعل مـا تخـشـاه ليس بكائن — ولعل مـا ترجـوه سـوف يكون
يسعى الحـريص فلا ينال بحـرصه — حظا ويـحظى عـاجـز ومـهين
فـارفض لـهـا وتعـرّ من أثـوابهـا — إن كـان عندك لـلقـضـاء يقين
هوّن عـليك وكن بـربك واثقـا — فـأخـو التـوكل شـأنه التـهـوين
طرح الأذى عن نفـسـه فى رزقـه — لما تـيـقـن أنه مـضـمـون

قال فقرأها ورجع إلى منزله ولم يهتم فى الرزق بعدها رضى الله عنه.

(وقيل) إن أبا يزيد رضى الله عنه صلى خلف إمام فى بعض المساجد فلما سلم الإمام قـال يا أبا يزيد من أين تأكل ، فقـال أبو يزيد اصبر حـتى أعيـد الصلاة التى صليتهـا خلفك حيث شككت فى أرازق المخلوقين فإنه لا تجـوز الصلاة خلف من لا يعرف الملك الرزاق تبارك وتعالى.

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلثمائة
عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال بت ليـلة عند السرى رضى الله عنه فلمـا كان فى بعض الليل قـال لى يا جنيد أنت نائم قلت لا ، قـال الساعة أوقفنى الحق عز وجل بـين يديه وقال يا سرى خلقت الخلق كلهم فادعوا محبتى فخلقت الدنيا فاشتغل بها من كل عشرة آلاف تسعة آلاف عنى بالدنيا وبـقى ألف وخلقت الجنة فاشتـغل بالجنة عنى من الألف تسعـمائه وبقى مائة فسلطت عليهـم شيئا من البلاء فاشتغل عنى مـن المائة تسعون بالبلاء وبقى عشـرة فقلت لهم أنتم لا الدنيـا أردتم ولا فى الآخرة رغبتـم ولا من البلاء هربتم ، فماذا تريدون قالوا إنك لتعلم ما نريد فقلت إنى سأنزل عليكم من البلاء مالا تطيقون ولا تحمله الجبال الرواسى فـتثبتون لذلك ، قالوا أليس أنت الفـاعل بنا قد رضينا بك نحمل وفـيك نحمل ولك نحمل مالا تطيـقه الجبال ، فـقلت لهم أنتم عبيـدى حقا رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وفى رواية أخرى قال لى يا سـرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محـبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى مـعى العشر ، فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهـرب منى تسعة أعشار عشر العشر وبقى معى عشر عـشر العشر فقلت للباقين معى لا الدنيـا أردتم ثم ذكر نحو ما فى الرواية الأولى.

(وقال الجنيد) رضى الله عنه نظرت يوما إلى جسد السرى رضى الله عنه كأنه جسد سقيم دنف مضنى فقال لو شئت لقلت هذا من محبته ثم غشى عليه وإذا وجهه كأنه قمر مشرق بعد أن كان وجهه أصفر ثم إعتل فدخلت عليه أعوده فقلت له كيف تجدك فقال :

كيف أشكـــو إلى طبيبى ما بى والذى بى أصابنى مـــن طبيبى

قال فأخذت المروحة أروحه فقال لى كيف يجد روح المروحة من جوفه محترق من داخل ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمـــع مستبق والكرب مجتمع والصـــبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلـــق
يا رب إن كان لى شىء به فرج فامنن على به ما دام بى رمـــــق

(وحكى) أنه لما توفى السرى رضى الله عنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك قال غفر لى ولمن حضر جنازتى وصلى علىّ ، فقال الرائى فإنى ممن حضر جنازتك وصلى عليك قال فأخرج درجا ونظر فيه فلم يـر لى فيه اسما قال ألم تحضر جنازتى قلت بلى قد حضرت فنظر فإذا اسمى فى الحاشية رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين .

الحكاية السادسة والثلاثون بعد الثلثمائة

روي أن يونس عليه السلام قال لجبريل صلى الله عليهما وسلم دلنى على أعبد أهل الأرض فأتى به إلى رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وهو يقول متعتنى بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأيقنت لى فيك الأمل يا بار يا وصول فقال يونس عليه السلام يا جبريل سألتك أن ترينى صواما قواما فقال قد كان قبل البلاء هكذا وقد أمرت أن أسلبه عينيه فأشار إليهما فسلتا فقال متعتنى بهما حيث شئت وسلبتهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الأمل يا بار يا وصول فقال جبريل عليه الصلاة والسلام هل تدعو وندعو معك ليرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك وتعود على العبادة التى كنت عليها فقال ما أحب ذلك ، قال ولم قال إذا كانت محبته فى هذا فمحبته أحب إلى فقال يونس عليه الصلاة والسلام ما رأيت أحداً أعبد من هذا فقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذه طريق لا يوصل إلى رضا الله تعالى بشىء أفضل منها وأنشدوا :

قالت لطيف خيـــال زارها ومضى بالله صـــفه ولا تنقـــص ولا تزد
فقـــال خليته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود المـــاء لم يرد
قالت صدقت الوفا فى الحب عادتـه يا برد ذاك الذى قالت على كبـــدى

الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلثمائة
عن شقيق البلخى رضى الله عنه

قال طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس طلبنا بركة القوت فوجدناها فى صلاة الضحى ، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه فى صلاة الليل ، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءه القرآن ، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة وطلبنا ظل العرش فوجدناه فى الخلوة ، رضى الله عنه ونفعنا به.

وقال بعض العلماء قلت فى آخر مجلس اللهم اغفر لأقسانا قلبا وأجمدنا عينا وأقربنا بالمعصية عهدا وكان عندنا رجل مذنب فوقف وقال أعد هذا الدعاء ثانيا أنا أقساكم قلبا وأجمدكم عينا وأقربكم بالمعصية عهدا فادع الله تعالى كى يتوب على قال فرأيت فى الليلة الثانية كأنى واقف بين يدى الله سبحانه وتعالى وهو يقول لى سرنى حيث أوقعت الصلح بينى وبين عبدى قد غفرت لك وله ولأهل مجلسك أجمعين.

(وحكى) عن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال أعطانى كتابى بيمينى فمررت بزلة فاستحييت إن أقرأها فقلت إلهى لا تفضحنى فقال حين عملتها ولم تستحى منى لم أفضحك أأفضحك وأنت تستحيى منى قد غفرت زلتك وأدخلتك الجنة برحمتى وكرمى سبحان الستار الحليم الجواد الكريم.

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الثلثمائة
عن أبى عبد الله بن شجاع الصوفى رحمه الله

قال كنت بمصر أيام سياحتى فتاقت نفسى إلى النساء فذكرت ذلك لبعض إخوانى فقال لي هنا امرأة صوفية لها ابنة جميلة قد ناهزت البلوغ قال فخطبتها وتزوجت بها فلما دخلت إليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلى فاستحييت أن تكون صبية فى مثل سنها تصلى وأنا لا أصلى فاستقبلت القبلة فصليت ما قدر لى حتى غلبتنى عينى فنمت فى مصلاى ونامت فى مصلاها فلما كان فى اليوم الثانى كان مثل ذلك أيضا فلما طال على ذلك قلت ياهذه هل لاجتماعنا هذا معنى قالت أنا فى خدمة مولاى ومن له حق لا أمنعه قال فاستحييت من كلامها ، وتماديت على أمرى نحوا من شهر ثم بدا لى فى السفر فقلت ياهذه قالت لبيك قلت إنى قد أردت السفر قالت مصاحبا بالعافية والسلامة من كل ما تكره وأعطاك كل ما تحب فقمت فلما صرت عند الباب قامت فقالت يا سيدى كان بيننا فى الدنيا عهد لم يفض بتمامه عسى فى الجنة إن شاء الله تعالى فقلت إن شاء الله.

ثم قالت استودعتك الله تعالى خير مستودع فودعتها وخرجت وسألت عنها بعد سنتين فقيل لي هى على أفضل مما تركتها عليه من العبادة والاجتهاد رضى الله عنهما.

(وقال) بعض الفقراء كانت لى امرأة من أولياء الله تعالى وكان إذا ورد عليها الحال لا أقدر أمد يدى إليها ولا أستطيع أن أتمكن من حاجتي منها لقوة حالها وشدة هيبتها فتقول لى عند ذلك من هو الرجل منا ومن المرأة فإذا ذهب عنها الحال تمكنت ونلت منها ما شئت رضي الله عنها وعن جميع الأولياء.

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الثلثمائة
عن ذى النون رضى الله عنه

قال اجتمعت فى جبل لبنان بامرأة متعبدة وهى كالشن البالى كأنها تخبر عن أهل المقابر ذات اجتهاد وعبادة لم أر قط مثلها فى العباد ، فسألتها أين وطنك فقالت ما لى وطن إلا النار أو يعفو العزيز الغفار ، فقلت يرحمك الله تعالى هل من وصية أو فائدة قالت اجعل كتاب الله تعالى لك مائدة وجالس وعده ووعيده وشمر عن ساق الجد بالعزائم الحميدة ودع ما يتعلق به البطالون من الأمل الكاذب الذى لا تحقيق لهم فيه ولا يدرون كيف العواقب فوالله لا يرد هذا المنزل إلا المضمرون ولا يفوز بالسبق إلا المشمرون فخذ يا أخى لنفسك ما أمكن الأخذ لها فليس المطلوب غيرك وكن من أولى النهى فقلت ادعى لى بدعوة فحمدت الله تعالى بمحامد لم أسمع مثلها قط ، وصلت على رسول الله ﷺ بصلاة لم أسمع مثلها قط ، ودعت دعاء حسنًا رضى الله عنها.

الحكاية الأربعون بعد الثلثمائة
عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت لها من أين أقبلت فقالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت أين تريدين قالت إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فأنشأت تقول :

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن ينازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد
ولا لباس لثوب فائق أنق ... ولا لروح سرور حل فى بلد

فهم رهائن غـــــدران وأودية وفى الشـوامخ تلقاهم مع العدد

رضى الله عنها .

الحكاية الحادية والأربعون بعد الثلثمائة
عن ذى النون أيضا رضي الله عنه

قال بينما أنا مار على شاطئ البحر إذ بجارية مكشوفة الرأس مصفرة الوجه بلا خمار فقـلت لها يا جارية استرى وجهك بخـمار فقالت وما يصنع الخمـار بوجه قد علاه الصفـار ، ثم قالت إليك عنى يا بطال فإنى شـربت البارحة بكأس المحبـة فبت مسرورة فأصبحت اليوم من حب مولاى مـخمورة فقلت يا جارية أوصينى قالت يا ذا النون عليك بالسكون ولزوم البيوت والرضا بالقوت إلى أن تموت رضى الله عنها.

الحكاية الثانية والأربعون بعد الثلثمائة
عن أحد السلف

قال رأيت شابا فى سفح جبل عليه آثار القلق ودموعه تجرى فقلت من أنت قال عبد آبق من مـولاه قلت فتعود وتعتذر قـال العذر يحتاج إلى إقامـة حجة ، فكيف يعتذر المقصر قلت تتعلق بمن يشفع لك قال كل أهل الشفاعة يخافون منه ، قلت من هو قال مولى ربانى صغيرا فعصيته كبيرا فواحيائى من حسن صنعه إلى وقبح فعلى ثم صاح صيحة وخـر ميتا ، فخرجت عجوز فقالت من أعـان على قتل البائس الحيران رحمه الله فقلت أقيم عندك أعينك على تجهـيزه قالت خله ذليلا بين يدى قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه ويقبله بكرمه وجوده.

الحكاية الثالثة والأربعون بعد الثلثمائة

روى أن سليمان بن عبد الملك رحـمه الله تعالى قال لأبى حازم رضي الله عنه يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قـال لأنكم عمرتم الدنيا وخربـتم الآخرة فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعرى مالنا عند الله غدا قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجـل قال وأين أجده من كتاب الله تعالى قال من قوله تبارك وتعالى : ﴿**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفى جحيم**﴾(١) .

قال سليمان وأين رحـمة الله قال قريب من المحسنين قال سليـمان ليت شعري كيف العرض على الله تعالى قال أبو حازم أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله فرحا مسرورا وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه خائفا محسورا فبكى سليمان.

---

(١) سورة الانفطار : الآيتان ١٣, ١٤.

وسئل أبو حازم رضى الله عنه كيف تصلى قال إذا قرب وقت الصلاة أسبغت الوضوء بتمام فروضه وسننه ثم أستقبل القبلة وأمثل البيت الحرام بين حاجبى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى والصراط تحت قدمى والله تعالى مطلع على وأظن أن صلاتى تلك لا أصلى بعدها ، وأكبر بتعظيم وأقرأ بتفكر وأركع بتذلل وأسجد بتواضع وأسلم على التمام وأقوم على الوجل ثم لا أدرى أتقبل منى أم يضرب بها وجهى قال له السائل منذ كم تصلى هذه الصلاة قال منذ أربعين سنة قال وددت لو صليت فى عمري كله صلاة واحدة من هذه الصلاة فأكون من الفائزين.

الحكاية الرابعة والأربعون بعد الثلثمائة
عن صالح المرى رضى الله عنه

قال رأيت فى محراب داود عليه الصلاة والسلام عجوزا عليها مدرعة شعر وقد كف بصرها وهى تصلى وتبكى قال فتركت صلاتى ووقفت أنظر إليها فلما فرغت من صلاتها رفعت وجهها إلى السماء وجعلت تنشد :

أنت سؤلى وعصمتى فى حياتى   أنت ذخرى وعمدتى فى مماتى
ياعليما بما أكن وأخفى   وبما فى بواطن الخطرات
ليس لى مالك سواك فأرجو   ه لدفع العظائم الموبقات

قال فسلمت عليها وقلت لها ما الذى أوجب ذهاب عينيك قالت بكائى على ما فرطت فى مخالفته ومعصيته وماكان من تقصيرى من ذكره في خدمته فإن عفا عنى عوضنى فى الآخرة خيرا منهما وإن لم يعف عنى فما حاجتى بعين تحترق فى النار قال فبكيت رحمة لها فقالت يا صالح أيخف عليك أن تقرأ على شيئا من كتاب مولاى فقد طال وعزته شوقى إليه قال فقرأت ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾(١) فقالت يا صالح من خدمه حق خدمته ثم صرخت صرخة يتصدع قلب من سمعها وسقطت على وجهها وإذا بها قد فارقت الدنيا قال ثم إنى رأيتها بعد ذلك فى المنام وهى فى حالة حسنة فسألتها عن أمرها كيف كان ، فقالت لما قبضت أوقفنى بين يديه وقال أهلا بمن قتلها الأسف على تقصيرها فى خدمتى ثم ولت وهى تقول :

جاد لى بالذى أؤمل منه   وحبانى بكل ما أرتجيه
فى نعيم ولذة وسرور   أبدا عنده أخلد فيه

رضى الله عنها.

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩١.

الحكاية الخامسة والأربعون بعد الثلثمائة

قال المؤلف كان الله تعالى له وغفر له أخبرنى الشيخ على التكرورى المدفون فى القرافة رضى الله عنه ونفعنا به وببركته ، أنه حضر فى وقت ميعاد السماع فورد عليه وارد ولبث مدة يرى أنهارا من خمر يسقاها ولا يروى ليست من خمر الدنيا أى ذلك فى اليقظة ثم صار بعد ذلك يرى نورا وكان حين يسقى يجد قوة وأحوالا ، لولا أنه كان يمسكه عند ذلك سبعة من الرجال الأقوياء لهام ورمى نفسه فى المهالك وحين رأى النور وجد ضعفا وسألنى أى الحالين أفضل فقلت هذا شىء لم يبلغه حالى فكيف أتكلم فى شىء لا أعرفه وأنشد بعضهم :

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقونى لغنت

(قلت) والظاهر والله أعلم أن رؤية النور المذكور من قبيل المعرفة وشرب الخمر المذكور من قبيل المحبة ، والمعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين من شيوخ الطرق أهل التحقيق.

وقال سمنون المحب المحبة أفضل ، وقال ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لقوله ﷺ المرء مع من أحب قال العارفون المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة.

(وقال) الشبلى رضى الله عنه المحب إن سكت هلك والعارف إن لم يسكت هلك.

وقال أبو يزيد رضى الله عنه العارف طيار والزاهد سيار.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء.

الحكاية السادسة والأربعون بعد الثلثمائة

قال الشيخ أبو الربيع المالقى رضى الله عنه كنت ليلة فى المسجد مع الشيخ أبى محمد سيد بن على الفخار رضى الله عنه وكان من أدبى معه ألا أقوم لوردى حتى يقوم فقام ليلة وتوضأ وأنا مستيقظ فى مضجعى ثم استقبل القبلة وقال : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم أخذ فى ورده يتلو القرآن فرأيت الحائط قد انشق وخرج منه شخص بيده زبدية بيضاء فيها شهد أبيض ، فكلما فتح فمه لقمه ذلك الشخص الشهد فتعجبت مما رأيت فاشتغلت به عن وردى فلما أصبحت قلت يا سيدى رأيت كذا وكذا فذرفت عيناه بالدموع وقال لى ذاك طيب القرآن يا أبا سليمان .

الحكاية السابعة والأربعون بعد الثلثمائة
عن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

قال أتيت بعض البلاد فنزلت فى مسجد فلما كان العشاء الأخير وصلينا أتى إمام المسجد بعد انصراف الناس فقال قم فاخرج حتى أغلق الباب فقلت أنا رجل غريب أبيت ههنا فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر فلا نترك أحدا يبيت فيه قلت له أنا إبراهيم بن أدهم وكانت ليلة شاتية فقال كفى ما أنت فيه حتى تكذب ثم قال أكثرت وعدا على رجلى فجرنى على وجهى حتى رمانى على باب أتون حام ومضى فقمت فرأيت الوقاد الذى يوقد فى المستوقد فقلت أبيت عنده فنزلت فوجدت رجلا عليه قطعتا خيش فسلمت عليه فلم يرد السلام بل أشار أن أجلس فجلست وهو خائف وجل ينظر تارة عن يمينه وتارة عن شماله فداخلني الخوف منه فلما فرغ من وقوده التفت إلى وقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقلت عجبا لاتسلم على حين سلمت عليك فقال يا هذا كنت أجير قوم فخفت أن أسلم فأشتغل بالسلام فآثم وأخون فقلت له فرأيتك تنظر عن يمينك وشمالك أتخاف قال نعم قلت مم قال من الموت لا أدرى من أين يأتى أمن يمينى أم من شمالى ، قلت فبكم تعمل كل يوم قال بدرهم ودانق قلت فما تصنع قال أتقوت بالدانق أنا وأهلى وأنفق الدرهم على أولاد أخ لى قلت أمن أمك وأبيك قال بل أحببته فى الله عز وجل ومات فأنا أقوم بأهله وأولاده ، فقلت له هل دعوت الله عز وجل فى حاجه فأجابك قال لى حاجة أنا منذ عشرين سنة أدعو الله عز وجل فيها وما قضاها قلت وما هى قال بلغنى أن فى العرب رجلا تميز عن الزاهدين وفاق العابدين يقال له إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه دعوت الله عز وجل فى رؤيته وأموت بين يديه فقلت أبشر يا أخى فقد قضى الله تعالى حاجتك وقبل دعوتك وما رضى لى أن آتيك إلا سحبا على وجهى قال فوثب من مكانه وعانقنى وسمعته يقول اللهم إنك قد قضيت حاجتى وأجبت دعوتى اللهم اقبضني إليك فأجاب الله تعالى دعوته الثانية فى الحال وسقط ميتا رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

الحكاية الثامنة والأربعون بعد الثلثمائة
عن الشيخ أبى يزيد القرطبى رضى الله عنه

قال سمعت فى بعض الآثار أن من قال (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك على رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسى وكان إذ ذاك فى بيت معنا شاب يقال إنه يكاشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه

شيء ، فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله فبينما نحن نتناول الطعام والشراب وهو معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول يا عم هذه أمى فى النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت فى نفسى اليوم أجرب صدقه فألهمنى الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى فقلت فى نفسى الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم إن السبعين الألف فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار فما استتممت الخاطر فى نفسى حتى قال لى يا عم ها هى خرجت الحمد لله رب العالمين فحصلت لى الفائدتان إيمانى بصدق الأثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه رضى الله عنهما ونفعنا بهما وأنشد الشيخ أبوالعباس بن العريف رضى الله عنه لنفسه :

سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم   أدنى إلى النفس من وهمى ومن نفسى
مازلت مذ سكنوا قلبى أصون لهم   لحظى وسمعى ونطقى إذ هم أنسى
فمن رسولى إلى قلبى ليسألهم   عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
لأنهضن إلى حشرى بحبهم   ولا أكون من قد خانهم ونسى

(قلت) قد غيرت بعد ألفاظ النصف الأخير من البيت الرابع فإنه قال فيه لا بارك الله فيمن خانهم ونسى فكرهت هذا الدعاء لأننى وعموم الخلق ما عدا الخواص لم نزل خائفين ناسين وإنما قوله يناسب حاله وحال غيره من الصديقين والصادقين وقد حذفت أيضا من أبياته بيتا قبل البيت الأخير لمصلحة رأيتها وهى خوف أن يتطرق إلى الإنكار من ليس له فهم معانى أهل الأسرار رضى الله تعالى عنهم وجعلنا منهم ونفعنا بهم.

الحكاية التاسعة والأربعون بعد الثلثمائة
عن أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه

قال أرقت ليلة فقمت إلى وردى فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة فأردت أن أنام فلم أرقد فقعدت فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت وإذا رجل ملتف بعباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بى رفع رأسه وقال يا أبا القاسم إلىّ الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد فقال بلى سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك قلت قد فعل فما حاجتك ،قال متى يصير داء الناس دواءها فقلت إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها ، فأقبل على نفسه فقال لها اسمعى فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد فقد سمعت فانصرف عنى ولم أعرفه ولم أقف عليه رضى الله عنهما.

(وقال) الشيخ خير النساج رضى الله عنه كنت جالسا فى بيتى فوقع لى أن الجنيد بالباب فنفيت ذلك عن قلبى فوقع ثانيا فخرجت ، فإذا بالجنيد فقال لم لم تخرج مع الخاطر الأول رضى الله عنهما.

الحكاية الخمسون بعد الثلثمائة

روى أنه كان كرز الجرجانى رضى الله عنه يجتهد فى العبادة فقيل له فى ذلك فقال كم بلغكم مقدار يوم القيامة قالوا مقدار خمسين ألف سنه قال فكم بلغكم عمر الدنيا قالوا سبعة آلاف سنة قال أفيعجز أحد أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم.

(قلت) هذا بالنسبة إلى عمر الدنيا المذكور وأما بالنسبة إلى عمر الواحد إذا عمَّر مائة سنة مثلا فإنه يكون جميع عمره بالنسبة إلى يوم القيامة خمس عشر العشر.

(وقال) أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه دخلت على أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه فوجدته يبكى فقلت له ما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكى وإذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وقطرت فى محاريبهم ، أشرف الجليل سبحانه فنادى جبريل عليه السلام بعينى من تلذذ بكلامى ثم يناديهم ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه أم كيف يحمل بى أن أعذب أقواما إذا جنهم الليل تملقوا إلىّ فوعزتى إذا وردوا علىّ يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهى حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

(وقيل) كان أحدهم يسأل ربه تبارك وتعالى أن يكرمه ويستره فقام ليلة إلى الصباح يصلى ويبتهل إلى الله تعالى فنظر إليه بعض أصحابه فرأى فوق رأسه قنديلا معلقا من النور يتشعشع لناظريه فقيل له فى ذلك فقال :

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا ... ولا أريد حياة بعد ما اشتهرا

ثم سجد فقبضه الله فى سجوده رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الحادية والخمسون بعد الثلثمائة
عن إبراهم بن شبيب رضي الله عنه

قال كنا نتجالس فى يوم الجمعة بعد صلاتها فإذا رجل عليه ثوب واحد متلحف به فجلس إلينا وألقى مسألة فما زلنا نتكلم فى الفقه حتى انصرفنا ثم جاءنا فى الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله فأخبرنا به وسألناه عن كنيته فقال أبو عبد الله فرغبنا فى مجلسه فمكثنا كذلك زمانا ثم انقطع عنا فاجتمعنا إليه وأتينا قريته وسألنا عنه

فقالوا ذاك أبو عبد الله الصياد ذهب يصطاد والآن يأتى فقعدنا ننتظره فإذا هو قد أقبل متزرا بخرقة وعلى كتفه خرقة ومعه أطيار مذبوحة وأطيار أحياء فلما رآنا تبسم إلينا فقلنا قد كنت عمرت مجلسنا فما غيبتك عنا قال إذا أصدقكم كان لى جار كنت أستعير منه ذلك الثوب الذى كنت آتيكم به وقد سافر ثم قال هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا من رزق الله قال فدخلنا وقعدنا فدخل إلى امرأته وسلم إليها الأطيار المذبوحة وأخذ الأطيار الأحياء فباعها فى السوق واشترى خبزا وجاء وقد صنعت امرأته ذلك وهيأته فقدم إلينا خبزا ولحما وملحا فأكلنا وخرجنا فقال الجماعة بعضهم لبعض ألا تنظرون إلى حال هذا الرجل وما هو فيه من الفقر مع فضله وصلاحه وأنتم قادرون على أن تجمعوا له ما يقوم بحاله قال فاتفقوا على أن يجمعوا له ما يقوم بحاله وما يستعين به وانصرفنا راجعين على عزم أن نأتيه بالذى وعدوا به وهو خمسة آلاف درهم فلما مررنا بالمريد إذا بأمير البصرة محمد بن سليمان قاعد فى منظرة له فقال يا غلام ائتنى بإبراهيم بن شبيب قال فأتيته فسألنى عن قصتنا ومن أين أقبلنا فصدقته الحديث فقال أنا أسبقكم إلى بره ثم استدعى بعشرة آلاف درهم ودفعها إلى غلام له فراش وأمره أن يمشى بها معى إليه ففرحت بذلك وقمت مسرعا فلما أتيت الباب سلمت فأجابنى أبو عبد الله ثم خرج إلى فلما رأى الفراش والبدرة على عنقه تغير وجهه وقال مالى ولك يا هذا أتريد أن تفتننى فقلت يا أبا عبد الله اقعد حتى أخبرك إن القصة كيت وكيت وإنه كما تعلم أحد الجبارين يعنى الأمير فالله الله فى نفسك قال فازداد على غيظا وقام ودخل وأغلق الباب فى وجهى ورجعت إلى الأمير ولم أجد بدا من الصدق فأخبرته فقال حرورى والله يا غلام على بالسيف ثم قال له اذهب مع هذا الغلام إلى هذاالرجل فاضرب عنقه وائتنى برأسه فقلت له أصلح الله الأمير الله الله فى هذا الرجل فو الله لقد رأينا رجلا ما هو من الخوارج ، ولكنى أذهب فآتيك به قال ومقصودى بذلك الاقتداء منه فاطمأن لذلك فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت فإذا المرأة تبكى فقالت ما شأنكم وشأن أبى عبد الله فقلت وما حاله قالت دخل فنزع ما عليه وتوضأ ثم صلى وسمعته يقول اللهم اقبضنى إليك ولا تفتنى ثم تمدد وهو يقول ذلك فلحقته وقد قضى نحبه وهاهو ميت فقلت لها يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تحدثوا فيه شيئا فجئت الأمير فأخبرته الخبر فقال أنا أركب فأصلى على هذا وشاع خبره بالبصرة فشهده الأمير وعامة أهل البصرة رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

الحكاية الثانية والخمسون بعد الثلثمائة
عن محمد بن السماك رضى الله عنه

قال كان لى جـار بالكوفة له ولد يصوم النهار ويقـوم الليل وكان إذا جنه الليل يبكى وينشد ويقول :

لما رأيت الليل أقبـــــــل خاشعا   بادرت نحو مؤانسى بنحـــــيبى
أبكى فتقلقنى إليه صـــــــبابتى   فأبيت مسرورا بقرب حبـــيبى

فإذا كان آخر الليل يبكى ويقول :

فدرت فى الليل إذ لاحت معــــالمه   ما كان أنســــــي به فيه لمولايا
ضمنت فى القلب حبا قد كلفت به   والله يعلم ما مكنـــــون أحشايا

وقال محمد بن السماك وكان أبوه شيـخا كبيرا فسألنى يوما أن أكلم ولده يرفق بنفســه فبينمــا أنا ذات يوم جالس على باب دارى ومعى جـماعة من أصحـابى إذ مر الغلام فناديته يا فتى أقـبل إلينا فأقبل فتأملته فإذا هو قـد صار كالشن البالى لو هبت الريح لرمت به من شدة الضعف فسلم وجلس فقلت حبيبى إن الله تعالى قد افترض عليك طاعة أبيك كمـا افترض عليك طاعته ونهـاك عن معصية أبيك كـما نهاك عن معصيته وإن أباك قد أمرنا بأمـر فتأذن لنا فى الكلام فقال يا عم لعلك تريد أن تأمرنى بتقصير فى العمل وبترك المبادرة إلى الله عز وجل فقلت له لا والله بدون هذا تدرك هذا الشأن الذى تطلـب إن شاء الله تعالى فـقال هيهـات يا عم إنى بايعت على هذا الشأن فتية من الحى على السباق إلى الله عز وجل ، جدوا واجتهدوا ودعوا فأجابوا ولم يبق غيرى وإنما عـملى يعرض عليهم فى كل يوم مرتين فما يـقولون إذا رأوا فيه خللا أو تقصيرا ثم قال يا عم إنى بايعت على هذا الشـأن فتية جعلوا الليل لهم مطية فقطعـوا بها عرض المفـاوز وسموا بهـا ذرى الشواهق فإذا أصـبحوا نظرت إليـهم قد ذبحهم الليل بسكاكين السـهر وفصلت أعضاؤهم بخناجـر التعب خمص البطون من السرى لا يقـربهم القرار ولا يجـاورون الأشرار دعـوا فأجـابوا الملك الجبـار قال ابن السماك فتركـنا والله فى حيرة ومضى فما كان إلا ثلاثة أيام حتى قـيل قد مات الفتى رضى الله عنه ونفعنا به وفى أمثاله قال القائل :

نجــــــــوع للإله لـــكى يراه   نحيل الجسم من طـول الصـيام
وقام لربه فى اللــــــيل حتى   أضر بجسمـــــه طــــول القيام
سيجزى فى جنان الخلد حــــورا   نواعــــم قاصرات في الخــيــام
ويلهو مع حسان ناعمـــــــات   جوار الله فى دار الســـــــلام

الحكاية الثالثة والخمسون بعد الثلثمائة

عن أحد السلف أن قوما أمروا امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم رضى الله عنه لعلها تفتنه وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب والحلى وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه من الطيب ، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده فنظر إليها فراعه أمرها فأقبلت عليه وهى سافرة ، فقال لها الربيع كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ، أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين ، أم كيف بك لو قد سألك منكر ونكير فصرخت صرخة ووقعت مغشيا عليها قال فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها ما إنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق.

الحكاية الرابعة والخمسون بعد الثلثمائة

عن الحسن رضى الله عنه قال كانت امرأة بغى فى زمن بنى إسرائيل لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار وأنه أبصرها عابد فأعجبته فذهب يعمل بيده ويعالج فجمع مائة دينار ثم جاءإليها وقال إنك أعجبتنى فانطلقت فعملت بيدى وعالجت حتى جمعت لك مائة دينار فقالت له ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له هلم فلماجلس منها مجلس الرجل من المرأة ذكر مقامه بين يدى الله تعالى فأخذته رعدة فقال لها اتركينى أخرج ولك مائة دينار قالت ما بدا لك ، وقد زعمت أنى أعجبتك فلما قدرت على فعلت الذى فعلت قال خوفا من الله ومن مقامى بين يديه وقد بغضك إلى فأنت أبغض الناس إلى، فقالت إن كنت صادقا فمالى زوج غيرك فقال دعينى أخرج فقلت لا إلا أن تجعل لى أنك تتزوج بى ، قال عسى أن يكون ذلك فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده ، فارتحلت بعده نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه وكانت تعرف بالملكة فقيل له إن الملكة قد جاءتك فلما رآها شهق شهقة فمات رحمه الله ، قال فسقط فى يدها فقالت أما هذا فقد فاتنى فهل له من قريب قالوا أخوه رجل فقير فقالت أنا أتزوج به حبا لأخيه فتزوجته فيسر الله منها سبعة أبناء كلهم صالحون.

الحكاية الخامسة والخمسون بعد الثلثمائة

عن رجاء بن عمرو النخعى

قال كان فى الكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد وكان أحد الزهاد فنزل فى جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام

بها عقله ونزل بها مثل الذى به فأرسل يخطبها من أبيها فأخبر أبوها أنها مسماة لابن عم لها فاشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى فأرسلت إليه أنه قد بلغنى شدة محبتك لى وقد اشتد بلائى بك فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتينى إلى منزلى فقال للرسول لا واحدة من هاتين الخصلتين إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، أخاف نارا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهيبها فلما انصرف الرسول إليها وأبلغها ما قال قالت وأراه مع ذلك زاهدا يخاف الله والله ما أجد أحق بهذا الأمر من أحد وإن العباد فيه لمشتركون ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح وجعلت تتعبد وهى مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وأسفا عليه حتى ماتت فكان الفتى يأتى إلى قبرها فرآها فى منامه وكأنها فى أحسن منظر فقال لها كيف أنت وما لقيت فقالت :

نعم المحبة يا حبى محبتكا   حبا يقود إلى خير وإحسان

فقال على أثر ذلك إلام صرت فقالت :

إلى نعيم وعيش لا زوال له   فى جنة الخلد ملك ليس بالفانى

فقال لها اذكرينى هناك فإنى لست أنساك فقالت ولا أنا والله ولقد سألت ربى مولاى ومولاك فأعنى على ذلك بالاجتهاد ثم ولت مدبرة فقال لها متى أراك قالت ستأتينا عن قريب فلم يعش الفتى بعد تلك الرؤيا إلا سبع ليال رحمة الله عليهما.

الحكاية السادسة والخمسون بعد الثلثمائة

عن كعب الأحبار رحمه الله أن رجلا من بنى إسرائيل أتى فاحشة فدخل نهرا يغتسل فيه فناداه الماء يا فلان أما تستحيى ألم تتب من هذا الذنب وقلت إنك لا تعود إليه فخرج من الماء فزعا وهو يقول ما بقيت أعصى الله أبدا فأتى جبلا فيه اثنا عشر رجلا يعبدون الله عز وجل فلم يزل معهم حتى قحط موضعهم فنزلوا يطلبون الكلأ فمروا على ذلك النهر فقال لهم ذلك الرجل أما أنا فلست بذاهب معكم قالوا ولم قال لأن من اطلع منى على خطيئة فأنا أستحيى منه أن يرانى فتركوه ومضوا فناداهم النهر ألا أيها العباد ما فعل صاحبكم قالوا زعم أن ههنا من قد اطلع منه على خطيئته فهو يستحيى منه أن يراه قال سبحان الله العظيم إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض أقربائه فإذا تاب ورجع إلى ما يحب أحبه وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحب فأنا أحبه فأتوه وأخبروه ، واعبدوا الله على شاطئ فأخبروه فجاء معهم فأقاموا يعبدون الله زمانا ثم إن صاحب الفاحشة توفى فناداهم النهر ، يا أيها العباد والعبيد

الزهاد غسلوه من مائى وادفنوه على شاطئى حتى يبعث يوم القيامة من قربى ففعلوا ذلك به وقالوا نبيت ليلتنا هذه على قبره ، فإذا أصبحنا سرنا فباتوا على قبره فلما جاء وقت السحر غشيهم النعاس فأصبحوا وقد أنبت الله عز وجل على قبره عشرة من نبات السرو وكان أول سرو أنبته الله علي وجه الأرض قالوا ما أنبت الله عز وجل هذا السرو فى هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه فأقاموا يعبدون الله عز وجل عند قبره كلما مات واحد منهم دفنوه إلى جانبه إلى أن ماتوا كلهم.

قال كعب الأحبار فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم رضى الله عنهم.

الحكاية السابعة والخمسون بعد الثلثمائة
عن كعب الأحبار أيضا رضى الله عنه

قال انطلق رجلان من بنى إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم فدخل أحدهما وجلس الآخر خارجا فجعل يقول ليس مثلى يدخل بيت الله وقد عصيت الله فكتب صديقا.

(قال) وأصاب رجل من بنى إسرائيل ذنبا فحزن عليه وجعل يجيء ويذهب ويقول بم أرضى ربى بم أرضى ربى فكتب صديقا.

(وحكى) عن الشبلى رضى الله عنه أنه قال كنت فى قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم فخرج جراب فيه سكر ولوز فأكلوا منه ولم يأكل الأمير فقلت له لم لا تأكل فقال أنا صائم فقلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم فقال يا شيخ اترك للصلح موضعا فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم وقد أنحلته العبادة حتى صار كالشن البالى فقلت له أنت ذا الرجل فقال نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بينى وبينه رحمة الله عليه.

الحكاية الثامنة والخمسون بعد الثلثمائة
عن الأصمعى رحمه الله

قال أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة فبينما أنا فى بعض سككها إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له متقلدا بسيفه وبيده قوس ، فدنا وسلم على وقال لى ممن الرجل قلت من بنى الأصمع قال أنت الأصمعى قلت نعم قال ومن أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال وللرحمن كلام يقوله الآدميون قلت نعم قال اتل على شيئا منه فقلت له انزل عن قعودك فنزل فابتدأت بسورة

الذاريات حتى انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾[١] قال يا أصمعى هذا كلام الرحمن عز وجل قلت إى والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق إنه لكلامه الذى أنزله على نبيه محمد ﷺ فقال لى حسبك ثم قام إلى راحلته فنحرها وقطعها بجلدها وقال أعنى على تفريقها ففرقناها على من أقبل وأدبر ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرمل وولى مدبرا نحو البادية وهو يقول : ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾.

فأقبلت على نفسى باللوم وقلت لم لم تتنبهى لما انتبه له هذا الأعرابى فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة المشرفة فبينما أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بى هاتف بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابى نحيلا مصفراً فسلم على وأخذ بيدى فأجلسنى من وراء المقام وقال لى اتل على كلام الرحمن فأخذت فى سورة الذاريات فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ صاح الأعرابى إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، ثم قال وهل غير هذا قلت نعم يقول الله عز وجل : ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾[٢] فصاح الأعرابى صيحة وقال سبحان الله من أغضب الجليل حتى حلف ألم يصدقوه حتى ألجئوه إلى اليمين قالها ثلاثا فخرجت فيها نفسه رحمة الله عليه.

الحكاية التاسعة والخمسون بعد الثلثمائة

حكى أنه خرج عطاء الأزرق إلى الجبانة يصلى بالليل فعرض له لص فقال اللهم اكفنيه كيف شئت فيبست يداه ورجلاه فجعل يبكى ويصيح والله لا أعود أبدا ، فانطلق فاتبعه وقال أسألك بالله من أنت قال أنا عطاء فلما أصبح جعل يسأل أتعرفون رجلا صالحا يخرج بالليل إلى الجبانة يصلى قالوا نعم عطاء السلمى فذهب إلى عطاء السلمى فدخل عليه ، وقال إنى جئتك تائبا من قضية كذا وكذا فادع الله لى فرفع عطاء يديه إلى السماء وجعل يبكى ويقول ويحك ليس أنا إنما ذلك عطاء الأزرق رضى الله عنهما وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم أجمعين آمين.

(وروى) أنه دخل الشيخ أبو الحسن النورى رضى الله عنه فى الماء ليغتسل فجاء اللص وأخذ ثيابه ومشى ثم بعد ساعة رجع اللص بالثياب وقد يبست يده فلبس النورى ثيابه وقال إلهى رددت على ثيابى فاردد عليه يده فعوفى ومشى من ساعته رضى الله عنه.

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٢٢.

(٢) سورة الذاريات : الآية ٢٣.

الحكاية الستون بعد الثلثمائة
عن كعب الأحبار رحمة الله عليه

قال قحط بنو إسرائيل على عهد موسى ﷺ فسألوه أن يستقى لهم، فقال اخرجوا معى إلى الجبل فخرجوا فلما صعدوا الجبل، قال موسى لا يتبعني رجل أصاب ذنبا فانصرفوا جمعيا إلا رجلا أعور يقال له برخ العابد فقال له موسى ألم تسمع ما قلت قال بلى قال فلم تصب ذنبا قال ما أعلمه إلا شيئا أذكره لك فإن كان ذنبا رجعت قال ما هو ، قال مررت فى طريق فإذا باب حجرة مفتوح فلمحت بعينى هذه الذاهبة شخصا لا أعلم ما هو رجل أم امرأة فقلت لعينى أنت من بين بدنى سارعت إلى الخطيئة لا تصحبينى بعدها أبدا فأدخلت أصبعى فقلعتها فإن كان هذا ذنبا رجعت قال موسى ليس هذا ذنبا ثم قال له استسق يا برخ فقال قدوس قدوس ما عندك لا ينفد وخزائنك لا تفنى وأنت بالبخل لا ترمى فما هذا الذي لا تعرف به اسقنا الغيث الساعة الساعة قال ، فانصرفا يخوضان فى الوحل برحمة الله عز وجل.

الحكاية الحادية والستون بعد الثلثمائة

حكى أنه لحق بنى إسرائيل قحط أيضا على عهد موسى ﷺ فاجتمع الناس إليه فقالوا يا نبى الله ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث فقام معهم فخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفا أو يزيدون فقال موسى عليه السلام إلهى اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرضع والبهائم الرتع والشيوخ الركع فما زادت السماء إلا صحوا ولا الشمس إلا حرا فقال موسى إلهى إن كان قد خَلُق جاهى عندك فأنا أسألك بجاه النبى الأمى محمد ﷺ الذى تبعثه آخر الزمان اسقنا فأوحى الله عز وجل إليه ما خلق جاهك عندى وإنك عندى وجيه ، ولكن فيكم عبد يبارزنى بالمعاصى منذ أربعين سنة فناد بالناس حتى يخرج من بين أظهركم فبه منعتكم الغيث ، فقال موسى إلهى وسيدى أنا عبد ضعيف وصوتى ضعيف فأين يبلغ إليهم وهم سبعون ألفا أو يزيدون أو ينقصون فأوحى الله عز وجل إليه منك النداء وعلى البلاغ فقام مناديا وقال يا أيها العبد العاصى الذى يبارز الله عز وجل منذ أربعين سنة بالمعاصى اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر فقام العبد العاصى فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحدا يخرج فعلم أنه المطلوب فقال فى نفسه ، إن أنا خرجت من بين هؤلاء الخلق افتضحت على رءوس بنى إسرائيل وإن قعدت معهم منع الماء لأجلى ، فأدخل رأسه فى ثيابه نادما على فعاله وقال إلهي وسيدى عصيتك أربعين سنة وأمهلتنى وقد أتيتك

طائعا فاقبلنى فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القرب فقال موسى إلهى وسيدى بماذا سقيتنا ولم يخرج من بين أظهرنا أحد فقال يا موسى سقيتكم بالذى به منعتكم فقال موسى إلهى أرنى هذا العبد الطائع فقال يا موسى إنى لم أفضحه وهو يعصينى أفأفضحه وهو يطيعنى يا موسى إنى أبغض النمامين أفأكون نماما .

الحكاية الثانية والستون بعد الثلثمائة

حكى أن ثلاثة نفر خرجوا يستسقون فى زمن داود عليه السلام فقال أحدهم اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وفى هذا المعنى قلت :

تعاليت ربى أنت ذا قد أمرتنا ... بعفو وصفح عن مسىء لنا ظلم
وها نحن ربى قد ظلمنا نفوسنا ... وأنت الذى بالعفو أولى وبالكرم

وقال الثانى اللهم إنك أمرتنا ان نعتق عبيدنا إذا شابوا فى خدمتنا وقد شبنا فى خدمتك فتفضل علينا بعتقنا وأنشدوا فى هذا المعنى :

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... فى رقهم عتقوهم عتق أبرار
فأنت أولى بذا يا سيدى كرما ... قد شبت فى الرق أعتقنى من النار

وقال الثالث اللهم إنك أمرتنا ألا نرد المساكين إذا وقفوا ببابنا وها نحن مساكين قد وقفنا ببابك فجد علينا بفضلك وإحسانك وعظيم امتنانك وأنشدوا:

أتيناك فى ركب المطامع والرجا ... وقد كاد جيش اليأس يذهب بالأمل
فإن جدت بالعفو الذى أنت أهله ... هزمنا سرايا عسكر الخوف والوجل

(وأنشدوا أيضا)

أتيناك نرجو الفضل فامنن تفضلا ... علينا وجد يا ذا المكارم والعلا
فأنت الذي يرجى ويكثر فضله ... إذا انسدت الأبواب وانقطع الرجا

(وأنشد بعضهم)

قدمت عليك يا رب البرايا ... فآمن روعتى يوم القدوم
فكيف لا أخاف ولي ذنوب ... قدمت بها على الملك العظيم
وما قدمت بين يدى زادا ... ولكنى قدمت على كريم

الحكاية الثالثة والستون بعد الثلثمائة

حكى أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة قال رعاء الشاء فى رأس الجبال من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس ، فقيل لهم ما أعلمكم بذلك قالوا إنه إذا قام خليفة صالح كف الذئاب والأسد عن شياهنا.

وقال العمرى رضي الله عنه لهارون الرشيد رحمه الله وهو يسعى وقد صعد الصفا يا هارون قال له لبيك يا عم قال ارم بطرفك إلى التراب قال قد فعلت قال انظر إليهم كم هم قال ومن يحصيهم قال فكم فى الناس مثلهم قال خلق لا يحصيهم إلا الله ، قال اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هارون.

ثم قال العمرى وأخرى أقولها قال قل ياعم قال والله إن الرجل ليسرف فى ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرف في مال المسلمين ثم مضى وهارون يبكى.

وقال أيضا رضى الله عنه من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مخالفة المخلوقين نزعت منه هيبة الله فلو أمر ولده أو بعض مواليه لم يطعه.

وقال أيضا رضى الله عنه من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يسخطه فتتجاوزه ولا تأمر ولا تنهى خوفا ممن لا يملك لك ضرا ولا نفعا.

الحكاية الرابعة والستون بعد الثلثمائة

حكى عن أحد المشايخ أنه كانت عنده دنيا واسعة ينفقها فى وجوه الخير فقال له بعض أصحابه يوما يا سيدى أخرج هذه الدنيا كلها عنك وتجرد عنها فذلك أليق بك كما هو عادة المشتغلين بالله المعرضين عما سواه فقال له الشيخ دونك أنفق جميع ما ترى عندى ولا تدع شيئا فأخرج الفقير جميع ذلك وأنفقه كله فى يومه فلما كان اليوم الثانى أقبلت الدنيا من كل مكان إلى الشيخ واجتمع عنده أكثر مما كان فقال الشيخ للفقير: إذا كان الله تعالى: يريد شيئا فلا نقدر أن نخرج عن إرادته.

وقال بعضهم إذا كان حب الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها وإذا سكن حب الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة.

وقال السيد الجليل الإمام النبيل الولى المقرب سعيد بن المسيب رضى الله عنه إن الدنيا نذلة وهى إلى كل نذل أميل وأنذل منها من أخذها بغير حقها وطلبها بغير وجهها ، ووضعها فى غير سبيلها وقال إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل

إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغى أن تذكر عيوبه فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

الحكاية الخامسة والستون بعد الثلثمائة
عن أحد السلف

قال كان لقمان عبدا حبشيا لرجل جاء به إلى السوق ليبيعه فكان لقمان كلما جاء إنسان يشتريه قال له ما تصنع بى فإذا قال له أصنع بك كذا وكذا قال حاجتى إليك ألا تشترينى حتى جاء رجل فقال له لقمان ما تصنع بى قال أصيرك بوابا على بابى، قال اشترنى فاشتراه وجاء به إلى داره وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين فى القرية وأراد أن يخرج إلى ضيعة له فقال له إنى قد أدخلت إليهن طعامهن وشرابهن وما يحتجن إليه فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجىء فلما خرج فعل ما أمره به مولاه فقال له البنات افتح الباب فأبى عليهن فشججنه ورجعن فغسل الدم وجلس فلما قدم سيده لم يخبره ثم أراد سيده الخروج أيضا وقلن له افتح الباب فأبى فشججنه ثانية ورجعن فجلس فلما أتى مولاه لم يخبره بشىء فقالت الكبيرة منهن ما بال هذا العبد الحبشى أولى بطاعة الله عز وجل منى والله لأتوبن فتابت ، فقالت الصغرى ما بال هذا العبد الحبشى وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل منى والله لأتوين فتابت ، فقالت الوسطى ما بال هذا العبد الحبشى وهاتين الأختين أولى بطاعة الله عز وجل منى والله لأتوبن ، فتابت فقال غواة القرية ما بال هذا العبد الحبشى وبنات فلان أولى بطاعة الله تعالى منا والله لنتوبن فتاب الجميع إلى الله سبحانه وتعالى ، وصاروا عباد القرية رحمهم الله.

الحكاية السادسة والستون بعد الثلثمائة
عن الشبلى رضى الله عنه

أنه كان يقول ليت شعرى ما اسمى عندك يا علام الغيوب وما أنت صانع بى يا غفار الذنوب وبم تختم عملى يا مقلب القلوب ثم أنشد :

ليت شـــعرى كيف ذكرى　　عند من يعـــلم سرى
أجميـــل أم قبيـــح　　أم بخـــير أم بشـــر
ليت شعرى كيف حـــالى　　يوم إحضـــارى وحشرى

ليت شعري كيف موتى   بيقين أم بكفر
أترى يقبل قولى   أم ترى يشرح صدرى
ليت شعرى أين أمضى   لنعيم أم لجمر
فدعوا مدحى ووصفى   فأنا أعرف قدرى

وقال بعضهم رأيت الشبلى قائما يتواجد وقد خرق ثوبه وهو يقول :

شققت جيبى عليك شقا   وما لجيبى عليك حقا
أردت قلبى فصادفته   يداى بالجيب إذا توقى
لو كان قلب مكان جيبى   لكان للشق مستحقا

الحكاية السابعة والستون بعد الثلثمائة
عن حاتم الأصم رضى الله عنه

قال من دخل فى مذهبنا فليجعل على نفسه أربع خصال من الموت ، موتا أبيض وهو الجوع ، وموتا أسود وهو احتمال الأذى من الخلق ، وموتا أحمر وهو العمل ومخالفة الهوى ، وموتا أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض.

وحكي عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه قال رأيت راهبا وعليه مدرعة شعر سوداء فقلت له ما الذى حملك على لبس السواد قال هو لباس المحزونين وأنا من أكبرهم فقلت له ومن أى شىء أنت محزون قال لأنى أصبت فى نفسى وذلك أنى قتلتها فى معركة الذنوب فأنا حزين عليها ثم سال دمعه فقلت له ما الذى أبكاك الآن قال ذكرت يوما مضى من أجلي لم يحسن فيه عملي فبكائى لقلة الزاد وبعد المفازة وعقبة لابد لى من صعودها ثم لا أدرى أين يهبط بى إلى الجنة أم إلى النار ثم أنشد:

يا راكبا يطوى مسافة عمره   بالله هل تدرى مكان نزولكا
شمر وقم من قبل حطك الثرى   فى حفرة تبلى بطول حلولكا

الحكاية الثامنة والستون بعد الثلثمائة
عن سفيان الثورى رضى الله عنه

قال قال لي محمد بن واسع رضى الله عنه يوما هل توافقنى فى زيارة رجل من أولياء الله عز وجل قلت له نعم فدخل الدار وخرج ومعه كسرة خبز وخرجنا من البصرة ثم انتهينا إلى منزله وهو بعيد عن العمران ووقفنا ببابه فسمعنا بنيات له يخاصمنه فى شأنهن وما هن فيه من رثاثة الحال.

فقـال لهن إن الذى خلقكن وشق أفواهكن وخلق لكن أضـراسا وبطونا أرحم بكن منكن لأنفسكن ، قال فـاستأذنا عليه فقال من هنـا فقلنا محمد وسفـيان فخرج إلينا وقال ما الذى جاء بكما فقال محـمد بن واسع كسرة أتيت بها لتلك البنات فقال له هاتها جئت بها فى وقتها فدخلنا وجلسنا معـه حتى سمعنا استئذان رجل فقال من هذا قال مـالك بن دينار فخـرج إليه وقال مـا الذي جاء بك ، فقـال أتيت بدرهمين لتلك البنات فقال سبـقك بها محمد بن واسع جاءهن بما يكفيهن اليـوم قال فخذهما واخبأهما لهن إلى غد فقال أتخوفنى يـا مالك والله لا تدخل إلى ، قال سفيان فقال لى محمد ترى مقام هذاالرجل وما هو فيه من رثاثة الحال فقلت هذا من الفضلاء قال أجل قلت من الزهاد قال أجل قلت من العباد قال أجل فلم أزل أذكر له المقامات وهو يقول أجل أجل حتى قال هذا من الفقراء الصابرين رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية التاسعة والستون بعد الثلثمائة عن أحد الصالحين

قال رأيت شابا عليه عـباءة وبيده ركوة ، فقال لى إنى إنسـان أقصد الورع فلا آكل إلا ما ألقاه الناس فربما أجد قشرة شىء قد سبقنى إليها النمل فألقيه وأتناول تلك القشرة فهل علي فى ذلك شىء ، قال فقلت فى نفسى ما بقى على وجه الأرض من يتورع بمثل هذا الورع فنظرت فـإذا الرجل واقف على أرض من فضة بيـضاء وقال لى الغيبة حرام وغاب عن بصـرى قيل معنى الحكاية أنه لما ترك ما حجب الخلق عن الله أكرمه الله بنور الإشراق أو قال بنور الإشراف حتى نطق عماخطر بقلبه من الإنكار ثم أخفاه الله تعالى عنه بشؤم الاعتـراض وهكذا سنة الله فى أوليائه أن يسترهم عمن لا يبلغ رتبتـهم ، ولا يصل إلى منزلتهم ، وقال الشيخ أبو الخـير الأقطع رضى الله عنه ما بلغ أحـد إلى حالة شريفة ومـرتبة عاليـة إلا بملازمة الموافقة ومـعاناة الأدب وأداء الفرائـض وصحبـة الصالحين وخـدمة الفـقراء الصـادقين رضى الله عنهم ونفع بهم أجمعين.

الحكاية السبعون بعد الثلثمائة عن أحدهم

قال اجتمع جـماعة من الفقراء فذهبوا يزورون رجـلا أسود كان ناطورا يقال له مقبل فمضيت معهم فدخلنا إلى مكان فيـه باذنجان كثير وفيه أسود قائم يصلى فسلمنا عليه وجلسنا إلى أن سلم فأخرج كـيسا فيه كسر خبـز يابسة وملح جريش وقال كلوا فأكلنا وأخذ الجماعة يذكرون كرامات الأولياء ، وهو ساكت فقال له بعض الجماعة يا مقبل قد زرناك فما تحـدثنا بشىء فقال أى شىء أنا وأى شىء عندى أخبركم به ، أنا

أعرف رجلا لو سأل الله أن يجعل هذا الباذنجان ذهبا لفعل قال فو الله ما استتم كلامه حتى رأينا الباذنجان يتقد ذهبا فقال له بعضهم يا مقبل لا سبيل لأحد أن يأخذ من هذا الباذنجان أصلا واحدا فقال له خذ فأخذ أصلا فقلعه بعروقه وجميع ما فيه من ذهب فوقعت من الأصل باذنجانة صغيرة وشيء من الورق فأخذته وبقاياه معي إلى يومى هذا ، ثم صلى مقبل ركعتين وسأل الله تعالى أن يعيده كما كان ففعل وعاد مكان ذلك الأصل المقطوع أصل آخر باذنجان رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية الحادية والسبعون بعد الثلثمائة

روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قيل لما حضرته الوفاة تركت أولادك فقراء لا شيء لهم فقال أولادى أحد رجلين إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا وهو يتولى الصالحين.

وإما رجل مكب على المعاصى فلا أقويه على معاصى الله عز وجل.

وكان رضى الله عنه يؤتى بالحلة وهو فى الخلافة بألف درهم فيقول ماأحسنها لولا خشونة فيها ويؤتى بالحلة وهو فى الخلافة بأربعة دراهم أو بستة فيقول ما أحسنها لولا نعومة فيها فقيل له فى ذلك فقال إن لى نفسا تواقة ذواقة إذا تاقت إلى شيء وذاقته تاقت إلى ما فوقه فلم تزل تتوق وتذوق إلى أن ذاقت الخلافة فتاقت إلى ما فوقها فلم تجد شيئا فوقها إلا ما عند الله في الدار الآخرة ، فتاقت إليه ولا يمكن الوصول إليه إلا بترك الدنيا رضى الله عنه ونفعنا به.

وسئل حاتم الأصم رضى الله عنه ونفعنا به فيم أفنيت عمرك فقال فى أربعة أشياء علمت أنى لا أخلو من نظر الله تعالى طرفة عين فاستحييت أن أعصيه ، وعلمت أن لى رزقا لا يجاوزنى وقد ضمنه لى فوثقت به وقعدت عن طلبه وعلمت أن على فرضا لا يؤديه غيرى فاشتغلت به ، وعلمت أن لى أجلا يبادرنى فبادرته واستعددت للدار الآخرة فأنا مشغول بماألقاه من كرم الله وثوابه وعقابه.

الحكاية الثانية والسبعون بعد الثلثمائة
عن إبراهيم بن الأشعث رحمه الله

قال سمعت الفضيل بن عياض رضى الله عنه ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكى ويردد هذه الآية الكريمة ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**﴾[1] وجعل يقول وتبلو أخبارنا ويردد وتبلو أخبارنا ويقول إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا أن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا ، إن بلوت

(١) سورة محمد :الآية ٣١.

أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ، وسمعته يقول تزينت للناس يا فضيل وتصنعت للناس وتهيأت لهم ولم تزل ترائى حتى عرفوك فقالوا رجل صالح فقضوا لك الحوائج ووسعوا لك فى المجالس وعظموك وبجلوك بخلاف غيرك خيبة لك ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك وفعالك ، وسمعته يقول إن قدرت ألا تعرف فافعل وماعليك ألا تعرف وما عليك إن لم يثن عليك عند الناس وماعليك أن تكون مذموما عندهم إذا كنت عند الله محمودا وما تدرى ما أنت غدا ملاق خيبة أو سرورا أما تذكر فعالك أما تقصر آمالك أما تترك أشغالك وأثقالك فلست تدرى ما يكون حالك بخ بخ لك إن قيل نجوت وآه آه إن قيل شقوت اللهم تب علينا وسامحنا بلطفك يا عظيم أدخل عظيم جرمنا فى عظيم عفوك وكرمك يا أرحم الراحمين.

الحكاية الثالثة والسبعون بعد الثلثمائة
عن محمد بن واسع رضي الله عنه

قال أقمت أشتهى كبدا مشويا أربعين سنة فقلت يوما أخرج إلى الجهاد فلعل أن يقع فى سهمى شاة فآكل منها شهوتى فخرجت مع الناس إلى الجهاد فقاتلنا فى المشركين وغنمنا وأخذت فى سهمى شاة فسألت بعض أصحابى أن يشوى لى كبدها فأخذتنى هجعة فنمت فرأيت ملائكة نزلوا من السماء فكتبوا فلان خرج مجاهدا ليقال شجاع ، وهذا خرج لغنيمة وهذا خرج للمفاخرة قال ثم وقفوا علي وقالوا شهوانى مسكين اشتهى كبدا مشويا فقلت بالله لا تفعلوا فأنا تائب إلى الله عز وجل ثم قلت يا رب لا أعود يا رب لا أعود ثلاثة أنا تائب إليك من سائر الشهوات رضى الله عنه.

الحكاية الرابعة والسبعون بعد الثلثمائة

قال أبو تراب النخشبى رضى الله عنه ما تمنت نفسى شيئا من الشهوات إلا مرة واحدة تمنت نفسى خبزا وبيضا وأنا فى سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق بى وقال هذا كان مع اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبى فاعتذروا إلي وحملنى رجل إلى منزله وقدم لى خبزا وبيضا فقلت لنفسى كلى بعد سبعين درة وأنشدوا :

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة كان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها مااستطعت فإنما هواها عدو والخلاف صديق

(وقال بعض الصالحين) عرضت على الدنيا بزينتها وزخارفها وشهواتها فأعرضت عنها ، ثم عرضت على الآخرة بحورها وقصورها وزينتها فأعرضت عنها

فقيل لى لو أقبلت على الدنيا حجبناك عن الآخرة ولو أقبلت على الآخرة حجبناك عنا فها نحن لك وقسمتك من الدارين تأتيك.

وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه رأيت ربى فى المنام فقلت كيف أجدك فقال فارق نفسك وتعال .

وقال أحمد بن خضرويه رأيت رب العزة فى المنام فقال لي يا أحمد كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى.

قال إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه رأيت جبريل عليه السلام فى المنام وبيده قرطاس فقلت ما تصنع به قال أكتب أسماء المحبين فقلت اكتب تحتهم محب المحبين إبراهيم بن أدهم فنودى يا جبريل اكتبه أولهم رضي الله عنه.

الحكاية الخامسة والسبعون بعد الثلثمائة

قال المؤلف كان الله له رأيت قبرا فى بعض البلاد يزار فزرته وسألت عنه أهل البلد فقالوا كان فى هذا البلد رجل غريب فقير فمرض ثم مات فكفنه إنسان من أهل البلد يعرفه فلما كان الليل رآه ذلك الإنسان الذى كفنه فى المنام وقد خرج من قبره وجاءه بحلة من حرير ، وقال خذ هذه الحلة عوض الثوب الذى كفنتنى فيه ثم استيقظ من منامه والحلة عنده وهذه الحكاية مشهورة فى ذلك البلد مستفيضة عندهم.

قال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه الناس فى محبة الله عز وجل عام وخاص فالعوام أحبوه لكثرة نعمه ودوام إحسانه إلا أن محبتهم تقل وتكثر وأماالخواص فأحبوه لما عرفوا من صفاته وأسمائه الحسنى واستحق المحبة عندهم لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم.

وقال أبو تراب النخشبى رضى الله عنه في علامات المحبة هذه الأبيات :

لا تخدعن فللمحب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه وسروره حقا بما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يُرى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى مبتسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل

الحكاية السادسة والسبعون بعد الثلثمائة
عن أحد الصالحين

قال كان لى صديق ابتلاه الله بالجذام حتى ذهبت يداه ورجلاه وعيناه فأتيت به المجذومين وجعلته معهم وكنت أتعهده فغفلت عنه أياما ثم ذكرته فأتيته وقلت إنى غفلت عنك فقال إن لى من لا يغفل عنى فقلت والله ما ذكرتك فقال إن لى من يذكرنى ثم قال إليك عنى فقد شغلتنى عن ذكر الله فما لبث غير أيام يسيرة وتوفى فأخرجت كفنا فيه طول فقطعت ما فضل عنه وكفنته ودفنته ، فبينما أنا فى منامى إذا برجل قد وقف على لم أر أحسن منه وجها ولا صورة وقال بخلت علينا بكفن طويل دونك كفنك فقد رددناه عليك وقد كفناه فى السندس والإستبرق قال فاستيقظت من منامى وإذا أنا بالكفن عند رأسى رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين آمين.

الحكاية السابعة والسبعون بعد الثلثمائة

حكي أن شابا كان يحضر مجلس بعض علماء السلف الوعاظ وكان الشاب إذا سمع الواعظ يقول يا ستار يهتز كما تهتز السعفة فقيل له فى ذلك فقال الشاب اعلموا أنى كنت أخرج فى زى النساء وأحضر كل موضع فيه وليمة أو عرس تجتمع فيه النساء فحضرت يوما عرسا لبنت بعض الملوك فسرق عقد لبنت الملك فصاحوا أن أغلقوا الباب وفتشوا النساء ففتشوهن واحدة واحدة حتى لم يبق إلا امرأة واحدة وأنا فدعوت الله عز وجل وأخلصت النية والتوبة، وقلت إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا أبدا فوجدوا العقد مع المرأة التى بقيت فقالوا أطلقوا المرأة الأخرى يعنونى فأطلقونى وحالى مستور ، فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستار أذكر ستره على ويأخذنى ما رأيتم من الاهتزاز ، اللهم يا ستار العيوب ويا غفار الذنوب ويا مقلب القلوب ويا كاشف الكروب استر عيوبنا واغفر ذنوبنا وأصلح قلوبنا واكشف كروبنا وهمومنا وغمومنا وارزقنا حسن الخاتمة ياكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

الحكاية الثامنة والسبعون بعد الثلثمائة
عن ذي النون المصرى رضى الله عنه

قال رأيت امرأة تسيح على طريق التوكل وعليها مدرعة من شعر ومقنعة من صوف فقلت لها يرحمك الله ليس السياحة للنساء فقالت إليك عنى يا مغرور ألست تقرأ كتاب الله تعالى قلت بلى قالت اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألم تكن أرض

الله واسعه فتهاجروا فيها﴾[١] فعلمت أنها مليئة بالعلم فقلت لها بأى شىء عرفت الله قالت عرفت الله بالله ، وعرفت مادون الله بنور الله ، فقلت لها ما هو اسم الله الأعظم قالت : هو اسم الله الأعظم رضى الله عنها ونفعنا بها.

وقال السرى رضى الله عنه اشتريت جارية للخدمة فكانت تخدمنى دهرا طويلا وهى تكتم أمرها ولها محراب تصلى فيه فلما كان فى بعض الليالى وجدتها وهى تصلى تارة وتناجى ربها تارة فسمعتها تقول بحبك لى إلا فعلت لى كذا وكذا فناديتها عند ذلك يا هذه لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى إياك فقالت يا سيدى لولا حبه إياى ما أقعدك وأقامنى فلما أصبحت دعوت بها وقلت إنك لا تصلحين لخدمتى بل تصلحين لخدمة مولاك الأكبر اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى ثم وصلتها بشىء وسرحتها وندمت على مفارقتها رضى الله عنها ونفعنا بها.

الحكاية التاسعة والسبعون بعد الثلثمائة
عن أبى عامر الواعظ رحمه الله تعالى

قال رأيت جارية ينادى عليها بثمن لا قدر له فنظرت إليها فإذا بها قد لصق بطنها بظهرها وتلبد شعرها وأصفر لونها فاشتريتها رحمة لها فقلت لها اذهبى بنا إلى السوق لنأخذ حوائج رمضان فقالت الحمد لله الذى جعل الأشهر عندى شهرا واحدا ولم يجعل لى شغلا بالدنيا قال فكانت تصوم النهار وتقوم الليل فلما قرب العيد قلت لها إذا كان الصباح فبكرى بنا إلى السوق لنأخذ حوائج العيد فقالت يا مولاى ما أعظم شغلك بالدنيا ثم دخلت وأقبلت على صلاتها ولم تزل تتلو آية بعد آية حتى بلغت قوله تعالى : ﴿ويسقى من ماء صديد﴾[٢] الآية فلم تزل تكررها حتى صاحت صيحة فارقت فيها الدنيا رضى الله عنها ونفعنا بها.

الحكاية الثمانون بعد الثلثمائة

قال أحد الصالحين خرجت إلى السوق ومعى جارية حبشية فأجلستها فى مكان منها وقلت لها لا تبرحى حتى أعود إليك فذهبت ثم عدت إلى المكان فلم أجدها فيه فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فجاءتنى وقالت لى يا مولاى لا تعجل على فإنك أجلستنى بين قوم لا يذكرون الله فخشيت أن ينزل بهم خسف وأنا معهم فقلت لها هذه الأمة قد رفع عنها الخسف إكراما لنبيها محمد ﷺ فقالت إن رفع عنها

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٧.

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١٦.

خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب ، يا من خسف بمعرفته وقلبه وهو فى غفلة من بلائه وكربه بادر إلى حميتك ودوائك قبل موتك ثم أنشدت :

هلموا بنا نذرى الدموع تأسفا بلاء المعاصى فوق كل بلاء
لعل إلهى أن يمن بجمعنا فقد طال فى سجن الفراق عنائى
فيامهجتى لا تتركى الحزن ساعة ويا مقلتى هذا أوان بكائى

الحكاية الحادية والثمانون بعد الثلثمائة
عن أبى الحسن الديلمى رحمه الله تعالى

قال وصف لى إنسان أسود بأنطاكية يتكلم عن القلوب فقصدته فلما رأيته أبصرت معه شيئا من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إلى ثم قال اقعد حتى أبيع هذا وأعطيك شيئا من ثمنه فإنك جائع منذ يومين قال وكنت جائعا منذ يومين فتغافلت كأنى لم أسمع ما قال وذهبت عنه وساومت غيره ثم عدت إليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إلى وقال اقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا نعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع فى قلبى منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني منه شيئا ومضى ومضيت خلفه لعلى أستفيد منه شيئا بقوله فالتفت إلى وقال إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله ، إلا أن يكون لنفسك فيهاحظ فتحجب عن الله ، ومن علم أن الله كافيه لا يستوحش من إعراض الخلق عنه ولا يستأنس بإقبال الخلق عليه ثقه بأن الذى قسم له لا يفوته ، وإن أعرضوا عنه والذى لم يقسم له لا يصل إليه وإن أقبلوا عليه.

الحكاية الثانية والثمانون بعد الثلثمائة

حكى عن أحدهم أنه دخل على بعض الفقراء فلم يجد فى بيته شيئا من المتاع فقال له أما عندكم شيء من المتاع قال بلى لنا داران إحداهما دار أمن والأخرى دار خوف فما يكون لنا من الأموال ندخره فى دار الأمن يعنى نقدمه للدار الآخرة فقال له إنه لابد لهذاالمنزل من متاع فقال إن صاحب هذا المنزل لا يدعنا فيه.

وقيل الدنيا عارية أو وديعة ولابد للمعير أن يرجع فى عاريته وللمودع أن يأخذ وديعته وأنشدوا :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولابد يوما أن ترد الودائع

الحكاية الثالثة والثمانون بعد الثلثمائة
عن أحد الصالحين

قال كان بالبصـرة رجل يقال له ذكوان وكان سيدا فى زمانه فلمـاحضرته الوفاة لم يبصر أحد بالبصـرة إلا شهـد جنازته قال فلما انصرف الناس من دفنه نمت عند بعض القبور وإذا ملك قد نزل مـن السماء وهو يقـول يا أهل القبـور قومـوا لأخذ أجوركم فانـشقت القبور عن أهلهـا وخرج كل من كان فيـها فغابوا سـاعة ثم جاءوا وذكوان فى جملتهم وعليه حلتان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وبين يديه غلمان يسبقونه إلى قبره وإذا ملك ينادى هذا عـبد كان من أهل التقوى فبنظرة واحدة وصلت إليه المحن والبلوى فـامتثلوا فيه أمـر المولى فقرب من جهنم فخـرج إليه منها لسان أو قال ثعـبان فلدغ بعض وجهه فاسـود ذلك الموضع ونادى يا ذكوان لم يخف عن المولى من أمرك شيء هذه النفـخة بتلك النظرة ولو زدت لزدناك فبينـما أنا كذلك وإذا برجل قد أطلع رأسه من قبره فقال يا هؤلاء ما أردتم فو الله لقد مت منذ تسعين سنة فما ذهبت مرارة الموت منى حتى الآن فادعـوا الله أن يعيدنى كما كنت قال وبين عينيه أثر السجود وأنشدوا :

أفلست تدري أن يومك قـــد دنا أو لست تدرى أن عمـــرك ينفد
فعلام تضحك والمنية قـــد دنت وعلام ترقد والثرى لك مرقـــد

الحكاية الرابعة والثمانون بعد الثلثمائة
عن أحد الصالحين

قـال خطر لى أن أزور رابعة العـدوية رضى الله عنهـا وأنظر أصادقـة هى فى دعواها أم كاذبة فبينما أنا كذلك وإذا بفقـراء قد أقبلوا ووجوههم كالأقمار وروائحهم كالمسك فـسلموا على وسلمت عليـهم وقلت من أين أقبلتم فـقالوا يا سيـدى حديثنا عجـيب فقلـت لهم وما هو فـقالوا نحن من أبناء التـجار المتـمولين فكنا عند رابـعة العدوية رضـى الله عنها فى مـصر فقلت ومـا وداكم إليهـا قالوا كنا ملتـهين بالأكل والشرب فى بلدنا فنقل لناحسن رابعة العدوية وحسن صوتها وقلنا لابد أن نروح إليها ونسمع غناءها ، وننظر فى حسنها فخرجنا من بلدنا إلى أن وصلنا إلى بلدها ووصفوا لنا بيتها وذكروا لنا أنها قد تابت فقال أحدنـا إن كان قد فاتنا حسن صوتها فما يفوتنا نظرها وحسنهـا فغيـرنا حليتنا ولبسنا لبس الفـقراء وأتينا إلى بابهـا فطرقنا الباب فلم نشعر إلا وقد خرجت وتمرغت بين أقدامنا وقـالت لقد سعدت بزيارتكم لى فقلنا لها كيف ذلك قـالت عندنا امرأة عـمياء منذ أربعين سنة فلمـا طرقتم البـاب قالت إلهى

وسيدى بحرمة هؤلاء الأقوام الذين طرقوا إلا ما رددت علي بصرى فرد الله عليها بصرها فى الوقت قال فعند ذلك نظر بعضنا إلى بعض وقلنا ترون إلى لطف الله بنا لم يفضح سريرتنا فقال الذى أشار علينا بلبس الفقراء والله لا عدت أقلع هذا اللباس عنى وأنا تائب إلى الله عز وجل على يدي رابعة ، فقلنا له نحن وافقناك على المعصية ونحن أيضا نوافقك على الطاعة والتوبة فتبنا كلنا على يديها وخرجنا عن أموالنا جميعها وصرنا فقراء كما ترى رضى الله عنهم.

الحكاية الخامسة والثمانون بعد الثلثمائة
عن بشر بن الحرث رضى الله عنه

قال رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى يا بشر أتدرى لم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال باتباعك لسنتى وخدمتك للصالحين ونصحك لإخوانك ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى هو الذى بلغك منازل الأبرار.

(وقيل) تعلق رجل بامرأة فى بغداد فتعرض لها فأبت أن تمكنه من نفسها وكل من جاء ليخلصها منه طعنه بسكين معه وكان رجلا شديدا فبينما الناس حوله والمرأة تصيح فى يده إذ مر بشر بن الحرث رضي الله عنه فدنا منه وحك كتفه بكتفه فوقع الرجل إلى الأرض وهربت المرأة ومضى بشر فدنا الناس من الرجل فإذا هو يرشح عرقا كثيرا فسألوه عن حاله فقال ما أدرى ولكن حك كتفى شيخ وقال إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل فصعقت لقوله وهبت هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل فقيل له ذاك بشر بن الحرث فقال واسوأتاه كيف ينظر إلى بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع رحمه الله تعالى.

الحكاية السادسة والثمانون بعد الثلثمائة

حكى أنه خرج أبو الحسين النورى رضي الله عنه من بيته ليلة فوجد حارسا قد تعلق برجل وامرأة خلف الدرب وهو يقول لهما لابد أن أرفعكما إلى الوالى فدنا منهم أبو الحسين وقال للحارس خل عنهما واسترهما فأبى الحارس فضمن له شيئا يدفعه إليه فأبى فأخرج من كمه منديلا فيه دراهم ونزع رداءه ودفع الجميع إليه قال خل عنهما وخذ هذا كله وأنا أجيء معك تسلمنى الوالى كما شئت فقال له الحارس على أنك لا تنكر ما أقول فيك قال نعم فأخذ ذلك وخلى سبيلهما وجعل الحارس ثوبا فى عنق الشيخ وجعل يقوده حتى وقف على صاحب الشرطة فقال إنى وجدت هذا مع امرأة خلف الدرب فقال الوالى لأبى الحسين ما تقول قال نعم كنت أنا وهو

وامرأة معنا فقال ليس وجهك وجه من يفعل هذا ثم قال للحارس أصدقنى وإلا عاقبتك فحدثه بالحديث فتاب الوالى والحارس ومضى الشيخ أبو الحسين رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية السابعة والثمانون بعد الثلثمائة
عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه

قال صعدت جبل قاف فرأيت سفينة نوح مطروحة فوقه.

وقيل لأبى يزيد رضى الله عنه هل بلغت جبل قاف فقال جبل قاف أمره قريب بل جبل كاف وجبل صاد وجبل عين وهى جبال محيطة بالأرض حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها وجبل قاف بهذه الأرض وهى أصغر الأرضين وهو أيضا أصغر الجبال وهو جبل من زمردة خضراء وقيل إن خضرة السماء من خضرته.

(وروى) أن الدنيا كلها خطوة للولى، وحكى أن وليا من أولياء الله تعالى احتاج إلى النار فرفع يده إلى القمر فاقتبس منه جذوة فى خرقة كانت معه.

الحكاية الثامنة والثمانون بعد الثلثمائة

حكى أن أحد السلف نام فى وقت متوسدا فأتاه آت فى منامه فقال له قل ما أقول قال قل :

يا حـــر إنك إن توســد لينـا ... وسدت بعد الموت صم الجندل
فاعمل لنفسك فى حياتك صالحـا ... فلتندمن غـــدا إذا لم تفعل

وقال ابن المبارك رضي الله عنه إن الصالحين فيما مضى كانت نفوسهم تواتيهم على الخير عفوا وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره فينبغى لنا أن نكرهها.

(قلت) يعنى بقوله عفوا مطاوعة من غير جهد وعقوبة.

(وقال) بعض السلف يا ابن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا عن نشاط فإن النفس إلى السآمة والفتور والملل أقرب ولكن المؤمن هو المشدد والمؤمن هو المتوقى والمؤمن هو العجاج إلى الله بالليل والنهار والله ما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا ربنا فى السر والعلانية حتى استجاب لهم.

(وقال) الشيخ أبو الربيع المالقى رضى الله عنه سيروا إلى الله عرجا ومكاسير ولا تنظروا الصحة فإن انتظار الصحة بطالة.

الحكاية التاسعة والثمانون بعد الثلثمائة
عن صالح المرى رضى الله عنه

قال خرجت يوما أريد زيارة أبى جهير الضرير وكان قد خرج من البلد وبنى له مسجدا يتعبد فيه فبينما أنا فى بعض الطريق إذا أنا بمحمد بن واسع فقال لى إلى أين، فقلت أريد أبا جهير قال وأنا أريده فمضينا وإذا نحن بحبيب العجمي ، فقال أين تريدان قلنا أبا جهير ، قال وأنا أريده فمضينا وإذا نحن بمالك بن دينار رضى الله عنه فقال أين تريدون فقلنا أبا جهير فقال وأنا أريده وإذا بثابت البنانى رضى الله عنه فقال: مثلما قالوا وأجاب بمثل ما أجابوا وقال الحمد لله الذى جمعنا قال فمضينا من غير ميعاد فلما انتهينا إلى موضع حسن قال لنا البنانى تعالوا نصلِّ ههنا ركعتين حتى يشهد لنا يوم القيامة عند ربنا عز وجل ثم أتينا منزل أبى جهير رضى الله عنه فجلسنا وكرهنا أن نستأذن عليه حتى إذا كان وقت الظهر خرج فأذن وأقام الصلاة وصلى فصلينا معه وقام إليه محمد بن واسع فقال من أنت قال أنا أخوك محمد بن واسع قال أنت الذى يقال إنك أفضل أهل البصرة صلاة فسكت ثم قام إليه ثابت البنانى فقال من أنت قال ثابت البنانى قال أنت الذى يقال إنك أكثر أهل البصرة صلاة فسكت ثم قام إليه مالك بن دينار ، فقال من أنت قال مالك بن دينار قال بخ بخ أنت الذي يقال انك أزهد أهل البصرة فسكت ثم قام إليه حبيب العجمى فقال من أنت قال حبيب العجمي قال أنت الذى يقال إنك مستجاب الدعاء فسكت ، قال صالح المرى ثم قمت إليه فقال من أنت قلت صالح المرى قال أنت الذى يقال إنك أحسن أهل البصرة صوتا ثم قال إنى كنت إلى صوتك مشتاقا هات اقرأ على خمس آيات من كتاب الله عز وجل قال صالح فاستفتحت فقرأت : ﴿**يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين**﴾ فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿**هباء منثورا**﴾[(١)] شهق شهقة وغشى عليه فلما أفاق قال أعد علىّ قراءتك فأعدت عليه فشهق شهقة أخرى فارق الدنيا رحمة الله عليه فخرجت زوجته وقالت من أنتم فأخبرناها فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون مات أبو جهير قلنا نعم آجرك الله فيه فمن أين علمت قالت من كثرة ما سمعت منه يقول فى دعائه اللهم أحضر موتى أولياءك فعلمت أنكم لم تجتمعوا إلا لموته فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رضى الله عنه وعنهم.

---

(١) سورة الفرقان : الآيتان ٢٢ ، ٢٣.

الحكاية التسعون بعد الثلثمائة
عن أبى سليمان المغربى رضي الله عنه

قال كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت من ثمنه وكان طريقى فيه التوقى والتحرى فرأيت فى المنام جماعة من البصريين منهم الحسن البصرى وفرقد السنجى ومالك بن دينار رضى الله عنهم فسألتهم عن علم حالى فقلت أنتم أئمة المسلمين دلونى على الحلال الذى ليس لله تعالى فيه تبعة ولا للخلق فيه منة فأخذوا بيدى وأخرجونى من طرسوس إلى مرج فيه خبازى فقالوا لى هذا الحلال الذى ليس لله عز وجل فيه تبعة ولا لمخلوق فيه منه ، فمكثت آكل منه ثلاثة أشهر شواء ومطبوخا فى دار السبيل فظهر لى حديث فقلت هذه فتنة فخرجت من دار السبيل ومكثت آكله ثلاثة أشهر أخرى فأوجد لى الله قلبا طيبا حتى قلت إن كان أهل الجنة فى هذا القلب فهم والله العظيم فى شيء طيب وما كنت آنس بكلام الخلق فخرجت يوما إلى بعض الصهاريج فجلست عنده وإذا أنا بفتى قد أقبل من ناحية لامس يريد طرسوس وقد بقى معى قطيعات من ثمن الحطب الذى كنت أجيء به من الجبل فقلت أنا قد قنعت بالخبازى أعط هذه القطيعات لهذا الفقير إذا دخل طرسوس يشتر بها شيئا يأكله فلما دنا منى أدخلت يدي إلى جيبى حتى أخرج الخرقة فإذا بالفقير قد حرك شفتيه وإذا كل ماحولى من الأرض ذهب يتقد يكاد يخطف بصرى ولبسنى منه هيبة عظيمة فجاز فلم أقدر أن أسلم عليه من هيبته ثم رأيته بعد ذلك فى بعض الأيام خارج طرسوس جالسا تحت برج من الأبرجة وبين يديه ركوة فيها ماء فسلمت عليه ثم استدعيت منه موعظة فمد رجله وقلب الماء ثم قال إن كثرة الكلام تنشف الحسنات كما نشفت الأرض هذا الماء قم يكفك هذا رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية الحادية والتسعون بعد الثلثمائة
عن أحد السائحين فى جبال بيت المقدس

قال نزلت على رجل فقال امض بنا نعزي جارا لنا مات أخوه فذهبت معه إليه فإذا برجل جزع لا يقبل العزاء فقلنا له يا هذا اتق الله عز وجل واعلم ان الموت سبيل لابد لنا منه وهو آت على الخلق أجمعين. قال قد علمت أن الأمر على ما تقولون ولكنى أجزع على ما يمسى أخى فيه ويصبح فقلنا له يا سبحان الله هل أطلعك الله على الغيب ، قال لا ولكنى لما دفنته وسويت عليه التراب إذا بصوت من القبر يقول أوه فقلت أخى والله أخى فكشفت التراب فقيل لى يا عبد الله لا تكشفه فرددت

عليه التراب فلما ذهبت أقوم قال أوه قلت أخى والله أخى ثم كشفت التراب فقيل لى لا تفعل فرددت عليه التراب كما كان فلما ذهبت أقوم إذ إنه يقول أوه فقلت والله لا تركت نبشه فنبشته فإذا هو مطوق فى وسطه بطوق من نار وقد التمع عليه القبر نارا فطمعت أن أقطع ذلك الطوق فضربته بيدى لأقطعه فذهبت أصابعى قال ثم أظهر لنا يده فإذا أصابعه الأربع قد ذهبت قال فأتيت الأوزاعى رضي الله عنه فحدثته وقلت له يا أبا عمرو يموت اليهودى والنصرانى وغيرهم من الكفار فلا يرى فيهم مثل هذا ويموت هذا على التوحيد والإسلام ويرى هذا فيه قال نعم أولئك لا شك أنهم من أهل النار وإنما يريكم الله عز وجل هذا فى أهل التوحيد لتعتبروا اللهم سامحنا واعف عنا والطف بنا يا لطيف.

الحكاية الثانية والتسعون بعد الثلثمائة
عن أبى جعفر الفرغانى رضي الله عنه

قال كنت عند بعض إخواننا من الصوفية بالدينور فجاءه قوم من الأكراد ليشترى لهم متاعا ثم قالوا لو علمت لمن يشترى هذا المتاع لسارعت إلى شرائه فقال لهم حدثونى قالوا نعم فأومئوا إلى رئيس لهم كانوا معه فقالوا هذا سيد الحى وكانت له زوجة فولدت له عدة من البنات فقال لها وهى حامل إن ولدت بنتا فأنت طالق وقضينا رحلتنا رحلة الشتاء نريد نحو المراغة ونواحيها فبينما نحن نسير ذات يوم ضرب المرأة الطلق فأخذت ماء كأنها تتوضأ فولدت جارية فأخذتها ولفتها فى خرقة وتركتها عند كهف جبل وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل إنما كان ريحا وقد انفشّ ثم غبنا عن ذلك الموضع ستة أشهر ثم رجعنا فنزلت بذلك المكان فأخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذى تركت الصبية فيه فلما قربت منه إذا غزالة قائمة عند الصبية وهى ترضع فلما أبصرتها الغزالة استوحشت وذهبت وجاءت الأم إلى الصبية فأخذتها فبكت الصبية وشهقت فوضعتها وتنحت ناحية فرجعت الغزالة فلم تزل ترضع وهى ساكنة فجاءت المرأة إلى الحى فأخبرتهم بذلك وسمع زوجها فمضى أهل الحى بأجمعهم إلى الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية فلما أحست بهم تنحت فبكت الصبية فأخذها النساء ولم يزلن يرفقن بها حتى سكنت وأنست وجاءوا بها إلى الحى وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتى رحلنا وهذا المتاع الذي نريد نشتريه جهاز لها وقد زوجها أبوها من رجل صالح سبحان اللطيف الخبير المنعم القدير.

الحكاية الثالثة والتسعون بعد الثلثمائة
عن الشيخ أبى بكر بن إسماعيل الفرغانى رضى الله عنه

قال كنت أدفع إلى شدة الفاقة أياما كثيرة وربما كنت أسقط مغشيا على وكنت حينئذ قليل الدراية كنت أنظر إلى أظافر أصابعى كمدة من الجوع فقلت ذات يوم يا رب لو علمتنى اسمك الأعظم سألتك به إذا حلت بى فاقة متلفة ، فبينما أنا فى بعض الأيام بدمشق على باب البريد جالس فرأيت رجلين قد دخلا المسجد فوقع فى نفسى أنهما ملكان فوقفا بحذائى فقال أحدهما للآخر تريد أعلمك اسم الله الأعظم فقال له الآخر نعم فأصغيت إليهما فقال هو أن تقول يا ألله فقلت قد تعلمت ورجعت كما كنت فقال أحدهما ليس كما تقول أنت ولكن بصدق اللجأ.

قال الشيخ أبو بكر صدق اللجأ أن يكون مثل الغريق فى لجة البحر لم يبق له شيء يتعلق به ولا له ملجأ إلا الله عز وجل.

(وحكى) أنه جاء بعض الفقراء إلى بعض الشيوخ الذين يعرفون الاسم الأعظم فقال له علمني الاسم الأعظم قال وهل فيك أهلية لذلك قال نعم قال اذهب إلى باب البلد واجلس هناك فما جرى من شيء هناك أعلمنى به فخرج إلى حيث أمره وإذا بشيخ حطاب قد أقبل ومعه حمار عليه حطب فتعرض له جندي فأخذ حطبه وضربه فرجع الفقير إلى الشيخ وهو حزين فأخبره بالقصة فقال لو كنت تعرف الاسم الأعظم ماذا كنت تصنع بالجندى قال كنت أدعو عليه بالهلاك قال فذلك الشيخ الحطاب هو الذى علمنى الاسم الأعظم.

(قلت) يعنى أنه لا يصلح الاسم الأعظم إلا لمن هو متصف بهذه الصفة أعنى الصبر والحلم والرحمة للخلق وسائر الصفات المحمودة التى تخلق بها أهل الاصطفاء رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

الحكاية الرابعة والتسعون بعد الثلثمائة
عن الشيخ يوسف بن حمدان رضى الله عنه

قال خرجت إلى مكة على طريق البصرة ومعى جماعة من الفقراء وفيهم شاب كنت أغار عليه من حسن صحبته ومراعاة حاله واشتغاله بذكر ربه عز وجل ودوام مناجاته فلما وصلنا المدينة اعتل الشاب علة شديدة وانفرد عنا فسرت إليه مع جماعة من أصحابى نتعرف خبره فلما رأيناه وشدة ما به قال بعض الجماعة لو أحضرنا له طبيبا ينظر إليه ويصف علته فلعله يكون عنده دواؤه فسمع الشاب مقالته فتبسم من ذلك ، وقال يا مشايخى وأحبابى ما أقبح المخالفة بعد الموافقة من أراد الله تعالى له

حالا وأراد هو حـالا غيره أليس قد خـالف الله عز وجل في إرادته قال فـخجلنا من كلامه فنظر إلينا وقال لو عرفتم داء القـتيل من ذى سلوان لطلبتم لداء القتيل دواء إن الأمراض والأسقـام فيها تطهيـر وتكفير وتذكير وداء الـقتيل مشاهدة النفس ومـوافقة الهوى ثم أنشأ يقول :

بيـــد الله دوائـــــى وبعـــــلم الله دائـــــى
إنما أظـــــلم نفســــــى باتبـــاعى لهـــوائـــــى
كلمـــا داويت دائـــــى غلب الــــداء دوائـــــى

رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الخامسة والتسعون بعد الثلثمائة
عن أحدهم

قال أدركتنى ضـائقة وخوف شديد فخرجت هائـما فسلكت طريق مكة بلا زاد ولا راحلة فمـشيت ثلاثة أيام فلمـا كان اليوم الرابع اشـتد بى العطش والحـر وخفت على نفـسى التلف ولم أجـد فى البرية شـجرة أسـتظل بهـا فوكلت أمـرى إلى الله وجلست مستقبلا للقبلة فغلبنى النوم فنمت وأنا جالس فرأيت شخصا فى المنام قد مد يده إلى وقال أعطنى يدك فمـددت يدى إليه فصافحنى وقـال أبشر أنت تسلم وتصل إلى بيت الله الحرام وتزور قبـر نبيه عليه الصلاة والسـلام فقلت له من أنت يرحمك الله فقال لى أنا الخضر فقلت له ادع لى فقال : (قل يا لطيفا بخلقه يا عليما بخلقه يا خبيرا بخلـقه الطف بى يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاث مرات) فـقلت ذلك فقال هذه تحفة بها غنـى الأبد فإذا لحقك ضائقة أو نزل بك نازلة تقولهـا تكفى وتشفى ثم غاب عنى وأنا أسمع شخصا ينادى يا شيخ يا شـيخ فانتبهت فإذا برجل راكب على راحلته فقال لى يا هذا رأيت لى شابا صفته كـذا وكذا فقلت له ما رأيت أحدا فقال لي خرج شاب من أهلنا منذ سبعة أيام وأخبرنا أنه توجه إلى الحج ثم قال لى أين تقصد فقلت له حيـثما شاء الله تعـالى فأناخ راحلته ونزل عنـها ومد يده إلى جراب فـأخرج منه قرصين من الخبز السميد بينهمـا حلوى ونزل بسطيحه مملوءة ماء وقال اشرب فشربت وأكلت قرصا واحـدا اكتفيت به ثم قال لى اركب فركـبت وركب أمامى وسرنا ليلتين ويوما فالتـحقنا بالقافلة فسأل عن الشـاب فأخبر أنه فى القافله فـتركنى ومضى ، ثم أتانى بعد ساعة والشاب معه قال يا ولدى هون الله على الاجتماع بك باجتماعى بهذا الرجل ثم ودعـتـهمـا وانصـرفت فلحـقنى الرجل بكاغـدة فناولنى إياها وقـبل يدى

وانصرف فوجدت فيها خمسة دنانير مضروبة فاكتريت منها إلى مكة وتزودت ببقيتها وحججت تلك السنة وزرت النبى ﷺ ورجعت إلى كلام الخضر عليه السلام وكلما أدركتنى ضائقة أو نازلة أذكر تلك الكلمات التى علمنى الخضر عليه السلام وأعترف بفضله ومنته وأشكر الله على نعمته.

الحكاية السادسة والتسعون بعد الثلثمائة

(حكى) عن أحد الفقراء قال خرجت يوما أقصد البرية على نية السياحة والخلوة مع الله عز وجل فسرت ثلاثة أيام ، فلما كان فى اليوم الرابع أدركنى فى باطنى قلق وزيادة حركة فى ظاهرى فبينما أنا كذلك لم أشعر إلا ورجلين كهلين حسنين فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا لى ما اسمك فقلت عبد الله فقال أحدهما ونحن عبيد الله نقصد الله فمشينا جميعا فلما كان وقت صلاة الظهر نظر إلى أحدهما وقال هو الوقت قلت نعم قال تصلى بنا فقلت تحملا عنى ذلك ويصلى أحدكما فصلى بنا أحدهما وانصرف وتركع كل واحد منا فلما فرغ الذى أم بنا من التركع قدم إلينا طبقا عليه قطف عنب وتين لم أر أحسن منه وقال باسم الله فأكلنا حاجتنا ومشينا فلما كان اليوم الثانى حان وقت صلاة الظهر فنظر إلى وقال هو الوقت قلت نعم قال تصلى بنا قلت تحملا ذلك عنى فقال لصاحبه صل فصلى الآخر وانصرف وتركع كل منا فلما فرغ الإمام من الركوع قدم طبقا فيه عنب وتين وقال باسم الله فأكلنا ثم تركنا الباقى وانصرفنا فلما كان اليوم الثالث وقع لى أنهما يقولان تصلى بنا ويجب على موافقتهما وما فعلاه فرفعت طرفى إلى السماء وقلت اللهم إنك ولى النعم من غير استحقاق وأنا عبدك ضعيف غير مستحق للنعم وقد رجعت إليك فيما أقصده إنك على كل شىء قدير فلما حان الوقت نظر إلى أحدهما وقال هو الوقت قلت نعم قال تصلى بنا قلت إن شاء الله فأقام أحدهما الصلاة فتقدمت وصليت بهما وانصرفت وصليت ركعتين ونظرت عن يمينى فرأيت الطبق بعينه وعليه قطف عنب وتين ورمان فحملته إليهما فأكلا وأكلت معهما ثم تركنا باقيه وانصرفنا فشكرت الله تعالى على ما أولى من نعمه من غير استحقاق ثم أقمنا بعد ذلك أربعين يوما كل منا متوجه إلى مقصوده نجتمع فى أوقات الصلوات وكل منا يتقدم يصلى يوما فإذا سلم قدم طبقا فيه ما ذكرت وكنت معهما على ذلك آتى بالطبق فيه العنب والتين والرمان لما كان بعد الأربعين قالا لى الخليفة عليك الله فقلت وعيلكما وانصرف كل منا ولم يسأل أحد منا صاحبه عن شىء ثم بقيت بعدهما مدة على ذلك الحال تتجدد نعمة الله على فى كل يوم ظاهرا وباطنا وكل وقت أشكر الله فيه تزيد نعمه على وإحسانه.

الحكاية السابعة والتسعون بعد الثلثمائة

حكى عن أحد المشايخ بمكة قال كنت منفردا فى بعض الجبال فى مغارة وربما كنت أقيم الشهر أو أقل أو أكثر لا أرى فى ذلك الجبل أحدا من الإنس وكان قوتى من المباح إذا أخذنى الجوع أخرج من المغارة إلى ظاهر الجبل أتناول حاجتى وأرجع فلما كان فى بعض الأيام خرجت وإذا بى أنظر فارسا قد أقبل وحده من صدر البرية فلما رأيته دخلت المغارة وتركته فلما كان بعد ساعة إذا هو بالباب ينادى باسمى فقمت وخرجت إليه فسلم على فقلت له من الإنس أنت قال نعم فقلت من أين أنت ومن عرفك باسمى فقال أنا من أبناء الملوك خرجت للصيد منذ ثلاثة أيام فانقطعت عن أصحابى وتهت فى البرية ولحقنى العطش وأشرفت على الهلاك فلم أشعر إلا ورجل عليه أطمار قد أتانى وبيده ركوة فسقانى منها ، وناولنى قبضة من حشيش فأكلتها فوجدتها ألذ ما يكون من البقولات فلما فرغت قال لى يا محمد هل تبت قبل هذا اليوم قلت يا سيدى الساعة أتوب على يديك ، فقبلت يديه وتبت على يده وقمت على قدمى وقلت يا سيدى اسأل الله أن يقبلنى ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : (يا رب محمد بحرمة نبيك محمد ﷺ ارحم محمدا وتب على محمد واقبل محمدا) ودمعت عيناه فرأيت حلاوة دعائه فى قلبى وعقدت مع الله تعالى ألا أرجع إلى ما خرجت منه حتى أموت وقال لى اركب فأبيت فحلف لابد أن أركب فركبت ومشى أمامى حتى أرانى مكانك وعرفنى باسمك ، وقال اجلس عنده فإنه يرشدك إلى الخير، قال الشيخ فقلت له فما تصنع بالفرس فقال لا حاجة لى به فأطلقت الفرس ودخلت به المغارة وقدمت إليه من المباح الذى أتناول منه فأكل وجلسنا إلى الليل فقلت له يا بنى ليس العبادة بالشركة وكان بالقرب منا مغارة فأشرت له بالجلوس فيها فجلس وكنت أجتمع معه فى كل ثلاثة أيام وكلما جاع خرج إلى الجبل يتناول حاجته من المباح ويرجع وكان بالقرب منا عين ماء وكان الفرس يرعى ويرجع إلينا فى كل ليلة فلما كان يوم من الأيام وإذا بالشاب قد دخل علي وهو مذهول فقلت ما شأنك فقال رأيت الساعة فى المنام أبى وأمى وهما يجريان ورائى من مكان إلى مكان وبأيديهما شعلتان موقدتان وكلما قربا منى يخرج عليهما شخص وبيده جوهرة كبيرة ويقول لهما سألتكما بالله أن ترضيا عن ولدكما وتتركاه لله فإنه قد فر إلى الله تعالى وخذا منى هذه الجوهرة ، ولم يزل معهما كذلك حتى قالا له نحن عنه راضيان والجوهرة بشارة لك فانتبهت وأنا على هذه الحال ، فقلت له يا بني هذا ثمرة توبتك قد أراكها الله تعالى فسر بما قلت له ولم يزل كذلك إلى ليلة من الليالى فرأيت

النبىﷺ فى المنام وقد دخل على المكان الذى أنا فيه وقال لى اخرج أنت والشاب فقال يا سيدى رأيت البارحة فى المنام كأن فى يدى اليمنى حبلا ورجل حسن الصورة إلى جانبى يحله عنى وقال لى اسمع ما أمرت به فقلت له يا بنى الحمد لله على هذا فنزلت والشاب معى حتى دخلنا إلى مدينة من ديار بكر والفرس يتبعنا فدخلنا إلى رباط فى تلك المدينة قد مات الشيخ الذى قد كان فيه من يومين فلما وقع بصرهم على قالوا هذا هو الرجل فسكت فقالوا يا شيخ أنت تكون فى هذا المكان ثم أقبل شيخ حسن الصورة فسلم على وقال يا سيدى تقيم عندنا لله تعالى فقلت على خيرة الله فأعطينا الفرس فقيرا قدم علينا فى ذلك اليوم وأخبرناه بقصته وأقمت معهم أنا والشاب فى الرباط عشرين سنة لم يعلم أحد كيف قصة الشاب ولا من أين هو حتى مات رحمه الله فخرجت من الرباط إلى الحج ونيتى المجاورة بمكة قال الراوى أقام الشيخ بها ثلاث سنين ومات ودفن بالبطحاء رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الأولياء والصالحين.

الحكاية الثامنة والتسعون بعد الثلثمائة
عن أحد الفقراء

قال كنت فى بدو إرادتى صحبت بعض المشايخ فكان يأمرني بالخدمة وكنت متلذذا بأمره فأرسلنى يوما إلى القصاب لأحمل لحما للفقراء فابتعت منه حاجتى وحملتها والتفت إلى جانبى ، فرأيت رجلا يسوق دابة محملة فوكزني فسقطت على مسمار فى حانوت القصاب فأصاب جنبى فحملني عنه صاحب الحانوت ووجدت منه ألما كثيرا فبينما نحن مشغولون بربط الجرح وإذا بصاحب الدابة قد وقف علينا ومعه ثلاثة رجال من العوام وقال سقطت مني صرة فيها عشرة دنانير كانت فى رأسى فحمل القصاب وحملنى وحمل رجلين آخرين إلى صاحب المدينة ، وقال هؤلاء الذين أخذوا الصرة فضرب كلا من أصحابى ضربا شديدا ثم ضربت من جملتهم فكان الضرب يقع على الجرح ثم نظر أحد العوام إلى الإناء الذى فيه اللحم فوجد الصرة فيه فقالوا هذا السارق فقال صاحب المدينة نقطع يده فأمر بالزيت فأغلى واجتمعت على الخلائق بالضرب والسب وأنا بين يدى أربعة رجال ونادى مناد أحضروا السارق قد طاب الزيت وأنا مسلم أمرى لمن بيده ملكوت كل شيء ولطمنى أحد الرجال لطمة حتى غبت عن الحس وأنا موقن أن ذلك البلاء راجع إلى الله تعالى

فى ذلك الأمر ، وقال يا لص يا سارق ثم جذبنى حتى سقطت على وجهى فخررت ساجدا فشاهدت النبى ﷺ ينظر إلى وهو يبتسم فما استويت قائما إلا وقد زال عني ماكنت فيه ثم فى الوقت نادى مناد الذى أمسكتموه خادم الشيخ فنظروا إلى وقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم خر الرجال الذين كنت معهم على رجلى وأتى صاحب البلدة مسرعا وقبل رجلى وقال يا سيدى سألتك بالله العظيم إلا ما غفرت لنا ثم أتى صاحب الصرة وتضرع وبكى وقال يا سيدى عنى ترضى فقلت لهم يغفر الله لى ولكم هذه سابقة أظهرت سريرة كامنة فى وقتها ثم انكشفت الصرة وظهر أن العشرة الدنانير وحمل الدابة التي كان يسوقها الرجل الذى سقطت منه الدنانير رسالة إلى الشيخ واتفق أن الشيخ وجماعة الفقراء فى ذلك الوقت الذى كنت فيه كانوا فى الاستنفار لقضية وقعت بين الفقراء ولم يخرج أحد من الجماعة حتى وقفت بالباب واللحم معى والصرة فسلمتها للشيخ وأخبرته بالقصة فقال الشيخ من صبر تجمل وتكمل ثم قال يا بنى كنت مع الفقراء مرتقبا حالتك هذه لأن علمها تقد ، ثم قال لى يا محمد كانت هذه الحالة سببا لإكمالك فى طريقك فسافر الآن حيث شئت رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية التاسعة والتسعون بعد الثلمثائة عن أحدهم

قال دخلت البادية على نية السياحة فأقمت فيها أياما لم أطعم فيها طعاما ولا شرابا فعطشت واشتد بى العطش فعدلت إلى قصر وقع بصرى عليه فى جانب البرية فلما قربت إذا بوحش خرج منه فدخلت إلى القصر وإذا برجل ملقى على ظهره متوجها إلى القبلة فحركته فوجدته ميتا وقد هم الوحش أن يأكل منه فاشتغلت بتجهيزه وخرجت لأحفر له وأنا لا أستطيع من كثرة العطش فبينما أنا كذلك وإذا برجل قد أقبل من صدر البرية فسلم على وقال لى جهزت الفقير قلت لا يا سيدى قال باسم الله تمضي معى إلى رأس الجبل فإن فيه عين ماء فمضيت معه حتى وصلنا إلى العين فوجدنا على الماء قربة مطروحة وكنت على تلك الحالة من العطش فشربت حتى رويت وكان مع الرجل ركوة فملأنا القربة والركوة ورجعنا إلى الفقير فغلسناه وكفناه فى مرقعة كانت عليه وصلينا عليه ودفناه فلما فرغنا من دفنه نظر إلى الرجل وقال لى هذا الفقير وأشار بيده إلى الفقير كان من الرجال الأكابر وهو لا يعرف لأنه كان يتقى مولاه فأخفاه ثم غاب عني كأنه قد اختطف من جانبى فوقفت على القبر

وقرأت شيئا من القرآن وأهديته إلى الفقير وسألت الله تعالى بحرمته فأجابنى ووجدت بركته زمانا طويلا رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

الحكاية الأربعمائة
قال المؤلف كان الله له

أخبرنى بعض السادات أنه كان منعزلا فى بعض السواحل مدة طويلة يعبد الله عز وجل فلما حضر يوم عيد الفطر خرج إلى بعض القرى ليحضر صلاة العيد مع المسلمين قال فلما صليت معهم صلاة العيد رجعت إلى مكانى فوجدت فيه إنسانا يصلى ولم أجد له أثرا فى الرمل على باب الخلوة ، فتعجبت من أين دخل ثم إنه بكى بكاء طويلا وبقيت أفكر أى شىء أقدم له لكونه يوم عيد وهو وارد على أيضا ، فلم أجد شيئا فالتفت إلى وقال يا فلان لا تتفكر فى هذا ، ففى الغيب ما لم يعلم ولكن إن كان عندك ماء فقربه فقمت لآتيه بإبريق فوجدت عند الإبريق رغيفين كبيرين حارين كأنهما الساعة خرجا من الفرن ولوزا كثيرا فحملت كل ذلك إليه فكسر الخبز وصب اللوز بين يدى وقال كل وأخذ يناولني من اللوز وأنا آكل ولم يأكل هو معى شيئا سوى لوزة أو لوزتين قال فتعجبت فى نفسى واستغربت وجود ذلك الطعام فقال لى لا تستغرب هذا فإن لله عبادا أينما كانوا وجدوا ما أرادوا فازددت منه تعجبا ونويت فى نفسى أن أطلب منه المؤاخاة ، فقال لى لا تعجل بطلب المؤاخاة فأنا لابد أن أعود إليك إن شاء الله تعالى قال ثم غاب عنى فى الوقت ولم أدر أين ذهب فازددت عجبا على عجب فلماكانت الليلة السابعة من شوال أتانى وواخانى رضي اللله عنهما.

(قال المؤلف) كان الله له وأخبرنى أيضا السيد المذكور قال كنت فى خلوة فرأيت فى بعض الليالى وأنا قاعد مستيقظ بعد صلاة العشاء رجلين معى فى الخلوة وكان الباب مغلقا من داخل ولم أدر من أين دخلا قال فتحدثا معى ساعة وتذاكرنا أحوال الفقراء وكان ذلك فى بعض بلاد الشام فذكرا لى إنسانا فى الشام وأثنيا عليه وقالا نعم الرجل لو كان يعرف من أين يأكل ثم قالا لى سلم لنا على صاحبك فلان وسميا له بعض الناس قال فقلت ومن أين تعرفانه وهو فى الحجاز فقالا ما يخفى علينا قال ثم تقدما إلى المحراب فحسبتهما يريدان أن يصليا فخرجا من الحائط رضى

الله عنهم ونفعنا بهم وبجميع الصالحين وتفضل علينا بفضله وجاد علينا بلطفه وكرمه وجوده إنه جواد كريم.

(قال المؤلف) كان الله له وأخبرنى أيضا السيد المذكور أنه دخل عليه شيخان فى الخلوة فى بعض سواحل الشام فى شهر رجب سنة اثنين وأربعين وسبعمائة بعد صلاة العصر ولم يدر من أين دخلا عليه ولا من أى البلاد أتياه قال فداخلنى منهما شىء فلما سلما على وصحبانى استأنست بهما وذهب ما كنت وجدت منهما ، فقلت لهما من أين جئتما فقالا لى سبحان الله ومثلك يسأل عن هذا ثم قدمت لهما كسيرات يابسة من خبز شعير فقالا لى ما جئناك لهذا قال فقلت لأى شىء جئتما قالا جئنا نوصيك بتبليغ السلام إلى فلان وسميا لى الشخص الذى أوصيت بتبليغ السلام إليه قبل هذا قال وقالا لى قل له أبشر فقلت وأنتما تعرفانه وهل اجتمعتما به فقالا نعم اجتمعنا به ولم يجتمع بنا قال فقلت لهذه البشارة إذن لكما فيها فقالا نعم وذكرا أنهما أتيا من عند إخوان لهما فى المشرق قال ثم غابا عنى فى الوقت فلم أرهما رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم.

(قلت) وهذه البشارة تؤيد ما رآه الشيخ المبشر المذكور رأى فى النوم فيما تقدم اثنين من الصالحين يقولان له لا تبلعك الأرض أو قالا لا تبلعنا الأرض حتى نجرك إلينا ، ورآه له أيضا بعض المشايخ الأخيار من أولاد المشايخ الكبار ، قال رأيت رجلا فى الحجر ورأسه مع رأس الكعبة فقال سلم لى على فلان وقل له يصبر حتى نأتيه كلنا قال فقلت له ومن أنت قال الخضر رضوان الله عليه ونفعنا والمسلمين ببركته.

وكذلك قال أحد الصالحين قيل لى فى منامى قل لفلان أبشر بفوق ما تطلب فما أخرنا ذلك عنك إلا تمحيصا ، ثم قال ما كان فى آخر العمر كان خيرا وأسلم عاقبة اللهم عاملنا بما أنت له أهل ولا تعاملنا بما نحن له أهل.

قال المؤلف كان الله له وأخبرنى أيضا السيد المذكور قال رأيت فى بعض سواحل الشام شابا قريبا منى فمكثنا ثلاثة أيام لم يأتنى ولم آته ثم خطر لى أنى آتيه وأتحدث معه فذهبت إليه وسلمت عليه وأحرمت بركعتين وأنا أنظر إليه بجنبى فبينما أنا فى الصلاة حجب عنى فلم أر شيئا سوى سجادته ونعليه قال وكذلك كنت أرى منهم فى بعض البرارى كثيرا فمنهم من يحتج فى الحال عنى بالحال ومنهم من يظهر لى ويكلمنى رضى الله عنه وعنهم ونفعنا بالجميع آمين قلت وهذا السيد المذكور صلى

بوضوء واحد اثنى عشر يوما ولـه إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب خمس عشرة سنة لم يضع جنبه على الأرض ويمكث أياما عديدة لا يأكل فيها شيئا وإذا أكل أكل شيئا يسيرا خشنا يابسا وما أكل معى قطعة لحم فى منى إلا بعد شدة موافقة ، وذكر لى أن له عدة سنين يحج بغير اختياره لما يرى من المنكرات والآفات ولكن يؤمر بالحج فما يجد منه بدا رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية الأولى بعد الأربعمائة عن أحدهم

قال سافرت إلى العراق على قصد السياحة ورؤية المشايخ فرأيت مدينة فمشيت نحوها وقصدت مكانا آوى إليه فأويت إلى خربة فى طرف المدينة فيها آثار دائرة فجلست قليلا ثم نامت عيناى فهتف بى هاتف فى المنام وقال لي قم إلى جانبك فى الحائط خبيئة فخذها فليس لها وارث وهى ملكك فاستيقظت ونظرت إلى جانبي فرأيت عصا فحفرت بها فى المكان قليلا فوجدت خرقة ففتحتها فوجدت فيها خمسمائة دينار فصررتها فى طرف ثوبى وخرجت من ذلك المكان ففكرت فيما أفعل فيها فقلت أنفق منها على الفقراء ، ثم قلت أشترى بها حوانيت وأوقفها على الفقراء، وخطر لى غير ذلك فنمت تلك الليلة فرأيت النبى ﷺ فى المنام فسلم علي وقال يا فقير إرادة وطلب زيادة من الدنيا لا يكونان معا ثم جمع أصبعيه السبابة والتى تليها ثم قال لى امض بما معك إلى الشيخ أبى العباس من أهل الجزيرة الخضراء فى بغداد فى مسجد كذا وكذا ، وسلمها إليه قال فانتبهت من منامى وجددت وضوئى ثم صليت وخرجت من ساعتى إلى بغداد فوصلت إلى الشيخ فى المكان الذى هو فيه فاجتمعت به وسلمتها إليه وأخبرته بالقصة فقال منذ كم قيل لك هذا قلت سبعة أيام فقال لى يا بنى رأيت النبى ﷺ منذ سبع ليال وقال لى إذا وصل إليك فقير ومعه رسالة فاقبلها منه وتصرف فيها ثم قال يا بني اعلم أن لنا سبعة أيام ولم يكن عندنا مانقتات به ولإنسان علينا دين قد ألح علينا فى طلبه وقد سد الله هذه الفاقة على يديك ثم قال لى سألتك بالله أن تقيم عندنا وإحدى بناتى هدية إليك فقلت يا سيدى فكيف لى بذلك وأنا مشغول بما شغلنى الله تعالى به وقد أخبرتك بما أخبرنى النبى ﷺ فقال لى الضيافة ثلاثة أيام فقلت نعم فأقمت عنده ثلاثة أيام لم يفارقنى إلا فى وقت يتصرف فيه ثم ودعته وانصرفت رضى الله عنهما.

الحكاية الثانية بعد الأربعمائة عن أحد الفقراء

قال دخلت مدينة من مدائن خراسان فمشيت فى السوق فلقينى شاب حسن الصورة فسلم على واتبعنى حتى خرجت من السوق فقال لى تكون ضيفى لوجه الله تعالى فمشيت عه فأدخلنى دارا حسنة وفيها آثار خير ثم غاب عنى قليلا وأتى معه شيخ كبير فقال لى هذا والدى ادع له ، فسلمت على الشيخ ثم جلست فأتى بطعام فأكلنا ثم غسلنا أيدينا ، ثم هممت بالخروج فقال الشاب أنت ضيفى ثلاثة أيام فأقمت عنده ثلاثة أيام في كل يوم يزداد فى إكرامى فلما كان اليوم الرابع قصدت وداعهما وأخرج فقال الشيخ يا بنى أنت ضيفى هذا النهار فأقمت عند الشيخ ذلك اليوم فلما كان فى غد قلت للخليفة عليكما الله فتبعنى الشاب حتى خرجت إلى ظاهر المدينة فودعنى وناولنى صرة وخبزا وحلوى وقال يا سيدى هذه زوادة فاقبلها لله تعالى ، فحملتها ومشيت يومين ثم دخلت مدينة أخرى وقصدت الفقراء بالذى معى أوصله إليهم فبينما أنا كذلك وإذا بشيخ حسن الصورة ، قد استقبلنى فى الطريق فسلمت عليه وقلت هذا ولى الله وكان وقت الصلاة فدخلت المسجد فصليت وجلست فأدركتني سنة فنمت فهتف بى هاتف وقال لى الصرة التى معك أعطها للشيخ الصالح الذى مر عليك فهو من عباد الله الصالحين ، فانتبهت من منامى وخرجت فى الوقت لطلبه وقلت اللهم بحرمته عليك اجمع بينى وبينه فما استممت كلامى إلا وقد استقبلنى فى الطريق وبيده إبريق ماء قد حمله من النهر ففتحت الصرة فوجدت فيها خمسة دنانير وخمسة دراهم فجمعتها وقبلت يده ودفعتها إليه فأخذها من يدى ، وقال يا بنى من رأى غير الله لم ينل من الله شيئا فقلت يا سيدى ادع الله لى فقال يحفظك الله ويحفظ عليك ويحفظ بك ، فقلت أوصنى فقال عليك بالإخلاص وحفظ العهد فيما بينك وبين الله تعالى ثم تركنى وانصرف رضى الله عنه .

الحكاية الثالثة بعد الأربعمائة

حكى أن رجلا باع نفسه للفقراء فى حق الفقراء فقيل له لم فعلت هذا وكيف تبيع نفسك فقال يا قوم ما فعلت ذلك إلا لأمر أطلعنى الله عليه كنت نائما فرأيت في المنام ملكين قد وقفا بين يدي فسألنى أحدهما فقال ما تقول فى قول الله تعالى ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**﴾(١) قلت الله أعلم قال لابد أن تقول قلت من كان عبدا لله لم يكن لعدو عليه سلطان فقال ما صفات العبد قلت الله أعلم قال لابد أن تقول قلت ، صفات العبد امتثال أوامر سيده ، مجتنبا لنواهيه فى كل حال ثم

---

(١) سورة الحجر : الآية ٤٢ .

غابا عنى فلما أصبحت فكرت فى حالى فلم أر نفسى أهلا للعبودية ولا للمراقبة ولم أر أحدا جمع الصفات المحمودة إلا هذه الطائفة فقلت أبيع نفسى لهم فأكون من عبيد العبيد فبعتها لهم وهأنا عبد من عبيد عبيدهم ، ثم بكى وقال وحقه ما رأيت نفسى أهلا لمجالسته ولا لمراقبته ولا ممن يصلح لخدمته رحمة الله عليه.

(وحكى) أيضا عن بعض الفقراء قال كنت يوما متفكرا فى نفقة العيال فاشتغل قلبى ساعة فنمت لأستريح فرأيت فى منامى كأنى فى جزيرة فى وسط بحر فقلت من أين يصلني ما آكل وما أشرب فى هذا المكان فهتف بى هاتف وقال لي يا هذا لو كان رزقك خلف سبعة أبحر لأتاك ، فانتبهت مسرورا وزال عنى ما كنت أجد ثم بعد ذلك جاءتنى رسالة على يد بعض الأصحاب من رجل لم يخطر ببالى فقال صدق الله تعالى فى قوله: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾[1] رحمه الله.

الحكاية الرابعة بعد الأربعمائة

حكى عن أحد المشايخ أنه قال كانت لى زوجة وكنت مشغوفا بها فبينما أنا عندها فى بعض الأيام فى البيت نائم أدركتنى حالة فى المنام فسمعت ما نطقت به وعاينت حالتى وكانت حالة عظيمة فلما أفقت قالت ما شأنك ياسيدى فقلت ما رأيت قالت خيرا فسكت عنها ثم خرجت وخليتها فقالت لخادم لنا ناد لي أمى وأختى قال فناداهما فاجتمعت بهما وقالت جرى لزوجى كذا وكذا وأخبرتهما بالصورة وقالت والله لابقيت له زوجة أبدا فهو مجنون ولا أقيم معه فى الدار فعزلها أهلها على ذلك وقصدوا ردها فأبت فقالوا تقيمين فى الدار حتى نجتمع به فلماعلمت بذلك أتيت إليها وقلت لها ما مقصودك قالت الفراق وإلا قتلت نفسى وأنت السبب فى ذلك ، فقلت لها أمهلينى سبعة أيام فقالت نعم ثم إنى وجدت مشقة كبيرة فى فراقها فقصدت رضاها بشيء كثير من الدنيا فأرسلت جماعة من الأهل إليها فأبت فلما تيقنت عزمها على ما ذكرت لحقنى وَلَهٌ وتغيرت أحوالى وتشوش خاطرى ولم أجد من يحمل عنى ذلك فلما بقى من الأجل ليلة واحدة وقد اشتد بى الحال وضاقت بى الأرض رجعت إلى الله تعالى وفوضت أمرى إليه وعزمت على أن مايفعل الله تعالى أرضى به ثم دعوت بهذه الكلمات : (اللهم ياعالم الخفيات ويا سامع الأصوات يامن بيده ملكوت الأرض والسموات ويا مجيب الدعوات استغثت بك واستجرت بك يامجير) ثلاث مرات ، ثم جلست حتى كان النصف الأخير من الليل وأنا مستقبل القبلة وإذا بها قد دخلت مسرعة وقبلت رجلى وقالت سألتك بالله العظيم ارض عنى

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان ٢ ، ٣.

فقد تبت مما كنت أطلبه منك وقد رجعت إلى الله تعالى فاسأله أن يقبل توبتى ، فقلت لا أرضى عنك حتى تخبرينى بسبب هذا فقالت كنت البارحة مصرة على ذلك العزم فأتانى رجل فى المنام وبيده اليمنى سوط وفى الأخرى سكين وقال لى إن رجعت عن هذا الأمر وإلا قتلتك بهذه السكين ثم جلدنى ثلاث جلدات فانتبهت مرعوبة وحرارة ذلك الضرب فى قلبى فقعدت ساعة ثم نمت فرأيت الرجل بعينه قد أتانى وبيده السوط والسكين وقال لى أما حذرتك ووعظتك وأمرتك ثم رفع يده علي فانتبهت مرعوبة وأتيت إليك مسرعة لتقبل توبتى وترضى عنى وتسأل الله لى ، ثم كشفت عن جسدها فرأيت أثر ثلاث ضربات فقلت لها الله يتوب عليك وعلى ، وقد رضيت عنك فى الدنيا وفى الآخرة فقالت صداقى هبة لك شكرا لله عز وجل وعندى عشرون دينارا من حقى هى وثيابى للفقراء شكرا لله فلا أصبحت فعلت ذلك ثم نظرت أنا فعل الله بى ولطفه وعلمت أن ذلك ثمرة الرضا بحكم ما يفعل وتيقنت أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى ثم أقمت معها بعد ذلك سبع سنين وأنا فى أكمل مسرة حامدا راضيا بما يفعل الله ثم ماتت رحمة الله عليها ، فرأيتها بعد موتها فى المنام فى أجمل صورة وعليها من الحلى والحلل مالا أطيق وصفه فقلت لها مافعل الله بك وماذا لقيت من ربك قالت كما ترى وأنا منتظرة لقاءك رضى الله عنك كما رضيت عنى.

(وحكى) أيضا عن أحد الفقراء قال كانت لى جارية وكنت إذا أمرتها بأمر تمتثله فقلت لها يوما يا جارية هل لك أن تنشدى شيئا من الشعر قالت نعم يا سيدى فقلت لها قولى فأنشدت :

فلولاك يا ليلى ولولاك يا نعمى   ولولاك ما طبنا ولا طابت الدنيا

فقلت أحسنت ياجارية فما تقولين جائزة هذا البيت يكون عتقك عوضا عنها وأعطيك شيئا من الدنيا فقالت يا سيدى أنت مقصودى وعتقى نعمة علي فلست أشتغل بالنعمة عن المنعم فقلت لها أنت حرة لوجه الله وكل ما فى المنزل فهو ملك لك ثم ملأنى كلامها فخرجت إلى السياحة من وقتى وتركتها فغبت عنها سنة كاملة وكلامها كلما مر بخاطرى يقع فى باطنى كالحديد وعاينت فى تلك الحركة مالا يحد ولا يوصف ثم رجعت إلى المكان الذى كنا فيه فوجدتها على حالة مرضية تواصل سبعة أيام وتأكل فى الشهر أربعة أيام فتزوجت بها وأقامت عندى سنة تراقب أحوالى وتلازم خدمتى ثم ماتت فى السنة الثانية رحمة الله عليها.

الحكاية الخامسة بعد الأربعمائة

عن أبى الحرث الأوسى رضى الله عنه

قال شهدت الفداء فى الأسرى فكنت أرى كل أسير إذا خرج من مركب أخذ من مال السلطان فقلت بالله تعالى ما فى هؤلاء القوم رجل يتقى هذا المال فلماكان بعد أيام نزل شيخ فعرضوا عليه دنانير وخلعا وطعاما فلم يأخذ منها شيئا فقلت فى نفسى الله أكبر واتبعته حتى لحقته فعرضت عليه دراهم معى من جهة طيبة ، وقلت الحمد لله الذى لم يخل الأرض من ولى له فلم يقبل الدراهم وضرب بيده إلى حصى فى الساحل فإذا هو ياقوت أحمر وأصفر فقال لى من كان حاله مع مولاه مثل حالى لا يحتاج إلى دراهم ، فقلت له يا حبيبى أى شىء كنت تعمل فى بلد الروم وهذا حالك معه ، قال نعم أقول لك أسأت فيما بينى وبينه وتركت الأدب فعاقبنى بالأسر فتبت إليه فرجع إلى فاستحييت منه أن أخرج من بلد الروم وأترك فيه المسلمين فتأخرت لخروجهم رضى الله عنهم.

الحكاية السادسة بعد الأربعمائة

عن أحدهم

قال كنت بمكة فجاءنى رجل من أهل اليمن فقال لى جئتك بهدية ثم قال لرجل كان معه حادثه ما كان منك فقال خرجت من صنعاء حاجا فشيعني جماعة وقال لى رجل منهم إذا زرت النبى ﷺ فاقرأ عليه منى السلام وعلى صاحبيه رضى الله عنهما وعن سائر الصحابة ، قال فدخلت المدينة ونسيت ما استودعنى الرجل من السلام فخرجنا إلى ذى الحليفة لنحرم فلما أردنا الإحرام ذكرت أمانتى فقلت لأصحابى احتفظوا براحلتى حتى أرجع إلى المدينة فى حاجة فقالوا الساعة ترحل القافلة ونخشى أنك لا تلحق قلت فخذوا معكم راحلتى ، فدخلت المدينة فسلمت على النبى ﷺ وعلى صاحبيه رضى الله عنهما عن الرجل فأدركنى الليل واستقبلنى إنسان فسألته عن الرفقة فقال قد رحلت فرجعت إلى المسجد وقلت أقيم إلى أن تجىء رفقة أخرى ونمت فلما كان آخر الليل رأيت النبى ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما فقال أبو بكر يا رسول الله هذا الرجل فالتفت ﷺ إلى وقال أبو الوفاء فقلت يا رسول الله كنيتى أبو العباس فقال لي أنت أبو الوفاء وأخذ بيدى فوضعنى فى المسجد الحرام فأقمت بمكة ثمانية أيام حتى وردت الرفقة رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

الحكاية السابعة بعد الأربعمائة
عن أحد الصالحين

قال صعدت جبل لبنان مع نفر نلتمس رجلا من العباد الزهاد المقيمين فيه فسرنا ثلاثة أيام فضربت على رجلى فجلست على جبل شامخ ومضى أصحابى يدورون فى الجبل على أنهم يرجعون إلى فلم يعودوا وبقيت وحدى إلى غد ذلك اليوم وطلبت ماء لأتطهر به للصلاة فوجدت أسفل الجبل عينا فتوضأت منها وقمت أصلى فسمعت صوت قارئ فلما فرغت من الصلاة اتبعت الصوت فوجدت كهفا فدخلته فإذا فيه رجل ضرير جالس فسلمت عليه فرد على السلام وقال لى أجنى أنت أم إنسى.

فقلت بل إنسى فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ما رأيت ههنا إنسا منذ ثلاثين سنة غيرك، ثم قال لى لعلك تعبت اطرح نفسك فدخلت داخل الكهف فرأيت ثلاثة قبور صفا فنمت عندها فلما كان وقت صلاة الظهر صاح بى الصلاة يرحمك الله، ولم أر رجلا أعرف بأوقات الصلاة منه فصليت معه، ثم قام يصلى فلم يزل يصلى إلى العصر فلما صلى العصر نهض قائما يدعو فسمعته يقول فى دعائه:

(اللهم أصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ) فلما صلينا المغرب قلت له من أين لك هذا الدعاء قال من دعا به كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من البدلاء، فقلت من علمك هذا فقال لا يحتمل إيمانك ذلك.

قال المؤلف كان الله له وقال الشيخ الإمام العارف بالله تعالى عالي المقام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وغيره من الكبار العارفين من قال كل يوم (اللهم اغفر لأمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم استر أمة محمد اللهم اجبر أمة محمد) كتب من الأبرار رضى الله عنهم.

قالوا وهو دعاء الخضر عليه السلام رجعنا إلى تمام الحكاية قال فلما صلينا العشاء قال لى تأكل فقلت نعم، قال ادخل داخل الكهف فكل ما تجد فدخلت فوجدت صخرة عليها جوز وزبيب وخرنوب وتفاح وتين وحبة الخضراء كل واحد من ذلك فى ناحية فأكلت منه ما أردت فلما كان وقت السحر أوتر وذلك أنه لم ينم فى ليلته ثم أكل مما كان هناك وجلس حتى صلينا الفجر فنام وهو جالس إلى أن طلعت الشمس وارتفعت نحو رمحين ثم قام فتوضأ ودخل الكهف فقلت له من أين هذه الفاكهة فما رأيت أطيب منها، قال فسترى ذلك معاينة فدخل طائر جناحاه أبيضان وصدره أحمر ورقبته خضراء وفى منقارة حبة زبيب وبين رجلية جوزة فوضع الزبيبة على الزبيب والجوزة على الجوز، فلما أحس بجناحيه قال لى رأيته قلت نعم قال هذا الطائر يأتينى بهذه الفاكهة منذ ثلاثين سنة قلت كم يتردد إليك في اليوم قال سبع

مرات فعددت فإذا به تردد فى اليوم خمس عشرة مرة فعرفته بذلك فقال قد زادك مرة اجعلنا فى حل ورأيت عليه من اللباس من لحاء شجر يشبه الموز فقلت له من أين لك هذا فقال يأتينى هذا الطائر فى كل عاشوراء بعشر قطع من هذا اللحاء ، فأصنع منه قميصا ومئزرا وكانت عنده مسلة يخيط بها اللحاء ورأيت تحته مما قد خلق من ذلك مفروشا ورأيت عنده حجرا يصب عليه الماء ثم يأخذ الماء الذى ينزل منه فيمسح به الشعر الذى ينبت عليه فيحلقه وكنت عنده جالسا فدخل عليه سبعة نفر أعينهم مشقوقة بالطول حمر وكانت ثيابهم شعورهم فقال لى بالفارسية لا تجزع منهم فإنهم من مسلمي الجن ، فقرأ عليه أحدهم سورة طه وآخر سورة الفرقان وآخر تلقن من سورة الرحمن آيات ثم خرجوا وسمعته وهو ساجد فى بعض الأيام يقول فى سجوده: (اللهم امنن علي بإقبالى عليك وإصغائى إليك وإنصافى لك والفهم عنك والبصيرة فى أمرك والنفاذ فى خدمتك وحسن الأدب فى معاملتك) ورفع صوته فقلت له من أين لك هذا الدعاء فقال ألهمته ولقد كنت أدعو به فى بعض الليالى فسمعت هاتفا يهتف بى يقول إذا دعوت بهذا الدعاء ففخم فإنه مستجاب فأقمت عنده أربعة وعشرين يومًا ثم قال لي حدثني بقصتك كيف وصلت إلى ههنا فحدثته فقال لى لو علمت أن قصتك هذه ما تركتك عندى هذه المدة لأنك قد شغلت قلوب إخوانك وقد ندموا على ما فرطوا فى أمرك ورجوعك إليهم أفضل من مقامك عندى فقلت له فإني ما أعرف الطريق فسكت فلما كان وقت زوال الشمس قال لى قم حتى تمضى فقلت له أوصنى بوصية ، فقال لى عليك بالجوع والأدب فإني أرجو لك أن تلحق بالقوم وأهدى لك أيضا هدية اطلب يوم الزيارة بعد العصر بين زمزم والمقام رجلا ووصفه لى ثم قال إذا لقيته فاقرأ عليه السلام واساله يدعو لك ثم خرج من الكهف وأنا معه وإذا بسبع قائم على باب الكهف فتكلم معه بكلام لم أفهمه ، ثم قال لى اتبعه فإذا وقف انظر عن يمينك أو عن يسارك فإنك تجد الطريق فسار السبع أمامى ساعة ، ثم وقف فنظرت عن يمينى فإذا أنا على قبة دمشق فدخلت الجامع فلقيت بعض من كان معى فحدثته الحديث وخرجنا جميعا ومعنا خلق كثير حتى صرنا إلى ذلك الجبل ، وذلك الموضع بعينه فطلبنا الكهف ثلاثة أيام فلم نجده فقالوا هذا شيء كشف لك وغطى عنا فكنت أحج كل سنة وألتمس الرجل الذى وصفه لى فما كنت أراه حتى كان بعد ذلك بثمانى سنين ، رأيت ذلك الرجل على ما وصفه لى بين زمزم والمقام بعد العصر فسلمت عليه فرد على السلام فسألته الدعاء فدعا لى بدعوات فقلت له إن إبراهيم الكرمانى يقرئك السلام فقال لى وأين رأيته قلت فى جبل لبنان فقال لى رحمه الله فقلت له أو قد مات قل نعم الساعة دفنته عند إخوانه

فى الغار الذى كان فيه وصلينا عليه فبينما نحن نغسله إذا بالطائر الذى كان يأتيه بقوته قد سقط فلم يزل يضرب بجناحيه حتى مات فدفناه عند رجليه ثم قام الرجل فدخل الطواف فلم أره بعد ذلك رضى الله عن الجميع ونفعنا به آمين.

الحكاية الثامنة بعد الأربعمائة
عن أحدهم

قال ركبت فى مركب فى البحر ومعى رفيق لى فلماسار المركب سكنت الريح فطلبوا مرسى وقربوا المركب من الساحل وكان إلى جنبى شاب حسن الوجه فنزل إلى الساحل ودخل بين أشجار على شاطئ البحر ثم رجع إلى المركب فلما غابت الشمس قال لى ولصاحبى إنى ميت الساعة ولى إليكما حاجة قلنا ما هى قال إذا أنا مت فكفنانى بما فى هذه الرزمة وخذا هذه الثياب التى على ومخلاتى فإذا دخلتما مدينة صور فأول من يلقاكما ويقول لكما هاتا الأمانة فادفعاها إليه فلما صلينا المغرب حركنا الرجل فإذا هو قد مات فحملناه إلى الشط وأخذنا فى غسله وفتحنا الرزمة فإذا فيها ثوبان أخضران مكتوبان بالذهب وثوب أبيض فيه صرة فيها شىء كأنه الكافور ورائحته رائحة المسك فغسلناه وكفناه فى ذلك الكفن وحنطناه بما كان فى الصرة من الطيب وصلينا عليه ودفناه فلما دخلنا مدينة صور استقبلنا غلام أمرد حسن الوجه عليه ثوب شرب وعلى رأسه منديل ديبقى فسلم علينا وقال هاتا الأمانة فقلنا له نعم وكرامة ولكن ادخل معنا هذا المسجد نسألك عن مسأله قال نعم فدخل معنا المسجد فقلنا له أخبرنا عن الميت ومن أنت ومن أين له ذلك الكفن فقال أما الميت فكان من البدلاء الأربعين وأنا بديله وأما الكفن فأتى به الخضر عليه السلام وعرفه أنه ميت ثم لبس الثياب التى كانت معنا ودفع إلينا الثياب التى كانت عليه وقال بيعاها وتصدقا بثمنها إن لم تحتاجا إلى لبسها فأخذناها ودفعنا السراويل إلى المنادى يبيعه فلم نشعر إلا وإذا بشيخ يبكى وصراخ النساء فى الدار فلما وصلنا إلى الشيخ سألنا عن السراويل والتكة فحدثناه الحديث فخر ساجدا لله تعالى، ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذى أخرج من صلبى مثل هذا ثم صاح بأمه وقال لنا حدثاها الحديث فحدثناها، فقال لها الشيخ احمدى الله تعالى الذى رزقك مثله فلما كان بعد سنين بينما أنا واقف بعرفات وإذا أنا بشاب حسن الوجه عليه مطرف خز فسلم على وقال أتعرفني قلت لا، فقال أنا صاحب الأمانة الصورى ثم ودعني وغاب عنى وقال لولا أن أصحابى ينتظروننى لأقمت معك فمضى وتركنى فإذا أنا بشيخ خلفى من أهل المغرب كنت أعرفه يحج كل سنة فقال لى من أين تعرف هذا الشاب فقلت هذا يقال إنه من

الأبدال الأربعين فقبال هو اليوم من العشرة وبه يغاث الناس والعباد رضى الله عنه ونفعنا به وبأمثاله.

الحكاية التاسعة بعد الأربعمائة

قال أحد الشيوخ دخلت أنا وعشرة نفر فى جبل لكام فسرنا فيه أياما وانحدرنا إلى واد فإذا فيه بحيرة ماء عذب وإذا على شاطئ البحيرة مسجد مبنى من حجر أبيض وإذا بعين ماء تحت المسجد تجرى إلى البحيرة فجلسنا فيه فلما كان وقت الظهر جاء رجل فأذن ثم دخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم أقام الصلاة فدخل شيخ ومعه ثلاثون رجلا فتقدم إلى المحراب وصلى بنا ثم انصرفوا ولم يكلمونا ، فلما كان وقت العصر صلينا نحن ولم نرهم ، فلما كان وقت المغرب جاء الرجل فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ فصلى بنا ثم قاموا يصلون إلى أن غاب الشفق الأحمر ، ثم أذن وأقام وصلى بنا الشيخ العشاء ثم انصرفوا ولم يكلمونا ولم نكلمهم فلما كان بعد ساعة جاء رجل منهم معه شيء فوضعه فى زاوية المسجد ثم قال لنا هلموا ، رحمكم الله فقمنا إليه فإذا نحن بمنديل أبيض لم نر مثله تحته مكبة من زمرد أخضر فكشفناها فإذا هى بمائدة من ياقوت أحمر عليها طعام يشبه الثريد فأكلنا منه فكنا نأكل ولم ينقص منه شيء فلما كان وقت السحر جاء ذلك الرجل فحمل المائدة ثم أذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ فصلى بنا وجلس فى محرابه فختم القرآن وحمد الله وأثنى عليه ودعا بدعاء حسن ، ثم قال إن الله تعالى افترض على خلقه فريضتين فى آية واحدة والخلق عنها غافلون فقلت وما هى رحمك الله فقال لى تقدم جبرك الله فقدمني على الجماعة وقال لى نعم يا بني جبرك الله قال الجليل جل جلاله : ﴿**إن الشيطان لكم عدو**﴾ فوصفه بالعداوة لنا ثم قال : ﴿**فاتخذوه عدوا**﴾[1] فهذا أمر لنا أن نتخذه عدوا قال فقلت له كيف نتخذه عدوا ونحصن منه الحصون قال الحصن الأول من ذهب وهو معرفة الله تعالى وحوله حصن من فضة وهو الإيمان بالله وحوله حصن من حديد وهو التوكل على الله وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عن الله وحوله حصن فخار وهو الأمر والنهى والقيام بهما ، وحوله حصن من الزمرد وهو الصدق والإخلاص فى جميع الأحوال وحوله حصن لؤلؤ رطب وهو أدب النفس ، فالمؤمن من داخل هذه الحصون وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب ، والمؤمن لا يبالى به لأنه قد تحصن بهذه الحصون فينبغي للمؤمن ألا يترك أدب النفس فى أحواله ولا يتهاون به فى كل ما يأتيه فإن من ترك أدب النفس وتهاون به يأتيه الخذلان من فوق لتركه الأدب ولا يزال إبليس نعوذ بالله منه يعالجه ويطمع فيه حتى

---

(١) سورة فاطر: الآية ٦.

يأخذ منه الحصن الأول ، ثم لا يزال يأخذ منه حصنا بعد حصن إذا ترك الأدب ويطمع فيه ويأتيه الخذلان من الله تعالى لتركه حسن الأدب حتى يأخذ منه جميع الحصون السبعة ويرده إلى الكفر فيخلد فى النار نعوذ بالله من جميع ذلك ونسأل الله التوفيق وحسن الأدب .

قال فقلت له أوصنى بوصية قال نعم جبرك الله اجتهد فى رضا خالقك قدر ما تجتهد فى رضا نفسك ، واعمل فى دنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لربك بقدر حاجتك إليه ، وأطع إبليس لعنه الله بقدر نصحه لك، وهى الخديعة منه ، وارتكب من المعاصى بقدر طاقتك على النار واحفظ لسانك عما لا ترجو فيه ثوابا كما تحفظ نفسك من سلعة لا ترجو فيها ربحا ، واترك أربعة لأربعة ثم لا تبال متى مت اترك الشهوات إلى الجنة ، والنوم إلى القبر ، والراحة الى الصراط ، والفخر إلى الميزان ثم قام ومشى وأقمنا يومنا ذلك فلما كان الليل جاء الرجل ومعه تلك المائدة وعليها مثل ذلك الطعام فأكلنا وأقمنا عندهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعنا الشيخ وقال فى آخر كلامه لنا يا فتيان استروا المكان يستركم الله فى الدنيا والآخرة فانصرفنا من عندهم وسرنا فى واد على جانبه أشجار مثمرة من كل لون من الثمر فرأينا من بعيد على شاطئ النهر كركيا قائما فقربنا منه فإذا هو مطموس العينين فبقينا نتعجب من أمره فبينما نحن قيام إذ أقبلت نحلة سوداء خلفها نحل كثير فلما وصلت إلى الكركى دبت ففتح منقاره فوضعت النحلة فيه عسلا ولم يزل النحل يدخلن واحدة بعد واحدة ويصببن العسل فى فيه ولم يبق منهن شيء فامتلأ فمه من العسل فأطبق عليه منقاره فسقط منه شيء من العسل فأخذته وأكلته وانصرفنا رضى الله عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم.

(قلت) ذكر الشيخ المذكور رضى الله عنه أن الشيطان نعوذ بالله منه لا يزال يأخذ الحصون المذكورة حتى يرد العبد إلى الكفر فيخلد فى النار نعوذ بالله من ذلك، وما قاله فى نهاية الحسن والتحقق ولكن قد يستولى الشيطان على بعض الحصون المذكورة دون بعض فيؤدى العبد الى الفسق دون الكفر فيستحق النار من غير تخليد وقد لا يؤدية إلى الفسق ، ولكن يرده إلى أضعف الإيمان فلا يستحق النار ولكن يستحق النزول عن مقام أهل الإيمان الكامل ، وكل هذا التفاوت بحسب تفاوت الحصون المذكورة فليس أخذ حصني المعرفة والإيمان كأخذ بقية الحصون المذكورة وبقية الحصون تتفاوت أيضا فليس أخذ حصنى الصدق والإخلاص كأخذ حصن الأمر والنهى وكذلك سائر الحصون والكلام فيها يطول ولكن مهما بقى حصن الإيمان

وحصن التوكل الكاملين لـلعبد لم يقدر عليه الشـيطان لقوله تعالى : ﴿إنه ليس له سلطان على الذيـن آمنوا وعلى ربهم يتـوكلون﴾[1] وهؤلاء هم المتصفـون بالعبودية الكاملة لقوله تعالى : ﴿إن عـبادى ليس لك عليـهم سلطان﴾[2] لقوله تعالى : ﴿إنما المؤمنـون الذين إذا ذكـر اللـه وجلت قلـوبهم﴾ إلى قـوله تعـالى: ﴿وعلى ربـهم يتوكلون﴾ ثم قال فى آخر وصفهم : ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾[3] وقد يكون أخذ حصن واحد مؤديا الى الكفر موقعا فى التخليد فى النار كحصن الإيمان ولكن لا أحد على الوصول إلى أخذ حصن الإيمان حتى يأخذ الحصون التى حوله إن كانت موجودة فنسأل الله الكريم التوفيق والهدى والسلامة من الزيغ والردى.

الحكاية العاشرة بعد الأربعمائة
عن أحدهم

قال كنت جالسا فى مسجد رسول الله ﷺ ومعى رجل من أهل البحرين يقال له خير فدخل علينا من باب المسجد سبعة أنفس فقال لى خير الحق بالقوم لا يفوتوك فإنهم أولياء فقمت خلفهم فإذا هم عند قبر النبى ﷺ قيام فتقدمت إليهم فالتفت إلى واحد منهم فداخلنى الرعب حتى بلت فخرج القوم وخرجت معهم فالتفت إلى واحد منهم وقال لى إلى أين تأتى ارجع فإنك لا تلحقنا فـقال له واحد منهم دعه لعل الله يجبره فقال له ما له أربعون سنة فقال دعه لعل الله يجبره فيلحقه بدرجة القوم فسرت معهم فكنت أرى ونحن نسـير كأن الجبال والأرض تطوى فنرى من بعيـد جبلا نجوزه ونرى سهلا من بعيد نجـوزه فى الحال وكنت أسمع دبيب الأرض مثل الرحا ، وكنت أرى كنوز الأرض تظهر لنا وتغيب عنا حتى وصلت إلى واد كثيـر الشجر كثير النبات فإذا أقـوام ينزلون بواد نحـو من سبـعين رجلا فـبتنا فى ذلك الوادى فلمـا أصبـحنا وطلعت الشمس قمنا فإذا نحن بمدينة عليها سور أبيض من حجارة قطعة واحدة ونهر عظيم يدخل إليها وليس للمدينة باب إلا من الموضع الذى يدخل منه الماء وعليه شباك من ذهب فدخلنا جمـيعا ونحن نحو من مائة نفس فـإذا فيها قباب من ذهب وتحـتها عمد من ذهب وفضة وفيها أنهار من ذهب يجرى فيها الماء وأشجار بين القباب مثمرة وأرضها مفروشة بنبات الريحان وفيـها طيور من كل لون وثمار كثيرة وتفاح وزن كل

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٩. (٢) سورة الإسراء: الآية ٦٥.

(٣) سورة الأنفال: الآيات ٢ ، ٣، ٤.

تفاحة نحوا من خمسة أرطال بالبغدادى وكل تلك الفاكهة لا تشبه فاكهة الدنيا فى الطعم واللون والريح وكنا نأكل من التفاح وغيره وكان أحدنا يأكل فى الوقت مائة ومائتين ولا يشبع من التفاح والسفرجل والرمان والكمثرى ومن كل نوع من الثمار إلا النخل ، فأقمنا بها أربعين يوما ليس لنا فيها عمل إلا الصلاة والأكل وكنا لا نحتاج إلى وضوء ولا شرب ماء ولا نوم فلما كان بعد الأربعين خرجنا منها فأخذت منها ثلاث تفاحات فلم يمنعونى فخرجنا من الموضع الذى يدخل منه الماء وكنا دخلنا منه فلما سرنا ساعة قالوا إلى أين تريد فقلت الموضع الذى أخذتمونى منه وسألتهم عن اسم المدينة فقال لى واحد منهم هذه مدينة الأولياء جعلها الله عز وجل نزهة لأوليائه فى دار الدنيا فمرة تظهر لهم باليمن ومرة تظهر لهم بالشام ومرة بالكوفة ولم يدخل هذه المدينة من لم يبلغ الأربعين غيرك فلما كان بعد ساعة انتهينا إلى موضع فقلت ماهذا الموضع قالوا اليمن وكنت آخذ من التفاح قطعة صغيرة فما أحتاج إلى طعام أياما كثيرة ولم يزل معى التفاح آكل منه إلى أن دخلت مكة فلقيت الكنانى فأعطيته من التفاح واحدة فلما كان اليوم الثانى لقينى رجل فقال لى لم فعلت هذا ولم حدثت بما رأيت فقد أخذنا ما أعطيت الكنانى ورددناه إلى مكانه فلقيت الكنانى فقال كانت عندى فى حق فلما أمسيت ذهبت لآكل منها فلم أجدها قلت وقد تقدمت فى هذا الكتاب حكاية تشبه هذه وليست هى هى وفى كل واحدة منهما أشياء ليست بالأخرى وكل ذلك ممكن فى قدرة الله تعالى وشائع فى كرامات أوليائه رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين.

الحكاية الحادية عشرة بعد الأربعمائة
عن الشيخ أبى عمران الواسطى رضى الله عنه

قال خرجت من مكة أريد زيارة قبر النبى ﷺ ، فلما خرجت من الحرم أصابنى عطش شديد حتى أيست من نفسى فجلست تحت شجرة أم غيلان آيسا من نفسى ، فإذا فارس قد أقبل على فرس أخضر وسرجه ولجامه وثيابه وآلته خضر وفى يده قدح أخضر فيه شراب أخضر فدفعه إلى وقال لى اشرب فشربت ثلاث مرات ، لم ينقص مما فى القدح شىء ثم قال لى أين تريد فقلت المدينة لأسلم على النبى ﷺ وعلى أصحابه رضوان الله عليهم فقال إذا فعلت فقل لهم رضوان يقرئكم السلام.

كذلك روى أيضا عن أحد الصالحين قال كنت جالسا فى بيت المقدس عند منبر سليمان عليه السلام يوم الجمعة بعد صلاة العصر ، وإذا أنا برجلين يشبه أحدهما خلقنا والآخر طويل عظيم الخلق كان عرض جبهته أكثر من ذراع وكان فيها

ضربة قد خيطت فجلس الذى يشبهنا عندى وسلم على وجلس الآخر بعيدا منى ، فقلت له من أنت يرحمك الله قال أنا الخضر فقلت ومن ذلك الرجل ، قال أخى إلياس فداخلنى ما يداخل مثلى فقال لى لا بأس عليك نحن نحبك ثم قال لى من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة فقال يا ألله يا رحمن إلى أن تغرب الشمس ثم سأل الله تعالى شيئا أعطاه إياه فقلت له آنستنى آنسك الله بذكره هل كل ولى فى الأرض تعرفه ، قال المعدودين قلت وما معنى المعدودين قال إنه لما قبض النبى ﷺ شكت الأرض إلى ربها سبحانه وتعالى فقالت بقيت لا يمشى على نبى إلى يوم القيامة فأوحى الله تعالى إليها أني سأجعل من هذه الأمة رجالا مثل الأنبياء قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال فقلت له كم هم قال ثلثمائة وهم من الأولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم أوتاد الأرض وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد هو الغوث ، فإذا مات الغوث اختير من الثلاثة واحد فجعل فى رتبته واختير من السبعة واحد فجعل فى الثلاثة واختير من العشرة واحد فضم إلى السبعة ومن الأربعين إلى العشرة ومن السبعين إلى الأربعين ومن الثلثمائة إلى السبعين واختير من الدنيا واحد إلى الثلثمائة يعنى من أهل الدنيا هكذا إلى يوم ينفخ فى الصور منهم من قلبه مثل قلب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ومنهم من قلبه مثل قلب نوح وإبراهيم عليهما السلام فقلت له مثل قلب إبراهيم تعظيما له قال نعم ومثل قلب جبريل وداود وسليمان عليه الصلاة والسلام ، أما سمعت قول الله سبحانه ﴿**فبهداهم اقتده**﴾[1] فما مات نبى إلا وعلى طريقته رجل يسلكها إلى يوم القيامة فلو أن الأربعين اطلعوا على قلوب العشرة لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا ، وكذلك السبعون لو اطلعوا على قلوب الأربعين لرأوا قتلهم ودماءهم حلالا ، أما ترى ما كان من قصة موسى معى قال فقلت له مم طعامك قال من الكرفس والكمأة قلت فما طعام إلياس قال رغيفان من الحوارى كل ليلة قلت وأين مقامكما قال فى جزائر البحر قلت وهل تجتمعان قال نعم إذا مات ولى صلينا عليه وإذا كان موسم اجتمعنا فيه فيأخذ من شعرى وآخذ من شعره قلت فعرفنى أسماء هؤلاء القوم الذين سميتهم فأخرج درجا من كمه فيه أسماء القوم كلهم ، قد كتبهم ثم قام فقمت معه فقال لى إلى أين فقلت أمشى معك فقال لا سبيل لك إلى ذلك ، فقلت إلى أين تقصد فقال وما تريد من ذلك فقلت أصلى معك وأتبرك فقال إنى أصلى الغداة بمكة ثم أجلس فى الحجر عند الركن الشامى إلى أن تطلع الشمس

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

ثم أطوف بالبيت سبعا ثم أصلى خلف المقام ركعتين ثم أصلى الظهر بالمدينة والعصر ببيت المقدس والمغرب بطور سيناء والعشاء على سد ذى القرنين ، ثم لا أزال أحرس إلى الغداة عليه وعلى جميع المذكورين السلام.

الحكاية الثانية عشرة بعد الأربعمائة
عن أحد المشايخ

قال ورد على كتاب من أبى بكر محمد بن الشقيق يذكر فيه ما فى رقبته من الأمانات ويسألنى الدعاء أن يخلصه الله تعالى منها فى الدنيا فخرجت من المنزل أريد صلاة الظهر فلما فتحت الباب إذا برجل عليه ثياب خضر وعليه تاج من جوهر وله شعاع فسلم على وقال ما عزمك أن تكتب إلى محمد الشقيق فقلت له : ما تأمر به، فقال : اكتب إليه بعد يومنا هذا إلى سته عشر يوما يكون فى قبره فقال له أحكيه عنك فقال لا اكتب إليه فإنه يصدقك فكتبت إليه ثلاثة كتب أعرفه فيها بمنيته فلما وصلت إليه هيأ وصيته وفرغ منها وفى اليوم السادس عشر من اليوم الذى كتبت إليه فيه مات رحمه الله فرأيته فى المنام فقال لى جزاك الله من أخ خيرا وكان بينى وبينه معاهدة أن من سبق منا إلى الجنة يشفع فى صاحبه فقلت له العهد الذى بينى وبينك قال أنا على ذلك وقد وهب لى ممن لم يكن بينى وبينه معاهدة خلق لا يحصون فقلت وأنا قال أنت أخصهم وأفضلهم رضى الله عن جميع الصالحين ونفعنا بهم آمين.

الحكاية الثالثة عشرة بعد الأربعمائة
عن أحدهم

قال خرجت من عدن مع رفقة لى فلما جن علينا الليل أصابنى شيء فى رجلى فبقيت وحدى على شاطئ البحر فجلست على الساحل ولم يكن معى شيء وكنت صائما فبينما أنا كذلك وقد مهدت لنفسى لأنام فإذا أنا برغيفين وبينهما طائر مشوى فأخذت الطائر فتركته ناحيه فإذا أنا بأسود فى يده عمود من حديد فقال لى كل يا مرائى فأكلت بعض الطائر مع رغيف وأخذت الرغيف الآخر وما بقى من الطائر فجعلته فى خرقة معى ووضعته عند رأسى ونمت فانتبهت وإذا الخرقة تحت رأسى وما فيها شيء.

قال أيضا رأيت الغوث وهو القطب رضى الله عنه بمكة سنة خمس عشرة وثلثمائة على عجلة من ذهب والملائكة يجرون العجلة فى الهواء بسلاسل من ذهب

قلت إلى أين تمضى فقال إلى أخ مـن إخوانى اشتقت إليه فقـلت لو سألت الله تعالى أن يسوقه إليك فـقال وأين ثواب الزيارة واسم هذا القطب أحمد بن عـبد الله البلخى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به قلت وسـيأتى الكلام على هذه الحكاية فى آخر الكتاب فى فصل الجواب عن إنكار بعض المنكرين والله الموفق.

الحكاية الرابعة عشرة بعد الأربعمائة
عن أحد المشايخ

قال كنت جالـسا ومعى جماعـة من الصالحين بمكة وفينا رجل هاشـمى فغشي عليه فلما أفـاق قال أما رأيتم ما رأيت قلنا مـا رأينا شيئا قال رأيـت الملائكة محرمين يطوفون حول الـكعبة فقلت لهم من أنتم قـالوا ملائكة فقلت كيف حـبكم لله تعالى فقالوا نحن حبنا جوانى وحبكم برانى فقلت يعنون حبنا من داخل وحبكم من خارج.

قال ودخلت فى وقـت إلى قبة بيت المقـدس بالليل فبت فـيها فـبينمـا أنا قائم أصلى إذا بالقبة انشقت نصفين فبقيت مشقوقة حتى أبصرت السماء فنزل منها خلق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وهم يقولون سبحان من هو هو سبحان من ليس إلا هو أهيا شر اهيـا فلم يزالوا يقولون هذا فلما كان آخر الليل قـال لى واحد منهم كان إلى جانبى مـا قصتك قلت أحـببت أن أصلى فى هذا الموضع بالليل من أنتم فـقالوا نحن الملائكة دخلنا أمس البيت المعـمور ولا نعود إليه إلى يوم القيـامة وذلك أنه يدخله كل يوم سبـعون ألفا من الملائكة لا يعـودون إليه إلى يوم القـيامة فـإذا دخلوا فى يومهم ساروا فى تلك الليلة إلى بيت المـقدس وإلى الصخرة ثم يمضـون إلى بيت الله الحرام فيطوفون به أسبوعا ويصلون خلف المقام ركـعتين ثم يمضون إلى المدينة فيسلمون على النبى ﷺ ثم يرجعون إلى مصافهم فلما صعدوا انضمت القبة وأصبح الصبح.

وعن أحـدهم قـال كنت بجـبل النور بالمصـيـصـة فدخل رجـلى عظم عظيم فاجتهـدت فى نفسى كل الجهد أن أخرجـه فلم أقدر على ذلك وبقى فى رجلى أياما كثيـرة حتى ورمت وانتفخت واسودت وصـارت مثل الزق فبقـيت ملقى تحت شجرة فغلبتنى عيناى فنمت فوجدت رائحة ففتحت عـينى فإذا بحية سوداء قد وضعت فمها على الموضع الذى فيه العظم تمصه وترمى القيح والدم فغمضت عينى ، فلم تزل تمص وترمى الدم حتى وصلت إلى العظم فحـركته وأخرجته ثم أحـسست بشىء لين مسح على رجلى فلا أدرى ذلك لسـانها أو ذنبها فـجلست فإذا أنا بالدم والعظم مطروحين

وأنا لا أدرى أى الرجلين كانت تؤلمنى وزال ما عندى من الألم والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا فسبحان الله اللطيف الخبير الذى هو على كل شىء قدير.

الحكاية الخامسة عشرة بعد الأربعمائة

عن أحد الصالحين

قال وصف لى بباب من الأبواب ثلاثة نفر من البدلاء العشرة فقصدتهم وسألت عنهم فإذا واحد منهم إمام بالجامع فرأيت عليه ثيابا جميلة وبزة حسنة وله نعمة كبيرة يديرها واسمه إبراهيم واسم الآخرين الحسن والحسين فجئت إلى إبراهيم الإمام بين المغرب والعشاء فسلمت عليه وقلت له إنى قصدتك ففرح بى فلما صلينا العشاء أخذ بيدى ومضينا إلى منزله وإذا قصر عظيم وحاشية كثيرة فقدم لنا مائدة كبيرة عليها طعام كثير فجلس معنا الحسن والحسين ولم يجلس معنا إبراهيم فأكلنا وسألتهما عنه فقالا لى إنه لا يأكل إلا اللبن ، فلما كان وقت النوم فرش له فرش كثيرة فنام عليها فلم أزل أرقبه فلما كان فى بعض الليل نزل عن الفراش فصلى ركعتين من غير أن يتوضأ فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفى الآخرة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فلما سلم قال : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد) قالها ثلاثا رافعا بها صوته ثم صلى ركعتين أخريين قرأ فى الأولى منهما الفاتحة وقل أعوذ برب الفلق وفى الثانية الفاتحة وقل أعوذ برب الناس فلما سلم قال مثلما قال من الذكر المذكور ثلاث مرات ثم صلى ركعتين أخريين فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسى وفى الأخرى فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات ثم رجع بعد الذكر المذكور إلى فراشه فلما كان وقت الفجر قام وأذن وصلى ركعتى الفجر من غير أن يجدد وضوءاً ثم خرج إلى الصلاة فأقمت عندهم شهورا على هذا فلما كان يوم عرفة قال لى اقرأ اليوم سورة الأنبياء وسورة الحج ، وكلما مررت بذكر نبي من الأنبياء فصل عليه وعلى محمد ﷺ فإنك إذا فعلت ذلك أعطاك الله تعالى ثواب من حج إلى بيته الحرام فلما صلى الضحى جاءنى الحسن وأخذ بيدى من المسجد فجئنا إلى الدار فإذا القوم قد تهيئوا للإحرام فدفع إلى إزارين وقال لى انو الإحرام ، ثم خرجنا من الدار وقد حملوا معهم سطلا صغيرا مملوءاً دراهم صحاحا فلما جاوزنا المقابر صلينا ركعتين وقال لى انو الحج فنويت ثم لبوا

فلبيت معهم وسجدوا فسجدت معهم فلما كان بعد ساعة رفعوا رءوسهم ورفعت رأسى معهم فرأيت جبالا وأرضا لا أعرفها ورأيت جمالا وناسا سائرين فقال لى إبراهيم هؤلاء قوم خارجون من منى يريدون عرفة ، ثم أخذوا بيدى فسرنا حتى وافينا مسجد عرفات فاشتروا ماء فاغتسلنا واشتروا تمرا وخبزا فقال لى إبراهيم كل فقلت إنى صائم فقال لا تخالف نبيك محمدا ﷺ فقد أفطر فى مثل هذا اليوم فلما كان عند غروب الشمس دفعوا إلى السطل وفيه الدراهم فقال لى إبراهيم خذ هذا فاستعن به على أمرك وعليك بالشام ثم افترقنا فلم أرهم بعد ذلك رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

(قلت) قوله أفطر فى مثل هذا اليوم يعنى أن النبى ﷺ أفطر يوم عرفة بعرفة فى حجة الوداع والسنة للواقفين الإفطار على الصحيح ولغيرهم الصيام وصومه يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده هكذا في الحديث، وإنما شرع الفطر للواقفين لأنه أعون على الدعاء والعبادة المشروعة فى ذلك اليوم من الأذكار والتلبية وغير ذلك.

الحكاية السادسة عشرة بعد الاربعمائة

قال أحد الشيوخ اعتللت علة شديدة أيست من نفسى وأيس منى من رآنى فبينما أنا فى أشد ماكنت رأيت فى المنام فى ليلة الجمعة كأن رجلا دخل على فجلس عند رأسى ودخل بعده خلق كثير وكانوا فى وقت الدخول يشبهون الطيور فلما جلسوا صاروا فى صورة الآدميين ، فلم يزالوا يدخلون وعينى إلى الباب فلما انقطع دخولهم رفع ذلك الرجل رأسه وقال قصدى هذا البلد لعيادة ثلاثة أحدهم هذا وأومأ بيده إلى والآخر هو صالح الخلقانى بضم الخاء العجمة وبالقاف وبعد الألف نون ثم ياء النسبة ، ولم أكن أعرفه قبل ذلك ، وامرأة لم يسمها ثم وضع يده على جنبى وقال : (باسم الله ربى الله حسبى الله توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمرى إلى الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ثم قال لى استكثر من قراءة هذه الكلمات فإن فيها شفاء من كل سقم وفرجا من كل كربة ونصرا على كل عدو وأول من تكلم بهذه الكلمات حملة العرش عليهم السلام حين أمروا بحمله ولا يزالون يقولون ذلك إلى يوم القيامة فقال له رجل كان جالسا عن يمينه أو قال عن يساره يا رسول الله فإن قالها عند لقاء العدو فقال بخ بخ فيه فتح ونصر وبشر فظننت أنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم أومأ بيده إلى من كان عن يساره ﷺ وقال هؤلاء الشهداء ثم أومأ بيده إلى ما وراءه وقال وهؤلاء الصالحون ثم خرج فانتبهت وقد خرجت من علتى وبرئت منها وأصبحت أصح مما كنت والحمد لله رب العالمين.

الحكاية السابعة عشرة بعد الأربعمائة
عن أحدهم

قال لقيت بالبصرة رجلا يعرف بالمسكي وذلك من شدة ما كان يوجد منه من ريح المسك حتى إنه إذا دخل المسجد الجامع يعرف أنه قد جاء من شدة الرائحة وإذا مر فى الأسواق كذلك فقصدته وبت عنده وقلت له يا أخى أنت تحتاج إلى مال كثير فى ثمن الطيب فقال ما اشتريت طيبا قط ولا تطيبت بطيب قط وأنا أحدثك بحديثى لعلك إذا مت تترحم على إذا ذكرتنى كان مولدى ببغداد وكان أبى موسرا يعلمنى كما يعلم الناس أولادهم وكنت من أحسن الناس وجها وكان بي جياء فقيل لأبى لو أجلست ابنك فى السوق لينشط فأجلسنى فى دكان بزاز وكنت أجلس عنده طرفى النهار فلما كان بعض الأيام جاءت عجوز فطلبت منه متاعا مترفعا فأخرج لها ما طلبت فقالت له وجه معى إنسانا حتى نأخذ ما نحتاج إليه وندفع له الثمن ونرد الباقى معه فقال لى تنشط وامض معها فقلت نعم فمضيت معها حتى أدخلتنى إلى قصر عظيم فيه قبة وعلى بابه خدم وحجاب فلما وصلت إلى صحن الدار إذا أنا ببنيان عظيم فيه قبة عليها ستارة فقالت لى ادخل القبة فاجلس فيها ، فدخلت فإذا أنا بجارية على سرير عليه فرش موشى وكل ذلك مذهب لم أر أحسن منها وعليها من كل الحلى فنزلت عنه وضربت بيدها فى صدرى وجذبتنى إليها فقلت لها الله الله قالت لا بأس عليك لك عندي ما تحب فقلت لها إنى حاقن فصاحت بالجوارى فإذا بهن قد أقبلن فقالت لهن قدام مولاكن إلى الخلاء فلما دخلت الخلاء لم أجد لى فيه مسلكا أفر منه فحللت سراويلى وتغوطت فى كفى ومسحت به وجهي ويدى وقلبت عينى فدخلت جارية بيدها ماء ومنديل فصحت فى وجهها كالمجنون فولت هاربة منى وقالت مجنون فجاء الجواري ومعهن بساط فأدرجننى فيه وحملننى وطرحننى فى بستان فلما علمت أنهن مضين قمت فغسلت ثيابى ووجهي وسائر بدنى ومضيت إلى منزلى ، ولم أحدث به أحدا فرأيت تلك الليله فى منامى رجلا فقال لى أين يوسف ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الله منك أتعرفنى ، قلت لا قال أنا جبريل فمسح بيده على وجهى وبدنى فمن ذلك الوقت صار لبدنى رائحة المسك تفوح على ثيابى فهذه الرائحة من يد جبريل عليه السلام.

الحكاية الثامنة عشرة بعد الأربعمائة

قال أحد الصالحين كان بعبدان رجل من العباد يعرف بالبدوى فسألت عنه فقيل لى توفى وقال الحفار لمامات البدوى حفرت قبره فلما بلغت إلى اللحد أردت أن أسويه فبينما أنا أسويه إذ سقطت لبنة من لحد قبر يليه فنظرت في القبر الذى سقطت منه اللبنة فإذا بشيخ جالس فى القبر عليه ثياب بيض تتقعقع وفى حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه إلى وقال لى أقامت القيامة رحمك الله قلت لا فقال رد اللبنة إلى موضعها عافاك الله فرددتها رضى الله عنه ونفعنا به.

وقال أحدهم ركبت فى زورق من البصرة أريد الأبلة ومعي ثلاثة نفر يشيعونني فلما سرنا ساعة رفع الملاح المجداف وجلس فقال أصحابى للملاح مالك فأومأ إليهم أن اسكتوا فلم يكن إلا ساعة وقد وصلنا الأبلة وكان معنا زوارق فوصلت قريبا من العصر فحدث أصحاب زورقنا أصحاب الزورق أننا وصلنا فى ساعة فمضوا إلى الملاح وسألوه لم ، فقال اسكتوا رأيت فارسا أقبل راكبا على دابة لم أر أحسن منه ولا من دابته فطرح فى صدر الزورق سلسلة من ذهب وكان يسير والزورق يجرى خلفه على الماء فخشيت أن أكلمكم فيذهب عنى ما رأيت.

الحكاية التاسعة عشرة بعد الأربعمائة

قال أحد المشايخ خرجت أنا وأبو على البدوى نريد زيارة أخ من إخواننا فدخلنا البرية فأصابنا جوع فإذا بثعلب يحفرالأرض ويخرج منها كمأة ويرمى بها إلينا فأخذنا منها حاجتنا ثم سرنا فإذا نحن بسبع عظيم نائم فلما قربنا منه إذا هو ضرير فوقفنا عليه نتعجب من أمره وإذا بغراب معه قطعة لحم كبيرة فضرب بجناحيه على أذن السبع ففتح فمه فطرح فيه قطعة اللحم فقال لى أبو على هذه الآية لنا ليست للسبع فسرنا فى تلك البرية أياما ، فإذا بكوخ فيها فقصدناه فإذا فيه عجوز كبيرة ليس عندها شيء وعلى باب الكوخ حجر منقور فسلمنا عليها وجلسنا عندها ، فإذا هي مشغولة بعبادة ربها فلما غابت الشمس خرجت من الكوخ بعد أن صلت المغرب ومعها رغيفان عليهما قطعة تمر فقالت ادخلوا الكوخ فخذوا ما لكم فيه فدخلنا فإذا نحن بأربعة أرغفة وقطعتين من تمر وما فى ذلك الموضع نخل ولا تمر فأكلنا فلما كان بعد ساعة جاءت سحابة فأمطرت على الحجر حتى امتلأ ولم يسقط منه خارجا قطرة واحدة فقلنا لها كم لك ههنا قالت سبعون ألف سنة هكذا حالى مع مولاى فى قوتى وشرابى كما ترون ، فقلنا هذا الماء على هذه الحالة فقالت كل ليلة تجيء هذه السحابة فى الصيف والشتاء وهذان الرغيفان والتمر ثم قالت أين تريدون قلنا نريد أبا نصر

السمرقندى نزوره فقالت رجل صالح أبا نصر تعال إلى القوم فإذا أبو نصر قائم عندنا فسلم علينا وسلمنا عليه ، ثم قالت إذا أطاع العبد مولاه أطاعه مولاه رضي الله عنها وعن الجميع ونفعنا بهم آمين.

الحكاية العشرون بعد الأربعمائة

عن أحدهم

قال خرجت أنا ورجل يقال له محمد العابد من بيت المقدس يوم الجمعة نريد الرملة فأشرفنا على العقبة وإذا نحن بصوت يقول ما أوحش الإنسان إذا لم تكن أنيسه، وما أضيق الطريق إذا لم تكن دليله ، فأشرفنا فإذا نحن بامرأة عليها جبة من شعر وخمار من صوف وفى يدها عصا فسلمنا عليها فردت علينا السلام وقالت إلى أين فقلنا إلى الرملة فقالت وما تصنعون فيها قلنا لنا بها أحباب قالت وأين الحبيب الأكبر من قلوبكم قلنا هو حبيبنا وحبيب المؤمنين فقالت هو حبيبكم وحبيب المؤمنين باللسان ، وهو حبيبى بلسانى وقلبى فقلنا إنا نراك امرأة حكيمة إلا أنا نرى فيك زلة قالت وما هى قلنا ، امرأة شابة تسافر بغير محرم ، فأجابت ﴿**إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين**﴾[1] فأخرجت دراهم من كسائى ودفعتها إليها فقالت من أين لك هذه قلت أنا رجل مباحى آخذ من الأشياء المباحة فقالت نعم كسب الضعيف قلت وما ضعفى قالت ضعف اليقين قلنا وما علاقة اليقين قالت ما تبلغ درجة اليقين حتى تضع المقراض على لحمك الذى ربيته على غير رضاء فتذيبه حتى ينبت لحم آخر برضاه فقلنا لها لكل شيء علامة ودلالة فما دلالتك ، فضربت بيدها الأرض فأخذت كف حصى ثم قالت خذ يا ضعيف اليقين فأخذها محمد فإذا هى دنانير.

فقالت له خذها فما دخلت فى كفة ميزان ولا فى كف بنى آدم قبلك ثم قالت لى إنما لم أعطك إياها لكونك فررت منها ثم قالت أين تريدون قلنا الرملة فقالت هذه الرملة فإذا نحن بحيطان الرملة فدخلناها والناس قد انصرفوا من صلاة الجمعة فأخذ محمد الدنانير وبنى بها مسجدا بعسقلان وهو معروف إلى يومنا هذا بمسجد المباحى رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٦.

الحكاية الحادية والعشرون بعد الأربعمائة

قال أحـد الصالحين خرجـت من الليل وحدى وأنا عليل وعلى حـمى شديدة وأصابنى عطش فلما بلغ بي الجهد عدلت إلى شـجرة المقل فطرحت نفسى تحتها آيسا من الحياة فإذا أنا برجل معه أربعة أرغفة بين اثنين منها طائر مشوى وبين اثنين خبيص وكان عند رأسى ركوة فذهـب بها إلى البحر فملأها وتركهـا عندى فإذا ماء أبرد من الثلج وأحلى من العسل فزالت عنى الحـمى وما كنت أجده ثم جلس عندى وأخذت آكل فقام وقال قد جـاءت الرفقة فالتفت فرأيت نحوا من عشرين جـملا فقمت إليهم وغاب عنى رضى الله عنه ونفعنا به.

وقال أحدهـم أيضا كنت بمصر وكان بى فـاقة فدخلت بعض المساجـد فإذا أنا بشاب جالس فدفع إلى صرة فيها قطع وقال لى خذ شعرك واغسل ثيابك فجئت إلى حجام فأخذت من شعرى فدفعت إليه قطعتين فـلا صارتا فى كفه قبلهما وقال مرحبا أنا فى طلبك منذ ثلاثين سنة من أين لك هذه القطع فـإنها ليست من قطع الدنيـا لها نور عظيم من القدرة فحدثتـه بقصتها فأخذ بيدى ومضـينا إلى ذلك المسجد فلم نجد الشاب فصار الحجام لى صديقا فقال لى يومـا سمعت سهل بن عبد الله يقول علامة الولى ثلاث (إذا أراد موضـعا يكون فـيه من غيـر حركة ، وإذا أراد أخـا من إخوته يحمل إليه ، وإذا اشتـغل بعبادة أو سبب من الأسباب يجىء ملك يتـكلم عن شبهه فيحسب الناس أنه ذلك وهو الملك) قال فلما كـان بعد أيام قال لى سهل بن عبد الله إذا صليت العصر فتـعال حتى تأخذ من شعرى وتنقص من دمى فلـما صليت العصر مضـيت معه إلى مـسكنه فأخـذت من شعره ونقـصت من دمه وقـعدت أنا وهو ثم طبخنا له قدرا فلما أذن المغرب قال لى إذا صليت المغـرب فتعال حتى تأكل معى فلما صليت المغرب جاءنى رجل من أصحابه فقال لى أى شىء فاتك قد تكلم علينا سهل من العصر إلى هذا الوقت بكلام لم أسمع مثله قط فقلت له احتفظوا بما سمعتم فإنه ليس من كلام سهل بل هو من كلام ملك ، فعلمت أن سهلا تكلم بمقامه رضى الله عنه ونفـعنا به قلت هذا واضح لأن سهـلا لم يزل مع هذا الحجـام من العصـر إلى المغرب فلم يبق إلا مـا ذكر سهـل أن الولى إذا اشتغل بعـبادة أو سبب من الأسـباب يجىء ملك فيتكلم على شبهه على ما تقدم وقوله فعلمت أن سهلا تكلم بمقامه يعنى تكلم بشىء هو مقامه.

الحكاية الثانية والعشرون بعد الأربعمائة

روى عن سـهل بن عبـد الله رضى الله عنه قـال كنت بمكة فـدخلت الطواف فرأيت رجلين أحدهما آخذ بيد الآخر فقال أحدهما للآخر قل يا حى نورٍ روح سمع آذان قلبى أو قال نور روح بـصر عيـون قلبى بحق الفحـول عليك يا مروح الأرواح فدخلت بينهما وسلمت عليهما وقلت قد سمعت الكلمات وحفظت الألفاظ من أنتما رحمكما الله تعـالى فقال أحدهما أنا الخضر وهذا أخى إليـاس اذهب فلن يضرك ما فاتك بعـد حفظك لهؤلاء الكلمات وإيـاك أن تدعو بها فى شىء من أمرالدنيـا سلام الله عليهما ونفعنا بهم أجمعين.

وروى أيضا عن أبى جعـفر الحداد رضى الله عنه كنت فى مـركب صاعدا من البصرة إلى بغداد وكان معى رجل فى الركب لا يأكل ولا يشرب ولا يصلى فقلت له أى شىء أنت فقال هو نصرانى فقلت له لم لا تأكل فـقال أنا متوكل فقلت وأنا أيضا متوكل فلأى شىء قعودنا ههنا الساعة يفـتح القوم سفرتهم ويدعوننا إلى طعامهم قم بنا نخرج ونمشى فى البر ، فقال على شريطة أنا إذا دخلنا بلداً ألا تدخل أنت مسجدا ولا أنا كنيسة فقلت له لك ذلك فلحقنا المساء فى قرية فقعدنا على مزبلة فجاءنا كلب أسود وفى فمه رغـيف فوضعه قدام النصرانى فـأكله ولم يلتفت إلى ولا عرض على ثم سرنا ثلاثة أيام فى كل ليلة يأتيه كلب برغيف فيأكله فلما كان الليلة الرابعة أمسينا بقرية ، فقمت أصلى المغرب فجاء رجل ومعـه طبق عليه طعام ودورق فيه ماء فسلم على فلما فرغت من الـصلاة وضعه قدامى فقلت لـه احمله إلى ذلك الرجل وعدت إلى صلاتى فأتانى النصرانى ومعه الطبق فلما سلمت قال لى أعرض على دينك فإنى أراه خيرا من دينى فقلت وكـيف علمت ذلك قال إنه كان يوجه إلى برزقى مع كلب مثلى فكنت آكل مـا يجىء به إلى ووجه إليك بإنسان مثلك بعـد ثلاث فآثرتنى على نفسك فـعلمت أن دينك خير من دينى ثم أسلم رحـمه الله تعالى والحـمد لله الذى هدانا للإسلام وجعلنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

الحكاية الثالثة والعشرون بعد الأربعمائة

حكى عن أحد المشايـخ قال قال لى أبو بكر بن الشفق بطرسـوس إنى سمعت من أبى الخير شيئا ما يقبله قلبى منه قلت له وما هو قال ذكر أنه لقى عيسى ابن مريم عليه السلام فقلت له أنا أحكى لك حكاية تصديقا لقـول أبى الخير سمعت محمد بن حامد وقد ذكر قول النبى ﷺ كيف أخاف على أمة أنا أولهم وعيسى آخرهم صلوات الله وسلامه عليـهما فقال لى ابن حـامد إن عيسى عليـه الصلاة والسلام ينزل ثلاث مرات يظهر في أول مرة للأولياء وفي الثانيـة للصلحاء وفى الثالثة ينزل ببيت المقدس

فيراه الخاص والعام فقام ابن الشفق فدخل داره وركب دابته وخرج علينا فقلنا له أين تريد فقال إلى أبى الخير أستحله فقلت له اجلس إلى غد قال لا فإنى أخاف الموت ، فلما كان بعد أيام رجع إلى طرسوس فدخلت إليه فقال رجعت بأعجب ما مضيت فيه وذلك أنى وصلت وقد صلى أبو الخير العصر وهو فى محرابه فلما صرت بباب المسجد قال يا أبا بكر ارجع فقد جلعناك فى حل رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين.

وحكى أيضا عن أبى عمران السندى رضى الله عنه قال كنت بمصر فى الجامع الفلانى فخطر بقلبى التزوج وقوى عزمى عليه فخرج من القبلة نور لم أر مثله فإذا بيد فيها نعل من ياقوتة حمراء وشراكها من زمرد أخضر مرصع باللؤلؤ وإذا بهاتف يقول هذه نعلها فكيف لو رأيتها فذهب من قلبى شهوة النساء.

وقال محمد الوراق رحمه الله كان رجل أسود يقال له مبارك يعمل فى المباح وكنا نقول له ألا تتزج يا مبارك فيقول أسأل الله أن يزوجنى من الحور العين قال فغزونا بعض المغازى فخرج العدو علينا فقتل مبارك فمررنا به ورأسه في ناحية وبدنه فى ناحية وهو منكب على بطنه ويداه تحت صدره فوقفنا عليه وقلنا له يا مبارك كم قد زوجك الله من الحور العين فأخرج يده من تحت صدره وأشار إلينا بثلاث أصابع يقول ثلاثا.

الحكاية الرابعة والعشرون بعد الأربعمائة

روى عن أبى أحمد الحلاسى رحمه الله قال كانت لى أم صالحة فقالت لى يوما وقد عضنا الفقر وسوء الحال يا بنى إلى متى تكون فى مثل هذه الشدة فلما كان وقت السحر قلت اللهم إن كان لى فى الآخرة شيء فعجل لى منه فى الدنيا فرأيت نورا فى زاوية البيت فقمت إليه فرأيت رجل سرير من ذهب مرصع بالجواهر فقلت لها خذى هذا وخرجت إلى الجامع أحدث نفسى إلى من أدفع شيئا منه لأصحاب الجواهر ، وكيف أعمل به فلما رجعت قالت لى أمى يا بني اجعلنى فى حل فإنى لما خرجت نمت فرأيت كأنى دخلت الجنة فرأيت قصرا على بابه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، هذا لأبى أحمد الحلاسى فقلت لابنى قال لى قائل نعم فدخلته ودرت فى بيوته فرأيت فى بيت منها أسرة وبينها سرير مكسور فقلت ما أسمج هذا السرير من بين الأسرة فقال لى قائل أنت أخذت رجله فقلت ردوها إلى موضعها فانتبهت وقد غابت فالحمد لله على ذلك رضى الله عنهما والحلاسى بضم الحاء وكسر السين المهملتين.

وروى أيضا عن أحدهم قال كنت فى بلاد الروم فصحبنا رجل فرأيناه لا يأكل

ولا يشرب فقلت له ما رأيتك تـأكل شيئا من القوت منذ أحد عشـر يوما فقال إذا دنا فراقى منكم حدثتكم حـديثى فلما دنا الفراق قلت له حدثنا ما وعـدتنا قال غزونا فى أربعمائه فـخرج علينا العدو فقتل أصـحابى فخرجت أنا فكنت بين القـتلى فلما كان وقت الغروب حسـست برائحة فائحة من قبل الجـو ففتحت عينى فـإذا بجوار عليهن ثياب ما رأيت مثلها وفى أيديهن كاسات يصبـبن فى أفواه القتلى فغمضت عينى حتى وصلن إلى فـقالت واحـدة منهن اصببن فى حـلق هذا وعجلن قـبل أن تغلق أبواب السماء فنبقى فى الأرض فقـالت أخرى اسقيه وفيه رمق فقالت لهـا الأخرى اسقيه لا بأس عليك يا أختى فـصبت فى حلقى فـأنا منذ شربت ذلك الشراب لا أحـتاج إلى طعام ولا شراب.

الحكاية الخامسة والعشرون بعد الأربعمائة عن أحد الشيوخ

قال دخلت بلاد الهند فوصلت إلى مـدينة فرأيت فيها شجرة تحـمل ثمرا يشبه اللوز له قشرتان فإذا كسرت خرج منها ورقـة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ كتابة خلقية وأهل الهند يتبركون بها أويستسقون بها إذا منعوا الغيث ويتضرعون عندها فحدثت بهذا الحديث أبا يعقوب الصياد فقال لى ما أستعظم هذا كنت بالأبلة فاصطدت سمكة مكتوب على أذنها اليمنى لا إله إلا الله، وعلى اليسـرى محمـد رسول الله ﷺ، فلما رأيتـها قذفت بـها إلى الماء رضى الله عنهما قلت إنما قذف بها احتراما لها لما عليها من اسم الله ورسوله.

وعن أحدهم قـال ركبت فى البحـر وكان إلى جانبى رجل به علة البطن فـقام بالليل والمركب يسيـر فأخذت بيده فلمـا قعد على العود الذى يجلس عليـه للوضوء ضربته موجة فرمت به إلى البحـر فرجعت والناس كلهم نيام ولم يعلم به غيرى فلما صليت الفجر وإذا بالرجل إلى جـانبى فقلت له أليس قد وقعت فى البحـر فقال بلى فقلت حدثنى كيف كانت قصتك بعـدى فقال لما وقعت فى الماء لم أبلغ قرار البحر، حتى جاءنى طائر عظيم فأدخل رقبته بين رجلى فشالنى من الماء ونظر إلى المركب وقد سار فطار بى حتى وضـعنى على مقدم المركب ووضع منقاره عـلى أذنى وقال بلسان عربى: ﴿**كان ذلك فى الكتاب مسطورا**﴾(١).

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٨.

الحكاية السادسة والعشرون بعد الأربعمائة
عن أحد الروم

قال كان سبب إسلامى أنه غزانا المسلمون فكنت أساير جيشهم فوجدت منه غرة فى الساقة فأسرت نحو عشرة نفر وحملتهم على البغال بعد أن قيدتهم وجعلت مع كل واحد منهم رجلا موكلا به فرأيت فى بعض الأيام رجلا من الأسرى يصلى فقلت للموكل به فى ذلك فقال لى إنه فى كل وقت صلاة يدفع إلى دينارا فقلت وهل معه شىء قال لا ولكنه إذا فرغ من صلاته ضرب بيده إلى الأرض ودفع إلى ذلك ، قال فلما كان من الغد لبست ثيابا خلقانا وركبت فرسا دونا وسرت مع الموكل به لأتعرف صحة ذلك فلما دنا وقت صلاة الظهر أومأ إلى أنه يدفع إلى دينارا متى تركته يصلى فأشرت إليه بإصبعين أنى لا آخذ إلا دينارين فأومأ إلى برأسه نعم فلما فرغ من صلاته رأيته ضرب بيده الأرض فرفع إلى منها دينارين فلما كان وقت صلاة العصر أشار كالمرة الأولى فأشرت إليه أنى لا آخذ إلا خمسة دنانير فأشار إلى بالإجابة فلما فرغ من صلاته فعل كفعله الأول فدفع إلى خمسة دنانير فلما كان وقت المغرب أشار كذلك فقلت لا آخذ إلا عشرة دنانير فأجابنى إلى ذلك فلما صلى فعل كما تقدم ودفع إلى عشرة فلما نزلنا وأصبحنا دعوت به وسألته عن خبره وخيرته فى رجوعه إلى بلد الإسلام فاختار الرجوع ، فأركبته بغلا ودفعت إليه زادا وحملته بنفسى على البغل فقال لى أماتك الله تعالى على أحب الأديان إليه فوقع فى قلبى من ذلك الوقت الإسلام فأنفذت معه جماعة من وجوه أصحابى وأوصيتهم بإيصاله إلى أول بلد من بلاد الإسلام ودفعت إليه دواة وبياضا وجعلت بينى وبينه علامة يكتب بها إلى إذا وصل إلى مأمنه وكان بيننا وبين ذلك الموضع مسيرة أربعة أيام فلما كان اليوم الخامس رجعوا فخشيت أن يكونوا قتلوه فسألتهم عنه فقالوا لما فارقناك وصلنا معه فى ساعة واحدة وأقمنا فى رجوعنا أربعة أيام.

الحكاية السابعة والعشرون بعد الأربعمائة

روى عن الشعبى رضى الله عنه قال أقبل قوم من اليمن متطوعين بالجهاد فى سبيل الله تعالى فهلك حمار رجل منهم فترجلوا منطلقين وأرادوا أن ينطلق معهم وعرضوا عليه دابة فأبى ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين وقال اللهم إنى جئت مجاهدا فى سبيلك ابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور وإنى أطلب منك أن تبعث لى حمارى ثم قام إليه فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه وركبه وأجراه حتى لحق أصحابه ، فقالوا له ما شأنك قال سألت الله تعالى أن يبعث

لى حمارى فبعثه قال الشعبى فرأيت ذلك الحمار يباع فى الكناسة فذهب رجل من جلساء الشعبى إلى محلته فروى ذلك عن الشعبى فكذبوه وقالوا يحيى حمارا بعد الموت إنه يكذب على الشعبى قم معنا إليه فذهب معهم إلى الشعبى فقال يا أبا عمرو ألست حدثتنى بهذا الحديث فقال متى كان ذلك ، فقال القوم قد علمنا أنه يكذب على أبى عمرو فلما رجعوا قال له الرجل يا أبا عمرو أليس قد حدثتنى به فقال له الشعبى ويحك هل تباع الإبل فى سوق الدجاج رضى الله عنه.

قلت أنكر الإمام الشعبى رضى الله عنه على هذا الرجل لكونه حكى كرامة عظيمة لقوم لا تقبلها عقولهم ولا تبلغ إليها أفهامهم ومثل رأس ما لهم فى العلم برأس مال التجار فى الدجاج ومثل رأس مال من يعقلها ويقبلها فى العلم برأس مال التجار فى الإبل وهذا تساهل منه فى التمثيل بالإبل ذلك أعز وأرفع وأعلى وأغلى من الجواهر النفاس ومثل رأس مال المنكرين أقل وأصغر وأدنى وأحقر من فلوس النحاس وإلى الفريقين أشار النبى المختار بقوله عليه الصلاة والسلام لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم.

الحكاية الثامنة والعشرون بعد الأربعمائة

روى عن الشيخ عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه قال قصدت بيت المقدس فضللت الطريق فإذا أنا بامرأة قد أقبلت إلى فقلت لها يا غريبة أنت ضالة قالت كيف يكون غريبا من يعرفه وكيف يكون ضالا من يحبه ثم قالت خذ رأس عصاى وتقدم بين يدى فأخذت رأس عصاها ومشيت بين يديها سبعة أقدام أو أقل أو أكثر فإذا أنا بمسجد بيت المقدس فدلكت عينى وقلت لعل هذا غلط منى فقالت يا هذا سيرك سير الزاهدين وسيرى سير العارفين فالزاهد سيار والعارف طيار ومتى يلحق السيار الطيار ثم غابت عنى فلم أرها بعد ذلك رضى الله عنهما ونفعنا بهما بحق محمد وآله آمين.

الحكاية التاسعة والعشرون بعد الأربعمائة
عن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

قال مررت براعى غنم فقلت له هل عندك شربة من ماء أومن لبن قال نعم أيهما أحب إليك قلت الماء فضرب بعصاه حجرا صلدًا لاصدع فيه فانفجر منه الماء قال فشربت منه فإذا هو أبرد من الثلج وأحلى من العسل فبقيت متعجبا فقال الراعى لا تتعجب فإن العبد إذا أطاع مولاه أطاعه كل شىء رضى الله عنهما ونفعنا بهما وبجميع الصالحين.

وروى أيضا عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال خرج سلمان الفارسى رضى الله عنه من المدائن ومعه ضيف فإذا بظباء تسير فى الصحراء وطيور تطير فى الهواء فقال سلمان ليأتنى ظبى وطير منكن سمينان فقد جاءنى ضيف وأحب إكرامه فجاءا كلاهما فقال الرجل سبحان الله أو قد سخر لك هذا الطير فى الهواء فقال سلمان هى مشيئة الله رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية الثلاثون بعد الأربعمائة

قال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه سافرت أنا وأيوب السختيانى رضى الله عنهما قال فبينما نحن نسير فى بعض طريق الشام إذ نحن بأسود قد أقبل يحمل كارة حطب فقلت يا أسود من ربك فقال لمثلى تقول هذا ثم رفع رأسه الى السماء وقال إلهى حول هذا الحطب ذهبا فإذا هو ذهب ثم قال أرأيتم هذا قلنا نعم فقال اللهم رده حطبا فصار حطبا كما كان أولا ثم قال سلوا العارفين فإن عجائبهم لا تفنى ، قال أيوب فبقيت متحيرا خجلا من العبد الأسود ، واستحييت منه حياء ما استحييت مثله قبل ذلك من أحد قط ثم قلت أمعك شىء من الطعام فأشار بيده فإذا بين أيدينا جام فيه عسل أشد بياضا من الثلج وأطيب ريحا من المسك ، وقال كلوا منه فوالذى لا إله غيره ليس هذا من بطن نحل فأكلنا فما رأينا شيئا أحلى منه فتعجبنا فقال ليس بعارف من تعجب من الآيات فمن تعجب منها فاعلم أنه بعيد من الله ومن عبد الله على رؤية الآيات فإنه جاهل بالله رضى الله عنه وعن جميع الأولياء والصالحين ونفعنا بهم آمين.

الحكاية الحادية والثلاثون بعد الأربعمائة عن الواسطى رضى الله عنه

قال بينما أنا أسير فى البادية فإذا أنا بأعرابى جالس منفرداً فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فأردت أن أكلمه فقال اشتغل بذكر الله فإن ذكره شفاء القلوب ثم قال كيف يفتر ابن آدم عن ذكره وخدمته والموت فى أثره والله ناظر إليه ثم بكى وبكيت معه فقلت له مالى أراك وحيدا قال ما أنا بوحيد والله معى وما أنا بفريد وهو أنيسى ، ثم قام ومضى عنى مسرعا وقال يا سيدى أكثر خلقك مشغول عنك بغيرك، وأنت عوض عن جميع ما فات ، يا صاحب كل غريب ويا مؤنس كل وحيد ويا مؤوى كل فريد ، وجعل يمشى وأنا أتبعه ثم أقبل إلى وقال ارجع عافاك الله إلى من هو خير لك منى ولا تشغلنى عمن هو خير لى منك ، ثم غاب عن بصرى رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

الحكاية الثانية والثلاثون بعد الأربعمائة
عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه

قال مررت براهب فسألتـه منذ كم أنت فى هذا الموضع قال منذ أربع وعشرين سنة ، قلت من أنيسك قال الفرد الصمـد قلت ومن المخلوقين قال الوحش قلت فما طعامك قال ذكر الله ، قلت ومن المأكولات ، قال ثمار هذه الأشجار ونبات الأرض قلت أفلا تشتاق إلى أحد قـال نعم إلى حبيب قلوب العارفين ، قلت ومن المخلوقين قال من كان شوقه إلى الله سبحانه كيف يشتاق إلى غيره قلت فلم اعتزلت عن الخلق قال لأنهم سراق العقول وقطاع الطريق طريق الهدى ، قلت ومتى يعرف العبد طريق الهدى قال إذا هرب إلى ربه من كل شىء سواه واشتغل بذكره عمن سواه.

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الأربعمائة

قـال ذو النون المصرى رضى الله عنه بـينما أنا أسير فى بعض المفـاوز إذا أنا برجل متـزر بحشيش فسلمت عليـه فرد على السلام ثم قـال من أين الفتى قلت من مـصر قـال إلى أين قلت أطلب الأنس بالمولى قـال اترك الدنيـا والعقـبى يصح لك الطلب وتصل إلى الأنس بالمولى ، قلت هذا كلام صحيح بينه لى ، قـال أتتهم فيما أعطينا ولقـد أعطينا خيـرا مما تقـول وهو المعرفـة ، قلت ما أتهـمك ولكنى أريد أن تزيدنى نورا على نور ، فـقال يا ذا الـنون انظر فوقك فنظرت فـإذا السمـاء والأرض كأنها ذهب يتوقد ويتلالأ ، ثم قال اغضض بصرك فغضضت فإذا هما قد صارتا كما كانتا فـقلت كيف السبيل إلى هذا قـال تفرد للفرد إن كنت له عبد رضـى الله عنهما ونفعنا بهما.

قلت هـذا الذى أراه ليس عـين المعرفـة المذكـورة لكنه دليل على المـعرفـة لأن الكرامة تدل عـلى الاسـتقامة عندهم والاسـتقامة لا تكون إلا للعارفين بالله سـبحانه وقوله إن كنت له عبد هكذا هو بسكون الدال من غير ألف بعدها مراعاة للسجع.

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الأربعمائة

روى عن محمد المقدسى رحمـه الله تعالى قال دخلت يوما دار المجانين بالشام فرأيت فيها شـابا على رقبته غـل وفى رجليه قيد مشدود بسلسلة فلما وقع بصره على قال يا محمد أترى ما فعل بى ثم قـال جعلتك رسولا إليه قل له لو جعلت السموات غلا على عنقى والأرضين عـلى رجلى لن ألتفت منك إلى سواك طرفـة عين ثم أنشأ

يقول :

على بعدك لا يصبر من عادته القرب ولا يقوى على قطعك من تيمه الحب
وحبك فى قلبى وفى كبدى إذا لم ترك العين فقد أبصرك القلب

وقال ذو النون رضى الله عنه رأيت أسود يطوف حول البيت وهو يقول أنت أنت ولا يزيد على ذلك فقلت يا عبد الله أى شىء عنيت به فأنشأ يقول :

بين المحبين سر ليس يفشيه خط ولا قلم عنه فيحكيه
نار يقابلها أنس يمازجه نور يخبره عن بعض ما فيه
شوقى إليه ولا أبغى به بدلا هذى سرائر كتمان تناجيه

(وقال بعض العارفين) مساكين أهل الغفلة يشتغلون بكثرة الأعمال ويعظمونها ويفتخرون بها وأما أهل المعرفة فلو عملوا عمل أهل السموات والأرض من الأزل إلى الأبد لكان ذلك أصغر فى أعينهم فى جنب عظمة الله تعالى من خردلة بين السماء والأرض.

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الأربعمائة
عن أبى سعيد الخراز رضى الله عنه

قال كنت فى البادية فنالنى جوع شديد فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله طعاما فقلت ما هذا من فعل المتوكلين أهل الهمم فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله سبحانه اصطبارًا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول :

ويزعم أنه منا قريب وأنا لا نضيع من أتانا
فهم أبو سعيد سؤل صبر كأنا نراه ولا يرانا

قيل رؤية القلب بمشاهدة الإيقان وإن غاب عن العينين العيان وفى هذا المعنى قلت نائبا عن لسان الحال :

يا غائبا وهو فى قلبى أشاهده ما غاب من لم يزل فى القلب مشهودا
إن فات عينى من رؤياك حظهما فالقلب قد نال حظا منك محمودا

وإنما قلت هذين البيتين لأنى رأيت بعض المصنفين قد استشهد ببيت لا يصلح وهو هذا :

إن كنت لست معى فالذكر منك معى يراك قلبى وإن غيبت عن بصرى

فهذا لا يجوز فى حق الله تعالى لوجهين أحدهما قوله لست معى ، والثانى

قوله غيبت عن بصرى بضم الغين المعجمة وكسر الياء المثناة من تحت وتشديدها ولا يصح أيضا فى حق المخلوق فإن قلبه لا يراه لعدم النور الحاصل للعارفين بالله بل قلت مثل هذا أشد ظلمة من سائر الجهال وإنما ذلك للعارفين كما قال القائل :

قلوب العارفين لها عيون

وكذلك لا يحسن قوله فالذكر منك معى وإنما يحسن هذا الذكر من الخالق عز وجل كما قال :

سبحانه : ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾(١) وقال تعالى : ﴿**فاذكرونى أذكركم**﴾(٢) وقال تعالى : (**أناجليس من ذكرنى**) وأشباه ذلك من القول الكريم الذى يكسو العبد خلع عوالى الشرف ويسكنه من الجنان قصور أعالى الغرف (اللهم أحى قلوبنا بغيث رحمتك ونورها بنور معرفتك وزينها بذكرك وشكرك وحسن عبادتك فإنك الملك المنان الكريم ذو الفضل العظيم والمسلمين آمين) ولئن سلمنا أن مثل هذا قد يقال فى حق المخلوق مجازا مع ما فيه من التعسف فلا يحسن أيضا أن يستشهد به فى باب المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمشاهدة لجمال جلاله تعالى بأنوار القلوب المسقاة كئوس الوصل من راح المحبة على بساط القرب فى حضرة القدس حين طاب وقت المنادمة والأنس ولله در القائل :

قلوب العارفين لها عيون ... ترى مالا يراه الناظرونا
وألسنة بسر قد تناجى ... تغيب عن الكرام الكاتبينا
واجنحة تطير بغير ريش ... فتأوى عند رب العالمينا
وترعى فى رياض القدس طورا ... وتشرب من بحار العارفينا
عباد قاصدوا بالسر حتى ... دنوا منه وصاروا واصلينا

(ولله در القائل الآخر)

للعارفين قلوب يعرفون بها ... نور الإله بسر السر فى الحجب
صم عن الخلق عمى من مناظرهم ... بكم عن النطق فى دعواه بالكذب

---

(١) سورة الحديد : الآية ٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

الحكاية السادسة والثلاثون بعد الأربعمائة

قال ذو النـون رضى الله عنه وصف لى رجل من العرب وذكـر لى من لطائف شأنه وحسن كلامه فى إشـارات أهل المعرفـة ، فارتحلت إليه حـتى بلغت مكانه ، فوقفت عنده أربعين صبـاحا فلم أجد وقتا أقتبس من علمـه لكثرة شغله بربه ، فلما كان بعض الأيام نظر إلى وقـال من أين الرجل فأجبـته فقال لأى شىء جـئتني قلت لأقتبس من علمك ما يرشدنى إلى ربى ، فقـال اتق الله واستعن به وتوكل عليه فإنه ولى حميد ثم سكت ، فقلت أرنى يرحمك الـله تعالى فإنى رجل غريب جئتك من بلد بعيد أريد أن أسألك عن أشياء اختلجت فى ضميرى فقال أمتعلم أنت أم عالم أم مناظر فقلت بل مـتعلم محتـاج ، قال قف فى درجة المتعلمين واحـفظ أدب السؤال فإنك إن تعديت وتركت الحـرمة أفسد ذلك عليك نفع المعلم فإن العـقلاء من العلماء والعارفين من الأصفياء سلكوا طريق الصدق والوفاء وقاموا على قدم القرب والصفاء وقطعوا أودية الحزن والبلاء فذهبوا بخير الدارين ولذائذهما ، فقلت يرحمك الله متى يبلغ العبد ما وصفت فقال إذا صار خارجا عن الأسباب والأنساب وقطع قلبه من كل علاقة فقلت ومتى يكون العبد كـذلك ، قال إذا خرج من جميع الحول والقوة وليس له شىء يملكه ولا حال يعرفه رضى الله عنهما ونفعنا بهما.

الحكاية السابعة والثلاثون بعد الأربعمائة

قال ذو النون أيضا رضى الله عنه بينما أنا فى بعض سياحتى إذا أنا بشيخ على وجهه سمة العارفين فقلت له يـرحمك الله كيف الطريق إلى الله فقال لو عرفت الله لعرفت الطريق إليـه ثم قال يا هذا دع الخلاف والاختـلاف قلت يا هذا يرحمك الله أليس خلاف العلماء رحمة من الله ، قال نعم إلا فى تجـريد التوحيد قلت وما تجريد التوحيد قال فقدان رؤية ما سواه لوجدانه قلت وهل يكون العارف مسرورا فقال وهل يكون العارف محزونا قلت أليس من عـرف الله طال همه قال بل من عرف الله زال همه ، قلت وهل تغـير الدنيا قلوب العارفين قـال وهل تغير العقـبى قلوب العارفين حتى تغيرها الدنيـا قلت أليس من عرف الله صار مستوحشـا قال معاذ الله أن يكون العارف مستوحشا ولكن يكون مهاجرا متجردا، قلت وهل يتأسف العارف على شىء غير الله ، قال وهل يعرف العارف غير الله فيتأسف عليه ، قلت وهل يشتاق العارف إلى ربه ، قـال وهل يكون العارف غـائبا عنه طرفـة عين حتى يشـتاق إليه قـلت ما

اسم الله الأعظم ، قال أن تقول الله وأنت تهابه قلت فأنا كثيرا ما أقول ولا تداخلنى الهيبة قال لأنك تقول الله من حيث أنت لا من حيث هو قلت عظنى قال حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك فقمت من عنده فقلت ما تأمرنى به قال اطلاعه عليك فى جميع أحوالك لا تنسه رضى الله عنهما ونفعنا بهما وبجميع الصالحين.

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الأربعمائة عن الشيخ أبى العباس الحرار بالحاء المهملة والراء المكررة رضى الله عنه

قال دخلنا على الشيخ أبى أحمد الأندلسى ونحن جماعة من المريدين قصدنا زيارته فرأينا حوله خلقا عظيما ونقباء كل نقيب تحت يده جمع كثير فنظر الشيخ إلينا ثم قال إذا جاء الصغير إلى المعلم ولوحه ممحو كتب له المعلم وإذا جاء ولوحه مملوء أين يكتب له المعلم ، ثم قال بالذى جاء يرجع ثم نظر إلينا نظرة أخرى فقال من شرب من مياه مختلفة دخل مزاجه التغير ومن اقتصر على ماء واحد سلم مزاجه من التغير.

قال أبو العباس ورأيت من أصحاب الشيخ أبي حامد أربعمائة شاب فى داره كلهم فى سن خمس عشرة سنة أو نحوها وكلهم مكاشفون فلما كان بعض الأيام بعث الشيخ خادمه إلى فمشيت معه إليه فوجدت عنده جماعة وهو يتكلم فلما جلست أخذت وشهدت الشيخ قائما على رأسى ومعه قدوم وهو يهدم في وأنا أشهد أعضائى تتفرق على الأرض إلى أن وصل إلى كعبى ولم يبق فى شىء إلا شمله الهدم ثم أخذ يبنينى بناء جديدا من كعبى صاعدا إلى أن بلغ دماغى ثم قال لى قد استغنيت فسافر إلى بلدك فلما جزت من بين يدى الشيخ انكشف لى العالم العلوى كشفا بحيث لا ينحجب عنى منه شىء رضي الله عنهما.

قلت قوله أخذت هو بضم الهمزة وكسر الخاء وسكون الذال المعجمة وضم التاء المثناة من فوق ومعناه غبت عن نفسى وعن هذا العالم وكشف لى شىء من عالم الملكوت.

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الأربعمائة

قال أبو العباس الحرار أيضا كان الشيخ أبو يوسف الدهمانى يحضر ميعاد الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله عنه وعن الجميع قال فبعثنى الشيخ أبو يوسف

يوما إلى الشيخ القرشى أسأله هل يعمل فى ذلك اليوم ميعادا أم لا فمضيت إليه فلما وصلت الساحة التى فيها باب داره وقفت مترددا هائبا وإذا بطاقة فتحت وجارية أخرجت رأسها من الطاقة وقالت يا أحمد قال لك الشيخ قل لأبى يوسف نحن ما نعمل اليوم ميعادا فشكرت الله تعالى كما عاملنى الشيخ بهذه الحالة من غير إقدام على سؤاله ، فلما وصلت إلى أبى يوسف قعد وكان مضطجعا وقال لم وقفت بساحة الباب حتى قالت لك الجارية ما قالت ، قلت يا سيدى أنا أهابه فقال إذا كنت وحدك هبه وإذا كنت بى أقدم فقيل للشيخ أبى العباس المذكور أيهما أعلى كشفا فى هذه القضية قال القرشى لأن أبا يوسف أرسلنى إليه وخاطره معى يدرك ما يجرى لى والقرشى كالمرآة يدرك كل ما يتوجه إليه رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية الأربعون بعد الأربعمائة

قال أبو العباس الحرار أيضا رضى اللله عنه وردت من السياحة على الشيخ أبى العباس المرينى بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وكسر النون وياء النسبة وكان رجلا كبيرا فلما جلست إليه سأله سائل فقال له يا سيدى أيما أفضل العقل أم الروح فشاهدت الشيخ قد أسرى بروحه وأسرى بروحى معه إلى أن دخلنا السماء الدنيا فاشتغلت برؤية أملاكها وأنوارها وغاب الشيخ عنى فطلبت مستقرا أستقر فيه فلم أجده فنزلت ووقفت ونظرت إلى الشيخ فإذا هو مستغرق فى غيبته ثم بعد لحظة حضر فقال للسائل لما أسرى بالنبى ﷺ صحبه جبريل عليه السلام فانتهى معه جبريل إلى حده ووقف وقال يا محمد مامنا إلا له مقام معلوم منذ خلقت ما تعديت ههنا ، فتقدم النبي ﷺ إلى مقامه الذى اتصل به فكان جبريل عليه السلام روحا وكان محمد ﷺ حينئذ عقلا أخذ العلم من معدنه ولم يأخذه من تقليد ولا معقول وكذلك عادة شيوخ هذه الطائفة أرباب المعارف والعلوم اللدنية رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين.

الحكاية الحادية والأربعون بعد الأربعمائة

قا ل أبو العباس أيضا رضى الله عنه كنت فى وقت تجريدى بمصر أتردد إلى مسجد كان قبالة مصنع الفخارين بطريق القرافة أبيت فيه فكنت أخرج في الليل أمشى بالجبانة فكشف الله لى أحوال أهل القبور المنعمين والمعذبين باختلاف أحوالهم فما رأيت أحسن من الجهة التى تلى قبل الفتح.

قال المؤلف وفى هذا المكان المذكور دفن الشيخ المذكور بإشارته وزرت قبره هنالك وقال الشيخ أبو العباس أيضا رضى الله عنه مرضت مرة فى بلدى أشبيلية فكنت مضطجعا على ظهرى ، وإذا أنا أنظر طيورا كبارا ملونة بالأخضر والأبيض والأحمر ترفع أجنحتها رفعة واحدة وتضعها وضعا واحدا وأشخاصا على أيديهم أطباق مغطاة فيها تحف فوقع لى أنها تحفة الموت فاستقبلتها وتشهدت فقال لى واحد منهم أنت ما جاء وقتك هذه تحفة مؤمن غيرك قد جاء وقته ولم أزل أنظر إليهم الى أن غابوا عنى رضى الله عنهم.

وحكى أن داود العجمى رضى الله عنه لما مات حمل إلى قبره فإذا هومفروش بالريحان فأخذ الذى دفنه سبعة من أغصان الريحان فكان الناس ينظرون إليها تعجبا سبعين يوما لم تتغير عن حالها حتى أخذها الأمير من الرجل ففقدت فلا ندرى أين ذهبت وقال بعضهم رأيت مسكينة الطفاوية بعد موتها فى المنام وكانت تحب مجالس الذكر فقلت مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى قلت هنيئا لك قالت وما تسأل عمن أبيحت له الجنة بحذافيرها قلت بماذا قالت بمجالس الذكر رضى الله عنها ونفعنا بها آمين.

وقال أبو العباس الحرار رضى الله عنه كنت فى بعض السياحات أحتاج إلى الاستنجاء بالأحجار فأخذت مرة حجرا لأستنجى به فقال لى سألتك بالله لا تستجمر بى فتركته وأخذت غيره فقال لى كذلك فتذكرت مارتبه الشارع ﷺ فى ذلك فأخذت الحجر وقلت له أمرنى الله تبارك وتعالى أن أتطهر بك وهو خير لك.

وقال رضى الله عنه تركت أخى بمكة ورجعت إلى مصر ثم جاءنى بعد ذلك وسلم على ففرحت بقدومه وقال لى يا أخى أنا جائع فقلت له يا أخى ما أملك شيئا ولا أتكلف شيئا ولا أسأل أحدا شيئا فما تم كلامى معه حتى دخل من شباك البيت عصفور كبير وألقى فى حجرى قيراطا كبيرا فأخذته واشتريت له به شيئا فأكله رضى الله عنه.

الحكاية الثانية والأربعون بعد الأربعمائة

قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور تلميذ الشيخ أبى العباس المذكور رضى الله عنهما كانت لأستاذى أبى العباس ابنة تطلعت نفوس أصحابه ومحبيه إلى التزوج بها فاطلع الشيخ على ما فى نفوسهم فقال لهم هذه البنت التى لى لا يخطر لأحد

تزويجهـا فإنها سـاعة ولدت أطلعنى الحق سبـحانه وتعالى على زوجـها من هو وأنا أنتظره قال الشـيخ صفى الدين وكنت حينئـذ وراء الفرات مع والدى فى وزارة الملك الأشرف فلما جئنا إلى مصـر بعث الملك العادل والدى رسولا إلى مكة عند أبى عزيز ليعين الملك المسـعود بن الملك الكامل إلى اليمن ، فـجئت أنا حينئـذ إلى الشيخ أبى العباس الحـرار وصحبته وكنت وأنا صـغير إذا ذكر عندى الشـيوخ والأولياء تلوح لى صورته فلما صحـبته غيرت هيئتى وكـانت هيئة جميلة الثياب المـذهبة والبغلة الحسنة وغـير ذلك وهجـرت الأهل ولزمت الشيخ إلـى أن قدم والدى من مكة فى حـشكلة عظيمة وخـرج من مصر للقائه خلق كـثير بجميع الاهتـمام والخيام فـقال لى الشيخ اخرج للقاء والدك فقلت يا سيدى مـا بقى لى والد غيرك وأنا لا أركب لهم شيئا من دوابهم ولا آكل معهم ، قـال تخرج على كل حال فخرجت على دويبـة فى هيئة رثة وأهلى يكون على حالى فلمـا لقيت والدى فى بركة الحاج سلمت علـيه وحدى فلم يعرفنى هو ولا من حوله وكان معه عسكر أجناد ومماليك وخدام فلما عرفنى بعد ذلك وقف واصفر وجهـه وبهت بهتة أسأل الله أن يثيبـه عليها ، ثم مشوا وبقوا مـتعجبين وإذا بأهلى وأخـوتى وكل من خرج من الطوائف وصلوا واجـتمـعوا وأنا فى ناحـية وحدى ولما نزل البركـة قدمت إليه التقاديم وجـمع على سماطه كل من جاء صحـبته وكل من خرج لأجله إلا أنا لم أحضر معـهم وانفردت وحدى أبكى بكاء شديدا بكاء أسير قد أخذ من أهله وحيل بينه وبين أحبته وفى آخر الحال هددنى بالقيد والحبس إن لم أعد لما كنت علـيه معه فأخـبرت الشيخ فطردنى وقـال رح إلى أبيك ولا تعد إلى فبكيت زمانا وكنت أنشد ما قاله مجنون ليلى :

جننا بليلى ثم جنت بغـــــيرنا وأخـــــرى بنا مجنونة لا نريدها

واطلعنى الله على سر مـقصود الشيخ أنه أحالنى على صـدقى ليكون بريئا من الحظ والقصـد فى أمرى فـانشرحت لذلك من جهـة الشيخ ومـضيت إلى دار والدى وحبـست نفسى فى خـزانة وآليت ألا آكل ولا أشـرب ولا أنام ولا أخرج إلا إن أراد الشيخ ، فسأل عنى والدى فأخبره بطرد الشيخ لى وما صممت عليه فقال إذا اشتد به الجـوع والعطش يحتـاج يأكل ويشـرب فأقـمت إلى ثالث يوم وأنا على ذلك الحـال فاستيـقظ والدي من النوم وقال قولوا له يذهب إلى الشيخ ويفعل بنفسـه ما يختار ، فقلت لا أروح حـتى يروح والدى إلى الشيخ ويـسأله قبـولى وقصـدت بذلك إعزاز الشيخ فقال نعم ، فاستدعانى وخرج ماشيـا من بيته إلى مسجد الشيخ وأنا معه فقبل يد الشيخ ، وقال يا سـيدى هذا ولدك تصرف فيه كـيف شئت وأود لو كنت مكانه،

فقــال له الشيخ أرجو أن ينفعــك الله به فسلمنى إلى الشيخ ومــضى أعظم الله أجره وجزاه عنى خيــرا ، فأقمت بعد ذلك شــهرا ما رأيته وأنا أحمل كل يــوم على كتفى جرتين ماء إلى زاوية الشيخ حافيا والناس يخبرونه بذلك فيقول تركته لله تعالى أسأل الله ألا يضــيع له أجر ذلك وأن يجــازيه بما هو أهله ، ثم بعد وفــاة الوالد رأيت فى النوم كأن الشيخ قال لي يا صفى الدين قد زوجتك ابنتى فلما استيقظت بقيت متحيرا لا يمكننى من الحــياء أن أخبــره وإن لم أخبره تكون خــيانة بكونى أخــفى عليه شيــئا رأيته، فالتفت إلى وقال ما رأيت فى النوم فلحقنى منه هيبة فسكت لحظة فقال قل فلا بد لك من القول فقلت رأيت كذا وكذا فقال يا بني هذا كان من الأزل أو كما قال ، فزوجنى إياها وكانت من أوليــاء الله تعالى على وجههــا نور لا يخفى على أحد ممن يراها ، إنها ولية لله تعالى وإنها من أهل الجنة ورزقت منها أولادا فقهاء فقراء وعشنا فى بركتها بعد موت أبيها زمانا كثيــرا وكانت كثيرة المكاشفات ، أخبرت بوقت موتها قبله بسنة ، وأخبرت قرب موتها بعجائب ووقائع تقع بعد موتها فوقعت فكانت تقول حال نزعها لنفسها : ﴿**يا أيتها النفس المـطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مـرضية**﴾ : كررت ذلك إلى أن خرجت روحها رضى الله عنها.

الحكاية الثالثة والأربعون بعد الأربعمائة

قال الشيــخ صفى الدين المذكور رضى الله عنه فى رسالتــه وممن رأيت بدمشق الشيخ على الكردى رضى الله عنه كان ظاهر الوله وكان يتحكم فى أهل دمشق تحكم المالك ولما دخلت دمشق كنت فى حشكلة من الغلمان واللباس والأهل وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فقعــدت فى الجامع ساعة دخولى إليه وإذا بشخص قــد أقبل له رأس كبير وعليه لبــاد مقطع فشق ســاحة الجامع من باب جيــرون إلى أن جاءنى عند مقــصورة الإمام الغــزالى رضى الله عنه فمــد يده إلى مملوءتين تفاحــا فقــال خذ ففــزعت منه وتأخرت إلى خلفى فرمانى بالتفاح واحدة واحدة ومضى ثم جاءنى عقب ذلك الشيخ أبو القاسم الصــقلى وكان معتــبرا ومعــه الشيخ نجم الدين خال والدتى وكان مــدرسا بدمشق فأخبــرناهما بذلك فتعجبا منــه عجبا كثيرا ، وقالا يا بــني أبشر فسيكون لك شأن هذا الرجل قطب الشام يقال له على الكردى أتاك بالضــيافة وعزيز أن يعمل مثل هذامع أحد فقمــت ومشيت إليه وسلمت عليه عند باب جيــرون وقبلت يده فبش فى وجهى وضحك إلى فسألت عنه سيدى الشيخ عــتيقا فقال يا بنى هو إمام وقته فى فنه ومما اتفق للشيخ المذكور من الكرامات ، أنه قــال فى بعض الأوقات لرجل من أعيان دمشق يقال له بدر الدين اعمل فى دارك للفقراء سماعا وأطعمهم شيئا فقال له السمع

والطاعه ، فرتب الرجل طعاما لأولاد الفقراء المعروفين بالجامع وغيره فهم مجتمعون وإذا بالشيخ على قد جاء إلى الدار فرأى فى صفة منها قوالب سكر فقال لصاحب الدار ارمها كلها فى البركة قال كلها قال نعم ، ثم رمي الجميع فى البركة فصار الفقراء يشربون الجلاب ويسمعون إلى آخر النهار ثم أكلوا وانصرفوا ثم قال الشيخ على لصاحب الدار أخرج القوالب فأخرجها فوجدها كلها صحاحا لم يذهب من السكر شيء ، قال لصاحب الدار اخرج وأغلق على الدار واقفلها ولا تأتنى إلا بعد ثلاثة أيام ففعل ذلك ، وتركه فى الدار وحده فلما كان اليوم الثانى لقيه فى الطريق فسلم عليه ثم ذهب إلى داره فوجدها مغلقة على حالها ففتحها ودخل فوجد أكثر الرخام مقلوعا فخرج إلى الشيخ على وقال يا سيدى لم قلعت رخام الدار قال يا بدر الدين تكون رجلا جيدا وتضيف الفقراء على رخام حرام قال يا سيدى هذه الدار إرثى عن أبى وجدى فتغيظ الشيخ عليه وخلاه ففكر فى فعل الشيخ وعلمه بمكاشفاته فتذكر أنها كانت قد قلع رخامها وأصلح فأرسل إلى الصناع الذين رخموها وقال لهم عرفونى ما صنعتم فى ترخيم الدار قالوا له فيه عيب عملنا شيئا فى غير موضعه فقال لابد أن تقولوا لى أمرها وأمنهم على نفوسهم فقالوا رخامك بعناه ورخمناها بشيء من رخام الجامع ، وقال الشيخ صفى الدين أيضا رضى الله عنه فى رسالته لما جاء الشيخ لأجل شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه إلى دمشق فى رسالة الخليفة إلى الملك العادل بالخلعة والطوق وغير ذلك قال لأصحابه أريد أزور عليا الكردى فقال له الناس يا مولانا لا تفعل أنت إمام الوجود وهذا رجل لا يصلى ويمشى مكشوف العورة أكثر أوقاته فقال لابد لى من ذلك ، قال وكان الشيخ على الكردى مقيما أكثر أوقاته فى الجامع حتى دخل عليه موله آخر يقال له ياقوت فساعة دخوله من الباب خرج الشيخ على من دمشق وسكن جبانتها بالباب الصغير وما دخلها بعد ذلك إلى أن مات وياقوت فيها يتحكم فقالوا للشيخ شهاب الدين هو فى الجبانة فركب بغلته ومشى فى خدمته من يعرفه موضعه فلما وصل إلى قريب مكانه ترجل وأقبل يمشى إليه فلما رآه علي الكردى قد قرب منه كشف عورته فقال الشيخ شهاب ما هذا شيء يصدنا عنك وها نحن ضيفانك ثم دنا منه وسلم عليه وجلس معه وإذا بحمالين قد جاءوا معهم مأكول معتبر فقيل لهم من تريدون ، قالوا الشيخ على الكردى فقال لهم ضعوه قدام ضيفى وقال للشيخ شهاب الدين باسم الله هذه ضيافتك فأكل الشيخ وكان يعظم الشيخ عليا الكردى رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم.

قلت وهذا الوله المذكور عن الشيخ على الكردى فى كثير من الأولياء مشهور وقد زاد على كثير منهم حتى نسبوا إلى الجنون وهم المعروفون فى الكتب بعقلاء المجانين وكثير منهم قيدوا وحبسوا وقد ذكرت جماعة منهم فى هذا الكتاب يحسب الناس أنهم مجانين وهم العقلاء والأولياء ولكن محبة الله ومعرفته وعظيم ما شهدوا من عظمته وجلاله وكماله حيرهم وهيمهم وشجاهم وتيمهم كما قدمت من إنشاد بعدهم :

حيرتهم محبـــة الله حتى　　　حسب الناس أن فيهم جنونا
هم ألبا ذوو عقـــول ولكن　　　قد شجاهم جميع ما يعرفونا

وقول تحفة رضى الله عنها

معشر الناس مـــا جننت ولكن　　　أنا سكرانة وقلبى صـــاح
أنا مفتـــونة بحب حبـــيب　　　لست أبغى عن بابه من بـــراح

منهم من غلب عليه السكر براح محبة الجمال المشهود ، فهام فى حبه وغاب عن الوجود ، ومنهم آخرون أيضًا يحبون ولكن تستروا بالجنون كما قدمت أيضا من إنشاد أحدهم يقول :

وموهت دهرى بالجنون على الورى　　　لأ كتم ما بى من هواه فما انكتم
فلما رأيت الشـــوق والجذب قاتلى　　　هجرت طعامى والشراب ولم أنم
فإن قيل مجنون فقد جن فى الهوى　　　وإن قيل مسقام فما بى من سقم

وكذلك قلت فى معنى ذلك

سقى الله قوما من شراب وداده　　　فهاموا به ما بين باد وحـــاضر
يظنهم الجهال جنوا ومـا بهم　　　جنون سوى حب على القوم ظاهر

قلت مع أبيات أخرى وقد قدمت ذلك فى الكتاب ومنهم آخرون يجمعون فى التستر بين الوله والتجريد يوهمون الناس أنهم لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوراتهم حتى يساء الظن بهم ولا ينسبوا إلى الصلاح وهم يصومون فى الباطن فيما بينهم وبين الله تعالى ، وقد شوهد كثير منهم يصلون فى الخلوات ولا يصلون بين الناس وسيأتى الكلام فى أهل التجريد فى آخر الكتاب فى فصل الجواب ، وهناك يوضح حكمهم وبيان من يعتقد ومن لا يعتقد ومن جملة المجردين الشيخ ريحان كان فى عدن وأظنه حبشيا معتقا كان يصدر فى الظاهر شيئًا مما ينكره ظاهر الشرع وله كرامات مشهورة وهأنا أحكى عنه الآن بعض الحكايات .

الحكاية الرابعة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف كان اللـه له أخبرنى بعض الأخيار أنه كـان بعض الناس فى ساحل بحر عدن فـأغلق باب البلد دونه فلم يقدر أن يدخل فبـات فى الساحل ولم يكن له عشاء ، فرأى الشيخ ريحان فى الساحل فأتى إليه وقال ياسيدى أغلق الباب دونى وما معى عشـاء ، وأنا أشتهى منك أن تطعـمنى هريسة، فقال الشـيخ ريحان انظروا إلى هذا يطلب منى العشاء وما يريد أيضا إلا هريسة كـأنى كنت مهرسا أصنع الهريسة ، فقال له يا سيدى لابد أن تطعمنى ذلك قال فلم أشـعر إلا والهريسة حاضرة حارة فى الحال، فقلت يا سـيدى بقى السمن فقال انظروا هذا الفـاعل التارك وما يرضى يأكل الهريسة أيضـا إلا بالسمن فأنا كنت سمـانا أبيع السمن فقلت يا سيـدى ما آكلها إلا بالسمن، فقـال اذهب بهذه الركوة إلى البحر وائتنى بماء أتوضـأ به، قال فذهبت إلى البحـر فغرفـت منه فى الركوة وجئت به فـأخذ منى الركـوة فصب منها سـمنا على الهـريسـة فـأكلت من ذلك ولم أذق مـثله قط رضى الـله عنه ونفـعنا به وبجـمـيع الصالحين، وأعاد علينا من بركاتهم .

وأخبرنى أيضا بعض المباركين قال أرسلـنا شيخنا نشترى له تمرا من سوق عدن فلم نجد فى السوق شـيئا منه فرجعـنا إليه بغير شىء فلقينا الشـيخ ريحان فى الطريق فقال انظروا هؤلاء الرسل الملاح أرسلهم شيخهم فى شهوة اشتهاها فرجعوا بغير شىء اذهبوا إلى بيت فلان فـى المكان الفلانى تجدوا حاجة الشـيخ عنده، فذهبنا إلى ذلك الشخص فى الموضع الذى سـماه فوجدنا عنده التمـر فاشترينا منه للشـيخ وجئناه به وأخبرناه بما قال لنا الشيخ ريحان فضحك وقال أشتهى أن أرى هذا الشيخ ريحان فلم نشعر إلا بالشيخ ريحان قد دخل عليه المسـجد الذى هو فخلا به وتحدثا ساعة، فلما خرج الشيخ ريحان تعجب الشيخ مما رأى منه وأثنى عليه وعظمه .

(قلت) هذا الشـيخ المذكـور هو شـيخ شـيـوخنا الذى فى عـدن وهو الشـيخ الكبيرالعارف بالله الفقيه الإمام ذو المناقب العديدة والسيرة الحميدة والكرامات الكبيرة والمحاسن الشـهيرة أبو محمـد عبد الله بن أبى بكر المدفـون فى موزع رضى الله عنه ونفعنا والمسلمين ببركته .

صحب الشيخ الجليل الإمام الحفـيل ذا المجد الأثيل والحظ الجزيل العارف بالله المشـهور المشكور عظيم الكرامـات رفـيع المقامـات أبا الذبيح إسمـاعيل بن مـحمـد الحضرمى اليمنى رضى الله عنه ونفعنا والمسلمين ببـركاته وبركة سلفه وقرأ عليه ونال

منه منالا فاخرا وحظا وافرا زاده الله من كل خير آمين وجميع المسلمين قال المؤلف كان الله له وأخبرني أيضا بعضهم قال أخبرني إنسان ثقة قال خرجت في شهر رمضان المبارك أشترى لأهلى شيئا من السوق بين العشائين فلقينى الشيخ ريحان رضى الله عنه فجرنى وارتفع بى فى الهواء ارتفاعا كبيرا فبكيت ، وقلت له ردنى فردنى إلى الأرض وقال أردت أن أفرحك فأبيت، قلت لعله أراد بهذه الفرجة أن يطلعه على عجائب ملكوت السموات ، قلت وأخبرنى بعض الصالحين أيضا قال قلت للشيخ ريحان خاطرك معى فقال لى ما دام هذا الرأس صحيحا لا تخف وأشار إلى رأسه قال فحسبت أنه يعنى ما دمت حيا ولم يظهر لى مراده إلا بعد موته، وذلك أنه سقط بعد ذلك بمدة طويلة فى أصل جبل فانكسر رأسه ومات رضى الله عنه ونفعنا به .

قال الشيخ صفى الدين رضى الله عنه رأيت بجيزة مصر امرأة مولهة أقامت فوق ثلاثين سنة قائمة على رجليها فى مكان من الأرض بين الحلفا ما جلست ليلا ولا نهارا، لا شتاء ولا صيفا يسترها شيء عن الشمس والمطر وتأوى الحيات والثعابين حولها وكان أمرها عجيبا رضى الله عنها ونفعنا بها وبجميع الصالحين .

الحكاية الخامسة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف كان الله له أخبرنى بعض الصالحين قال زرت بعض الأولياء الصالحين وصحبنى إنسان فلما وصلنا إليه وسلمنا عليه أتانا بطعام فى جفنة كبيرة وكان للمكان الذى نحن فيه بابان باب كبير وباب صغير فدخل علينا بالجفنة من الباب الصغير فلم يسع الباب دخول الجفنة فصاح صيحة عظيمة فرأينا الجفنة قد انضم بعضها إلى مثل الثوب إذا عطف بعضه إلى بعض ثم دخل ووضعها بين أيدينا فرأيناها تنفتح وتتسع حتى عادت إلى حالها الأول وإنما جاءنا من الباب الصغير وفعل هذا حتى نرى هذه الكرامة منه لأن رفيقى كان ينكر عليه فاستغفر الله وتاب رضى الله عنه ونفعنا به وأخبرنى بعضهم أنه اجتمع بجماعة من الصالحين فى اليمن وأن واحدًا منهم غرف شيئا من الهواء بكفيه ووضعه فى فمه فإذا هو عسل رضى الله عنه.

الحكاية السادسة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف رضى الله عنه بلغنى أن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سفيان اليمنى رضى الله عنه دخل عدن فى وقت، فقيل له ههنا يهودى ولاه السلطان على بعض الجهات الكبار المناصب عندهم فحصل له منزلة عالية ومنصب كبير فصار

المسلمون يمشون تحت ركابه وإذا جلس يقومون على رأسه، فمشى الشيخ سفيان إليه وهو يومئذ فى الرياضة والتجرد فى زى فقير فوجده جالسا على كرسى والمسلمون تحته على الأرض قائمون فى خدمته فلما وجده وصل إليه قال له قل (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فصاح اليهودى واستغاث بجنده عليه فلم يقدروا أن يفعلوا شيئا ثم أعاد الشهادة ثانية وثالثة وهو فى كل ذلك يصرخ بالجند فلا يقدرون على شيء ثم بعد المرة الثالثة أخذ الشيخ بجمة اليهودى أو قال بذؤابته بيده اليسرى وأخذ سكينا صغيرة كانت معه بيده اليمنى وقال باسم الله والله أكبر وتقرب بذبحه إلى الله تعالى ثم رجع إلى مكانه وكان يقعد فى الجامع فبلغ الخبر إلى الأمير فلم يصدق واستبعد ذلك لكون المقتول من خدام السلطان ومن خاصته لا سيما والقاتل ذكروا أنه مسكين ثم تواترالخبر عنه إلى الأمير فقال لغلمانه ائتونى به فذهبوا إلى الجامع فلم يقدروا أن يصلوا إليه فرجعوا إلى الأمير فركب فى عسكره حتى بلغ الجامع فلم يقدر أحد منهم أن يدخل الجامع، فضلا عن أن يمد يده إليه بسوء فعرف الأمير أنه محمى من قبل الله عز وجل فرجع وخاف على نفسه الشدة من قبل السلطان لكون البلد فى دركه فاستشار أهل العقل والرأى ماذا يفعل فقال له بعض الأولياء هؤلاء الأولياء مالهم إلا بعضهم بعضا وفى لحج رجل من الأولياء، يقال له العايدى فأرسل إليه ليأتيك واشك إليه الحال فأرسل إليه فجاءه وشكا إليه ولزمه، وقال له أشتهى ألا يخرج القاتل من البلد حتى أعرف السلطان ويأتينى بالجواب فقال له نعم إن شاء الله تعالى ثم خرج العايدى من عنده وجاء إلى الشيخ سفيان رضى الله عنه وكان بينهما صحبة وود فشكره العايدى على ما فعله وقال قلعت حجرا من طريق المسلمين ثم قال له اخرج بنا نتمش فخرجا يمشيان حتى بلغا باب الحبس فقال العايدى للحباس دونك الرجل قيده واحبسه فمد سفيان رجليه للقيد وقال السمع والطاعة، فقيد وبقى فى الحبس مدة أيام إن شاء ترك القيد فى رجليه وإن شاء فتحه ورمى به فلما كان يوم الجمعة وحضر وقت الصلاة حل القيد وذهب إلى الجامع فوجده قد امتلأ بالناس فدخل حتى وصل إلى قريب من الأمير، ثم نظر إلى الناس وقال أصلى على هؤلاء الموتى أربع تكبيرات الله أكبر، ثم خرج ورجع إلى الحبس وأقام فيه مدة أيام حتى جاء جواب السلطان وهو يقول أطلقوه فنحن نطلب السلامة منه فقد كان قبل هذا ادعى أن البلاد بلاده وأن الملك له دوننا ثم خرج من الحبس ولم يكن للسلطان ولا للشيطان عليه سلطان وقد كان جرى له مع السلطان قضية فدخل

على السلطان يوما فقال له اخرج من بلادى وكان ذلك فى أبين بالباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحت بلد بينها وبين عدن نحو مرحلتين فخرج السلطان منها خائفا وهذا هو الملك الذى أشرت إليه فى خطبة الكتاب بقولى :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم   من الملك إلا اسمـــه وعقابه

ولحج بالحاء المهملة ثم بالجـيم على نحو مرحلة من عدن والعـايدى بالعين المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحت ثم دال مهملة رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية السابعة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف كان الله له بلغنى أيضا أنه تخاصم خادم الشيخ أبى الغيث المشهور رضى الله عنه ونفعنا والمسلمين ببركته هو وغـلام السلطان فضرب خادم الشيخ غلام السلطان فبلغ ذلك السلطان فأمـر بخادم الشيخ أبى الغيث فقـتل فبلغ ذلك الشيخ أبا الغيث فأطرق رأسـه ساعة ثم قال مالى وللحراسـة أنا أنزل من المشباب وأترك الزرع فقُتل السلطان فى ذلك الوقت فـجاء ولده الملك المظفر رحمه اللـه إلى الشيخ المذكور رضى الله عنه مستغفرا ونعله على رأسه أو قـال فى عنقه فقال له الشيخ ما تريد قال الملك فقال أنا قد وليتك .

(قلت) المشباب المذكور بالميم المكسورة ثم الشين المعجمة ثم الباء الموحدة مكررة قبل الألف وبعدها يعنى به مكانا عاليا من خشب منصـوبة فوقها عريش يجلس عليه حارس الزرع وكذلك بلغنى أن بعض أئمة الأشراف استولى على بعض جبال اليمن، ثم أراد النزول إلى تهامة فكتب الشيخ أبو الغيث المذكور المشكور المقدم المشهور رضى الله عنه إلى الوالى الكبير الفقيه العالم ذى المناقب والمفاخر والكرامات الظواهر محمد ابن إسماعيل الحضرمى رضى اللـه عنه يقول له قد عزمت على النقلة من بلاد اليمن من أجل ظهور الفتن فـهل لك أن توافقنى على ذلك فكتب إليه الفقـيه محمـد كتابا يذكر فيه كثرة أهله وقرابته وأن النقلة بهم تشق عليه ولا يمكنه أن ينتقل ويتركهم، ثم قال ولكن عليك أن تحمى جـهتك وأنا أحمى جهتى فلمـا بلغ ذلك الشيخ أبا الغيث قوله هذا قال نعم فقتل الإمام المذكور أو مات فى الحال رضى الله عنه ونفعنا بهما .

الحكاية الثامنة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف رضى الله عنه وكـان الله له سمعت من غـير واحد من الصـالحين ومن الثقات يروون عن الشـيخ أبى الغيث رضى الله عنه أنه قال أتى الشيخ والفـقيه

السيدان العارفان المشهوران المقدمان صاحبا عواجه إلى شيخى السيد الجليل الولى العارف بالله الشيخ على المعروف بالأهدل رضى الله عن الجميع ونفعنا والمسلمين ببركتهم وطلبا منه أن يذهب معهما إلى بعض المواضع قال فوافقهما وذهبت أنا معهم فلما كان بعض الليل إذا أنا أنظر الشيخ والفقيه فى الهواء فوقنا وفى أيديهما سيفان مسلولان، وأنا والشيخ على رضى الله عنه فى الأرض ونحن سائرون فذكرت ما رأيت منهما للشيخ على، فقال لى يا أبا الغيث هذان فى مقام التولية والعزل يوليان ويعزلان بإذن الله تعالى وسوف أرثهما أنا وترثنى أنت رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

قلت يعنى أنه فوض إليهما فى التصرف فى المملكة بعد أن وفقا لموافقة مراد الحق عز وجل وقد بلغنى أنهما سمعا خطابا من قبل الحق عز وجل وهو يقول لهما إذا أردتما أن تفعلا شيئا فافعلا ولا تسألانى فإنى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجهيكما رضى الله عنهما ونفعنا بهما .

الحكاية التاسعة والأربعون بعد الأربعمائة

قال المؤلف كان الله له أخبرنى بعض الصالحين قال منذ عشرين سنة لا تزال الدنيا تأتينى فى صورة عجوز كبيرة قبيحة المنظر لا أستطيع أن أنظر إليها تحمل لى طعاما وشرابا لم أذق مثله قط ولا أقدر أصف طعمه وريحه ولونه ولا الإناء الذى هو فيه حسنا ولونا وجنسا قال وأذوق فى كل ذلك طعم كل شىء طيب من الحلواء والعسل واللحم واللبن وغير ذلك، وليس هو هو قال وتأتينى السباع من الأسود والنمار وغيرها وتجلس إلى جانبى فى البرية وكل سبع يأتينى يوافقنى فى الجلوس والاضطجاع إن جلست جلس وإن اضطجعت اضطجع ويفترس الغزلان ويأتى بها ويأكلها عندى وإن رأى طارقا يطرقنى ضرب بيده على الأرض حتى أتنبه قال وأجتمع فى بعض الأوقات بكثير من الأولياء الإنس والجن وينزل علينا فى كل ليلة بعد صلاة العشاء مائدة عظيمة عليها طعام لا يقدر على وصفه الواصفون فيه طعم كل شىء طيب فنجتمع وقد نبلغ بعض الأوقات نحو أربعمائة رجل ولا ينقص أكلنا منها شيئا قال وينزل على فى أوقات الفاقة مائدة من الهواء فإن التفت إليها رجعت عنى وإن اشتغلت بعبادتى ولم ألتفت إليها لم تزل تنزل حتى تقع بين يدى فآت منها حاجتى قال وأول ما نزلت على فى بدايتى ليلة السابع من انقطاعى إلى الله عز وجل بعد أن اشتد بى الجوع وكان أشد ما لقيت ليلة الخامس ، ثم هان بعد ذلك ونزل معها نور

عظيم يملأ الوجود قال وكانت الشياطين تأتينى وتفزعنى بأهوال عظيمة ويأتينى سلطانهم فى عساكر كثيرة فى السلاح والعدد وتضرب الطبول فى مواكبه وتمر بين يدى العساكر وعليهم اللباس المليح، قال وكذلك مر بين يدى فى بعض الأوقات شيء عظيم يهول الناظر له سبعون رأسا وذكر أشياء كثيرة من العجائب العظيمة والكرامات الكريمة رضى الله عنه ونفعنا به والمسلمين .

الحكاية الخمسون بعد الأربعمائة

روى أن أحد المشايخ خطب امرأة فأبى أهلها أن يزوجوه إلا بجارية تخدمها فلم يقدر على شراء الجارية فذكر ذلك لصاحب له فقال له صاحبه أنا أكون عوض الجارية التى تخدم فاذهب إليهم وقل لهم عندى جارية للخدمة ولكنها قالت تخدم فى مكان تقعد فيه وحدها لا تراكم ولا ترونها فذهب إليهم وقال لهم كذلك، فقالوا نعم إذا قامت بالخدمة التى تطلب فلا حاجة لنا فى رؤيتها فزوجوه ثم أتى بصاحبه وتركه فى مكان وحده وكان أسود ليس له لحية فقعد يطحن لهم وعلى وجهه برقع والمرأة تحسب أنه جارية، وكان الشيخ يخرج من عند زوجته بالليل يتعبد فذكرت المرأة ذلك الخروج للنساء فقلن لها عسى هو يذهب إلى الجارية فلما خرج فى تلك الليلة خرجت بعده لتنظر هل هو عند الجارية فوجدت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها فتعجبت من ذلك ولم تجد الشيخ هناك فرجعت وسكتت حتى جاء الشيخ فذكرت له وقالت رأيت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها فقال ما هى جارية ذاك أخى فلان فقالت أنا أستغفر الله وأنا الجارية التى تخدمكما رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

الحكاية الحادية والخمسون بعد الأربعمائة

قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه من العالمين أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه ونفعنا به، لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجهت لأدعو فقيل لا تدعُ فما يسمع لأحد منكم فى هذا الأمر دعاء فسافرت إلى الشام فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل عليه الصلاة والسلام، تلقانى الخليل صلى الله عليه وسلم فقلت له يا خليل الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم، قلت وقوله تلقانى الخليل عليه الصلاة والسلام قول حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبى صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلى فى الأرض ونظر أيضا جماعة من الأنبياء عليهم السلام فى

السموات وسمع منهم مخاطبات وقد تقدم أنه يجوز للأولياء رضى الله عنهم من الكرامات ما يجوز للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات بشرط عدم التحدى .

الحكاية الثانية والخمسون بعد الأربعمائة

روى أيضا أنه لما وصل الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه إلى القدس كان معه الفقيه أبو الطاهر المحلى فمر الفقيه أبو الطاهر المذكور يوما على مدرسة بالقدس والفقهاء جالسون على بابها بأعظم هيئة ولباس وزى وأكثرهم أعجام فاستحيا أن يمر عليهم لحقارته فى نفسه وهو شاب فقير أسود رث الحالة، فلما رجع إلى الشيخ وبات معه إلى الصبح قال له الشيخ امض إلى المدرسة التى مررت عليها كن بها معيدا قال فتعجبت وعظم ذلك على واستحلت وقوعه، ولم يمكننى إلا الامتثال فجئت إليها وأنا أتوهم أن البواب يمنعنى من الدخول فلم يمنعنى فدخلت ووجدت المدرس جالسا وحلقة كبيرة دائرة عليه فأردت أن أدخل فى الحلقة فلم يفسح لى أحد منهم احتقارا واستهانة بى فجلست خلفهم، وإذا برجل قد دخل من باب المدرسة فلما رآه المدرس عبس وجهه وقام إليه يتلقاه وانقبضت الجماعة بأسرهم فقلت للذى أنا وراء ظهره يا أخى ما للجماعة قال هذا الذى دخل جدلى خلافى لا يطاق وإذا جاء لا يبقى للشيخ معه كلام إلا ملاطفته ولا يستطيع أحد مجاراته فلما تلقاه الشيخ أجلسه فى مكانه فلما قعد استفتح وألقى مسألة خلافية عقدة فلما استكمل إيرادها فُتح علىّ حِفظُ سؤاله والجواب عنه فزاحمت ودخلت بين اثنين وانطلق لسانى ونصيت سؤاله وما غيرت منه شيئا وهذا ترتيب المناظرين إعادة السؤال ثم أجبته بما فتح الله على ولم أكن قرأت علم الخلاف ولا ناظرت فتعجب المدرس منى وبهت الجماعة من أمرى واستعظموا ذلك، وقال المناظر للمدرس هذا الفقيه من أين لكم، قال ما رأيناه إلا هذه الساعة فقال المناظر لمثل هذا تبنى المدارس ففرح المدرس حيث كان فى حلقته من أجاب هذا المناظر ، ثم قال المدرس لى ما اسمك فذكرت له اسمى فقال قد وليتك الإعادة، ثم قام فقمت معه وقامت الجماعة معى فقال لى يا فقيه عادتنا إذا استعدنا معيدًا نشيعه حال توليته إلى منزله فلما خرجنا من المدرسة قصد أن يمشى هو والجماعة معى فسألته أن يتخلى عنى ذلك فقبل ورجع فلما جئت إلى الشيخ قال لى يا فضولى ولأى شىء منعته أن يفعل عادته يوصلك إلى منزلك قلت له يا سيدى حملا عن خاطرك وبقيت بها إلى أن توفى الشيخ فدفن بظاهر بيت المقدس رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثالثة والخمسون بعد الأربعمائة

روى أن الشيخ أبا عبد الله القرشى رضى الله عنه كان يوما جالسا فى ميعاده بمصر وكان الشيخ أبو العباس القسطلانى رضى الله عنه هو الذى يقرأ المواعيد بين يديه فحضر ميعاد الشيخ أبى العباس الطنجى ففتح القارئ المذكور الكتاب وسكت فقال له الشيخ القرشى مالك لا تقرأ قال يا سيدى الكتاب أبيض ما فيه شىء مكتوب، فقال الشيخ القرشى من ههنا فقالوا له أبو العباس الطنجى فقال الشيخ القرشى له: يا أبا العباس معى تفعل هذا ثم قال للقارئ اقرأ فوجد الكتاب مكتوبا فقرأ على عادته، وكان أبو العباس القسطلانى المذكور قد ترك زينة الدنيا وأقبل على خدمة الشيخ القرشى بنفسه وكان زاهدا فى وقته وكان كثير الرياضات وكانت إقامته فى آخر عمره بمكة المشرفة وبها مات وقبره معروف وكان قد حصل قحط فى وقته بمدينة النبى ﷺ لانقطاع المطر وكان هناك يومئذ، فعزم الناس على الاستسقاء وتقرر الحال على أن يستسقى أهل المدينة يوما والغرباء يوما والمجاورون يوما فاستسقى أهل المدينة فلم يمطروا، فعمل أبو العباس المذكور طعاما كثيراً وأطعم الفقراء وأهل الضرورات واستسقى فمطروا رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الرابعة والخمسون بعد الأربعمائة

روى الشيخ صفى الدين رضى الله عنه فى رسالته أنه قال كان الشيخ أبو عبد الله محمد الأزهرى العجمى رضى الله عنه كثير السياحات صاحب آيات عظيمات وحكايات تضيق عنها العقول قال تلميذه الشيخ الكبير أبو الحسن بن الدقاق رضى الله عنه أدخلنى الشيخ محمد العجمى على ثلثمائة وستين عالما غير عالم السموات والأرض، قال ووصل بى إلى جبل قاف وأرانى الحية الدائرة بالجبل ورأسها على ذنبها وهى خضراء قال وكان الشيخ إذا مشى بى إلى أمر خارق أ وطئ الأرض أبقى معه غائبا عن حسى المعهود فخرج يوما من دمشق وأنا بصحبته إلى أن وصلنا طبرية، ووقفنا على قبر سليمان عليه الصلاة والسلام، فقلت يا سيدى هذا قبر سليمان عليه السلام قال هكذا يقال ثم مشى وأنا خلفه محمول به إلى أن أشرفنا على بناء مهول وإذا نحن بأقوام تلقوا الشيخ وسلموا عليه وتبركوا بقدومه ثم مشوا قدامه فوجدت منهم وحشة، فالتفت الشيخ إلى وقال يا على احفظ نفسك واشتغل بى ولا تشتغل بمن تراه فهؤلاء جان ونحن قادمون على قبر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام

فلمـا وصلنا إلى البنيـان تلقتـه طائفة أخـرى وأدخلوه البناء وهوصـورة قصـر عظيم والشيخ يمشى وأنا خلفه وإذا فى صدر المكان رجل قائم عليـه هيبة عظيمة ونور عظيم وفى يده عصـا فقال الشـيخ لى هذا سليمان ثم تقـدم وقبل يده وفى إحدى أصـابعه الخاتم، ثم تأخر فـأخذه جماعـة من الجن خدام سليمان عليه السـلام وذهبوا به إلى موضع وقدمـوا ضيافتـه طعاما فأكل الشـيخ وأكلت معه ثم ذهبوا به يفـرجونه على ذخائرسليمـان عليه الصلاة والسلام، فـأتوا به إلى البساط فوقف عليـه فجاءت ريح ففرشته حتى رآه ثم جاءوا به على عـرش بلقيس فرآه إلى أن استكمل ذخائر سليمان عليه الصلاة والسلام، ثم مر على مغارة وبها دوى مزعج ورائحة منكرة، فقالوا له يا سيدى هذا سجن إبليس وهو مسـجون فى هذه المغارة منذ زمن نبى الله سليمان ﷺ فلما أراد الشيخ الانصراف وضعوا له سريرًا وأشار الشيخ إلى فوضعوا لى سريرًا آخر فلما جلسنا عليهما ارتفعا بنا فى الهواء لا نبصر من يحملهما ومرا بنا فى الهواء فوق بحر حتى انتـهينا إلى مكان، فلما وصلناه حط بنا السريران إلـى الأرض فنزلنا عنهما ثم ارتفعا فى الهواء ورجعا فمشى الشيخ وأنا خلفه ساعة وإذا نحن بدمشق قد بدت.

قال وكنا يوما بدمشق وكان فى أصحاب الشيخ من هو من الحجاز ومن هو من العراق فـذكروا الرطب فقـال أهل الحجاز رطبنا أطيـب وقال العراقـيون رطبنا أطيب وكان للشيخ خادم اسمه يوسف فنظر الشيخ إليه فخرج الخادم من الباب وغاب لحظة ثم دخل وعلى يده طبق فيه رطب كما جنى من النخل فـوضعه بين يدى الشيخ فقال الشيخ يا حجـازيون هذا رطب بلادنا فأحضروا أنتم رطب بلادكـم وله من العجائب والكرامات أشياء عظيمات رضى الله عنه ونفعنا به .

الحكاية الخامسة والخمسون بعد الأربعمائة
عن الشيخ المغاورى رضى الله عنه

قال كنت عدة سنين مولعا بالحرب وعدة سنين بالسياحة أدخل إلى بلاد الكفار لأمور أؤمر بالدخول إلى بلادهم لأجلها وحجابى بحكمى إن أردت رأونى وإن أردت لم يرونى فورد على أمر من جـهة الحق سبحانه بأن أدخل إلى بلادهم لأجتـمع فيها برجل صديق فـدخلت أرضهم وأريتهم نفسى فـأخذونى أسيرا وفـرح بى من أخذنى وكتـفنى وجاء بى إلى السـوق يبيعنى وكـان هذا هو طريقى المقصـود الذى أمرت به فاشتـرانى رجل معتبر راكبـا دابة ووقفنى على الكنيسة لأكـون فيها خادما فـباشرت

خدمتها أياما، وإذا بهم قد أحضروا بسطا كثيرة ومباخر وطيبا كثيرا فقلت لهم ما الخبر قالوا الملك عادته زيارة الكنيسة يوما فى السنة وقد جاء وقت زيارته فنحن نهيئها له ونخليها فلا يبقى فيها أحد حتى يدخل وحده يتعبد فيها فلما أغلقوها بقيت أنا فيها واحتجبت عنهم فلم يرونى وإذا بالملك قد جاء ففتحوها له ودخلها وحده وأغلقوا عليه الباب فدار بالكنيسة يفتشها وأنا أنظر إليه وهو لا يرانى إلى أن اطمأن فدخل المذبح الذى فيها وتوجه إلى القبلة وكبر بالصلاة فقيل لى هذا هو الذى أردنا لك الاجتماع به فظهرت ووقفت وراءه حتى يسلم من الصلاة ثم التفت فرآنى فقال من تكون قلت مسلم مثلك، قال وما جاء بك ههنا قلت أنت فأقبل على وسألنى عن أمرى فأخبرته بما أمرت به من الاجتماع ولم يكن لى طريق إلا ذلك إلا بصورة ما جرى من الأسر والبيع واتخاذهم لى خادما للكنيسة وتمكينى لهم من نفسى فى جميع ذلك ليقع الاجتماع ففرح بى فكاشفته وكاشفنى ووجدته من كبار الصديقين فقلت له كيف حالك بين هؤلاء الكفار فى باطن الأمر قال يا أبا الحجاج لى فوائد بينهم لا أبلغ مثلها لو كنت مع المسلمين قلت له صف لى قال توحيدى وإسلامى وأعمالى خالصة لله عز وجل وحده، ما لأحد اطلاع عليها وآكل حلالا ما فيه شبهة وأنفع المسلمين نفعا لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغته من الدفع عنهم وأكف عنهم أذى الكفار حتى لا يصل إليهم وأفعل فى الكفار من القتل والإفساد لأحوالهم ما لو كنت أعظم ملوك المسلمين ما فعلته وسأريك بعض تصرفاتى فيهم ثم ودعنى وودعته، وقال له ارجع إلى حالتك فأخفيت نفسى واحتجبت عن الناظرين فخرج الملك وقعد على باب الكنيسة وقال ائتونى بجميع من يختص بالكنيسة فأحضروا له جماعة منهم وعرضوهم عليه وقالوا هذا بطريقها وهذا شماسها وهذا راهبها وهذا مشارف أوقافها وهذا جابى رباعها قال فمن يخدمها قالوا له فلان يعنون الذى وقفنى على الكنيسة اشترى أسيرا ووقفه على خدمتها فأظهر غضبا عظيما وقال تكبرتم جميعا عن خدمة بيت الرب وجعلته رجلا من غير الملة نجسا يخدم بيت الرب، فأخذ السيف وضرب رقاب الجميع فى حجة الغيرة على بيت الرب، وأمر بإحضارى فظهرت لهم فقدمونى إليه فقال هذا خادم الكنيسة التى يتبرك بها يستحق فى مقابلة كبر هؤلاء الإكرام والتعظيم والخلع والمركوب وإطلاقه إلى وطنه وأهله ففعلوا بى ذلك وانصرفت عنه رضى الله عنهما ونفعنا بهما .

الحكاية السادسة والخمسون بعد الأربعمائة

روى أن أمير المؤمنين بالمغرب المسمى يعقوب رحمه الله تعالى رأى مرأى وأحوال المريدين وسببه أنه قتل أخاه غيرة على الملك فندم على قتل أخيه ندما أورثه توبة أثرت فى باطنه أحوالا حسنة وتغير عليه من نفسه ما لا يعهده لثمرة التوبة فما كان أبركه عليه ذنبا وفى مثل هذا قال القائل :

ورب قطيعة جلبت وصالا　　　وكم ذا فى الزوايا من خبايا

فشكا ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره فقالت له هذه أحوال المريدين فقال كيف أعمل بنفسى ومن يعرفنى ويداوينى قالت له الشيخ أبو مدين سيد هذه الطائفة فى هذا الزمان فبعث يعقوب إلى الشيخ أبى مدين وطلبه طلبا حثيثا والتجأ إليه فاقتضى إجابة الشيخ أبى مدين له فقال قولوا له تطيع الله عز وجل سبحانه وتعالى بطاعته وأنا ما أصل إليه بل أموت بتلمسان وكان الشيخ يومئذ فى بجاية فلما وصل إلى تلمسان قال لرسل يعقوب سلموا على صاحبكم وقولوا له شفاؤك على يد أبى العباس المرينى ونفعك على يده ومات الشيخ أبو مدين بتلمسان رضى الله عنه ونفعنا به ومضت الرسل إلى يعقوب فأخبروه بما أوصى به الشيخ له فطلب الشيخ أبا العباس المرينى طلبا حثيثا وسير إليه فى كل الجهات إلى أن ظفروا به فأخبروه بما عليه فوجد من الحق سبحانه إذنا بالاجتماع به، فمشى إليه واجتمع به ففرح يعقوب بذلك، ثم أمر بذبح دجاجة وخنق أخرى وأن يطبخ كل واحدة منهما على حدة وقدمها بين يدى الشيخ وسأله أن يتناول فنظر الشيخ إليهما وأمر الخادم برفع المخنوقة وقال هذه جيفة وأكل من الأخرى فسلم يعقوب نفسه له وأنزل نفسه منزلة خادم وفتح له على يده وترك الملك وسلمه لابنه واشتغل مع الشيخ وثبتت قدمه فى الولاية ببركة الشيخ أبى العباس وإشارة الشيخ أبى مدين رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم .

ومما جرى ليعقوب أن الناس كانوا محتاجين المطر فقال أبو العباس ليعقوب بعد أن خرجا إلى خارج البلد صل واستسق للمسلمين فقال له يعقوب أنت أحق بذلك يا سيدى وأولى فقال له الشيخ بهذا أمرت فصلى يعقوب ودعا فنزل المطر على الفور رضى الله عنهما ونفعنا بهما والمسلمين آمين.

الحكاية السابعة والخمسون بعد الأربعمائة

قال الشيخ صفى الدين رضى الله عنه رأيت امرأة كبيرة الشأن يعظمها الأولياء والعلماء مغربية يقال لها ست الملوك زارت بيت المقدس فى وقت كان فيه الشيخ

الكبيـر الشأن على بن علبس بفتح العيـن المهملة والباء الموحدة وسكون اللام بينـهما وفى آخره سـين مهملة اليمـانى رضى الله عنه، قال الشيخ على المذكـور كنت ببيت المقدس وإذا أنا أشهد حبلا من نور مدلى من السماء إلى قبة كانت فى المسجد فمشينا إلى القبـة فوجدت فيه هذه المـرأة ست الملوك والنور الذى شهدته متـصل بها فطلبت منها الأخـوة فأجابت رضى الله عنهـا ونفعنا بهـا قال الصفى ورأيت الشـيخ صالح الولى سفيان اليـمانى من الأكابر وأرباب الهمم العالية وكان معـمر الأوقات بالصلاة ظهر فى جهة من اليمن بعد وصوله إلى ديار مصر وحـجه وشهد له جماعة كثيرة لما رأوا من كراماته رضى الله عنه ونفعنا به.

قلت هذا سفيـان الذى قدمت ذكره فى قتله لليهـودى الذى ذبحه فى عدن من أجل رفعـته على المسلمين واسـتخدامـه لهم يمشون تحت ركـابه بولاية السلطان وقد بلغنى أنه قتل يهوديا آخر فى تعز بالحـال بأن قال له تفعل كذا وكذا وإلا قطيّت رأس هذا القلم وكان فى يده رضى الله عنه قلم وسكين فقـال اليهودى قط القلم وما على من قطته فقط رأس القلم وإذا برأس اليهودى مقطوع يدرج على الأرض وله كثير من الكرامات العظيمات وكان فقيها قد اشتغل بالعلم وحصل حتى قيل له إن أردتنا فاترك القولين والوجـهين فترك ذلك واشـتغل بالله تعالى وأمـا وصوله إلى ديار مصر فـقد بلغنى أنه سافر إليها ليحضر الجهـاد فى دمياط وكان فتح المسلمين على يديه وكان قد قال لهم بعض من أطلعهم الله على ما شـاء من الغيب إن فتح دمياط يكون على يد رجل من أهل اليـمن وممن حضر الجـهاد بدمـياط الفقـيه العـالم الولى العارف عـبد الرحمن النويرى رضى الله عنـه واستشهـد قال الإفرنجى الذى قتله ضـربت عنقه ثم قلت له بعـد أن مات يا قـسيس المسلـمين أنتم تقولون فى قـراءتكم : ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمـواتا بل أحياء عن ربهم يرزقون**﴾، قلت له ذلك بطريق التهكم ففتح عينيه ورفع رأسه وقال بصوت قوى : نعم ﴿**أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ ثم سكت فعندما رأيـت ذلك وسمعت ما سمـعت نزع الله الكفر من قلبى وأسلمت على يده وأرجو أن الله يغفـر لى ببركته وإسلامى على يديه انتهـى كلامه. ولو كان يقال بعد ذلك للشيخ عبد الرحمن الشهيد الناطق وله كرامات كثيرة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثامنة والخمسون بعد الأربعمائة

عن أحدهم

قال كنت فى السياحة تألف إلى الوحوش وتجلس حولى وأمشى بينها كأننى منها إلى يوم خطر لى دخول العمران وتذكرت طفلا صغيرا كان يقرب لى ثم رأيت غزالة صغيرة من الوحوش التى حولى فخطر فى نفسى لو كانت معى هذه الغزالة أحملها للطفل فعندما خطر لى هذا الخاطر نفر عنى الجميع وتباعدت وصارت تنظر إلى خلاف ما كانت عليه فاستغفرت الله وتباعدت من ذلك الخاطر فعادت إلى كما كانت رضى الله عنه، وقال آخر منهم كنا جماعة نذهب فى أى وقت شئنا إلى أى مكان شئنا تطوى لنا الأرض فلما كان بعض الأيام اشتريت لأولادى دارا، وأخذت بذلك كتابا كتب لى فيما يتعلق بالدار وشرائها فأرسل أصحابى بعد ذلك الموعد بيننا المكان الفلانى فرجعت إلى حالى الذى كنت أعهده فلم أجده معى فأرسلت إليهم أقول لهم ذلك الجناح الذى كنت أطير به قد قص فأرسلوا إلى يقولون انظر من أين أتيت واقطع العلاقة التى قطعتك قال فقطعت كتاب شراء الدار المذكورة فإذا بحالى قد عاد إلى فالتقيت بهم فى المكان الذى ذكروا رضى الله عنهم ونفعنا بهم.

الحكاية التاسعة والخمسون بعد الأربعمائة

قال الشيخ صفى الدين رضى الله عنه كان الشيخ مفرج وليا عظيم الشأن وكان عبدا حبشيا اصطفاه الله بلا أسباب معلومة ولا مقدمات معهودة أخذه عن حسه المعهود أخذة عظيمة أقام فيها ستة أشهر ما استطعم فيها طعاما ولا شرابا فلما رأى سيده حاله تغير ضربه فلم يتأثر بالضرب فظن أن به الجنون فاستندب شخصا لضربه ليفيق ويتناول الغذاء فكان الضارب يقول للجنية بزعمه اخرجى فيقول الشيخ مفرج قد خرجت يعنى نفسه فقيدوه وغابوا عنه ثم جاءوا إليه فوجدوا القيد فى ناحية وهو فى ناحية أخرى فحبسوه وغابوا عنه فوجدوه خارجا عن المكان الذى حبس فيه فلما تكاثرت عليهم كراماته أحضروا أفراخا مشوية فقال لها طيرى فطارت أحياء بإذن الله تعالى فسكتوا عنه وتواترت كراماته واشتهرت ولايته وظهرت بركاته رضى الله عنه.

الحكاية الستون بعد الأربعمائة

حكى أنه كان أحد الشيوخ بالرقة فشُكى إليه والى الرقة حتى تغير عليه خاطره

فاتفق أن الوالى مر على الشيخ فصاح عليه صيحة واحدة قال له فيها مت فمات فى الحين، وتكلم هذا الشيخ يوما فى الكرامات فقالت له عجوز لها عليه دلال كم فشارا ودعاوى والناس هلكى من عدم المطر فكاشف الشيخ عليها فخرجت من عنده وركبت بغلتها وكانت تربى أولاد الملوك فلما بلغت بعض الطريق إذا سحابة قد أرخت مطرا غزيرا وهبت ريح فرمتها عن البغلة فى الطين ثم قامت فركبت ورجعت إلى الشيخ وقالت قلنا إن أنزلت المطر بجاهك فلأى شىء رميتنى من فوق البغلة فى الطين قال لكثرة فضولك.

وقال رضى الله عنه كان الملك نور الدين ملك الشام معدودا عندنا من الأولياء الأربعين وكان صلاح الدين من الثلثمائة وكانت الأبدال إذا رأوا نور الدين يقول لهم كيف أنا عندكم فيقولون أنت أصلح الظلمة مع ما كان عليه من أوصاف الولاية رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الحادية والستون بعد الأربعمائة

روى أنه كان الشيخ أبو محمد بن الكبش رضى الله عنه يجتمع بالخضر عليه السلام فى أكثر الأوقات وكان له صاحب معروف كبير موسر فقال له يوما يا أخى مالى منك نصيب فقال فى ماذا قال تجمع بينى وبين الخضر يوما وتسأله أن يظهر لى حتى أراه فقال أنا أقول له فقال للخضر عليه السلام صاحبى فلان قصد رؤيتك فقال صاحبك ما يريد أن يرانى فقال سبحان الله هكذا قال لى فقال قل له أنا يوم الجمعة أقصد إلى رؤيته فلما كان يوم الجمعة بادر الرجل إلى مطمر له فيه قمح ففرق منه إلى قريب وقت الجمعة شكرا لإجابة الخضر عليه السلام إلى زيارته، ثم أغلق الباب وتوضأ وجلس على سجادته يذكر الله تعالى وينتظر الوعد فدق الباب رجل فقال للجارية انظرى من بالباب فخرجت فوجدت رجلا عليه أطمار فقال لها قولى لسيدك رجل يريد الاجتماع بك فأخبرته فقال لها صفة الرجل قالت عليه أطمار فقال مسكين لا شك أنه يريد من القمح الذى سمع عنه قولى له يرجع بعد الصلاة فقالت له ذلك فمضى فلما كان بعد الصلاة اجتمع الرجل بابن الكبش وقال له جلست فى انتظاره وما رأيته اليوم قال له يا قليل التوفيق هو الذى خرجت الجارية إليه وقالت له ارجع بعد الصلاة ثم قال له تريد أن ترى الخضر وعلى بابك الحجاب فقال كل جارية عندى حرة لوجه الله تعالى وصار إذا دق أحد الباب خرج إليه بنفسه رحمه الله تعالى.

الحكاية الثانية والستون بعد الأربعمائة

قال المؤلف كان الله له سمعت من غير واحد يحكى أن بعض التجار قال كنت مسافرا ومعى دابة عليها قماش فلما دخلت مصر واختلطت بالناس نظرت إلى الدابة فلم أجدها ففتشت عليها وسألت عنها فلم أعلم لها خبرا فقال لى بعض أصحابى ائت الشيخ أبا العباس الدمنهورى لعله يدعو لك وكنت أعرفه قبل ذلك فجئت إليه وسلمت عليه وحكيت له قصتى فما أصغى إلى كلامى ولا فرحنى بحاجتى ولكن قال لى عندنا ضيفان نطلب لهم كيت وكيت من الدقيق واللحم والحوائج فخرجت من عنده وأنا أقول والله لا رجعت إليه هؤلاء الفقراء ما يعرفون إلا حوائجهم أتيت إليه وأنا مضرور فما سمع شكواى ولا دعا لى بل طلب منى قضاء حاجته فمضيت على هذه النية فوجدت بعض من لي عليه دين فأمسكته وقلت له ما أفارقك حتى تخلصنى فدفع إلى ستين درهما أو نحو ذلك فلما حصل لى ذلك قلت فى نفسى والله لأخاطرن معه فى هذه .فإما حصل لى الجميع وإلا ذهبت مع ما ذهبت فى سبيل الله تعالى، فاشتريت جميع ما ذكر لى الشيخ وفضل معى فضلة فاشتريت بها علبة حلاوة وحمّلت الجميع حمالا وقصدت الشيخ فلما وصلت قريب الزاوية إذا أنا بدابتى واقفة على باب الزاوية فقلت فى نفسى هذه دابتى ثم قلت وأين دابتى لعلها تشبهها فلما دنوت منها وجدتها دابتى بعينها وعليها القماش بحاله كما كان فتعجبت من ذلك ثم قلت أخلى من يحفظها أو أدخل بها الزاوية لئلا تذهب ثم قلت الذى سلمها وحفظها علي هو يحفظها، ثم دخلت على الشيخ فوضعت الحوائج كلها بين يديه فاستعرضها حاجة حاجة حتى انتهى إلى علبة الحلاوة فقال أيش هذه فقلت يا سيدى فضلت معى فضلة فاشتريت بها هذه فقال هذه لم تكن داخلة فى الشرط ولكنى أزيدك بها زيادة اذهب إلى القيسارية وبع قماشك ولا تستعجل عليه وكلما بعت شيئا فاقبض ثمنه ولا تخف أن يرد عليك أحد من التجار فالبحر فى يمينى والبر فى شمالى قال فمضيت إلى القيسارية فوجدت جميع ما كان معى من القماش مطلوبا فبعته بزيادة كثيرة على العادة جدا وكلما بعت شيئا قبضت ثمنه حتى بعت الجميع وقبضت ثمنه فلما فرغت من ذلك أقبل التجار من البر والبحر كأنهم قد أُطلقوا انتهى كلامه قلت وهذا الشيخ أبو العباس له كثير من الكرامات النفاس المشهورات عند الناس رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

الحكاية الثالثة والستون بعد الأربعمائة

روى عن الشيخ أبى العباس بن العريف رضى الله عنه أنه قال أصبحت يوما ضيق الصدر وكان لى صاحب يعرف بأبى محمد الطرابلسى فقلت له يا أبا محمد أصبح اليوم قلبى منكوسا فعساك تحكى لى حكاية من حكايات الصالحين قال نعم كنت يوما ببلد أفريقية فى العشر الأول من ذى الحجة فإذا أنا بثلاثة نفر وقوف على رأسى فقالوا يا أبا محمد هل لك فى المسير إلى الحج فقلت الرأى على ما رأيتموه، فقالوا عول على بركة الله تعالى فتقدمنى الواحد منهم وتأخر الاثنان منهم فساروا فكان إذا أتى الليل خرج الواحد منهم عن الطريق فأتى بعرجون موز فيقول ههنا عجوز دفعت إلى هذا فبعد ثلاث ليال وإذا بأحدهم قال لى يا أبا محمد أبشر هذه جبال تهامة قال فحججت معهم ووقفت فى صحبتهم فلما آن وقت الرجوع قالوا لى أنت فى دعة الله فقلت لهم تسومونني الفرقة فقالوا لا بد من ذلك ومضوا وعدلت إلى عيذاب ووصلت إلى أسوان فقالت لى نفسى تمضى إلى الإسكندرية فلعل أحدًا من معارفنا يطلعك فى البحر إلى المغرب فقلت لها وإلى الآن لم تؤمنى والله لا دخلت الصحراء إلا من ههنا فكنت إذا احتجت الوضوء أو الشراب أقول وعزة المعبود لا أبرأ حتى أتوضأ وأشرب فتظلنى سحابة فلا تزال تمطر حتى ترجع غديرًا فأتوضأ وأشرب وإذا رجعت قلت كذلك فما برحت على هذه الحالة حتى رجعت إلى المكان الذى خرجت منه وهأنا أتخبط يا أحمد وأنت تلبس ثياب الأمراء وتنظر إلى وجوه الشباب وتقول قلبى نكس شيخ سوء مثلى قلبه نكس وأما أنت فمنكوس كنت ومنكوس بقيت، قال أبو العباس فوالله ما نسيت برد قوله فمنكوس كنت ومنكوس بقيت إلى أن ألقى الله تعالى رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين.

الحكاية الرابعة والستون بعد الأربعمائة

روى عن الشيخ ابن العريف أيضا رضى الله عنه قال أصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ أبى القاسم بن رويبل حدثنى بحكاية عسى الله أن يفرج ما بى فقال نعم وصف لى رجل ببعض السواحل يعرف بأبى الخباز فقصدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى إذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الأودية متفرقين فاجتمعوا إليه وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم واحد منهم أحدًا، وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى إذا كان وقت الصلاة أقبل النفر فصلوا ثم انصرفوا حتى جاء وقت العصر فاجتمعوا وصلوا ثم

جلسوا بعد ذلك وتذاكروا فى سير الصالحين ومقامات الأولياء إلى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمـغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام وهم على ذلك ، ثم وقع فى نفسى أن أسأله عن مـسألة أستفيدها فـتقدمت إليه وقلت أيها الشـيخ مسألة أسأل عنها فـقال قل فنظر الجماعة إلى كـالمنكرين ففزعت فقلت له أيهـا الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عنى ولم يجبنى فخفت أن أكـون قد أغضبته فقمت عنه فلما كنت فى اليوم الثانى قلت لابد أن أسأله عن المسـألة وعزمت على ذلك فتقدمت إليه وقلت أيهـا الشيخ متى يعلم المريد أنه مـريد فأعرض عنى كـالأول ولم يجاوبنى فقمت وعدت إليه فى الثالثة وسألته عن المسألة بعينها فاجتمع إلى وقال لا تقل هكذا أظنك تريد أن تسـأل عن أول قدم يضـعها المريد فـى الإرادة فقلت نعم فـقال لى إذا اجتمع فـيه أربع خصال أن تطوى له الأرض وتكون عنده كقـدم واحدة، وأن يمشى على الماء، وأن يأكل من الكون مـتى أراد، وألا ترد له دعوة، فـعند ذلك يضع أول قدمـه فى الإرادة وأما مـتى علم المريد عندنا أنه مـريد سقط من حـد الإرادة ، قال الشيخ أبو العـباس بن العريف رضى الله عـنه فصحت صيـحة واحدة كـادت نفسى تذهب معـها ثم قلت له آيستنا من الإرادة يـا أبا القاسم وتعجـبت من علو همة هذا الشيخ رضى الله عنه وعن الجميع ونفعنا بهم آمين.

الحكاية الخامسة والستون بعد الأربعمائة
عن الشيخ أبى عبد الله القرشى

أنه سمع شيـخه أبا زيد القرطبى رضى الله عنه يقول لما سـأله عن بدايته رجاء فائدة ينتفع بهـا قال يا بنى أمر غريب ما أدخلنـى فى هذا الطريق إلا أمر مزعج وإنما كنت من التجار وكان لى دكان فى العطارين وكنت لا أبيع من السلع إلا ما عز ثمنها وعز وجودها وكـان لباسى مثل ذلك فدخلت يوما إلى الجـامع لأصلى صلاة الصبح قضـاء فلما أتممت الصلاة رأيت حلقـة كبيـرة فمضـيت إليها وأنا حـينئذ لا علم لى بالصـالحين إلا على مـا يقوله العـوام من أنهم فى البرارى والجـبال فـوقفت عليـهم وسمعت القارئ يقرأ فى حكايات الصالحـين ومجاهداتهم مثل حكاية أبى يزيد فقلت فى نفسى بصوت لا يسمعنى إلا من قرب منى سبحان الله مثل هذا يدون فى الكتب فقـال لى رجل وبأى شيء تدون الكتب فقلت هذا الذى يحكـيه شبـيه الكذب رجل يترك الماء سنة ويعيش فقال لى الرجل لا تنكر فبينما أنا أراجعه الكلام وإذا فى الحلقة شخص عليه سلهام قد أكل أطرافه الشجر فرفع رأسه إلى وقال أما تستحيى أن تتكلم فى الصالحين فقلت وأين الصالحون ثم تركتهم ومـضيت وأنا متعجب فلما كان قرب

الظهر وأنا جالس فى الدكان على العادة أبيع وأشترى وإذا أنا بالرجل صاحب السلهام قد مر فرأيته ولم يرنى فمضى عنى ثم رجع وإذا به كأنه يطلبنى فقال لى سلام عليك فقلت وعليكم السلام فقال ما اسمك قلت عبدالرحمن فقال لى أتعرفنى فقلت نعم أنت الرجل الذى تكلمت معه فى الحلقة وأنت على تلك العقيدة أو تبت فقلت ما أعرف لى عقيدة أتوب منها فاتكأ بصدره على صخرة قدام الدكان وقال يا أبا يزيد أى شىء تقول فى عمل الصالحين فقلت أين أولئك، فقال نعم يمشى فى الأسواق رجال لو قال أحدهم هكذا وأشار إلى مَجَرٍّ كان معى فى قاع الدكان فتحرك معه فانفجر منه فرجتان كان فيهما رهون الناس فوثبت فأمسكتهما ورددتهما إلى مكانهما ثم قلت وهل يعطى رجل المقدرة على مثل هذا فقال وأى شىء هذا فى جنب ما يحكم الإنسان فيه قلت وفى ماذا يحكم به غير هذا فقال لو قال للدكان انخلع عن مكانك لا نخلع فرأيت الدكان قد تحرك حركتين فلم يبق فيه زجاجة ولا آنية إلا تحركت حتى خفت أن ينطبق على فبقيت متحيرا فتركنى ومضى وكان فىّ غريزة عقل فقلت إذا كان مثلى يفنى عمره فى هذا الدكان كيف يمكنه الاجتماع بمثل هؤلاء القوم فلما كان الغد ذهبت إلى الحلقة أسمع كلام القوم سماعا آخر فوالله ما أبقى فىّ السماعُ وسعا أن أمضى إلى الدكان فمضيت إلى خالى ودفعت له المفاتيح وكان هو صاحب الدكان فقال أين تمضى فقلت له سآتى إن شاء الله تعالى ولم يعلم قصدى فلم أرجع إلى الدكان بعد ذلك رضى الله عنه ونفعنا به.

الحكاية السادسة والستون بعد الأربعمائة

روى أنه كان سيدى الشيخ العارف أحمد بن الرفاعى قدس الله روحه وأعاد علينا من بركاته يقرأ القرآن وهو شاب على الشيخ العارف على بن القارئ الواسطى رضى الله عنه فصنع شخص طعاما ودعا إليه الشيخ ابن القارئ وأصحابه وجماعة آخرينَ من المشايخ والقراء وغيرهم فلما أكلوا من الطعام وكان معهم قوال فشرع يغنى بدف فى يده وسيدى أحمد جالس عند نعال القوم، ونعل الشيخ ابن القارئ معه فلما طاب القوم واستراحوا وتواجدوا وثب سيدى أحمد بن الرفاعى إلى القوال وخسف الدف الذى كان معه فالتفت المشايخ إلى على بن القارئ ونافروه فيما صدر من سيدى أحمد وقالوا له هذا صبى مالنا معه مطالبة والمطالبة عليك فقال لهم الشيخ ابن القارئ اسألوه فإن أتى بالجواب وإلا على المطالبة فالتفتوا إليه وقالوا له لم كسرت الدف فقال لهم أى سادة ترجع إلى أمانة القوال يخبرنا بما خطر بباله فأى شىء قال اتبعناه فسألوا

القوال عما خطر بباله، فقال إنى كنت بارحة أمس عند أقوام يشربون فسكروا وتمايلوا كتمايل هؤلاء المشايخ فخطر لى أن هؤلاء كأولئك فلم يتم خاطرى حتى قام هذا الصبى وخسف الدف فعند ذلك نهض المشايخ إلى سيدى أحمد وقبلوا يده واعتذروا إليه رضى الله عنه ونفعنا بهم آمين.

قلت وإنما تمايلوا بشراب المحبة الذى أشار إليه الشيخ الكبير العارف أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لما قيل له ما شراب الحب ومن الساقى وما الذوق وما الشوق وما الرى وما السكر وما الصحو فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب والكاس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب والساقى هو المتولى الخصوص الأكبر والصالحين من عباده وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظى بشيء منه نفسا أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقًا ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله تعالى المخزونة فهو الرى وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدرى ما يقال له ولا ما يقول ذلك هو السكر وقد تدور عليهم الكئوسات وتختلف لديهم الحالات ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم أو اتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون فى ليلهم وشموس المعارف يستضيئون فى نهارهم ﴿**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾[(١)].

وقال بعض الشيوخ الكبار العارفين بالله المحبة آخذة من الله قلب من أحب الله أن يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله قال ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب والتهذيب فيسقى كل منهم على قدره فمنهم من يسقى بغير واسطة والله تعالى يتولى ذلك ومنهم من يسقى من وجه الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين والصديقين والعارفين فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئًا فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالرى وبعد بالسكر بالمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما أن السكر أيضًا كذلك رضى الله عنه وفى السكر برؤية الكأس قلت :

حميا برؤيا كاسها سكر ناظر ... فكيف بمن من تلك بالكاس يشرب

بها شارب المرح كل مشاهد ... جمال جلال ليس عن ذاك يحجب

---

(١) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

الحكاية السابعة والستون بعد الأربعمائة
عن أحدهم

قال هل على هلال رمضان فساعة رؤيته أطلعنى الله سبحانه على ليلة قدره أى ليلة هى وعرفنى بها فتحققتها فلما كانت الليلة المعينة ليلة القدر كنت أهرب منهما كما يهرب الغريم من غريمه وأنوارها تضىء وتلمع فى عينى وأنا أقول وعزتك يارب وجلالك ما أحتاج معك إلى ليلة القدر وقال بعضهم أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر وأنشدوا فى معنى ذلك :

لولا شهود جماله فى ذاتى ... ما كنت أرضى ساعة بحياتى
ما ليلة القدر المعظم شأنها ... إلا إذا عمرت بها أوقاتى
إن المحب إذا تمكن فى الهوى ... والحب لم يحتج إلى ميقاتى

وقال بعضهم رأيت الملائكة ليلة ستة وعشرين من رمضان فى بعض السنين وهم فى تهيئة كما يتهيأ أهل العرس له قبله بليلة فلما كانت ليلة سبع وعشرين وهى ليلة جمعة رأيت الملائكة تنزل من السماء ومعها أطباق من نور فلما كانت ليلة ثمان وعشرين رأيت تلك الليلة كالمتغيظة وهى تقول هب أن لليلة القدر حقا أمالى حق يرعى انتهى كلامه رضى الله عنه.

قلت لعل تغيظها على الناس لتركهم إحياءها مع كونها جارة لليلة القدر وحق الجار أن يكرم بشىء مما أكرم به جاره وأما أطباق النور المذكورة فلعلها هدية إلى من أحيا ليلة القدر الشريفة ومن أناله الله تعالى شيئا من بركة تلك الليلة والله أعلم وقد ذكر أحدهم أنه رأى فى ليلة القدر كل شىء ساجداً لله عز وجل حتى الشجر والحجر ورأى الأنوار قد ملأت الوجود من العرش إلى الفرش.

وقال لى بعض الفقراء رأيت فى الليلة المذكورة مكتوبًا بالنور : **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾** الآية.

قلت وهذه إشارة إلى الاهتمام بهذا الدعاء ، وألا يأمن أحد من مكر الله: اللهم إنا نعوذ بك من مكرك **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾** (١) .

الحكاية الثامنة الستون بعد الأربعمائة
عن أحد العلماء

قال رأيت الإمام أبا حامد الغزالى رضى الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز وقد كان قبل ذلك يحضر مجلسه فى بغداد مائة عمامة من أبناء الأمراء،

---
(١) سورة آل عمران : الآية ٨.

وقيل كان يدرس لثلثمائة ويحضر مجلسه العلماء الفضلاء والطلبة النجباء، قال فقلت له يا إمام أليس تدريس العلم ببغداد خيرًا من هذا فنظر إلى شزرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الإرادة وجنحت شموس الأصول إلى مغارب الوصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهـذه منازل من تهوى رويدك فانزل

قلت يعنى قال لسان حال الأشواق وصلت إلى منازل الأحباب فدع عنك تعب السير والمشاق وقد ذكرت نبذة من مناقبه فى كتاب الإرشاد وقد شهد له خلائق من الأولياء بالولاية العظمى والمقام العالى الأسنى ودرجة الصديقية وشرف المعالى فلا التفات إلى ذم كل حاسد مشئوم وكل معاند محروم وكل أعمى عن محاسنه غير موفق سوف يرى إذا كشف الغطاء وتحقق :

سيدرون فيما بعد يا أم حامد لمن شرف العليا وفخر المحامد
إذا حجة الإسلام بان مقامه لكل الورى ما بين خل وحاسد
بيوم به عال مقام محمد عليه صلاة الله زين المشاهد
شفيع الورى مولى البرايا مقدما له مشهد يحلو لكل مشاهد

الحكاية التاسعة والستون بعد الأربعمائة

روى أنه كان سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه إذا طلب منه أحد أن يكتب له عوذة ولم يكن عنده مداد يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد فكتب يوما لشخص بغير مداد فأخذ الشخص الورقة وغاب مدة ثم جاء بها ودفعها إليه ليكتب له فيها ممتحنا له فلما نظر إليها، قال أى ولدى هذه مكتوبة وردها إليه من غير ضجر.

وكان فى حياته رضى الله عنه شخصان قد تحابا فى الله تعالى ولزم كل واحد منهما الآخر وكان اسم أحدهما وهو الأكبر معالى بن يوسف واسم الآخر عبد المنعم فمكثا على ذلك سنين فلما كان بعض الأيام خرجا إلى الصحراء وجلسا يتحدثان فسأل عبدالمنعم الشيخ معالى عما حصل له فى ملازمته إياه فى تلك المدة وأمره الشيخ معالى أن يتمنى فقال عبد المنعم أى سيدى أريد الساعة كتاب عتقنا من النار ينزل علينا من السماء، فقال الشيخ معالى إن كرم الله واسع وفضله لا يحد فبينما هما كذلك إذ سقطت عليهما ورقة بيضاء من السماء ، فقال الشيخ معالى لعبد المنعم خذ هذه الورقة فقام وأخذها فلم ير فيها شيئا مكتوبا فقال قم بنا إلى سيدى أحمد حتى نعرضها عليه فأتياه ودفعا إليه الورقة ولم يعرفاه ما جرى لهما فنظر فيها ثم خر ساجدًا لله تعالى فلما رفع رأسه من سجوده قال : (الحمد لله الذى آرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الآخرة) فقيل له أى سيدى هذه الورقة بيضاء ما فيها

شيء من الكتابة فقال أى أولادى يد القدرة لا تكتب بسواد وهذه مكتوبة بالنور ، ثم دفعها إليهما فلما مات عبد المنعم جعلت فى كفنه رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم.

الحكاية السبعون بعد الأربعمائة

روى أن الشيخ جمال الدين خطيب أونية بضم الهمزة وكسر النون وفتح الياء المثناة من تحت كان من كبار أصحاب سيدى أحمد قدس الله روحه وكان فى أونية بستان فأراد أن يشتريه لضرورة دعته إلى شرائه فطلب يوما من سيدى أحمد أن يرسل إلى صاحب البستان وهو الشيخ إسماعيل بن عبدالمنعم شيخ أونية ويكلمه فى بستانه ويشتريه منه فقال سيدى أحمد سمعا وطاعة أى أخى أنا أمشى إليه ثم قام ومشى معه إلى صاحب البستان وكان منزله فى أونية فشفع إليه فى البيع المذكور فأبى فكرر الشفاعة فقال أى سيدى إن اشتريته منى بما أريد بعتك، فقال أى إسماعيل قل لى كم تريد فى ثمنه فقال أى سيدى تشتريه منى بقصر فى الجنة، فقال أى ولدى من أنا حتى تطلب منى هذا الطلب منى مهما أردت من الدنيا، فقال أى سيدى ما أريد شيئا من الدنيا سوى ما ذكرت، فنكس سيدى أحمد رأسه واصفر لونه وتغير ثم رفعه وقد تبدلت الصفرة بحمرة وقال أى إسماعيل قد اشتريت منك البستان بما طلبت فقال أى سيدى اكتب لى خطك بذلك فكتب له ورقة (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى إسماعيل بن عبد المنعم من العبد الحقير أحمد بن أبى الحسن الرفاعى ضامنا على كرم الله تعالى قصرًا فى الجنة تحفه أربعة حدود الأول إلى جنة عدن، الثانى إلى جنة المأوى، الثالث إلى جنة الخلد، الرابع إلى جنة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرته وأنهاره وأشجاره عوض بستانه فى الدنيا والله له شاهد كفيل) ثم طوى الكتاب وسلمه فأخذه ومضى إلى أولاده وهم على الدالية يسقون ذرة كانوا قد زرعوها فى البستان المذكور، فقال انزلوا فقد بعت البستان المذكور إلى سيدى أحمد فقالوا كيف بعته ونحن محتاجون إليه فعرفهم بما جرى من حديث القصر وأن خطه فى يده بذلك فأبوا ألا يرضوا إلا أن يجعلهم شركاء فيه فقال انزلوا فهو لى ولكم والله على ما نقول وكيل فرضوا ونزلوا واستولى الخطيب على البستان وتصرف فيه، ثم بعد مدة يسيرة توفى الشيخ إسماعيل بائع البستان إلى رحمة الله تعالى، وكان قد وصى أولاده أن يجعلوا ذلك الكتاب فى كفنه ففعلوا ودفنوه فلما أصبحوا من الغد وجدوا على قبره مكتوبا : ﴿**قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا**﴾[1] رضى الله عنه ونفعنا ببركاتهم آمين.

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٤.

الحكاية الحادية والسبعون بعد الأربعمائة

حكى أنه خرج سيدى أحمد قدس الله روحه ليلة وقت السحر يتوضأ بين النخيل فمرت به سفن مصعدة فيها الشحنة وجماعة من أتباع ديوان واسط ومعهم جماعة من المدادين وخلفهم جندى من أتباع الديوان فلما نظر الجندى إلى سيدى أحمد قال له أى شيخ قم معنا فقام ومشى قدامهم فأدخله مع المدادين فمر سيدى أحمد معهم حى وصل إلى القرية المعروفة ببذرية بالباء الموحدة والذال المعجمة والراء والياء المثناة من تحت وقت صلاة الصبح فرآه فقير فصاح واستغاث فاجتمع الفقراء حوله وأكثروا الضجيج فلما علم أصحاب السفينة أنه سيدى أحمد انزعجوا مما وقع منهم وعظم عليهم وجاءوا إليه ووقفوا بين يديه معتذرين مما جرى لهم فقال لهم أى سادة وحياتكم ما كان إلا الخير قضينا لكم حاجة وكسبنا الحسنة وما ضرنا شىء وأنا ما أزال جالسا فى الرواق أعمل شيئًا وأنتم تسخرون ضعيفًا أو من له صنعة وتبطلونهم من صنائعهم وتأثمون فيهم فإذا عرض لكم حاجة بعد فأعلمونى حتى أساعدكم إلى أن أتعب فأرجع فقالوا نحن نستغفر الله مما جرى فتوبنا وارض عنا فتوبهم وقال لهم رضى الله عنكم وعنا، ثم دعا لهم وودعهم فقال له الجندى الذى سخره أى سيدى هؤلاء القوم رضيت عنهم فالعبد الشقى كيف يكون حاله، فقال له الله يرضى عنك، فقال له أى سيدى توبتى فأخذ العهد عليه وتوبه وقال له ربنا يشهد علينا أننا أخوة دنيا وأخرى ثم صعدوا إلى واسط فترك الجندى خدمة أبناء الدنيا والملوك ورجع إلى سيدى أحمد فأخبره بترك الخدمة ولازم طاعة الله سبحانه وتعالى وصار من خيار الناس رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

الحكاية الثانية والسبعون بعد الأربعمائة
عن أحد الأخيار

قال سمعت بالشيخ أبا الفضل بن الجوهرى المصرى قدس الله روحه، فخرجت من بلدى وعقدت النية لزيارته فدخلت مصر يوم جمعة فحضرت مجلس وعظه مع جملة الناس فإذا بشيخ بهى المنظر مليح المخطر عليه رياش وأثواب رفيعة وعمامة شرب وطيلسان كذلك وله همة عالية وفناء واسع أو قال دنيا واسعة فقلت فى نفسى هذا ابن الجوهرى الذى قيل فيه ما قيل وسارت الركبان بصلاحه ودينه وورعه وكثرة صفاته وقوة إيمانه وصفاء يقينه وهو على هذا الزى واللباس فبقيت متعجبا من ذلك ومضيت وتركته على تلك الحال فبينما أنا سائر فى بعض أزقة مصر وشوارعها إذا

بامرأة تصيح بأعلى صوتها وتنوح وتبكى وتقول وا مصيبتاه وابنتاه وا فضيحتاه، فتقدمت إليها رحمة لها مما تعمل بنفسها وقلت مالك أيتها المرأة وما قصتك فقالت لى يا سيدى أنا امرأة من أرباب البيوتات ولم يكن لى من الأولاد سوى بنية واحدة فربيتها بجهدى وحفظتها بكليتى إلى أن ترعرعت واستوت فخطبها منى رجل من المسلمين وصلاح العاملين فعلمت أنه كفء لها فزوجتها به وهذه ليلة دخولها على بعلها وقد اعترض لها عارض من الجان فأذهب عقلها فقلت لها شفقة عليها ورحمة لها لا بأس عليك فعلى دواؤها وإصلاح شأنها بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فسكن ما بها ومضت قدامى فلم أزل أتبع أثرها إلى أن أتت بى إلى دار عالية البنيان مليحة الأركان فأذنت لى فصعدت إلى مجلس فيه من جميع الأفنان مما يصلح لأهل العروس والولدان فأمرتنى بالجلوس فجلست، وإذا بابنتها تلتفت يمينا وشمالا مما حل بها من أمر الجان بحكم العزيز المنان مع ما فيها من الحسن والجمال، فقرأت عليها عشر آيات من القرآن على السبع قراءات فتكلم عند ذلك الجان بلسان فصيح يسمعه القريب والبعيد وقال يا شيخ لا تفتخر علينا بقراءاتك على الروايات السبع فنحن سبعون صنفا من الجن الذين أسلمنا على يد على رضى الله عنه يوم بئر ذات العلم ونحن جئنا فى يومنا هذا نصلى وراء الشيخ صالح أبى الفضل بن الجوهرى الذى احتقرته وظننت به ما ظننت فاستغفر الله تعالى من ذلك وأدرك غفلتك بالتوبة إلى ربك، فبينما نحن عابرون على دار هذه الصبية لأجل الصلاة وراء الشيخ الصالح فى هذا اليوم الشريف اعترضتنا فرمت علينا نجاسة فسلم أصحابى وتنجست أنا وحرمتنى الصلاة خلف الشيخ الولى ففعلت بها ما رأيت غضبا عليها، فقلت له بحرمة هذا الشيخ الصالح الذى جئتم إليه من أجل الصلاة وراءه إلا ما خرجت عنها فقال لى سمعًا وطاعة، فخرج عنها فى الحال وعوفيت الصبية من ساعتها وأرخت قناعها على وجهها استحياء منى كأن لم يكن بها شيء ففرحت والدتها بذلك فرحا شديدا وقالت جزاك الله عنا خيرا وسترك كما سترتنا، ثم خرجت فى ساعتى وقدعقدت النية لزيارة الشيخ المذكور فلما رآنى مقبلا إليه تبسم ضاحكًا وقال لى أهلا وسهلا بالشيخ أبى بكر الذى ما صدق بخبرنا حتى أخبره الجان عنا فوقعت عند كلامه هذا مغشيا على ، وأقمت فى السماع مدة ولزمت صحبة الشيخ فى زاوية من رباطه بعد أن تبت إلى الله عز وجل ألا أنكر كرامات الصالحين رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين.

(قلت) وبلغنى أن الشيخ الكبير العارف أحمد بن الجعد اليمنى زار فى بدايته الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عيسى المعروف بالهتار اليمنى فرأى عليه ثيابا جميلة وبزة فتغير اعتقاده ورجع إلى خلفه فناداه الشيخ عيسى تعال يا غلام إنى لم ألبس هذه حتى أبليت فى الله تعالى كذا وكذا جلدا فزال عنه ذلك وأتى إليه وسلم عليه وطلب منه الدعاء رضى الله عنهما آمين.

الحكاية الثالثة والسبعون بعد الأربعمائة

حكى أن سفيان الثورى رضى الله عنه كلمه أصحابه لما رأوا ما هو عليه من شدة الخوف وكثرة المجاهدة والجهد، فقالوا له ياشيخ لو نقصت عن هذه المجاهدة التى نراها بك نلت مرادك إن شاء الله تعالى، فقال لهم كيف لا أجتهد كل الاجتهاد وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور عظيم تضىء له الجنان الثمانى من شدة ضيائه وحسن بهائه فيظنون أن ذلك نور من قبل الله سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين، فينادى مناد ارفعوا رءوسكم ليس هو الذى تظنون إنما هو نور حورية تبسمت فى وجه زوجها فظهر من تبسمها هذا النور فليس يا إخوانى يلام من اجتهد فى طلب الحور الحسان فكيف بمن يطلب المولى الرحمن ثم أنشأ يقول :

ما ضر من كانت الفردوس منزله ... ماذا تحمل من بؤس وإقتار
تراه يمشى نحيلا خائفا وجلا ... إلى المساجد يسعى بين أطمار
يا نفس مالك من صبر على النار ... قد حان أن تقبلى من بعد إدبار

الحكاية الرابعة والسبعون بعد الأربعمائة
عن أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه

قال قصدت سنة من السنين الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام على قدم التجريد فبينما أنا سائر فى بعض الطريق إذا أنا بشاب حسن الثياب من أهل العراق سائر يقصد معى ما أقصد فكان إذا سارت الرفقة قرأ كتاب الله تعالى، وإذا نزلوا صلى وهو مع ذلك نهاره صائم وليلة قائم لم يزل هذا دأبه حتى وصلنا مكة شرفها الله تعالى فأراد الشاب مفارقتى وتوديعى، فقلت له يا بنى ما الذى هيجك لما رأيته منك فقال يا أبا سليمان لا تلمنى فإنى رأيت فى منامى قصراً من قصور الجنة لبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وكذلك شراريفه وبين كل شرافتين حورية لم ير الراءون مثلها لما بها من الحسن والجمال والبهاء والكمال وقد أرخين ذوائب شعورهن فتبسمت إحداهن فى وجهى فأنارت الجنة بنور ثناياها ثم قالت يا فتى جد لله تبارك وتعالى فى طلبى لأكون لك وتكون لى، ثم استيقظت من

منامى فهذه قصة حـالى فحقيق على يا أبا سليمان أن أجد فـمن جد وجد وما رأيته منى من الاجتهـاد فهو فى خطبة حـورية، قال فسألته الدعـاء لى ولإخوانى فى الله تعالى، ثم سار عنى .

قال أبو سليمان فعاتبت نفسى فقلت يا نفس تيقظى واسمعى هذه الإشارة التى هى بشارة إذا كـان هذا الاجتهاد كله فى طلب حـورية فكيف بمن يطلب رب الحورية عز وجل .

(قال المؤلف) أحـسن الله تعالـى خاتمته: هذه المنـامات التى يراها الصـالحون أسرار يظهـرها الحق سبحانه لهم فى مـرآة القلوب الصافية بالرؤيا الصـالحة التى هى جزء من أجزاء النبوة يبـشرهم ويعظهم بها ليزدادوا جدا وزهدا وليسـوا كأمثالنا الذين نوعظ ولا نتعظ .

ومن المواعظ العجيبة مـا اتفق فى أيام سماع هذا الكتاب على وذلك أن بعض الناس قالت له نفسه ليت أحدا يبيعك جارية للتسرى ويصبر عليك بثمنها إلى ا لموسم ثم تبيعها فبينما هو كذلك إذ جاء بعض الفقراء المباركين قبل أن يطلع على ذلك أحد غير الله سـبحانه وتعالى، فـقال له رأيت فى المنام كأنك فى قبـة يعلوها نور وكأنك عندك جارية وكأن خارج القـبة سبعا من الحور العين ذوات جمـال فائق ورؤية فاخرة وهن مشـتاقـات إليك قالت واحـدة منهن وهى تشيـر إليك هذا الشيخ مـجنون وأنا أعشقه وهو يعشق هذه الجارية قلت وفى هذا المعنى أقول :

يا عاشـقـا للغوانى مغرمـــا بهوى   دار الغرور وعيش شيـب بالكـــدر
إن الغوانى الحسان الحـــور مسكنها   دار السرور على فرش على الســـرر
فى سندس الفرش أقمار على ســرر   من اليواقيت فى قصـــر من الـدرر
يشـــاهد المخ فى الساقين ناظـرها   من فوق سبعين ملبوسا من ا لحبـــر
قد طرن شوقـــا إلى أزواجهن كما   يشتاق للغائب المحبوب فى الســـفر

الحكاية الخامسة والسبعون بعد الأربعمائة

حكى أن إحـدى الصالحات وهى شـعوانة رضى الله عـنها رزقت ولدا فـربته أحسن تربيـة فلما كبر ونشـأ قال لها سألتك بالله يا أمـاه ألا ما وهبتنى لله سـبحانه فقـالت يا بنى لا يصلح أن يهـدى للملوك والرؤساء إلا أهل الأدب والتـقى وأنت يا ولدى غِرٌ. لا تعرف ما يراد بك ولم يأن لك ذلك فأمسك عنهـا ولم يقل لها شيئا، فلما كانَ ذات يوم خرج إلى الجبل ليحـتطب ومعه دابة له فلما توسط الجبل نزل عن الدابة وأقبل يحتطب ويجـعل فى حبله حتى جمع حزمـة وربطها وجاء يطلب الدابة

ليحمل عليها الحطب فوجد السبع قد افترسها فجعل يده فى رقبة السبع وقال له يا كلب الله وحق سيدى لأحملنك الحطب كما تعديت على دابتى فحمل على ظهره الحطب وجعل يقوده وهو طائع لأمره حتى وصل إلى دار أمه فقرع عليها الباب فقالت من بالباب فقال ولدك الفقير إلى رحمة الله رب الأرباب، ففتحت له فلما رأت الحطب على ظهر الأسد قالت يا بنى ما هذا فحكى لها القصة فسرت بذلك وعلمت أن الله جل جلاله قد عنى به واصطفاه لخدمته، فقالت أما الآن يا بنى قد صلحت لخدمة الملوك اذهب فقد وهبتك لله عز وجل وأنت وديعتى إياه فودعها وشيعته بالدعاء ثم أنشأت تقول :

جعل الرضا لسباقه ميدانا ... فجرى وأطلق من يديه عنانا
فتقدم السباق فى غسق الدجى ... يطوى القفار ويطلب الأوطانا
هجر الخلائق والعلائق فى رضا ... محبوبه وتجنب الإخوانا
شرب الظما حتى تعطش قلبه ... فغدا وراح من الظما ريانا

رضى الله عنهما ونفعنا بهما وجميع الصالحين

الحكاية السادسة والسبعون بعد الأربعمائة
عن ذى النون المصرى رضى الله عنه

قال كنت فى البادية قاصدًا مكة فغلبنى العطش فملت إلى حى بنى مخزوم فرأيت جارية صغيرة حسناء جميلة وهى تترنم بالأشعار فعجبت منها لصدور ذلك عنها وهى من جملة الصغار فقلت لها يا هذه الجارية أما فيك حياء، فقالت مه ياذا النون إنى شربت البارحة بكأس الحب مسرورة فأصبحت اليوم فى حب مولاى مخمورة فقلت لها يا جارية أراك حكيمة فأوصينى بوصية فقالت يا ذا النون عليك بالسكوت والرضا من الدنيا بالقوت حتى تزور فى الجنة الحى الذى لا يموت، فقلت لها هل عندك ماء فقالت أنا أدلك على الماء فظننت أنها تدلنى على بئر ماء أو عين، فقلت نعم فقالت إن الناس يسقون يوم القيامة على أربع مراتب ففرقة تسقيهم الملائكة قال الله تعالى : ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾[1] وفرقة يسقيهم رضوان خازن الجنة قال الله عز وجل : ﴿ومزاجه من تسنيم﴾[2] وفرقة يسقيهم المولى جل جلاله وهم الخواص من عباده قال الله تعالى : ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾[3] فلا تعط سرك فى دنياك غير مولاك

---

(١) سورة الصافات : الآية ٤٦ . (٢) سورة المطففين : الآية ٢٧.
(٣) سورة الإنسان : الآية ٢١.

حتى يسقيك مولاك فى عقباك رضى الله عنها.

(قلت) هكذا وقع فى الأصل ذكر ثلاث فرق وليس فيه ذكر الرابعة ولعل ذلك والله أعلم وفرقة تسقيهم الولدان قال عز من قائل : ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾(١) وتكون هذه الفرقة فى الترتيب غير الأخيرة وتكون الأخيرة هى الفرقة التى سقاهم ربهم شرابا طهورا لأن الختام لا يكون إلا بالأفضل الأشرف الأكمل والله سبحانه وتعالى أعلم.

الحكاية السابعة والسبعون بعد الأربعمائة
عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال بينما أنا أطوف إذ لمع نور فلحق بعنان السماء فتعجبت منه فأتممت طوافى وأسندت ظهرى إلى الكعبة أفكر فى ذلك النور فسمعت صوتا شجيا بنغمة حسنة فتتبعت الصوت فإذا أنا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول :

أنت تدرى يا حبيبى . من حبيبى أنت تدرى
ونحول الجسم والدمع يبوحان بسرى
قد كتمت الحب حتى ، ضاق بالكتمان صدرى

قال فلما سمعت قولها انتحبت وبكيت ثم قالت إلهى وسيدى ومولاى بحبك لى إلا ما غفرت لى، فقلت يا جارية أما يكفيك أن تقولى بحبى لك حتى تقولى بحبك لى فمن أين علمت أنه يحبك فقالت إليك عنى يا ذا النون أما علمت أن لله تبارك وتعالى أقوامًا يحبهم ويحبونه أحبهم قبل أن يحبوه أما علمت قول الحق سبحانه : ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾(٢) فسبقت محبته لهم محبتهم له فقلت لها من أين علمت أنى ذو النون، فقالت يا بطال جالت القلوب فى ميدان الأسرار فعرفتك بمعرفة العزيز الجبار فقلت إنى أراك ضعيفة البدن نحيلة الجسم فهل بك علة فأنشأت تقول :

محب الله فى الدينا عليل تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للبارى محبا يهيم بذكره حتى يراه

ثم قالت انظر من خلفك فالتفت ورائى فلم أجد أحدا فرددت وجهى نحوها فلم أرها ولم أر أين ذهبت وأنا فى كل وقت أتوسل إلى الله عز وجل بها فأرى ببركتها القبول والإجابة رضى الله عنها ونفعنا بها آمين.

---

(١) سورة الواقعة : الآيتان : ١٧ ، ١٨.
(٢) سورة المائدة : الآية ٥٤.

الحكاية الثامنة والسبعون بعد الأربعمائة
عن أحد الصالحين

قال كنت متوجها من منى إلى عرفات فلقيتني جارية عليها مسح من شعر وقناع من صوف وبيدها، سبحة وعكاز وعلى وجهها نور الطاعة والعبادة وهى مهرولة فى مشيتها تقول الله الله، فقلت فى نفسى هذه جارية مدعية فقالت ويعلم ما تبدون وما تكتمون فعلمت أنها ولية لله تعالى فقلت لها يا جارية كلى بك مشغول فقالت يا مسكين وكلى لك مبذول ولكن ورائى من هو أحسن منى فالتفت فلم أر أحدًا فقالت بعلو صوتها يا مدعى يا كذاب ما هكذا فعل الأحباب بالأحباب، أما الأول فأنت أسأت الظن بخدام رب الأرباب أما لو جئت إليه حقا وعرفته صدقا لا وقفك على بابه لما رأيناك من قريب حسبناك عارفا فلما كلمتنا حسبناك عاشقا ولو كنت عابدا له ما اشتغلت بغيره، ولو كنت عارفا به ما رجعت منه إلينا، ولو كنت عاشقا لنا ما رجعت منا إلى سوانا، ثم هربت عنى مسرعة وهى تقول ما مع الله سوى الله حتى غابت عنى رضى الله عنها.

(وحكى) عن الشبلى رضى الله عنه أنه أتاه جماعة من المارستان فقال لهم أيش أنتم فقالوا محبوك يا أبا بكر فرماهم بالحجارة فهربوا فقال يا كذابون أين المحبة لو صدقتم فى محبتكم لما هربتم رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية التاسعة والسبعون بعد الأربعمائة

حكى أنه كان فى بنى إسرائيل امرأة عابدة وكانت ابنة ملك ملوكهم فخطبها رجل من أبناء الملوك فأبت أن تتزوج به ثم قالت لجارية لها انطلقى والتمسى لى رجلا ورعا زاهدا ناسكا فقيرا، فانطلقت الجارية فوجدت فقيرا عابدا ورعا فجاءت به إلى مولاتها فقالت له إن شئت أن تتزوج بى ذهبت معك إلى من يعقد نكاحى عليك ففعل فعقدوا النكاح ثم قالت له انطلق بى إلى أهلك فقال والله ما أملك إلا هذا الكساء الذى على ظهرى هو دثارى بالليل ولباسى بالنهار فقالت إنى قد رضيت بك على ذلك فانطلق بها إلى أهله وكان يكسب بالنهار ويأتيها بالليل بما تفطر عليه ولم تكن تفطر بالنهار بل تصوم تطوعا لله تعالى، وكان إذا أتاها بشىء أفطرت عليه وحمدت الله تعالى على كل حال قالت الآن تفرغت للعبادة فلما كان ذات يوم لم يفتح عليه بشىء يأتيها به ففزع من ذلك وشق عليه وقال زوجتى جالسة فى بيتها وهى صائمة تنتظر شيئًا آتيها تفطر عليه فتوضأ وصلى ودعا ربه تبارك وتعالى، وقال يارب إنك تعلم ما أسألك لدنياى وإنما ذلك لرضا زوجة صالحة، اللهم ارزقنى رزقا من لدنك فإنك خير الرازقين قال فنزلت عليه لؤلؤة من السماء فأخذها وذهب بها

إلى امرأته فلما نظرت إليه راعها ذلك وقالت له من أين أتيت بهذه اللؤلؤة التى لم أر مثلها قط عند أهلى، فقال لها طلبت اليوم قوتا فلم يفتح لى بشىء فقلت امرأتى فى بيتها تنتظر ما آتيها به تفطر عليه وهى بنت ملك ولا أقدر أذهب إليها بغير شىء فدعوت ربى سبحانه وتعالى فرزقنى هذه اللؤلؤة من السماء فقالت ارجع إلى مكانك الذى دعوت الله تعالى فيه فابتهل إليه واسأله وقل اللهم سيدى ومولاى إن كان هذا شيئا رزقتناه فى الدنيا فبارك لنا فيه وإن كان مما ادخرته لنا فى الآخرة الباقية فارفعه ففعل الرجل ذلك فرفعت اللؤلؤة فرجع إليها فأخبرها بذلك فقالت الحمد لله الذى أرانا ما ادخر لنا فى الآخرة ثم قالت لا أبالى الآن ألا أقدر على شىء من هذه الدار الفانية وشكرت الله تعالى على ذلك رضى الله عنهما.

الحكاية الثمانون بعد الأربعمائة
عن أحمد بن عبد الله المقدسى رحمه الله

قال صحبت إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه فسألته عن بداية أمره وما كان سبب انتقاله من الملك الفانى إلى الملك الباقى فقال لى يا أخى كنت جالسا يوما فى أعلى قصر مملكتى والخواص على رأسى، فأشرفت من الطاق فرأيت رجلا من الفقراء جالسا بفناء القصر وبيده رغيف يابس فبله بالماء وأكله بملح جريش وأنا أنظر إليه إلى أن فرغ من أكله ثم شرب شيئا من الماء وحمد الله تعالى وأثنى عليه ونام فى فناء القصر فألهمنى الله سبحانه الفكر فيه فقلت لأحد مماليكى إذا قام ذلك الفقير فأتنى به فلما انتبه من نومه قال له الغلام يا فقير إن صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك فقال (باسم الله وبالله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) وقام معه ودخل على فلما نظر إلى سلم على فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس فلما أطمأن، قلت له يا فقير أكلت الرغيف وأنت جائع فشبعت قال نعم ، قلت ورشربت الماء على شهوة فرويت قال نعم ، قلت نمت طيبا بلاهم ولا غم فاسترحت قال نعم، فقلت فى نفسى وأنا أعاتبها يا نفس ما أصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت وسمعت فعقدت التوبة فى تلك الساعة مع الله تعالى فلما انصرم النهار وأقبل الليل لبست مسحا من الشعر وقلنسوة من الصوف وخرجت حافيا سائحا إلى الله تعالى فلحقنى رجل حسن الوجه والثياب طيب الرائحة فتقدمت إليه وصافحته وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى يا إبراهيم أين تريد فقلت هربت منه إليه فقال لى أنت جائع قلت نعم فقام الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين وقال لى قم فصل كما صليت ففعلت

ذلك والتفت فإذا عن يمينه طعام موضوع وماء بارد فقال لى يا ابن أدهم تقدم وكل من فضل الله تعالى واشكر ربك على ذلك فتقدمت وأكلت من الطعام كفايتى وهو باق على حاله وشربت من ذلك الماء وحمدت الله تبارك وتعالى، فقال لى الشيخ يا ابن أدهم اعقل وافهم ولا تستعجل فى أمورك فإن العجلة من الشيطان واعلم أن الله تعالى إذا أراد بالعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل فى قلبه سراجا من نور قدسه يفرق بين الحق والباطل ويبصر به عيوب نفسه وإنى أريد أن أعلمك اسم الله الأعظم فإذا أنت جعت أو عطشت فادع الله تعالى به فإنه سيشبعك ويرويك، يا ابن أدهم إذا جالست الأخيار والفقراء فكن لهم أرضا يطئونك ولا تغضبهم فإن الله عز وجل يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم، قال ثم علمنى الاسم الشريف المنيف ثم قال أستودعك الله الحى القيوم الذى لا يموت ثم حجب عنى فأخذت الطريق فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة مليح البزة فسلمت عليه فرد على السلام وقال ماحاجتك يا ابن أدهم ومن لقيت فى سفرك هذا فقلت لقيت شيخا من صفته كذا وكذا وعلمنى كذا وكذا فبكى الفتى وأبكانى فقلت له يا سيدى أقسمت عليك بالله تعالى من ذلك الشيخ ومن أنت قال أما الشيخ فأخى إلياس وأنا أبو العباس الخضر عليهما السلام قال ففرحت فرحا شديدا والتزمته إلى صدرى وقبلت ما بين عينيه وصافحته وسألته الدعاء فدعا لى بالثبات والعصمة ثم غاب عنى فلم أدر أين ذهب فهذه قصة حالى فى ابتداء أمرى رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

(قلت) هذه إحدى الروايتين فى بداية أمره والرواية الأخرى هى المشهورة وهى ما قدمنا فى أول الكتاب أنه خرج يصطاد فهتف به هاتف على ما تقدم والله تعالى أعلم.

الحكاية الحادية والثمانون بعد الأربعمائة
عن محمد بن يعقوب الخراسانى رضى الله عنه

قال خرجت من بلدى على نية السياحة والتوكل فلم أزل على ذلك إلى أن أتيت بيت المقدس ثم وقفت فى مغارة فى تيه بنى إسرائيل فمكثت أياما لم أطعم طعاما ولم أشرب شرابا حتى أشرفت على الموت فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين يسيران وهما أشعثان أغبران فملت إليهما وسلمت عليهما وقلت لهما أين تريدان فقالا لا ندرى فقلت أفتدريان أين أنتما فقالا نعم نحن بمملكته وبين يديه قال فأقبلت على نفسى بالملامة والمعاتبة أقول لها يا نفس

هذان الراهبان قد ثبتا على التوكل دونك مع كونهما كافرين ثم قلت لهما أما تأذنان لى فى صحبتكما قالا يكون خيرا إن شاء الله تعالى، قال فسرنا جميعا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما ومعبودهما وقمت إلى صلاتى ومعبودى فصليت المغرب بالتيمم فنظرا إلى وقد تيممت بالتراب فتبسما ضاحكين فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما الأرض بيده فإذا بالماء قد ظهر كأنه اللؤلؤ على الصفا فبقيت باهتا، ثم التفت فإذا بطعام موضوع عن يمينه فتعجبت من ذلك فقالا لى، مالك باهتا متعجبا تقدم وتناول من الطعام الحلال واشرب من بارد هذا الماء الزلال واعبد ربك الكريم ذا الجلال، قال فتقدمت وأكلنا جميعا من الطعام وشربنا من الماء ثم توضأت للصلاة وقضيت صلاتى ثم غار الماء كأنه لم يكن فقاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاتى فى جانب آخر حتى أصبح الصباح ثم قاما يسيران فسرت معهما إلى الليل فلما أمسينا تقدم الراهب الثانى فصلى ودعا بدعوات خفية ثم بحث الأرض بيده فنبع الماء كما نبع لصاحبه وإذا بطعام موضوع عن يمينه ثم قال لى تقدم وكل واشرب وأعبد ربك فأكلنا وشربنا وتوضأنا للصلاة ثم غار الماء كأنه لم يكن ، فلما كانت الليلة الثالثة قالا لى يا محمد الليلة ليلتك والنوبة نوبتك قال فاستحييت من قولهم وداخلنى من ذلك أمر عظيم فقلت لهما يكون خيرا إن شاء الله تعالى، ثم عدلت عنهما إلى جانب وصليت ركعتين وقلت (اللهم سيدى ومولاى إنك تعلم أن ذنوبى كثيرة لم تدع لى عندك جاها ولا وجها ولكن أسألك بالوجيه الكريم ذى الجاه الجسيم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ألا تخجلنى بينهما) فلما فرغت من دعائى التفت فإذا أنا بعين ماء جارية وطعام عن يمينى موضوع فقلت لهما تقدما وكلا من فضل الله تعالى فتقدما وأكلنا وشربنا وحمدنا الله على كل حال ولم نزل على ذلك إلى أن بلغت النوبة الثانية فدعوت الله تعالى بمثل ما دعوته أولا فإذا أنا بالماء قد نبع والطعام قد حضر فلما بلغت النوبة الثالثة دعوت الله تعالى بمثل ما دعوت به فيما تقدم فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين فأنكر قلبى فقالا لى يا محمد من أين حدثت عليك هذه الحادثة أما ترى فى طعامك وشرابك تقصيرا فقلت لهما أما تعلمان أن هذا الأمر مردود إليه ونحن تحت حكمه ومشيئته وديننا ومذهبنا يقتضى ذلك أعنى عسرا ويسرا وشدة ورخاء ومنعا وعطاء حتى يجرب صبرنا فقالا لى صدقت يا محمد إن هذا رب عظيم ودين سليم مد يدك فنحن نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن دين الإسلام حق وما سواه باطل، فقلت لهما يا أخوتاه

هل لكما أن نمضى إلى بعض المدن برسم الجمعة والجماعة فالجمعة حج المساكين فقالا لى ذلك رأى سديد وفعل رشيد، فبينما نحن نسير على عزم ذلك إذ أشرفنا على عمارة وكانت ليلة مظلمة و إذا نحن ببيت المقدس فدخلناه وأقمنا به مدة طويلة نعبد الله تعالى ورزقنا يأتينا من حيث لا نحتسب إلى أن قضيا نحبهما وقدما على ربهما رضى الله تعالى عنهما.

الحكاية الثانية والثمانون بعد الأربعمائة

حكى أن معروفا الكرخى رضى الله عنه مر على شاطئ الدجلة فجلس ليتوضأ فوضع مصحفه وثوبه فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف حتى لحقها فى مكان خال لئلا يهتكها فقال لها لا بأس عليك أيتها المرأة أنا معروف الكرخى يا أختى هل لك ولد يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فأخ قالت لا قال فادفعى إلى المصحف وخذى الثوب وأنت منه فى حل دنيا وآخرة، فاستحيت المرأة منه حياء شديدا ثم قالت أنا تائبة إلى الله عز وجل لا أعود إلى مثلها أبدا ففرح معروف بتوبتها وخصها بدعوة ومضى كل منهما لسبيله وحلت عليها بركة معروف رحمة الله عليهما.

حكي أن الربيع بن خثيم رضى الله عنه كان ذات يوم قائما يصلى وفرسه مربوطة قدامه فجاء سارق فحل الفرس وركبها ومضى وهو يراه فلم يقطع صلاته وكان قيمة الفرس عشرين ألف درهم فجاءه أصحابه يلومونه ويقولون له يا ربيع أيش هذا التفريط تنظر السارق يأخذ جوادك وأنت ساكت أما كنت تقطع الصلاة وتسترده منه ثم تعود إلى صلاتك فقال لهم يا قوم كنت فيما هو أهم على، أو قال أحب إلى من الفرس ومن مائة ألف فرس وقد جعلته فى سبيل الله تعالى رضى الله عنه.

قلت وبلغنى أن الشيخ الإمام محيى الدين النووى رضى الله عنه خطف سارق عمامته وهرب فتبعه الشيخ وصار يعدو خلفه ويقول له ملكتك إياها قل قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك.

الحكاية الثالثة والثمانون بعد الأربعمائة

حكى عن ذى النون رضى الله عنه أنه قال رأيت بعض أصحابى فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى ببركتك ومحبتى فيك وأدخلنى الجنة وعرض على منازلى فيها قال ذلك ووجهه حزين فقلت له مالى أراك حزينا وقد دخلت الجنة وتنعمت فيها فتنفس الصعداء ثم قال يا ذا النون لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال لما رأيت منازلى فى الجنة رفعت لى مقامات فى عليين ما

رأيت مثلها فلما رأيتها فرحت فرحـا شديدا وهممت بدخولها فنادانى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليس له هذه إنما لمن أمضى فى سبيل الله تعالى، كلما أصابه شىء من أمور الدنيا قال فى سبيل الله ثم لا يرجع فيـه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك النيل رحمه الله تعالى.

(وعن أبى الحسن) الدمشقى رحمه الله تعـالى عليه قال رأيت منصور بن عمار الواعظ رضى الله عنه فى المنام فقلت له ما فعل الله تعالى بك فقال لى قال ربى جل جلاله وتقدست أسماؤه يا منصور بن عـمار فقلت نعم يارب، فقال أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغبهم فى الآخرة قلت قد كان ذلك ياربى ولكنى ما جلست مجلسـا إلا وبدأت بالثناء عليك وثنيت بالصـلاة على نبيك مـحمد صلى الـله عليه وسلم وثنيت بالنصيحة لعبادك فقال صـدقت ضعوا له كرسيا يمجدنى فى سمائى بين ملائكتى كـما كان يمجدنى فى أرضى بين عـبادى رضى الله عنه. قلت هكذا هو فى الأصل الذى نقلت منه تزهد الناس فى الدنيا وترغبهم فى الآخرة وقد كنت رأيته فى كتاب آخر تزهد الناس فى الدنيا وترغب أنت فـيها وهذا هوالمطابق بسياق هذا الكلام لأنه مشعر بنوع ملام فاستدركه بما ذكر فيه من الأشياء المحمودة المقام رضى الله عنه.

الحكاية الرابعة والثمانون بعد الأربعمائة

حكى أنه أمسك الغيث عن بغـداد حتى كاد أهلها يهلكون فاغـتسلوا وتطهروا وخرجوا إلى الصحراء يسألون الله عز وجل أن يسقهم غيثه يوما بعد يوم، فلم يسقوا وكان ذلك فى خلافة هارون الرشيد رحمـه الله فبينما هم كذلك يلوذون ويتوسلون، إذا برجل قد أقبل من صـدر البرية أشعث أغبر ذى طمرين ومـعه ثلاث بنات عذارى كأحسن البنات، فوقف فى أطراف الناس وسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال يا قوم مالكم وقوفا مجتمعين فقالوا يا شيخ إنا ندعو بالله عز وجل أن يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال يا قوم أهو غائب عنكم فى المدينة حتى خرجتم إلى الصحراء، أليس هو سبحانه و تعالى فى كل مكان موجودا أما قال تبارك وتعالى فى محكم تنزيله : **﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾** (١) فبلغ هارون الرشيد خبره فقال هذا كلام رجل بينه وبين مولاه سـريرة ثم قال ائتونى به فلما حـضر بين يديه وتسالما صـافحه هارون وأجلسه بين يديه، ثم قـال ياشيخ ادع الله تعالى أن يسقـينا عسى أن يكون لك عنده جاه فتـبسم الشيخ وقال أتريدون أن أدعـو لكم إلهى وسيدى ومولاى فـقالوا نعم،

---

(١) سورة الحديد : ١ لآية ٤ .

فقال توبوا بنا جميعا إلى الله عز وجل فنودى فى الناس بالتوبة فتابوا وأنابوا ثم تقدم الشيخ فصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم أخذ ثيابه عن يساره وعن يمينه وبسط يديه وأسبل دمعته ودعا فما أتم الدعاء إلا والسماء قد تجللت بالسحاب وأرعدت وأبرقت وأسبلت مطرا كأفواه القرب فاستبشر الرشيد بذلك واجتمع إليه خواصه وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه فقال على بالشيخ الصالح فطلبوه فوجدوه فى مكانه ساجدا فى الماء والطين لله رب العالمين فقالوا لبناته ما لأبيكن هكذا لا يرفع رأسه فقلن هذه عادته إذا سجد لله تعالى لا يفيق ولا يرفع رأسه إلى ثلاثة أيام فأخبروا بذلك الرشيد فبكى بكاء شديدا، وقال اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بحرمة الصالحين أن تهبنا لهم وتفيض علينا جزيل بركاتهم بفضلك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الخامسة والثمانون بعد الأربعمائة
عن السرى رضى الله عنه

قال مررت يوما فى بعض البرارى مع جماعة من إخوانى على قصر قد أناخ عليه الزمان بكلكله فهدم أركانه وحطم بنيانه وقد بقيت معالمه وأبوابه وعلى الأبواب كتاب مكتوب فنفضت التراب عن ذلك الكتاب ثم تأملته فإذا هو مكتوب فيه :

هو السبيل فمن يوم إلى يوم ... كفرحة النائم المهجوع فى النوم
إن المنايا وإن أصبحت فى شغل ... تحوم حولك حوما أيما حوم
لا تعجلن رويدا إنها دول ... دنيا تنقل من قوم إلى قوم

قال فدخلت القصر أنا وأصحابى فإذا بقبة فى وسطه من الزمرد الأخضر مرصعة بالدر والياقوت والجوهر قد علاها الغبار من تطاول السنين والأعمار معلقة على أربعة أعمدة من ياقوت فتأملناها وأطلنا النظر فيها فإذا عليها منقوش هذا النظم:

قف بالقبور وناد المستقر بها ... من أعظم بليت فيها وأجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم ... بعد الوصال فصاروا تحت ألحاد
والله لو بعثوا يوما ولو نشروا ... قالوا بأن التقى من أفضل الزاد

قال فتأملنا متكأ الملك فإذا عليه مكتوب :

لا تأمن الموت فى طرف ولانفس ... ولو تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت نافذة ... فى كل مدرع منا ومترس
ما كان دينك يرضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال غيره:

كم قد وقفت كما وقفنـــا وكـــم قـــرأت كمـا قرأنـــا

قلت وذكر بعـد هذا البيت بيتين ركـيكين ملحونين ليس لهما معنى مليح ولا صحيح فنظمت عوضهما هذه الثلاثة الأبيات :

وكم لهـــوت بطيـــب عيش دهرا نسيت به المماتـــــا

والآن مـــت وأنـــت أيضــا لابد يوما يقال ماتـــــا

فجد واحـــــذر تكن مثلـــى كسبت شرا والخير فاتـــا

الحكاية السادسة والثمانون بعد الأربعمائة
عن الشيخ أبى يزيد القرطبى رضى الله عنه

قال سـافرنا مرة ومـعنا رجل من البادية من الصالحين فـجئنا إلى خندق كثـير الأشـجار وكـان الرجل له معـرفـة بالآثار فقـال هذا الخندق مـعمـور فنزلنا الخندق مستوفـزين وتعلقنا بالجهة الأخرى فلما فارقنا الشجـر رأينا ثلاثة نفر بأيديهم السلاح وقد نهضوا ليقطعوا علينا الطريق فاجتمعنا وقلنا أى شىء نعمل، فقال لنا الرجل ذروا الأمـر إلى أصله ألستم خـرجتم لله قلـنا بلى قال فـاتركوا الأمـر على ما هو عليـه واتبعونى ولا يـلتفت منكم أحد يمينا ولا شمـالا ، فتقدم الرجل ومشـينا وراءه والنفر يمشون حـذاءنا على غير الطريق فـخرجنا عنهم بالمشى حتى رجـعوا خلفنا وكنت أنا وراء أصحابى فـالتفت فرأيتهم قد ضايقـونا كرمية برمح فأعلمت أصـحابى بأنهم قد أدركونا وكـان البدوى لا يلتفت فوقف عنـد كلامى والتفت فلما رآهم قـال لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم اللهم أبـعد عنا شر هؤلاء الشياطين فـقلت له أبصر أى شىء نعمل، فقال وأى العمل قلت هاهو وقت الضحى وقد جوز الاجتماع فى النافلة وأنا أتقدم وأصلى بكم ويمر القوم إن شاء الله تعالى، فقال يا أبا زيد وقد احتجنا إلى أن نختفـى منهم قلت أنت أخبر فرفع يده وأشـار بالأصبعين السبـابة والوسطى وقال قعوا فلقد رأيت النفر وقفوا ولـم يقدر أحد منهم يتعدى موضعه ولا يدنو من أصحابه فمشينا ولـم يتكلـم الرجل بعد ذلك حتى تعلقنا ببعض الشعاب فى مكان آخر يعجزون عنا فيه فـوقف الرجل ووقفنا معه، وقال انظروا هؤلاء الشيـاطين وقوف على حالهم والله لولا تقوى الله عز وجل لمضيت عنهم وتركـتهم ولكن اللهم اجعلنا لهم توبة ثم أشار إليـهم أن امضوا فـما رأيت أحدا منهم إلا وقـد قعد على الأرض يتـحدث مع

صاحبه ثم رجعوا فى طريقهم من حيث جاءوا ببركة البدوى رضى الله عنه ونفعنا به.

و قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضى الله عنه رأيت وليا لله عز وجل فى بعض المساجد أسرج سراجا فجاء فأر فأخذ الفتيلة وكان الرجل قد أخذته سنة فانتبه وقال يا فاسق تحدث شيئا فى المملكة أنا أكون سببه فرأيت الفأر قد عاد إلى السراج فنهاه فلم ينته فغضب وقال للفأر قع فيه قع فيه، فجاء الفأر فوضع خرطومه على النار فمات فتعجبت منه ثم سألته عن ذلك فقال ما الذى تتعجب منه ذلك تسليط الشرع عليه رضى الله عنه.

(قلت) لعله يعنى بقوله تسليط الشرع عليه قوله ﷺ خمس يقتلن فى الحل والحرم فذكر منهن الفأرة وقد سماها رسول الله ﷺ الفويسقة.

(وقال) أحدهم سمعت صوفيا وقد قرض الفأر خفه يقول له:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى

قلت يعنى لو كنت من القوم الشجعان أولى النجدة والسطوة لم تقدر تتسلط على متاعى وتمام ما استشهد به.

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا   لكننى من بنى عمرو بن شيبانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة   ومن إساءة أهل السوء إحسانا

والمعنى لو كنت من أهل السيوف الماضية المنتقمين من العدا لخنقتنى أى لو كنت صاحب حال وسيف أى من قبل الحق سبحانه لم تستطع تتعرض لى لكننى لست من أهل النجدة المذكورين المحميين، فأحتاج أتصف بوصف الآخرين المجازين الظلم بالمغفرة والإساءة بالإحسان وهذا الوصف وإن كان ممدوحا فى الشرع مندوبا إليه فليس هو ممدوحا مطلقا عند العرب إذ ذاك يؤدى إلى استيلاء بعضهم على بعض قتلا ونهبا بل الحكم عندهم كما قال النابغة :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له   بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

الحكاية السابعة والثمانون بعد الأربعمائة
عن الشيخ أبى عبد الله القرشى رضى الله عنه

قال آخر ما تصورت لى الدنيا فى صورة امرأة حسناء شابة بيدها مكنسة وهى فى المسجد الذى كنت فيه تكنسه، فقلت لها ما جاء بك، قالت جئت لأخدمك، فقلت لا والله قالت لابد فأشرت عليها بعصا كانت معي وعزمت على ضربها فعادت مثلما كانت فقمت لأخرجها فانقلبت عجوزا ضعيفة فرحمتها، ثم غفلت عنها،

فعادت شابة فتغيرت عليهـا وانزعجت لذلك فقالت لى تطيل أو تقصر هكذا أخدمك وهكذا خدمت إخوانك فمن ذلك اليوم لم يتعذر على شىء من الأسباب.

(وقال) أيضا كنت بمنى فعطشت ولم أجد ماء ولا شيئا أشترى به فمضيت إلى بئر فوجدت عليها أعاجم فـقلت لأحدهم ضع لى فى هذه الركوة ماء فضربنى وأخذ الركوة من يدى ورمى بها بعيدا فمضيت إليـها آخذها وأنا منكسر القلب فوجدتها فى بركة ماء حلو فـاستقيت وشربت وجئت بهـا إلى أصحابى فشربوا وأعلمتـهم القصة فمضوا إلى المكان ليستقوا منه لم يجدوا ماء ولا أثرا فعلمت أنها آية.

(وقال) أيضا كنت مرة فى بدر متوجها إلى مكة وكان هناك رجل معه تمر يبيعه للحجـاج على أن يأخذ ثمنه بمكة فدفع لى منه شـيئا وألح على فى أخـذه وقال وأنا أصبر عليك بثمنه إلى مكة وإن مت فأنت فى حل منه ولم يزل بى حتى أخذته منه، ثم إنه عرض له السفر قبلنا فـطالبنى بالثمن فقلت له ما عندى شىء وأنت قلت إنك لا تطلب الثمن إلا بمكـة فقال لابد من الثـمن وضيق على وأذانى وشتـمنى فدخلت مسجـد بدر ودعوت وتضرعت إلى الله تعالى ثم خرجت فلقـينى رجل كأنه أعرابى وعليه ثياب الإحرام فناولنى دراهم وعدها فى كفى فذهبت إلى صاحب الدين فقضيته دينه فتضـاعفت أذيته وجعل يقول يخـبئون الدراهم ويكذبون ويحلفون أن مـا معهم دراهم والدراهم معهم فسكت ولم أجاوبه بحرف.

ومن كلامــه رضى الله عنه من طلب الغـايات فى المبادئ فقـد أخطأ الطريق، وقال أيضـا رضى الله عنه الزم الأدب وحـدَّك من العبـودية ولا تتعرض بـشىء فإن أرادك له أوصلك إليه.

وقال أيضا رضى الله عنه يسير العمل مع الرعاية منجح.

وقـال رضى الله عنه هجم أهل الشـرك بـلاد الأندلس على قـرية من قـراها فدخلوها عنوة فسبوا أهلها وأخذوا معهم أسرى كثيرين فانزعج أهل الأندلس لذلك وبلغ الخبر أن الأسـرى يرمى لهم الحشيش مع الخيل وهم مكتـفون يأكلون بأفواههم كما ترعى البهائم، قال فبت فى بعض تلك الليالى عند الشيخ أبى إسحق بن طريف رضى الله عنه فوضع الطعـام بيننا ثم تنفس الصعداء بعد أن قـال باسم الله، ثم قال لى يا محـمد أما بلغك مـا طرأ على المسلمين فقلت نعم فـجعل يقص الخـبر ويبكى حتى عـلا بكاؤه ثم قال والله لا أكلت ولا شربـت شرابا حتى يفـرج الله تعالى عن المسلمين ثم اعتزل عن الطعام سـاعة ثم سمعته يقول الحـمد لله الحمد لله ثم دنا إلى

الطعام، وقال كل فأكل وأكلت معه وعجبت منه كيف تركه ثم عاد إليه بعد قسمه فى ساعتـه ثم إن الخبر وصل إلينا بعد ذلك أن الوقت الذى تكلم فيـه الشيخ صادف أن النصارى سمعـوا رجفة عظيمة اعتـقدوا أن عسكر المسلمين دهمتهم فركـبوا خيولهم ونجوا بأنفـسهم وتركوا الغنيـمة والأسارى فخلص الله عـز وجل المسلمين من أيديهم بغيـر نصب ولا طلب ثم إن الأسارى انطلقـوا بالغنيمة وأعـادوها إلى بلاد المسلمين والحمد لله رب العالمين رضى الله عن الجميع آمين.

الحكاية الثامنة والثمانون بعد الأربعمائة
عن الشيخ أبى عبد الله القرشى أيضا رضى الله عنه

قال كنت فى بحـر جدة ومعى صاحب لى فـعطش عطشا شديدا فـسألت من يبيعنا ماء بشـملة كانت على لم يكن على سواها فلم يبعنا أحد فـقلت لصاحبى خذ هذه الشملة وامض إلى ريس المركب فـمضى إليه بركوة فـانتهره وصاح علـيه وأخذ الركوة من يده وقذف بها فلم تقع فى البحر بل وقعت على المركب فرجع إلى فرأيت ذلته وانكساره وشدة حاجته فعلمت أن الله تبـارك وتعالى لا يتركه فأخذ الركوة فملأ منها من البحر فشرب حتى روى ثم أخذتها منه فشربت حتى رويت وشرب أيضًا من كان إلى جانبى ممن ليس معه ماء ثم ملأتها ثانيـة فعجنا الدقيق فلما حصل استغناؤنا ملأتهـا بعد ذلك فوجدتهـا ملحا على ما نعهـد فعلمت أن الحاجة إذا تحـققت قلبت الأعيان رضى الله عنه.

(وقال) بعض الشـيوخ كنا جماعـة من الفقراء فى بعض الأسفـار فوصلنا إلى مخاضة من البحر فخضنا حـتى توسطنا فرأيت شابا من الجماعة يشرب من الماء بكفه فقلت فى نفسى هل هذا الماء حلو فـأخذت منه وذقته فوجـدته ملحا فقلت له يا بنى اسقنى فقال لى يا عم اشرب فقلت هو حار وأردت بذلك ستر حاله عنه فدفعت إليه إناء من الفخار فملأه من وسط الماء فشربته أنا والجماعة كلهم حلوا انتهى كلامه.

(قلت) يعنى بقـوله أردت ستـر حاله أى أخفـيت عنه ظهور هذه الكـرامة منه وأوهمته أن المـاء حلو لكل أحد يشرب ولكنه حار أريد أن أبرده فى إناء الـفخار ولما كانت العادة والعرف أن الشـبان هم الذين يتولون الخدمة من الاستقسـاء وغيره سأله يستـقى له فى الإناء سترا لحـاله عنه لئلا يرى أنه مميز عن الجـماعة بهـذه الكرامة مع

كونه حدثا يخشى عليه العجب وهذا الشيخ المذكور هو أبو زيد القرطبى رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين.

الحكاية التاسعة والثمانون بعد الأربعمائة
عن الشيخ أبى الربيع المالقى رضى الله عنه

قال كنت فقدت من بعض أحوالى شيئا فاشتغل سرى بذلك فرأيت ذات ليلة هدهدا جلس قدامى وكلمنى بكلام لم أفهمه ثم طار وجلس على كتفى اليسرى وكلمنى فلم أفهم ما يقول ثم طار وجلس على كتفى اليمنى ووضع فمه فى فمى وجعل يزقنى فانتفخت ثم سمعت خشخشة في صدرى فتحمست لذلك وعلمت أنه أمر يراد منى، ثم ظهر لى شخصان فتقدم أحدهما فشق عنى صدرى وأخرج قلبى ووضعه فى طست فسمعت أحدهما يقول للآخر احفظ شجرة العلم فغسله ثم وضعه فى الجانب الأيمن، ثم لحم الشق فلم أر من ذلك الوقت شيئا خارجا عنى وأخذت عن نفسى فسمعت نداء سل سليمان فقلت أسأل رضاك رضاك، فقال رضيت، رضيت فمن اليوم فتح على فهم القرآن ورؤية القلب فأنا اليوم أرى بقلبى وأسمع القرآن يتلى علىّ من الجانب الأيمن رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

وقال بعض المكاشفين كنت أرى شيطانى فى حال الرياضة ضعيفا عريانا شعثا على أسوأ الأحوال، فإذا هممت به فر أمامى فلما تزوجت سامحت نفسى فى حق الزوجة بزعمى فرأيته فى بعض الأيام قد ظهر لى فهممت به على العادة فلم يهرب منى ولم يلتفت إلى ورأيته مكتسيا فقلت له متى تغيرت حالتك هذه عما أعهد، فقال منذ تزوجت أنت وتغيرت حالتك انتهى كلامه

(قلت) هكذا يطلعهم الله على الزيادة والنقصان ليزدادوا من الخير ويشكروا الله تعالى عليه ويرجعوا عن أسباب النقصان ويتضرعوا إليه حتى يزيل عنهم الصفات المذمومات ويوفقهم للصفات المحمودات بفضله ورحمته فيزكون ويزدادون من الهدى إيمانا مع إيمانهم وقد سمعوا قول الحق الشافى للقلوب والمزيل عنها الصدأ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا.

الحكاية التسعون بعد الأربعمائة
عن أبى العباس بن العريف رضى الله عنه

قال كنت يوما قاعدا وإذا برجل غريب قد دخل على المسجد وقال يا سيدى أنت أبو العباس بن العريف قلت نعم، قال راء رأى البارحة رؤيا قلت له قل فقال

كأنه يرى فساطيط صغاراً حول العرش وعليهن فسطاط عظيم قد اكتنف الجميع فقال لمن هذا الفسطاط فقيل له للفقيه أبى العباس بن العريف فقال وهذه الصغار فقيل لأصحابه قال أبو العباس رضى الله عنه فتغيرت عليه وقلت له ما حملك على إتيانك بمثل هذه الرؤيا لرجل مذنب مثلى، فلما رأى تغيرى قال لى هون على نفسك أيها الشيخ فلعلك قنعت بيسير الرزق من الله تعالى فقنع منك بيسير من العمل قال نعم ثم التفت إليه فلم أره فقلت لأصحابى هذا أتاكم يعرفكم فقركم رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

(قلت) وبلغنى أن الشيخ الإمام شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه ونفعنا به ذكر بين يديه البلدان ومن فيها من الصالحين حينئذ، فكأنه أشار إلى أن بعض الجهات ما فيها أحد من الرجال فى ذلك الوقت فوقف عليه شخصان فى الحال من أهل تلك الجهة فى زى مشاعليين وقالا له يا سيدنا نشتهى منك أن تشرفنا بخدمتك وكان يومئذ بمكة جاء إلى الحج فأذن لهما بحمل المشعل وسافر راجعا إلى بلاده، فكان يقول وهم سائرون إنى لأشم رائحة الفقراء من قبل المشعل، فلما بلغوا بعض الطريق سئل عن مسألة غامضة فى علوم المعارف والأسرار المعروفة بالعلم اللدنى لأهل الأنوار فأجال ذهنه فيها وتفكر وأمعن النظر وتدبر ثم وقف وتحير فلما وقف حصان علمه المشهور فى ميدان الامتحان بالسؤال المذكور وقف الشخصان المذكوران بين يديه، وقالا يا سيدى دستورك نقول شيئا فقال قولا فقالا الجواب والله أعلم كذا وكذا وكشفا القناع عن وجه محاسن الأسرار فى الجواب الشافى للنظار فكشف الشيخ شهاب الدين رضى الله عنه رأسه وقال أستغفر الله وأنصف فيما صدر منه من الكلام فى أهل الجهة المذكورة ثم قالا له سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورجعا عنه إلى بلادهما رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم.

الحكاية الحادية والتسعون بعد الأربعمائة
عن الشيخ الكبير أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه

قال نمت ليلة فى سياحتى على ربوة من الأرض فجاءت السباع فطافت بى وأقامت حولى إلى الصباح فما وجدت أنسا كأنس وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لى أنه قد حصل لى شىء من مقام الأنس بالله فهبطت واديا وكان هناك طيور حجل لم أرها فلما أحست بى طارت فى دفعة واحدة كلها فخفق قلبى رعبا فسمعت قائلا يقول لى يا من كان البارحة يأنس بالسباع مالك تفزع من خفقان الحجل ولكنك

البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك.

(وقال) رضى الله عنه جعت مرة ثمانين يوما فخطر بى أنه قد حصل لى نصيب من هذا الأمر فإذا أنا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها ضياء الشمس حسنا وهى تقول منحوس منحوس جاع ثمانين يوما فأخذ يدل على الله بعلمه وأنا ستة أشهر لم أذق فيها طعاما رضى الله عنهما ونفعنا بهما آمين.

(وقال) رضى الله عنه كنت وبينما أنا فى بعض سياحتى أقول إلهى متى أكون لك عبدا شكورا فسمعت قائلا يقول إذا لم تر منعما عليه غيرك فقلت إلهى كيف لا أرى منعما عليه غيرى قد أنعمت على الأنبياء والعلماء والملوك فإذا قال قائل يقول لى لولا الأنبياء لما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما أمنت والكل نعمة منى عليك.

(وقال) رضى الله عنه كنت أنا وصاحب لى قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله تعالى فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا له من أنت، فقال عبد الملك فعلمنا أنه من أولياء الله تعالى فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لا تعبدين الله، قال فتيقظنا وعرفنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا الله تعالى ففتح لنا رضى الله عنهم أجمعين.

الحكاية الثانية والتسعون بعد الأربعمائة

حكى أنه عزم على الشيخ الجليل أبى العباس المرسى رضى الله عنه ونفعنا به إنسان وقدم إليه طعاما يختبره به فأعرض عنه ولم يأكل ثم التفت إلى صاحب الطعام فقال له إن كان الحارث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه كان فى أصبعه عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه فأنا فى يدى ستون عرقا تتحرك على إذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر إلى الشيخ رضى الله عنه.

(قلت) وقد ذكرت حكاية المحاسبى رضى الله عنه فى غير هذا الموضع.

وقد حكى أيضا عن بشر بن الحرث رضى الله عنه أنه كان لا يمد يده إلى أكل طعام ليس بطيب وكذلك بلغنى أن بعض السلاطين امتحن أحد الشيوخ بذبائح قدمها إليه لحم بعضه مذكى ولحم بعضه ميتة فشد الشيخ وسطه وقال للفقراء أنا اليوم خادمكم فى هذا الطعام وأخذ يلتقط المذكى ويقربه إلى الفقراء وينحى الأوانى التى فيها غير المذكى إلى الجند ويقول الطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين والسلطان حاضر

فاستغفر الله تعالى وحسن اعتقاده فى الشيخ رضى الله عنه ونفعنا به.

وكذلك بلغنى أن بعض سلاطين الكفار استولى على بعض بلاد المسلمين فسفك دماءهم ونهب أموالهم وأراد أن يقتل بعض فقراء المشايخ فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك فقال له السلطان إن كنتم على الحق فأظهروا لى برهانا فأشار الشيخ إلى بعر الجمال هناك فإذا هى جواهر تضىء وأشار إلى كيزان فى الأرض فارغة من الماء فتعلقت فى الهواء وامتلأت ماء وأفواهها منكسة إلى الأرض ولا يقطر منها قطرة فدهش السلطان من ذلك فقال له بعض جلسائه لا يكبر هذا فى عينك فإنما هو سحر، فقال له السلطان أرنى غير هذا فأمر الشيخ بالنار فأوقدت وأمر الفقراء بالسماع فلما عمل فيهم الوجد دخل الشيخ بهم النار وكانت نارا عظيمة ثم خطف الشيخ ولد السلطان ودار به فى النار ثم غاب به فلم يدر أين ذهبا والسلطان حاضر فبقى متفجعا على ولده فلما كان بعد ساعة ظهرا وفى إحدى كفى ولد السلطان تفاحة وفى الأخرى رمانة فقال له السلطان أين كنت قال كنت فى بستان فأخذت منه هاتين الحبتين وخرجت فتحير السلطان من ذلك فقال له جلساء السوء وهذا أيضا عمله بصنعة باطلة فقال السلطان عند ذلك كل ما تظهره لا أصدق به حتى تشرب من هذه الكأس وأخرج له كأسا مملوءة سما تقتل القطرة منه فى الحال، فأمر الشيخ الفقراء بالسماع حتى ورد عليه حال فأخذ الكأس حينئذ وشرب ما فيه جميعه فتمزقت ثيابه التى عليه فألقوا عليه ثيابا أخرى فتمزقت الثياب كذلك ثم أخرى كذلك مرارا عديدة ثم ترشح عرقا وثبتت عليه الثياب بعد ذلك ولم تنقطع فاعتقده السلطان وعظمه وأجله واحترمه ورجع من ذلك القتل والإفساد والله أعلم.

(وقد حكى) أيضا مثل هذ الحكاية عن بعض من ينسب إلى سيدى أحمد الرفاعى قدس الله روحه مع سلطان المغول الذى أخذ بغداد رضى الله عنه وعن جميع الصالحين ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة.

(وحكى) أن الشيخ الإمام أستاذ الأكابر الجامع بين العلم الباطن والظاهر والحسب والنسب والشرف النبوى الفاخر السيد الجليل عبد القادر الجيلانى قدس الله روحه ونوّر ضريحه طلب من بعض الناس وديعة كانت عنده لبعض الغائبين فامتنع من تسليمها إليه وقال له لو استفتيتك فى مثل هذا ما أفتيتنى بتسليمها إلى غير صاحبها فلما كان بعد ذلك بزمن يسير جاء كتاب صاحبها إلى المودع المذكور وهو يقول سلم الوديعة إلى الشيخ عبد القادر فقد صارت للفقراء فسلمها إليه فعتب عليه الشيخ وقال تتهمنى فى مثل هذا رضى الله عنه ونفعنا به.

قلت وإليه ينسب أكثر شيوخ اليمن ومنهم من ينتسب إلى الشيخ الكبير العارف الشهير أبى مدين قدس الله روحه ونور ضريحه هذا شيخ المغرب والأول شيخ المشرق أعنى الشيخ عبد القادر وهو القائل رضى الله تعالى عنه:

ما فى الصبابة منهل مستعـــذب   إلا ولى فيـــه الألذ الأطيـــب
أو فى الزمان مكانة مخصوصـــة   إلا ومنزلتى أعـــز وأقـــرب
وهبت لى الأيام رونق صفوهـــا   فصفت مناهلها وطاب المشـــرب
أنا فى رجال لا يخاف جليسهـــم   ريب الزمان ولا يرى ما يرهـــب
قوم لهم فى كل مجد رتـــبة   علوية وبــكل جيــش موكــب
أنا بلبل الأفراح أملأ دوحـهـــا   طربا وفى العلياء باز أشـهـــب

رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

الحكاية الثالثة والتسعون بعد الأربعمائة

حكى عن أحدهم قال كنت مع بعض الصالحين خارج بغداد فمرت علينا جنازة ومعها خلق كـثير فسألنا عن الميت فقيل هو رجل من الصـالحين فقال الرجل الصالح الذى معى الله المستعان هكذا يموت الصالحون، فقلت فكيف يموتون قال يموتون على المزابل وتأكلهم الكلاب، قـال فرأيته بعـد ثلاثة أيام وهو ميت على مـزبلة والكلاب تأكل منه رضى الله عنه ونفعنا به آمين.

(قلت) هذا موت كثير من الأولياء والمحبين والمحبوبين لله عز وجل الذين ليس لهم فى الدنيا غرض ولا أمل أما حكايات أهل الرغبـة فى الدنيا والأمل الطويل فيها فكثيـرة من ذلك ما روى أنه جـاء بعض الناس إلى سليمان بـن داود عليهمـا السلام وقال له يا نبى الله إنى أريد منك أن تأمـر الريح تحملنى إلى بلاد الهند فإن لى فـيها حاجة فى هذه السـاعة وألح عليه فى ذلك فقال له نعم وأمر الريح تحـمله فلما خرج من عنده التفت سليمان فرأى ملك الموت قائما عنده عليـه السلام ورآه متبسما فسأله عن تبسمه فقال يا نبى الله تعجبت من هذا الرجل فإنى أمرت بقبض روحه فى أرض الهند فى هذه الساعة فـبقيت متفكرا كيف يصل إلى بلاد الهند فى هذه الـساعة فلما سألك أن تأمر الريح تحمله تعجبت من ذلك انتهى كلامه وفى هذا المعنى قلت :

فمن لم تأته مـــنا المنايـــا   إلى أوطـــانـه يومـــا أتاهـــا
كما قال الذى عزى نفوســـا   وقوى فى توكلهـــا قـــواهـــا
ومن كانت منيته بـــــأرض   فليس يموت فى أرض سواهـــا

(قلت) يجب الإيمان بأن أمـر الله تبارك وتعالى وقـدره نافذ على مـا سبق فى علمه الغامض لابد من ذلك وأن بعد فى العقـول يسبب له بعض الأسباب الغوامض على ما اقتضت حكمـته البالغة ومشيئـته السابقة التى إليها يرجع أمـر الخاتمة اللاحقة نسأل اللـه تعالى الكريم أن يلطف بنا فى جـميع مـقدوره وأن يدبرنا بحسـن تدبيره والمسلمين آمين.

ومن عجيب لطف الله عـز وجل بعباده ودفعه البلاء عـمن لم يحضره الأجل عبـاده المصطفين الخواص المعـدين للتفريج عند الشـدائد والخلاص مـا يأتى ذكره فى الحكاية الآتية إن شاء الله تعالى.

الحكاية الرابعة والتسعون بعد الأربعمائة

حكى عن بعض الشـيوخ الكبار أنه دخل عل بعض التـجار بثـغر الإسكندرية فرحب به الـتاجر وفـرح به فرأى الشـيخ إيوانًا يجلس فيـه التاجـر بساطين مـثمنين مستعملين من بلادالروم على قدر الإيوان فطلبهـما من التاجر فصعب عليه ذلك وقال له يا سيدى أنا أعطيك ثمنهما فامتنع الشيخ وقال له ما أطلب إلا هما بعينهما، فقال له التاجر إن كان ولابد من الأخذ فخذ أحدهما فأخذ الشيخ أحد البساطين وخرج به وكان حينئـذ للتاجر ابنان مسافـران فى بلاد الهند كل واحد منهما فى مركب، فـبعد مدة سـمع أبوهما أن أحدهمـا غرق هو ومـركبه وجـميع من كان فـيه ووصل الابن الآخر إلى عدن سالما فلما كان بعد مدة وصل قريب الإسكندرية فخرج أبوه فى لقائه إلى ظاهر البلد فرأى البسـاط الذى أخذه الشيخ منه بعينه محمـلا على بعض الجمال فسأله عن قصة البـساط ومن أين هو له، فقال يا أبت لهذا البساط قصـة عجيبة وآية عظيمة، فقـال له أبوه يا بنى أخبرنى بذلك فقال له سافـرت أنا وأخى بريح طيبة من بلاد الهند كل منا فى مركب فلما توسطنا البحر عـصفت بنا الريح واشتد علينا الأمر وانفتح المركـبان واشتغل كل أهل مـركب بمركبهم وسلم كل منا أمـره إلى الله تعالى وإذا بشيخ قـد ظهر لنا وفى يده هذا البـساط فسـد به مركبنا وسـرنا بالسلامـة أياما والمركب مسدود بـهذا البساط إلى أن وصلنا بعض المراسى فنقلنا مـا كان فى المركب وأصلحناه وشحنا فـيه، وأما مركب أخى فغـرق جميع من كان فـيه ولم يسلم منهم أحد قال التاجر، فقلت له يا بنى أتعرف الشيخ إذا رأيته قال نعم فذهب به إلى الشيخ فلما رآه صرخ وصاح صياحا عظيـما وقال هو ذا والله يا أبت فجعل الشيخ يده عليه حتى أفاق وسكن ما به فقال التاجر للشيخ لم لا عرفتنى يا سيدى بحقيقة الأمر حتى

البساطين كليهما فقال الشيخ هكذا أراد الله عز وجل رضى الله عنه ونفعنا به وبجميع الصالحين آمين.

الحكاية الخامسة والتسعون بعد الأربعمائة

حكى عن أحد الصالحين أنه عقد مع الله تعالى عقدا أنه لا ينظر إلى مستحسنات الدنيا فمر يوما بسوق الصرف فنظر إلى منطقة مغلقة فجعل يطيل النظر إليها فالتفت صاحبها فرآه ينظر إليها ثم التفت إلى المنطقة فلم ير شيئا فوثب إليه وتعلق به وقال ما هذه أفعال الصالحين فقال له مالك يا أخى قال أنت صوفى وتسرق، قال له ما الذى سرقت قال له سرقت منطقتى قال والله ما أخذت لك شيئا قال فأكثروا عليه وساروا به إلى الأمير وقصوا عليه القصة فقال له الأمير يا فتى ما هذه أفعال الصالحين فبكى وقال والله ما أخذت شيئا فقال رجل من الحاضرين جردوه من ثيابه فجردوه من ثيابه فإذا المنطقة مطوقة فى وسطه قال فصرخ صوتا كاد أن يفارق الدنيا وغشى عليه فقال الأمير بعد ذلك ائتونى بالسياط قال فهتف به هاتف ياعبد الله لا تضرب ولى الله إنما هو مؤدب بكم فصرخ الأمير صرخة كادت روحه تفارق جسده وغشى عليه فلما أفاق الفتى قال مولاى أسألك الإقالة فقد عرفت ذنبى وجرمى وأنا خاطئ، مولاى سهو لحق عبدك الخاطئ. فلا تؤاخذنى الأمان الأمان يا حنان والخلق يبكون لبكائه ولما أفاق الأمير من غشيته جعل يقبل يديه ورجليه ويقول له يا حبيبى ما قصتك فقال له الفتى اعلم أنى كنت عقدت مع الله تعالى عقدا ألا أنظر إلى مستحسنات الدنيا فمررت بهذا الرجل فى سوق الصرف فنظرت منطقته نظرة غفلة ولم أعلم ما كان إلا والرجل يتعلق بى وهو يوبخنى وهو يقول أخذت منطقتى ولم أعلم قصته فهذه والله قصتى ثم ولى وهو يقول :

يا عدتى فى شدتى	إن لم تكن أنت فمن
ينقذنى من الردى	يا صاحب الفعل الحسن
طوبى لمن بات بكم	مشردا عن الوطن

الحكاية السادسة والتسعون بعد الأربعمائة
عن ذى النون رضى الله عنه

قال بينما أنا أدور فى بعض جبال لكام وإذا برجل قائم يصلى والسباع حوله ربض فلما أقبلت نحوه نفرت عنه السباع فأوجز فى صلاته وقال يا أبا الفيض لو

صفوت لطلبتك الوحـوش وحنت إليك الجبال قال فقلت ما مـعنى قولك لو صفوت قال تكون لله خالصا حتى يكون لك مريدا.

الحكاية السابعة والتسعون بعد الأربعمائة
عن ذى النون أيضا رضى الله عنه

قال وصفت لى جـارية متعبدة فـسألت عنها فقيل لى إنهـا فى دير خراب قال فأتيت الدير فـإذا أنا بجارية نحيلـة الجسم قد أثر الليل فى وجـهها بكلكله وذبحـها الكرى بسكاكين السـهر فـسلمت عليهـا فردت على السـلام فقلت لها يـا جارية فى مسكن النصارى فقالت يا هذا ارفع رأسك هل ترى فى الدارين غير الله عز وجل قال فقلت لها يا جارية هل تجدين وحشـة الوحدة قالت إليك عنى فوالذى حشا قلبى من لطيف حكمته ومـحبته وأوقر خاطرى من دقيق الشـوق إلى رؤيته ما علمت فى قلبى موضـعا لغيـره قال فـقلت لها أراك حكيـمة فأخـرجينى من الضيـق وأرشدينى إلى الطريق، فقالت يـا فتى اجعل التقوى زادك والزهد منهـاجك والورع مطيتك واسلك طريق الخائفين حـتى تأتى بابا ليس ترى دونه حجابا ولا بوابا فعندهـا تؤمر الخزنة ألا يعصوا لك أمرا ثم أنشأت تقول :

من يعرف الرب ولم تغنـه   معرفة الرب فذاك الشـــقى
ما ضر ذا الطـــاعة ما ناله   فى طاعة الله وما قــد لقى

الحكاية الثامنة والتسعون بعد الأربعمائة
عن معروف الكرخى رضى الله عنه

أنه قال رأيت فى البادية شابا حسن الوجه وله ذؤابتان حسنتان وعلى رأسه رداء وعليه قمـيص كتان وفى رجليه نعل طـاق، قال فتعجـبت منه ومن زيه فى مثل هذا المكان. فقلت السلام عليك ورحمة اللـه وبركاته فقـال وعليك السـلام ورحمـة الله وبركـاته يا عم، قلت يا فـتى من أين أنت قـال من مـدينة دمشـق، قلـت متـى خرجت مـنها قال سحرة نهـارى قال فتعجبت مـنه وكان الموضع الذى رأيته فيـه بينـه وبين دمشق مراحل كـثيرة فقـلت له وأين القصد قـال مكة إن شاء الله، فعلمت أنه مـحمول فودعتـه ومضى فلم أره حتى مضت ثلاث سنـين فلما كان ذات يـوم وأنا جـالس فى منزلى متـفكرا فى أمـره وما كـان منه بعدى وإذا بالبـاب يدق فـخرجـت إليه فـإذا هو صـاحـبى فـسلمت عليـه وأدخلته المنـزل فإذا به حـاف

حاسر الرأس عليه مدرعة من الشعــر فقلت أيش الخبر، فقال يا أستاذ لم يخبرنى بما يفعل بمعاملته لى فمرة يلاطفنى ومرة يهيننى ومرة يجوعنى ومرة يطعمنى فليته أوقعنى على بعض أسرار أوليائه ثم يفعل بى ما شــاء وبكى بكاء شديدا، قال معروف رضى الله عنه فــأبكانى كلامه فــقلت له حدثنى ببــعض ما جــرى عليك منذ فارقــتني قال هيهــات أبديه وهو يريد أن يخفيه ولكــن بدء ما فعل بى فى طريقى مولاى وســيدى فقلت ما فعل بك قال جــوعنى ثلاثين يوما ثم جئت إلى قرية فيها مقــثأة قد نبذ منها الدود فقعدت آكل منها فنظرنى صاحب المقثأة فأقبل إلى بسوط وجعل يضرب ظهرى وربطنى ويقول لى يا لص مــا أخرب المقثــأة غيرك منذ كم أرصدك حــتى وقعت بك فبينما هو يضربنى إذا بفارس أقبل مســرعا إليه وجذب السوط من يده وقال تعمد إلى ولى من أولياء الله تضربه وتهينه وتقول لــه يا لص فلما نظر صاحب المقثأة إلى ذلك أخذ بيدى وذهب بى إلى منزله فــما أبقى من الكرامة شيئــا إلا فعل معى وتحلل منى فبينما أنا عنده لص صــرت وليا كما حدثتك، قال معروف رضى الله عنــه فما استتم كلامــه حتى دق صاحب المقثــأة الباب ودخل وكان موســرا فأخرج ماله وأنفــقه على الفقراء وصحب الشاب وخرجا إلى الحج فماتا فى البرية رحمهما الله.

الحكاية التاسعة والتسعون بعد الأربعمائة

حكى أن يحيى وعــيسى عليــهما الســلام اصطحبا فى ســفر فلمــا كان بعض الأوقات نام يحيى فى سجدة سجدها عيــسى عليه السلام فأراد عيسى عليه السلام أن يوقظه فأوحى الله تعالــى إلى عيسى عليه السلام يا عــيسى إن روح يحيى عندى فى حضرة قدسى وجسده بين أرضى ولقد باهيت به كرام ملائكتى وأنشدوا :

قف على البــاب قلـيلا　　　واجعل الذكر سبيلا
والزم الباب غــــدوا　　　وعشيــا وأصيــــلا
إن تطعــنـــى لم تجــــدنى للمطيعين خــــذولا
إن عنـــدى للمطيعيـــــن شرابـــا سلسبيـــلا
فاتعبوا اليوم قليـــلا تنعمـــوا دهرا طويـــــلا

وقال أبو يزيد رضى الله عنه جمعت فكرى وأحضــرت ضميرى ومثلت نفسى واقفا بين يدى ربى فقال لى يا أبا يزيد بأى شىء جئتنى قلت يا رب بالزهد فى الدنيا قال يا أبا يزيد إنما كان مقدار الدنيا عندى جناح بعوضة ففيم زهدت منها فقلت إلهى وسيدى أستغفرك من هذه الحالة جئتك بالتوكل عليك قال يا أبا يزيد ألم أكن ثقة فيما

ضمنت لك حتى توكلت على قلت إلهى وسيدى أستغفرك من هاتين الحالتين جئتك بك أو قال بالافتقار إليك قال عند ذلك قبلناك وأنشدوا :

دعـــوه لا تلومـوه دعـــوه ... فقد علم الذى تعلمـــوه
رأى علم الهـدى فسمـــا إليه ... وطلب مطلبا لم تطلبـــوه
أجـــاب دعاءه لما دعـــاه ... وقام بحـــقه وأضعتمـــوه
بنفسى ذاك من ممنوح قـــرب ... وطاعم مطعـــم لم تطعموه

الحكاية الخمسمائة عن أحد الزهـاد

قال كنت فى جماعة من الزهاد وقد حان وقت صلاة الظهر ونحن فى برية ليس فيها ماء فدعونا الله تعالى فلم نستتم الدعاء حتى لاح لنا بالبعد شيء فقصدناه وطوى الله تعالى لنا البعيد حتى وصلنا إلى قصر مشيد عالى البناء حسن الفناء وحوله أنهار وعيون تتفجر فشكرنا الله تعالى على ذلك وأسبغنا الوضوء فصلينا ثم تقدمنا إلى القصر فإذا على حائطه مكتوب هذان البيتان :

هذى منازل أقـوام عهدتهم ... فى رغد عيش خصيب ما له خطر
دعتهم نوب الأيام فارتحلـوا ... إلى القبـور فلا عـين ولا أثـر

قال ورأينا فى وسط الدار سريرا من ذهب وعليه هذه الأبيات :

لا زلت تطلـــب كل ما ... يردى وتمعن فى الطلـــب
وملكت ما أملـــت مـن ... أرض الأعاجم والعـرب
مدت إليك يـــد الردى ... فذهبت فيمن قد ذهـــب

قال ورأينا هناك بستانا فيه لوح من رخام عليه مكتوب هذه الأبيات :

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطـا ... فى ظل عيش يخاف الناس من باسه
إذا جـــاءه بغتـــة مـــالا مرد لـه ... فخر ميتـا وزال التـاج عن راسـه
فاخرج إلى القصر وانظركيف أوحشه ... فقدان أربابـــه مـن إينـاسـه

قال فاستحسنا ذلك ورحنا إلى القبة فإذا فى وسطها قبر عند رأسه لوح من رخام أبيض وعليه مكتوب :

أنا رهن التراب فى اللحد وحدى ... واضعا تحت لبنة الترب خدى

(غيره لبعضهم)

باتوا على قلل الأجبال يحرسهـم ... غلب الرجـال فلم تنفعهـم القلـل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهـم ... وأسكنوا حـفرا يا بئسما نزلـــوا

ناداهم صارخ من بعد مادفنـوا ... أين الأسرة والتيجـان والحلـل
أين الوجوه التى كانت منعمـة ... من دونهـا تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتـتـل
قد طالما أكلوا دهرا وما نعموا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

(غيره) للمـؤلف آنسه الله فى قبره وعـامله بلطفه وبره وأسكنه بحبـوحة جنته وأعاد على المسلمين من بركته آمين.

ركوب النعش أنســاهم ركوبـا ... على الخيل العتيقات النجـاب
وليل القبر أنســاهم للـيـل ... به عرس المليحات النقـاب
وأنسـاهم لفرش ناعمـات ... لها قد زينوا فرش التُّـرَاب
علا الدود الخدود وغاص فيهـا ... أكـولا للبهيـات التِّـراب

(غيره لأحدهم)

وقفـت على البنيـان حين رأيته ... فكبر للرحمـن حـين رآنـى
فقلـت له أين الذيـن عهدتهم ... حواليك فى أمن وخفـض زمـان
فقال مضوا واستودعونى رحالهم ... ومن ذا الذى يبقى على الحدثـان

وحكى عن على بن أبى طالب كـرم الله وجه ورضى الله عنه أنـه قال دخلت مقابر البقيع لأزور الأحباب وجعلت أسلم عليهم واحدا واحدا ثم وليت وأنا أقول :

ما لى مررت على القبور مسلما ... قبر الحبيب فلم يرد جـوابى
يا قبر مالك لا تجيب مناديـا ... أمللت بعدى صحبة الأحباب

(قال فأجابنى صوت عال)

قل للحبيب وكيف لى بجوابكم ... وأنا الرهين بجـندل وتـراب
أكل التراب محاسنى فنسيتـكم ... وحجبت عن أهلى وعن أحبابى

(غيره لأحدهم)

لياليك تفـنى والذنـوب كثيـرة ... وعمر يبلى والزمـان جديـد
وتحسب أن النقص فيك زيـادة ... وأنت على النقصان حين تزيـد

(غيره لأحدهم وجد مكتوبا على قبر)

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجى وأنت قريـب
تزيد بلى فى كـل يوم وليـلة ... وتبلى كما تبلى وأنت حبيـب

(غيره لآخر فى الدنيا)

ومن يكن همه الدنيا ليجمعهـــا فسوف يوما على رغم يخليها
لا تشبع النفس من دنيا تجمعها وبلغة من قوام العيش تكفيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنــها إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فمن بناها بخير طاب مسكنـه ومن بناها بشر خاب بانيهــا
فاغرس أصول التقى ما عشت مجتهدا واعلم بأنك بعد الموت تجنيها

(قال) المؤلف ختـم الله له بخير ولوالديه وللمـسلمين وقد تمت الحكايات التى وعد بها فى أول الكتاب وقد كنت وعدت هناك بخـاتمة تشمل فصلين وختام للخاتمة يشتمل على فصل آخر وهأنا أشرع فى ذلك إن شاء الله والله الموفق والمعين .

الفصل الأول من الخاتمة

فى الجواب عن إنكـار وقع من بعض الفقهـاء المصنفين على الفقـراء منهم أبو الفرج بن الجـوزى رحمه الله بالغ فى إنكار بعض حكاياتـهم من ذلك حكاية الشيخ أبى حمزة الخراسانى رضى الله عنه وقد تقدمت ولكن نعيدها ههنا لإيراد الجواب.

(قال) رضى الله عنه حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشى إذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث فقلت والله لا أستـغيث بأحد فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطمسوا رأس البئـر فهممت أن أصيح ثم قلت فى نفسى إلى من هو أقرب منهـما وسكت فبينما أنا بـعد ساعة إذا بشيء جاء فكشـف عن رأس البئر وأدلى رجليه وكـأنه يقول تعلق بى فى همهـمة منه كنت أعرف منه ذلك فـتعلقت به فأخرجنى فإذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا أبا حمزة هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيـت وأنا أقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى فأغنيتنى بالفهم منك عن الكشـــف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهــدى إلى غائبى واللطف يدرك باللطـــف
تراءيت لى بالغـيـب حتى كأنمـــا تبشرنى بالغيب أنك فى الكــــف
أراك وبى مـــن هيبـتى لك وحشة فتؤنسنى باللطف منك وبالعـطـــف
وتحيى محبا أنت فى الحب حتـفـه وذا عجب كون الحياة مع الحتــف

(قلت) وما أنكره المذكـور رحمه الله فى هذه الحكـاية وأن هذا الذى فعله أبو حمزة لا يجوز ليس بصحيح لأن أبا حمزة المذكور صدر منه هذا وقد مُنح يقينا كاملا وقلبا شاهدا وحـالا عاليا وحياء زاجـرا له وحاجزا عليه أن يتلفت إلى غـير مولاه أو يرى معه سواه، كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إنا لا نرى مع الحق

من الخلق أحدا، إن كان ولابد فكالهباء بالهواء إن فتشته لم تجد شيئا .

(قلت) ولو حصل للمنكر عليهم بعض ما حصل لهم ما أنكر عليهم والعجب من المنكر المذكور فى إنكاره مثل هذا مع أنه يعتقد القوم ويطرز كلامه بكلامهم وحكاياتهم وكراماتهم وكيف يّنكر مثل هذه الحكاية على من صار فانيا عما سوى الحق صاحب قلب مشاهد لا يرى فى الملك والملكوت إلا من هو أقرب إليه من نفسه كاشف الضر الإله الواحد والعجب كل العجب أن هذا الذى أنكره له شاهد فى الشرع أى شاهد وذلك ما جاء أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار عرض له جبريل عليه السلام فى الهواء بأمر الله تعالى فقال له ألك حاجة فقال أما إليك فلا قال فاسأل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى، وقال حسبى الله ونعم والوكيل فهل كان هذا من إبراهيم عليه السلام إلا كمال يقين ومقام رفيع مكين، وأيضا فقد ذكر العلماء رضى الله عنهم أن الناس فى التوكل على ثلاثة أقسام:

(القسم الأول) قوم سلموا أنفسهم لله فلم يجلبوا لها نفعا ولا دفعوا عنها من الضر دفعا وطردوا ذلك فى كل شىء من الضرورات وغيرها فلم يتحفظوا من عدو ولا سبع ولا تسببوا لنفوسهم بسبب من الأسباب حتى كان بعضهم يمر بالشجرة فتلزم ثوبه بشوكها فلا يتسبب فى تخليص الثوب حتى تهب الريح فتخلصه.

وقد قال قطب مقامات اليقين وحجة الله على العارفين أبو محمد سهل بن عبد الله رضى الله عنه أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله سبحانه كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير.

(القسم الثانى) من الأقسام الثلاثة قوم تسببوا فى الضرورات دون غيرها جلبا ودفعا ضرا ونفعا وهذه الطريقة عليها الجمهور من الأنبياء والأولياء ومن هذا القبيل ما احتج به المنكر من احتراز النبى صلى الله عليه وسلم من الأعداء الكفار فى هجرته واختبائه فى غار ثور وغير ذلك فهذه طريقة جمهور الأنبياء عليهم السلام كما ذكرنا، فليس فى ذلك للمنكر حجة لأن بعض الأولياء لا يحترزون ولا يتسببون لنفوسهم فى شىء أصلا كما قدمنا وقد تصدر منهم أشياء فى حال من أحوال غالبة عليهم تسلبهم الاختيار فلا يقاسون بغيرهم ولا نقول إن تارك التسبب فى الضرورات أفضل من المتسبب فيها من الأولياء قد يكون الأمر بالعكس ولم يكن النبى ﷺ محترزا فى كل شىء بل قد كان يواجه بعض المخاوف وحده كيوم حنين وغيره وكذلك أصحابه رضى

الله عنهم وذلك كثير فى الأحاديث التى يطول ذكرها وأما قوة أحوال بعض الأولياء وما أعطوا من اليقين والكرامات فكلها مستمدة من فيض فضله صلى الله عليه وسلم ومنسوبة إليه وقد كان صلى الله عليه وسلم مشرعا يسلك الطرق السهلة التى يقوى على سلوكها العام والخاص ولو سلك مقدم الركب والقوافل طريقا وعرة يقوى هو على سلوكها دون كثير منهم لم يكن بهم رءوفا رحيما ولكنه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى : ﴿**عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾(١) جزاه الله عنا أفضل الجزاء وقد يسلك بعض الأقوياء من القوافل بعض الطرق الوعرة لمصلحة ولا يمنعه المقدم.

(القسم الثالث) من الأقسام الثلاثة فى التوكل قوم دخلوا فى الأسباب كلها فى الضرورات وغيرها لكن مع اعتمادهم على المسبب دون السبب ومما أنكر المنكر المذكور ما حكى عن أحدهم ويقال إنه إبراهيم الخواص رضى الله عنه وذلك أنه كان لا يقيم فى بلد إلا أياما معدودة خوف الشهرة، فلما دخل بعض البلاد اشتهر فيها فأراد أن يزيل عنه الشهرة وما يترتب عليها من الضر فدخل الحمام فوجد ثياب ابن الملك قد نزعها ووضعها عند الحمامى ثم اغفل الحمامى عنها فلبسها الخواص ولبس من فوقها ثيابه وخرج يمشى رويدا حتى يلحقوه وينسبوه إلى اللصوصية وتزول عنه شهرة الصلاح فلحقوه وأخذوا منه الثياب وضربوه وسموه فى ذلك البلد لص الحمام، فقال لنفسه ههنا طاب المقام فزعم المنكر أن هذا الفعل لا يجوز فى الشرع لأنه عرض نفسه للتهمة والعقوبة وفعل فعلا محرما من أوجه كثيرة.

(والجواب) عن ذلك ما أجاب به بعض الفقراء لما سأله بعض الفقهاء عن هذه الحكاية بعينها وقال له أريد أن تقيم على جوازها دليلا ظاهرا من ظاهر الفقه ولا أقبل ما يذكره الفقراء فقال له الفقير المذكور ما طلب من الدليل حاصل مشهود وقال ما هو قال أليس يجوز فى ظاهر الفقه استعمال بعض المحرمات عند بعض الضرورات كاستعمال النجاسات فى المداواة قال الفقيه بلى يجوز ذلك فقال الفقير فكذلك فى هذه المسألة داوى قلبه بهذا المحرم فاعترف الفقيه وقال هذا الجواب هو الفقه بعينه، قلت وهأنا أزيد هذا الجواب بعض بيان وهو أن يقال إذا جاز أن يداوى الأجسام من السقام بشىء حرام فلا يجوز أن يداوى القلوب التى هى محل المعرفة والنور بشىء محظور أولى وأبعد عن المحظور وشتان ما بين المرضين فمرض الأجسام نعمة وحسنات ومرض القلوب نقمة وهلكات وأين هلاك الأبدان من هلاك الأديان، ففى هلاك الأديان سخط الملك الديان والبعد عن الرحمن والقرب من الشيطان وليس

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

كذلك هلاك الأبـدان فظهر أن مداواة القلب مـن مرض ضرر الشـهرة وغـيرها أولى وأحرى، ثم الأمـراض إنما تداوى بأضداد عللهـا فالحرارات تداوى بالبـوارد والبوارد بالحوار، فكذلك مرض شهرة الصلاح داواه الخواص بدواء شهرة الطلاح وهذا واضح لا يحتاج إلـى زيادة إيضاح وقد نبه النبى المكرم على شـرف القلب بقوله ﷺ ألا إن فى الجسد مضـغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فـسد الجسد كله ألا وهى القلب أخرجاه فى الصـحيحين ومن ذلك حكاية الشبلى رضى الـله عنه وقد تقدمت فى أثناء الكتاب ولكن نعيدها لإ يراد الجواب.

قال الشيخ أبو بكر الشبلى رضى الله عنه قال لى خاطرى يوما أنت بخيل قلت ما أنا ببخيل، فـقال بل أنت بخيل فقلت ما أنا ببخيل، فـقال بلى أنت بخيل فنويت أن أقول أى شىء يفتح على أعطيه أول فقير ألقاه فما تم هذا الخاطر حتى دخل على فلان سماه بخمسين دينارا فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقيرا ضريرا أو قال أكمه بين يدى مزين يحلق شعره فناولته ذلك فقال أعطه المزين فقلت إنها دنانير فرفع رأسه إلى وقال مـا قلنا لك إنك بخيل فناولتهـا المزين فقال منذ قـعد هذا الفقـير بين يدى عقدت مع الله تعـالى عقدا لا آخذ على حلاقتـه شيئا قال فأخـذتها وذهبت بها إلى البحر ورميتها فيه وقلت فعل الله بك وفعل ما أحبك أحد إلا أذله الله رضى الله عن الثلاثة ونفعنا بهم.

قلت فالجواب عن اعـتراض المعترض وإنكار المنكر وزعمه أن هذه إضـاعة مال من ثلاثة أوجه أحدها أن يكـونَ فعل ذلك فى حال ورد عليه وذو الحال الغـائب غير مكلف والثانى أن يكون شهد فيها سما مـهلكا كل من صارت إليه فأتلفها كما تتلف الأفعى والثالث أن يكون بإشارة مؤذنة بالإذن اضطرته إلى ذلك بحيث لم يجد عنه محيصـا والله أعلم ومن حكاية أحمد بن أبى الحوارى عندما أمره شيـخه أبو سليمان الدرانى رضى الله عنه أن يدخل فى الـتنور وفيـه النار لما كلمه وهو مـشغـول القلب وأكثر عليه من قولـه يا أستاذ قد حمى التنور فقال اذهب فادخل فـيه وقد كان عاهده أنه لا يخالفه فى شـىء فدخله ومكث ساعة ثم قال أبو سلـيمان الحقوا أحـمد فأتوه وأخرجوه ولم يحترق منه شىء فالجواب عن هذا أنه علم بقوة يقينه أن مراعاته للعهد المذكور وقيامه بالوفاء به يدفع عنه كـل خوف محذور وكُسى حالا من الله تعالى هو فيه عن حرارة النار مستور.

وقد رورى عن بـعض العارفين أنه قـال الصادق تحت خـفارة صدقـه يعنى إذا

ارتكب المهالك عن صدق حماه صدقه عن الهلاك وانقلب ذلك الهلاك نجاة بإذن الله تعالى.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم﴾[(١)] ومن ذلك الحكاية التى تقدمت أيضا وهى أن بعضهم سافر للحج على قدم التجريد وعاهد الله سبحانه ألا يسأل أحدا شيئا، فلما كان فى بعض الطريق مكث مدة لا يفتح الله عليه بشىء فضعف عن المشى ثم قال هذا حال ضرورة وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة﴾[(٢)] وإذا لم أسأل انقطعت عن القافلة وهلكت بسبب الضعف المؤدى إلى العجز المؤدى إلى الانقطاع المؤدى إلى الهلاك ثم عزم على السؤال فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم ثم قال أموت ولا أنقض عهدا بينى وبين الله تعالى، فمرت القافلة وانقطع واستقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت فبينما هو كذلك إذا بفارس قائم على رأسه معه إداوة فسقاه وأزال ما به من الضرر وقال له تريد القافلة فقال وأين منى القافلة فقال له قم وسار معه خطوات ثم قال له قف ههنا فالقافلة تأتيك فوقف وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه.

(قلت) والجواب عن هذه الحكاية هو ما ذكرت من الجواب عن الحكاية التى قبلها بلا فرق وعلى الجملة كل ما جاء عنهم مما يخالف العلم الظاهر، فله محامل أحدها ألا يسلم نسبته إليهم حتى يصح عنهم. والثانى بعد الصحة أن يُلتمس به تأويل يوافق العلم الظاهر فإن لم يوجد له تأويل قيل لعل له تأويلا فى الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالى، ويذكر عن ذلك قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليهما السلام، والثالث أن يكون صدر عنهم فى حال السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مكلف فى ذلك الحال فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق نعوذ بالله من الخذلان وسوء القضاء ومن جميع أنواع البلاء.

وبعد هذا كله أقول اعلموا رحمكم الله وإياى أن من امتلأ قلبه إيمانا بأحوال الفقراء الصالحين منهم والصديقين ومحبتهم والعلم بسيرتهم سلم لهم ما سمع عنهم وحمل ما جاء عنهم مما لا يمكن حمله على ظاهره على محامل صحيحة وأوله تأويلا لائقا بأحوالهم المليحة ومن جملة التأويلات هذه الثلاثة المذكورة وأما من لم يعرف أحوالهم ولم يشرب من مشربهم ولم يذق من مذوقهم ولم يطلع على علومهم وطريقهم ولم يخالطهم ولم يكمل حسن ظنه بهم فإنه بلا شك إن لم يوفق ينكر

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٦٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

عليهم أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ولقد أحسن القائل حيث قالت :

أيقدح فيمن شرف الله قدره   وما زال مخصوصا به طيب الثنا
رجال لهم سر مع الله صادق   فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا

وأما من اختلف فى تفكيره منهم فمذهبى فيه التوقف ووكول الأمر فيه إلى الله تعالى ولا أرى بمطالعة كلامه مصلحة لا سيما لمن ليس عنده تحقيق لقواعد الشرع ومعرفة الأصل دون الفرع وأسأل الله الكريم التوفيق لما يحب ويرضى والعفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة لى ولأحبابى والمسلمين أجمعين.

وأما قول بعض المشايخ فى بعض الحكايات التى ذكرتها رأيت الغوث وهو القطب رضى الله عنه بمكة سنة خمس عشرة وثلثمائة على عجلة من ذهب والملائكة يجرون العجلة فى الهواء بسلاسل من ذهب فقد تبادر فهم بعض الناس إلى إنكار هذا وليس ذلك بمنكر لأنه لم يفعل ذلك بنفسه بل فعله الحق سبحانه وتعالى فى حقه فى عالم الملكوت لا فى هذا العالم الذى هو محل التكليف، فلو أن الله تعالى أذن لبعض عباده أن يلبس ثوب حرير مثلا وعلم العبد ذلك الإذن يقينا فلبسه لم يكن منتهكا للشرع فإن قيل من أين يحصل له علم اليقين قلت من حيث حصل للخضر عليه السلام حين قتل الغلام وهو ولى لا نبى على القول الصحيح عند أهل العلم كما أن الصحيح أيضا عند الجمهور منهم أنه الآن حى وبهذا قطع الأولياء ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين.

وممن حكى ذلك عن جميع المذكورين الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رضى الله عنه ونقله عنه الشيخ الإمام محيى الدين النووى رضى الله عنه وقرره وسأل جماعة من الفقهاء الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه قالوا له ما تقول فى الخضر عليه السلام أحى هو، فقال ما تقولون لو أخبركم ابن دقيق العيد يعنى الفقيه الإمام تقى الدين بن دقيق العيد رضى الله عنه أنه رآه بعينيه، أكنتم تصدقونه أم تكذبونه، فقالو بل نصدقه، فقال قد والله أخبر عنه سبعون صديقا أنهم رأوه بأعينهم كل واحد منهم أفضل من ابن دقيق العيد انتهى كلامه، قلت وهذا هو الصحيح المختار عن المحققين من العلماء الموفقين أن العارفين بالله تعالى أفضل من العلماء بأحكام الله رضى الله عنهم أجمعين.

وبهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المذكور وغيره وقال الشيخ تقى الدين المذكور بعد أن ذكر بعض الأولياء ممن رآه هو عندى خير من كذا وكذا فقيه وكذلك أخبرنى بعض الأخيار من العلماء المتمكنين وهو القاضى نجم الدين الطبرى

رحمه الله، أنه جاء خبر إلى مكة أن السيد الإمام العارف بالله إسماعيل بن محمد الحضرمى رضى الله عنه توفى قال السيد الإمام العارف بالله أحمد بن موسى بن عجيل رضى الله عنه وكان حينئذ بمكة أرجو أن يفديه الله بمائة فقيه ثم جاء الخبر الصحيح أنه حى ولم يمت إلا بعد مدة طويلة.

رجعنا إلى المقصود لا شك أن من اعتقد الأولياء وصد بكراماتهم وبكل ما أخبروا به صدق بأن الخضر عليه السلام حى لأن الصديقين رضى الله عنهم لم يزالوا فى كل زمان يخبرون أنهم اجتمعوا به وذلك مشهور مستفيض عنهم ومروى عنهم فى الكتب المشهورة التى رواها العلماء والثقات.

وقد ذكرت فى هذا الكتاب أن جماعة من الشيوخ الكبار اجتمعوا به فى حكايات متفرقة حذفت أسانيدها.

وقد روى بعض الشيوخ الكبار أن الشيخ الكبيرالعارف بالله سهل بن عبد الله رضى الله عنه أقبل على الناس يوما وتكلم بكلام حسن فقيل له لو تكلمت كل يوم مثل هذا كنا قد انتفعنا فقال إنما تكلمت اليوم لأنه جاءنى الخضر عليه السلام فقال لى أقبل على الناس بوجهك وتكلم عليهم فقد مات أخوك ذو النون وقد أقمتك مقامه فلولا أنه أمرنى أستاذ الأستاذين ما تكلمت عليكم.

وقال الشيخ الجليل العارف بالله أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه رأيت الخضر عليه السلام فى برية عيذاب فقال لى يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل وكان لك صاحبا فى الإقامة والرحيل.

قلت وأخبرنى بعض شيوخ اليمن أنه يأتيه الخضر عند الشدائد بالفرج.

وقد ذكر المشايخ من ذلك ما يتعذر حصره منهم الشيخ الكبير العارف أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه وخلائق لا يحصون وليس فى الحديث الذى تعلق به بعض المحدثين فى الاحتجاج على موت الخضر عليه السلام حجة لأنه متأول عند الجمهور من العلماء المحققين رضى الله عنهم وتطويل الكلام والإطناب يخرجنا عن مقصود الكتاب وأما قوله فى الحكاية المذكورة واسمه أحمد بن عبد الله البلخى أعنى القطب الذى رآه على عجلة من ذهب فهذا الاسم والنسب المذكوران فى ذلك الزمان خاصة لأن من المعلوم أن مقام القطبية لا يزال ينتقل من واحد إلى واحد وقد تقدم ذكر ذلك فى مقدمة هذا الكتاب وسمعت الشيخ الجليل العارف بالله نجم الدين الأصفهانى رضى الله عنه خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام يذكر أن الخضر عليه السلام يسأل الله عز وجل أن يقبضه إليه عندما يرفع القرآن قلت والظاهر والله

أعلم أن القطب والأولياء الموجودين فى ذلك الوقت يطلبون الموت أيضا حينئذ إذ ليس بعد رفع القرآن تطيب الحياة لأهل الخير.

وأما ما قدمت فى بعض الحكايات عن الخضر عليه السلام فى الأولياء المعدودين أنهم لا يزالون يبدلون واحدًا بعد واحد إلى يوم ينفخ فى الصور فالمراد إلى قريب يوم ينفخ فى الصور لأن الساعة لا تقوم على من يقول لا إله إلا الله كما فى الحديث وكما جاء أن أهل القرآن والعلم يموتون ولا ينزع منهم القرآن والعلم انتزاعا.

وأما الحديث الوارد فى الذين أخبر النبى ﷺ أنهم لا يزالون على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة فلابد من تأويله جمعا بين الأحاديث فيحتمل أن يكون معناه إلى قريب قيام الساعة هكذا أوله العلماء.

وأما ما ذكرت فى حكاية الشيخ على الكردى رضى الله عنه أن كثيرا منهم جمعوا فى التستر بين الوله والتجريد يوهمون الناس أنهم لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوراتهم حتى يساء الظن بهم ولا ينسبون إلى الصلاح وهم يصلون ويصومون فى الباطن فيما بينهم وبين الله تعالى وقد شوهد كثير منهم يصلون فى الخلوات ويصلون بين الناس فذلك صحيح وهؤلاء لهم مذهب معروف يظهرون المساوئ ويخفون المحاسن ولا يبالى أحدهم بكونه بين الخلق زنديقا إذا كان عند الله صديقا لأنهم لم يزالوا يبالغون فى نفى رؤية المخلوقين وإسقاطهم من قلوبهم وعدم الاحتفال بمدحهم وذمهم استجلابا لكمال الإخلاص واستبراء للنفوس من شوائب الشرك الخفى الذى لا يسلم منه إلا الخواص ومنهم آخرون يصلون بين الناس ولايرون فى الصلاة بل يحتجبون عن الناس بأحوالهم ولهم أطوار وراء العقل لا تدرك بالعقول وإنما تدرك بالنور ويعرفها العارفون.

وقد سمعت من بعض أهل العلم الظاهر أن بعض الفقهاء كان ينكر على بعضهم بعض الأشياء المعقولات فقال له يا فقيه إن هناك أشياء وراء العقل فانظر أين ترانى الآن فنظر إليه فإذا هو فى الهواء وإذا هو مكانه أيضا، وكذلك أخبرنى بعض أهل العلم أيضا أن بعضهم كان لا يرى يصلى فلما كان بعض الأيام أقيمت الصلاة وهو قاعد فقال له بعض الفقهاء قم صل مع الجماعة منكرا عليه، فقام وأحرم معهم وصلى الركعة الأولى، والفقيه المنكر بجنبه ينظر إليه فلما قاموا فى الركعة الثانية نظر الفقيه إليه فرأى غيره يصلى مكانه فتعجب من ذلك، وفى الركعة الثالثة (أى ثالثا غير الاثنين الأولين فازداد تعجبا، وفى الركعة الرابعة رأى رابعا غير الثلاثة فاشتد عجبه فلما سلموا التفت فرأى صاحبه الأول الذى أنكر عليه جالسا فى مكانه وليس عنده

أحد من الثلاثة فتحير مما رأى فنظر إليه الفقير الموله ثم ضحك وقال يا فقيه أى الأربعة صلى معكم هذه الصلاة، انتهى كلامه.

قلت ومثل هذه القصة سمعت أنها صدرت من قضيب البان رضى الله عنه مع بعض الفقهاء.

ومن ذلك ما بلغنى أن الشيخ المعظم الكبير الشأن المعروف بمفرج من أهل الصعيد رضى الله عنه رآه بعض أصحابه يوم عرفة بعرفة ورآه آخر من أصحابه فى مكانه لم يفارقه فى جميع ذلك اليوم فذكر كل واحد منهما ذلك لصاحبه ثم تنازعا وحلف كل واحد منهما بالطلاق من زوجته أنه كما ذكره فاختصما إلى الشيخ وذكر كل واحد منهما يمينه فأقرهما على حالتهما وأبقى كل واحد على زوجته، قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور رضى الله عنه فسألت الشيخ مفرجا رضى الله عنه عن حكمه فى هذه القضية بعدم حنث الاثنين مع كون صدق أحدهما يوجب حنث الآخر وكان معنا فى وقت سؤالى له جماعة فيهم رجال معتبرون لهم معرفة بالعلم فقال الشيخ قولوا يعنى تكلموا فى هذه المسألة وكان ذلك إذنا منه لنا بأن نتحدث فى سر هذا الحكم فتحدث كل واحد منهم بوجه غير كاف وكانت المسألة قد اتضحت لى فأشار إلي الشيخ بإيضاحها فقلت الولى إذا تحقق فى ولايته وتمكن من التصرف فى روحانيته يعطى من القدرة فى التصور فى صور عديدة فى وقت واحد فى جهات متعددة على حكم إرادته فالصورة التى ظهرت لمن رآها بعرفة حق والصورة التى رآها فى مكانه فى ذلك الوقت حق فكل واحد منهما صادق فى يمينه فقال الشيخ مفرج رحمه الله هذا هو الصحيح يشير إلى صحة ما أوضحته فى صورة ما حكم به بين المتنازعين فى أمره رضى الله عنه ونفعنا به.

(قلت) وهذا الجواب يوضح ما يشكل من مثل هذا كما فى قضية الأربعة الذين صلوا صلاة واحدة كل واحد منهم ركعة وقضية الواحدالذى رآه الفقيه فى الهواء وفى الأرض فى وقت واحد وقضية الشخص الذى كان يتكلم فى صورة سهل بن عبد الله، ويحسب الحاضرون أنه سهل وكان سهل فى ذلك الوقت فى منزله وقد تقدمت حكايته رضى الله عنه وغير ذلك مما يشكل على غير العارفين بالله تعالى فأما العارفون بالله تعالى فلا يشكل عليهم ولا يمنعهم ما رأوا من التجريب من حسن الاعتقاد فى المجربين كما تقدم من زيارة الشيخ الإمام أستاذ الأنام شيخ شيوخ

الإسلام إمام الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة علما وعملا ومقاما وحالا وسلوكا وذوقا وكشفا وتحققا مولانا شهاب الدين السهروردى للشيخ على الكردى رضى الله عنهما ونفعنا بهما ومجيئه إليه وتلطفه عليه مع كبر جلالته وعلو منزلته وكونه وحيد دهره وفريد عصره ولم يصده عنه ما قابله به من كشف عورته وما نسب إليه من ترك الصلاة وغير ذلك لما عرف فيه من الولاية التى سبقت بها العناية فانظر رحمك الله وإياى إلى حسن اعتقاد هذا السيد وتواضعه ومحاسن آدابه ومسارعته إلى زيارته مع كونه القادم الذى حقه أن يزار لا يزور رضى الله عن الزائر والمزور، وانظر إلى كثير من الناس كيف يطعنون فى مثل هذا الشيخ على المذكور وينسبونه إلى الزندقة والفجور إلا الموفقين فإنهم يعتقدون وإن لم يعرفوه كما يعرفه العارفون بالله تعالى.

(ولقد سمعت) بعض الفقهاء الكبار فى بلاد اليمن وقد ذكر إنسانا من المجربين والمولهين المشهورين فى عدن وهو الشيخ ريحان وقد تقدم ذكره فى هذا الكتاب وذكرت بعض كراماته رضى الله عنه قال رأيته يفعل بعض الأشياء المنكرة فى ظاهر الشرع جهارا فقلت فى نفسى انظر إلى هذا الفاعل التارك الذى يقال إنه صالح كيف يقدم على هذه المنكرات المحرمات فلما كان الليل احترق بيتى بالنار انتهى كلامه.

قلت وأهل التوله والتجريب كثير لا ينحصر عددهم ولا تحصى كراماتهم ومجدهم ولكن قد يشتبه بهم من ليس منهم ويدخل نفسه بالتزوير معهم من هو خارج عنهم إذ لم يزل فى الناس الكاذب والصادق والطائع والفاسق والصديق والزنديق فإن قلت فهذا يؤدى إلى الالتباس لاختلاف الناس فى الصفات الحقيرات والنفاس، فكيف يعتقد من لا يدرى إلى أى القبيلين يرجع ومن اعتقاده للنفع ينجع فما الجواب فى ذلك.

(قلت) الجواب فيما ظهر لى والله أعلم مبسوطا ومختصرا فأما المبسوط فأقول اعلم وفقك الله وإياي لأحمد الطريقتين وجعلنا جميعا من خير الفريقين اللذين قال فيهم العليم الخبير فريق في الجنة وفريق فى السعير أن حسن الظن بالمسلمين فضلا عن الصالحين باب كبير من أبواب الخير والنفع فى الجلب والدفع أعنى جلب المحبوبات والمحمودات ودفع المكروهات المذمومات فى الحياة والممات وذلك مشهور معروف عند كل من هو بالخير موصوف ولكن لا يمكننا أن نطلق القول باعتقاد كل واحد بل لابد من التفصيل لما تقدم من وقوع الالتباس ثم التفضيل فى ذلك فيه

صعوبة وغموض إذ لا يطلع على بواطن الخلق إلا الحق سبحانه وتعالى أو من أطلعه الله على ذلك ولكنى أقول فى ذلك بحسب ما ظهر لى وانشرح للقول به صدرى راغبا إلى الله بالتوفيق للصواب ومستعينا به ومفوضا إليه أمرى وراجعا فى ذلك إليه ومعتمدا فيما أقصد عليه ومتبرئا من الحول والقوة إلا به فى كل واضح مشتبه وهو حسبى ونعم الوكيل.

فأقول وبالله التوفيق الناس على قسمين: معتقد بكسر القاف ومعتقد بفتحها والقسم الأول على قسمين أيضًا مرتكب منكرا فى ظاهر الشرع مصر عليه عالم به وغير مرتكب لذلك القسم الأول من التقسيم الأول المعتقد الناظر بنور الله عز وجل فهذا القسم حاكم غير محكوم عليه فى اعتقاده لأنه عارف بمن يعتقد وبمن لا يعتقد كما عرفه الله تعالى بمنه وفضله وكرمه، والقسم الثانى منه المعتقد من غير نور ينظر به كأمثالنا نسأل الله الكريم أن يتكرم علينا بجاه الكرام عنده والكلام فى هذا القسم يختلف حكمه باختلاف القسم الثانى وهو المتعتقد بفتح القاف فالقسم الثانى منه وهو غير المرتكب للمنكر المذكور بحسن الظن به مطلقا، والقسم الأول منه وهو المرتكب المذكور على ثلاثة أقسام: الأول منها من يعتقده العارفون المعروفون بالنور والعلم الباطن فهذا نعتقده مثلهم، والثاني منها من لا يعتقده المذكورون فهذا لا نعتقده لوجهين أحدهما ارتكابه المنكر والآخر لموافقة العارفين المذكورين فى عدم اعتقاده، والثالث من الأقسام الثلاثة من لا نعلم هل يعتقدونه أم لا فهذا على قسمين الأول منهما من لم يظهر منه شيء من خوارق العادة فهذا نسيء الظن به لإصراره على المنكر المذكور مع عدم معارضة كرامته أو اعتقاد المذكورين والثانى منهما من ظهر منه شيء من ذلك فهذا على ثلاثة أقسام: الأول منها من يكون معروفا بالديانة والطاعة والعبادة معرفة موجبة لظن مؤكد مستند إلى طول خلطه أو غير ذلك من الأسباب الموجبة للظن القوى فهذا نعتقده لاجتماع الكرامة والدين ونقول ما نسب إليه من المنكر المذكور يحتمل أن يكون له مخرج عنه بأمر باطن خفى علينا كما كان للخضر عليه السلام مع موسى صلى الله عليه وسلم والقسم الثانى من الثلاثة من يكون معروفا بالفسق أو السحر أو الكهانة فهذا نسيء الظن به .

الأول منهما من لم يظهر منه شيء من خوارق العادة فهذا نسيء الظن به ونقدح فيه وننكر عليه لانتفاء الدين والكرامة جميعا عنه لأن هذا الذى أظهره ليس

بكرامة بل سحر وكهانة يظهر أن على يد كل ولى للشيطان أن نعوذ بالله منه والكرامة تظهر على يد كل ولى للرحـمن تبارك وتعالى وليس السـاحر والكاهن من الدين فى شىء وقد يكون بعض السحـر كفراً وكذا المنجم الذى يعتقد أن النـجوم مؤثرة بذاتها والطبيب المعـتقد أن الـطبائع مؤثرة بذاتهـا كافر نسـأل الله الكريم العافـية فى الدين والدنيا والآخـرة لنا ولجمـيع المسلمين آمين، والقسم الثـالث من الأقسـام الثلاثة من يكون مجهول الحال فيما ذكرناه من الديانة مع ظهورالخارق والمنكر المذكورين منه فهذا نتوقف فـيه ونمعن النظـر ونختبـره ونجربه ونبـحث معـه وعنه فى الأقوال والأفـعال والأعمال والأحوال لأجل تعارض فضيلة ورذيلة أعنى الخارق المحتمل للكرامة والمنكر المقتـضى الملامة ونلزم معـه الأدب فى البحث والاخـتبار والمجـالسة فإن ظهـر لنا ما يقتضى إلحاقه بحكم أحد القسمين اللذين قبله ألحقناه بحكمه وعاملناه بمقتضاه وإن لم يظهر لنا منه شىء نظرنا فى المنكر الذى هـو ملابسه وهذا على قسمين فـاحش وغير فاحش فإن كـان فاحشا تباعـدنا عنه إلى أن يظهر لنا ما يقتـضى القرب منه لأنا على يقين من المنكر فى الظاهر والكرامة نشك فيها فى الظاهر والباطن وإن كان غير فاحش قربنا منه إلى أن يظهـر لنا ما يقتـضِى البعد عنه لأن الكرامـة محتـملة وتحسين الظن بالمسلمين مندوب إليه وأما المنكر اليسـير فلا يكاد يسلم منه إلا القليل ووجود الطيب الخالص عزيز جداً وفى مثل هذا قال القائل :

من لك بالمحض وليس محض   يخبث بعض ويطيب بعض

فهذه عشرة أقـسام ثابتة بعد إسقاط ما تكرر منهـا وقد بقى قسم آخر وهو كل مجهول الحال ظهر منه خارق للعادة من غـير ظهور منكر منه فهذا نحسن الظن به ما لم يظهـر لنا ما يقـدح فيه وهذا المـذكور كله الخارق لـلعادة هو إذا حصـل مع عدم التحـدى والدعوى على مـا تقدم فى فصل كـرامات الأولياء من الـشرط والتفـصيل والاستـثناء وكلَ من تعارض فيه مـوجبا مـدح وقدح وتساوى الموجبـان ولم يتراجع أحدهما وشككنا فيـه وخفى علينا حاله توقفنا فيه ولم نـحكم فيه بصلاح ولا طلاح ولا مدح ولا قدح ولا اعـتقاد ولا انتـقاد بل وكل أمره إلى العليم الخبـير الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصـير، هذا ما ظهر لى من الجواب والله أعلم بالصواب،

وأما المختصر من الجواب وإيجاز البسط والإطناب فى هذه التقسيمات والأقسام المذكورات فهو أن نقول الناس على ثلاثة أقسام: قسم نعتقده وقسم لا نعتقده وقسم نتوقف فيه، فالقسم الأول نعتقده بأحد ثلاثة أشياء الأول أن يعتقده أهل العلم الباطن على أى صفة كان، والثانى ألا يصر على منكر ظاهر والثالث أن تجتمع فيه الديانة والكرامة بشرطهما مع الإصرار على بعض المنكرات فى الظاهر، والقسم الثانى لا نعتقده باجتماع ثلاثة أشياء الأول إصراره على منكر فى ظاهر الشرع عالما به، والثانى عدم ظهور خارق للعادة منه والثالث عدم علمنا باعتقاد أهل العلم الباطن فيه، والقسم الثالث نتوقف فيه باجتماع ثلاثة أشياء: الأول ظهور الخارق للعادة منه، الثانى جهلنا بحاله، والثالث إصراره على المنكر المذكور مع علمه به ونبحث معه عنه فإن ظهر لنا ما يقتضى صلاحا أو طلاحا عاملناه بمقتضاه وإلا فإن كان المنكر فاحشا جانبناه وإن لم يكن فاحشا خالطناه، والله أعلم فهذا مختصر الأول فى نحو من سبع كلامه مع استيعاب جميع أحكامه وهذا الذى ذكرته فى المجهول الحال إذا لم يظهر لنا حاله أنا نجانبه أو نخالطه على حسب فحش المنكر وعدم فحشه قلته على جهة الاحتياط وإلا فليس يخفى الولى الصديق والصالح الصادق من الساحر الزنديق والكاهن الفاسق بل يعرف هذا بأدنى مخالطة بل بمجرد رؤيته فليس سيما المقربين والأبرار، كسيما الزنادقة والفجار، وهذا يعرف بالرؤية وليس الآداب كالآداب ولا البركات كالبركات ولا السكون كالسكون ولا الحركات كالحركات، وهذا يعرف بالمخالطة فلو لبس الخبيث بكل ممكن بالظاهر فلا بد أن يرشح من باطنه ما يميز بين رشح نتنه الخبيث وبين رشح طيب الطيب الفاخر، فذاك يفوح من باطنه نتن الفجور ويحرق جليسه كنافخ الكير بالنار، وهذا يفوح من باطنه مسك الطاعة ويحذى جليسه من ريحه كحامل المسك العطار.

يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى   إليكم تلقى طيبكم فيطيب

ولو لبست الشوهاء كل غال وعال من حلى وحلل لم تشبه الحسناء وإن هى عن الحلى والحال تعطلت أين تمويه السراب من المورد العذب الشراب وأين ظاهر القشر من باطن اللباب كل ذلك يعرف ببديهة العقول وفى هذا المعنى أقول :

لعمرك ما شوهـــا بحلى تزينت كحسنا وإن كانت عن الحلى عاطلــه
إذا ما ادعـــت حسنا وتزويرحليها شهود فدعوى صـــاحب الزور باطله

وهذا التفصيل والتقسيم الذي ذكرته فيمن يعتقد ويعتقد بكسر القاف فى الأول وفتحـها فى الثاني من المذكورين لا أعلم أحدا ذكـره ولكن أظن أن كل موفق بحسن الظن فى الفـقراء من الفقـهاء وغـيرهم من أهل الرشـاد يوافقنى على مـا ذكرته من الاعتقاد اللـهم إلا أهل مذهب معروف بالتجسـيم فى بعض البلاد فإنه لا مطمع فى موافقـتهم فإنهم لا يزالون يطعنون فى الألوليـاء والصالحين من الصوفيـة ومن الأئمة العلماء الذين خالف صحيح اعتقادهم باطل اعتقاد الحشوية الحبر المعظم الذى باهى به سيدنا ﷺ موســى وعيسى ابن مريم بقوله : (أفى أمتكمـا حبر كهذا) فقالا عـليهما السلام لا وذلك الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى، روينا ذلك بالإسناد المتصل العالى عن الشيخ الكبـير العارف بالله أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما ونفعنا بهمـا وشهد له أيضا الصديقون بالصديقية العظمى والمقـام العالى البعيد المرمى وفيه قلت :

أبو حامـــد غزال غزل مدقـــق من العلم لم يغزل كذلك بمغـــزل
به المصطفى باهى لعيسى ابن مريـــم له قال صدقا خاليا عن تقـــول
أحبر كهـذا فى حـــواريـــك قال لا وناهيك فى هذا الفخـــار المؤثل
له فى منامى قلت أأنت حجـــــة لإسلامنا لى قـال ما شئت بى قـــل

وذكر الشيخ العارف بالله الخبير الشهير اليمنى أحمد بن أبى الخير الصياد رضى الله عنه ونفع به العـباد كلامـا ثابتا عنه بالإسناد من جملـته أنه رأى فى بعض الأيام وهو قاعـد أن أبواب السمـاء مفتـحة وإذا بعـصبة من الملائكـة قد نزلوا إلى الأرض ومعـهم خلع خضـر ودابة من الدواب فوقفـوا على رأس قبر مـن القبور وأخـرجوا شخـصا من قبره وألبـسوه الخلق وأركبـوه على الدابة وصعدوا به إلى السـماء ثم لم يزالوا يصعـدون به من سماء إلى سـماء حتى جاوزوا السـموات السبع كلهـا وخرق بعدها سبعين حجابا قال فتـعجبت من ذلك وأردت معرفة ذلك الراكب فقيل لى هذا الغـزالى ولا علم لى أين بلغ انتهـاؤه رضى الله عنه وعن علمـاء المسلمين وكـالإمام الشهير الولى الكبـير ذى السيرة الحميدة والمناقب العـديدة محيى الدين النووى رضى الله عنه ونفعنا به وغيرهما مما لا يحصى عددهم من العلماء المحققين والنظار المدققين الصـالحين الموفـقين ولم يزل الطاعنون المذكـورون يتـربصون بعض مـا يعـدونه زللا

لينتهزوه فرصــة، يتخدونها ذريعة إلى بلوغ الأغراض فى التكفيـر وما قدروا عليه من ثلب الأعراض، ولو قدروا على عقوبة لبادروا إليـها لا أقدرهم الله عليها حتى إنهم يأتون إلى كلام فيه نوع استعارة أو مـجاز أو ضرب من المبالغة أو غيرذلك مما يقع فى الكلام الفصيح، ويكسوه زى معنى مليح ويـعده أهل الفضل فى العلوم فضلا للذين لم يزالوا لمعرفة أنواع البلاغة وتحقيق العلوم أهلا ويجعلونه هم كفرا وبدعة وجهلا.

ولم يزالوا حريصين على إظهار ما يعدونه مـساوئ بزعمهم وهى محاسن عند من خبرها وباحثين عن بواطن الفقراء مترجين انكشاف عورة أمر الشارع بسترها وكل من رأوه منفردا عن الناس أو مـتجردا عـما عليهم من اللبـاس أو حافيـا أو حـاسر الرأس أو غير ذلك من هيئات المشمـرين فى الله الرافضين للدنيا الأكياس، قالوا هذا خارج عن الكتاب والسنة والإجماع والقـياس ولم يدروا أن الطريقة العليا فى الكتاب الأسنـى وعزائم السنة الغراء وإجـماع العقلاء وقياس الفطناء الذين فـيهم تقدم قول القائل أولا:

إن لله عبـــادا فطنـــا ... طلقوا الدنيا وخـافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا ... أنها ليســـــت لحى وطنا
جعلوها لجة واتخـــذوا ... صالح الأعمـــال فيها سفنا

هى رفض الدنيا والإعراض عما سوى الله تعالى وليس هى مجرد الرخص وما فيه لنفـوسهم هوى كأنهم لم يسمعـوا قوله تعالى: ﴿**ولا تطرد الذين يدعـون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**﴾(١) الآية وغيـرها من الآيات الكريمات الواردات فى فضل الفقراء وذم الدنيا والهوى وقوله ﷺ فى الأحاديث الصحيحات والشهيرات فى مصـعب بين عمير رضى الـله عنه وذكراها به وتمزقه وفى أويس بن عـامر رضى الله عنه وذكر تجـرده وسيرته وقوله ﷺ فى الأول مـنهما دعاه حب الله ورسـوله إلى ما ترون وفى الثانية لو أقسم على الله لأبره وقوله ﷺ إن البذاذة من الإيمان، وقوله ﷺ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وقوله ﷺ هذا خير من ملء الأرض ذهبا مثل هذا وقوله ﷺ ثم رجل يعتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه، وقوله ﷺ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عـابر سبيل والحديث الذى فيه عبـادته ﷺ مع جماعة من أصحـابه رضى الله عنهم أجمعين لسـعد بن عبادة رضى الـله عنه وليس عليهم قمص ولا قلانس ولا نعال ولا خفاف وغـير ذلك من الأحاديث الواردة فى التقشف وترك الزينة وعدم التـقيد بهيئـة مخصوصـة وكذلك سيرة الزهاد من الصحـابة والتابعين

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

وحكايات العباد من السلف الصالحين رضى الله عنهم فى التجرد وترك الدنيا والاشتغال بالأخرى والانعزال عن الورى والتخلى لذكر المولى سبحانه وتعالى والتغرب عن الأهل والأحباب والأوطان والتشتت فى السياحات فى الفلوات كما قال أحدهم :

ومشتت العزمات لا يلوى على ... أهل ولا مال ولا جيران
ألف السرى حتى كأن رحيله ... للبين رحلته إلى الأوطان

واعجبا من قوم يطعنون فى الصوفية السادات كبارهم كيف عموا عن رؤية محاسنهم الزاهرة وأنوارهم الباهرة ومعالى فخارهم وتزينوا بثلب أعراضهم الطاهرة ولم يقفوا على أغراضهم الظاهرة ويصدقوا صحيحها وصموا عن سماع علومهم البحار الزاخرة ومعارفهم العوالى الفاخرة فلم يعشقوا مليحها وغيره مما ذكره يطول .

(الفصل الثانى) :

فى بيان عقيدة المشايخ العارفين الربانيين المكاشفين والعلماء المحققين والأئمة المدققين رضى الله عنهم أجمعين مختوما بثلاث قصيدات وذكر شيء من الصفات المحمودات والمذمومات .

روينا عن تاج العارفين بالله قطب العلوم اللدنية سيد الطائفة الصوفية الإمام الأستاذ أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه قال أول ما يحتاج إليه من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق حينئذ من المخلوق وصفة القديم من المحدث فيذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه .

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى قطب المقامات ومعدن الكرامات أبى محمد سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه أنه سئل عن ذات الله سبحانه فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مُدْرَكة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا حلول وتراه العيون فى العقبى ظاهرا ملكه وقدرته قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية قلت وقول سهل هذا فى هذا الحسن والتحقيق والتدقيق لمن تأمل ألفاظه .

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله لسان الحكمة ذى العلوم والأحوال والكرامات الجمة أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه سئل عن التوحيد فقال أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنيعه للأشياء بلا علاج

وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات العلا ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى وكل ما تَصَوَّر في وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك قلت وهذا القول أيضا جمع بين الحسن والتحقيق العزيز مع أنه مختصر جامع وجيز، وجاء رجل إلى ذي النون فقال ادع الله لي فقال ان كنت قد أُيِّدت في علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى.

روينا عن الشيخ الكبير الشأن ذي الكرامات والمعارف والأسرار أبي الحسين النوري رضي الله عنه أنه قال لما وصف القرب من الله تعالى أما القرب بالذات فتعالى الملك عنه وأنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدارما اتصل به مخلوق وما انفصل عنه حادث مسبوق جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل فقرب هو في نعته محال وهو تداني الذوات وقرب في نعته واجب وهو قرب بالعلم والرؤية وقرب هو جائز في وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفعل باللطف، قلت وهذا القول أيضا بديع الحسن والتحقيق.

وروينا عن الأستاذ أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه سأل ابن شاهين عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى: ﴿**إنني معكما أسمع وأرى**﴾[1] ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾[2] الآية، فقال ابن شاهين مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله عز وجل وعن الجنيد أيضا أنه قال معنى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لادرك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان وقال أيضا تفرد الحق بعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون وقال أيضا أشرف المجالس وأعلاها مجالس الفكر في ميدان التوحيد، وقال أيضا التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب وهذا هو قول أهل أصول الكلام وهو المعنى القائم بالقلب من معنى الأمر والنهي والخبر والاستخبار.

وسئل الجنيد عن التوحيد فقال يقال إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

---

(١) سورة طـــه : الآية ٤٦ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ٧ .

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله أبا العباس بن عطاء رضى الله عنه أنه قال لما خلق الله الأحرف جعلها سرا له، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك فى أحد من ملائكته، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها صورا لها وهذا القول صريح من ابن عطاء رحمه الله بأن الحروف مخلوقة.

وروينا عن الشيخ الكبيرالعارف أبى بكر الشبلى رضى الله عنه أنه قال جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف وهذا صريح من الشبلى بأن القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلماته، وسئل عن قوله تعالى : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[١] فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى.

وروينا عن الإمام الجليل ذى المناقب والمجد الأثيل سلالة النبوة معدن الفضائل والعلوم والفتوة جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال : من زعم أن الله سبحانه فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك بالله إذ لو كان على شىء لكان محمولا ولو كان فى شىء لكان محصورا، أو لو كان من شىء لكان محدثا، وتعالى الله عن ذلك.

وسئل الشيخ العارف جعفر بن نصير رضى الله عنه عن الاستواء فقال استوى علمه بكل شىء فلا شىء أقرب إليه من شىء.

وقال كثير من الأئمة الكبار العارفين أهل الأنوار والأصوليين النظار استوى معناه استولى كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وذكروا تأويلات أخر يطول ذكرها فى معنى الاستواء.

وقيل للشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أعرشى أنت أم كرسى فقال الطينة أرضية والنفس سماوية والقلب عرشى والروح كرسى والسر مع الله بلا أين، قلت وهذا القول صريح فى نفى الجهة عن خالق الجهات المتعالى عن الحركات والسكنات وسائر سمات المخلوقات.

وروينا عن الشيخ العارف الواعظ لسان الحكمة يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه أنه قيل له أخبرنا عن الله تعالى، فقال إنه واحد فقيل كيف هو فقال ملك قادر، فقيل أين هو فقال بالمرصاد، فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير

---

(١) سورة طـــه : الآية ٥ .

هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرت عنه وقال الشيخ الكبير العارف الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه قيل لصوفى أين الله فقال أسحقك الله تطلب مع العين أين، وقال محمد بن محبوب خادم الشيخ العارف أبى عثمان المغربى رضى الله عنهما قال لى أبو عثمان يا محمد أو قال لك أحد أين معبودك أيش تقول قال كنت أقول حيث لم يزل قال فإن قال فأين كان فى الأزل أيش تقول فال قلت أقول حيث هو الآن يعنى أنه كما كان ولا مكان فهو الآن على ما عليه كان ، قال فارتضى ذلك منى ونزع قميصه وأعطانيه.

وروينا عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبى عثمان المذكور رضى الله عنه أنه قال كنت أعتقد شيئا من حديث الجهمية فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت إلى أصحابنا بمكة أنى أسلمت جديدا.

وروينا عن الأستاذ الإمام أبى إسحاق الإسفراينى رضى الله عنه أنه قال لما قدمت بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسألة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة وكان الشيخ أبو القاسم النصراباذى قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامنا فاجتاز بنا من بعد ذلك بأيام قلائل فقال لمحمد الفراء أشهد أنى أسلمت على يد هذا الرجل وأشار إلى قلت وهذا القول من الشيخ أبى القاسم المذكور تواضع وإنصاف ورجوع إلى الحق واعتراف مع جلالة قدره فإنه كان شيخ وقته، وكذلك قول الشيخ أبى عثمان السابق وكل هذا يدل على أنهم مطهرون من الحظوظ النفسية متصفون بالصفات الزكية أهل الحضرة القدسية.

وقال الشيخ الجليل العارف أبو بكر الواسطى رضى الله عنه ما أحدث سبحانه شيئا أكرم من الروح فهذا صريح منه بأن الروح مخلوقة وقال الشيخ الكبير العارف الربانى أبو القاسم النصراباذى رضى الله عنه الجنة باقية بإبقائه وذكره لك ورحمته ومحبته لك باق ببقائه فشتان بين ما هو باق بإبقائه وما هو باق ببقائه، وهذا القول فى غاية التحقيق فإن مذهب أهل الحق أن صفات ذات القديم باقية ببقائه وأفعاله باقيات بإبقائه فهو تعالى عالم بعالم قادر بقدرة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر حى بحياة، باق ببقاء، فهذه الصفات وسائر صفاته باقية ببقاء ذاته أزلا وأبدا، وأما أفعاله كالجنة والنار وغيرهما فباقيات بإبقائه لها وخالفت المعتزلة فى الصفات فقالوا عالم بغير علم قادر بغير قدرة باق بغير بقاء وكذا سائر الصفات، وخالفت الفلاسفة فى الأفعال الواقعة تحت القدرة فزعموا أنها قديمة ولزم على قولهم الحكم بقدم العالم تعالى الله عنه ذلك علوا كبيرا.

وروينا عن الشيخ العارف ذى الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف أبى

إسحق إبراهيم بن محمد الخواص رضى الله عنه أنه قال انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى أقتله فإنه يقول إن القرآن مخلوق.

وقال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال هو اليقين قال السائل بين لى ما هو فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له فإذا عرفت ذلك فقد وحدته.

(وقال) الشيخ الكبير العارف الربانى على الروذبارى رضى الله عنه وقد سئل عن التوحيد فقال هو استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة كل ما تصورته الأوهام والأفكار فالله سبحانه وتعالى بخلافه لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(١) قلت وهذه الأقوال رواها الشيخ الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى رسالته المشهورة ما خلا ألفاظ يسيرة رواها بعض الأئمة العارفين غيره ثم إن هذه الأقوال تدل على ما ذكره الإمام القشيرى المذكور.

(قال) رضى الله عنه اعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد وصانوا عقائدهم من البدع ودأبوا بما وجدوا عليه السلف الصالح وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم فلذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رضى الله عنه التوحيد إفراد القدم من الحدث وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال الشيخ أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من لم يقف على علم التوحيد يشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف يريد بذلك أن من ركن قلبه إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسر الهلاك.

(قال) الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصروا فى التحقيق عن شيء ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير، قال شيوخ هذا الطريق على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنفاتهم فى التوحيد أن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم، واحد حكيم، قادر عليم، قاهر رحيم، مريد سميع، مجيد رفيع، متكلم بصير، متكبر قدير، حى أحد، باق صمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حى بحياة، باق ببقاء، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء على التخصيص، وله الوجه وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صفات أزلية ونعوت سرمدية، وأنه أحدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شىء من المخلوقات، وليس بجنس ولا بجوهر ولا صفاته أعراض ولا يتصور فى الأوهام ولا يتقدر فى العقول ولا له جهة ولا مكان، ولا يجرى عليه وقت وزمان ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان، ولا تخصه هيئة ولا قدر، لا تقطعه نهاية ولا حد ولا يحمله حادث ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم ولا يقال له أين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهى له بقاء فيقال متى استوفى الأجل والزمان، ولا يقال لم فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بإمارة عن أشكاله، يُرى لا عن مقابلة ويُرى لا عن مماثلة، ويصنع لا بمباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنى والصفات العلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجرى فى سلطانه إلا ما يشاء ولا يحصل فى ملكه إلا ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد ألا يكون خالق أكساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما فى العالم من الاعيان والآثار قليلها وكثيرها ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض إليه ومؤيد سيدنا ونبينا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والذكر وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ، بخلفائه ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه عصم الملة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله عز وجل : ﴿**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[(١)].

قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه دلت هذه المقالات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق فى مسائل الأصول وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما أردناه من الاختصار انتهى كلام القشيرى رحمه الله.

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(وقال) الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخبرى بفتح الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء الفارسي رضى الله عنه أجمعت أئمة هذه الطريقة وسادات شيوخ الصوفية أولى الحقيقة على ما دلت عليه متفرقات أقوالهم ومجموعات أنفاسهم في مصنفاتهم في التوحيد وتأسيسهم قواعد العقائد على أصح الأصول، وأوضح السبيل المصون عن التشبيه والتمثيل والنفي والتعطيل بما عرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الحادث من العدم على أن العالم بأسره جواهره وأعراضه وأجسامه لطيفة وكثيرة حادث ومعنى العالم كل موجود سوى الله عز وجل، والعالم في وجوده مفتقر إلى محدث مخصص أحدثه وخصصه بالوجود الجائز وأن محدثه هو الله تعالى الذى لا إله غيره الموصوف بالصفات الواجبة أزلا وأبدا وأن صفاته على مراتب ثلاثة: المرتبة الأولى: الصفات النفسية وهو أن الله تعالى موجود قديم واحد أحد فرد قائم بنفسه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء. المرتبة الثانية: الصفات المعنوية وهو أن الله تعالى حى بحياة عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر، باق ببقاء ولم يزل ولا يزال وهذه الصفات معان قديمات كالذات قائمات بذات الله تعالى لا يقال فيها إنها هو ولا أغيار له لا يشبه شىء منها شيئا من صفات ما سواه.

المرتبة الثالثة: الصفات الفعلية المستندة إلى الصفات المعنوية على حسب ما وردت في الكتب المنزلة وجرت بها ألسنة ذوى النبوة عليهم الصلاة والسلام انتهى كلام الخبرى رحمه الله.

(قال) الشيخ الإمام المحقق السالك الناسك العارف بالله تعالى شيخ شيوخ الإسلام شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه الله لا إله إلا هو لا ضد له، ولا ند له، ولا تشبيه له، ولا مثل له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا وزير له، ولا نظير له، لا تدرك كنه عظمته الأوهام ولا تبلغ شيئا من كبريائه الأفهام، ولا يعترى ذاته المقدسة التأثر والآلام والتغير والأسقام والسنة والمنام والافتراق والالتئام جل عما يجول به الوسواس وعظم عما تكتنفه الحواس، وكبر عما يحكم به القياس لا يصوره خيال ولا يشاكله مثال ولا ينويه زوال ولا يشوبه انتقال لا يلحقه فكر ولا يحصره ذكر قيوم أزلى ديموم سرمدى لا تحد أزليته بمتى ولا تقيد أبديته بحتى لا يطلق عليه التعيين ولا يتطرق إليه التأيين، إن قلت أين فقد سبق المكان وإن قلت متى فقد تقدم الأزمان، وإن قلت كيف فقد جاوز الأشياء والأمثال والأقران، وإن طلبت الدليل فقد غلب الخبر العيان وإن رمت البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان أول آخر ظاهر باطن، تفانت الأوائل والأواخر في أزليته وأبديته، تفرد في الأزل بنعت العظمة والجلالة قبل الكون والمكان والدهور والأزمان والحين والأوان، فالمكان جواهر وأجسام

خلقهـا والدهر أوقات وأزمان قدرها كل ذلـك موسوم بالحدث عـرفنا المكان والزمان بتعريفه إيانا ولو شاء كوننا لم نعـرف زمانا ولا مكانا وكوننا فى المكان ولو شاء كوننا ولا مكان فعلمنا بأنا لا نكون إلا فى مكان مـن قضايا عقلنا وهذه القضـايا هيأها لنا نعقل بها المعـقول ونعلم بها المعلوم، ولو شاء هيأ لنا غـير هيئاتنا فعوالم قـدرته غير محصورة وغرائب مشيئته غير منكورة، وما نحن فيه من العالم بما نحن فيه من العقل والعلم عالم من عوالمه ولا يستبعد قولى ولو شاء كوننا فى غير مكان فقد كون المكان لا فى مكان إذ لو كان لتسلسل فلا تحصر القـدرة بعقلك إذ العقل قوته أن يـحصر الحكمة، فـأما القدرة فـلا يحصرها فحـدث عن البحر ولا حـرج ومن هذا الأساس تمشت القدرة وثبتت الأمور الأخروية وعلمهـا من علمها وأنكرها من عجز عقله عن إدراكها فمن يكون المكان والمكـون فيه والزمان والمقدر فيه عـالما من عوالمه ويسيرا من عظيم قدره، كـيف يحصره الزمان والمكان فـما أظهر فى عالم الملك والشـهادة عالم الحكمـة والعقل الموهوبين لنا الذى نـتصـرف به موكل بهـذا العالم وهذا العـالم من العرش إلـى الثرى مع العـقل الذى فهمـه وعقله وعلمـه وقسـمه أجـسامـا وجواهر وأعراضا عالم من عـوالمه فصور العالم وكل ما حواه وهو العـالم الذى عقله العقلاء بما فـيه من الأرض والسـماء والماء والنـار والهواء والعـرش والكرسى والجن والإنس والأفلاك والأملاك والألوان والأكوان والأجرام والاصطكاك والشمس والقمر والنجوم إلى أعماق أطباق النجوم بالنسبة إلى العظمة الإلهية أقل وأحقر من خردلة بالنسبة إلى جمـيع العالم ففـرغ بالك عند ذلك من قياسك أنه سـبحانه وتعـالى داخل العالم أو خارج العـالم فما أحـقرك وأحقـر علمك فلو فتـحت عين بصيـرتك استحـييت من قيـاسك وفكرك ووهمك وخيالك أيهـا المحدود المحصور لا ينتج فكرك إلا مـحدودا محصـورا وأيها المحيط به الجهـات لا يحكم علمك إلا بالجهات فالجـهات من جملة العالم وقد علمت نسبته إلى عظمة الله فتبارك الله رب العالمين.

(قلت) هذا الكلام من عقيـدة الشيخ شهاب الدين المذكور اقـتصرت على هذا القدر منهـا إذ استـيعابهـا يطول (وهذه عقـيدة) الشيخ الجليل الإمـام الحفـيل شرف العارفين وإمـام المعرفين قدوة المرادين وسـر عباد الـله المرادين عالى المقامـات وغالى الكرامات الحسيب النسيب أبى عبد الله محـمد بن أحمد القرشى الهاشمى قدس الله روحه ونور ضـريحه ونفعنا والمسلمـين ببركته آمـين. وقد أجمع على فـضلهاكل من وقف عليها من أهل السنة من المشايخ العارفين المحـققين والعلماء الفاضلين المدققين، قال رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله الذى تقدست عن سمة الحدث ذاته وتنزهت عن التشبيـه بالمحدثات صفاته ودلت على وجوده محدثاته وشهـدت بوحدانيته آياته الأول

الذى لا بداية لأزليته، الآخر الذى لا نهاية لسرمديته، الظاهر الذى لاشك فيه الذى ليس فه شبيه، الحى الذى لا يموت ولا يفنى، القادر الذى لا يعجز ولا يعيا، المريد الذى أضل وهدى وأفقر وأغنى، السميع الذى يسمع السر وأخفى البصير الذى يدرك دبيب النمل على الصفا، العالم الذى لا يضل ولا ينسى، المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن التأخير والتقديم لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع ولا بحروف ترجع كل الحروف والأصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك وتعالى له العظمة والكبرياء وله القدرة والسناء وله الأسماء الحسنى والصفات العلا حياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة قدرته ليست لها نهاية فالنهاية بالتخصيص مخلوقة إرادته ليست بحادثة فالحادثة بالأضداد مطروقة سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة علمه ليس بكسبى فالكسب بالتأمل والاستدلال يعلم ولا بضرورى فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ولا بحروف فالحروف تؤخر وتقدم جل ربنا عن التشبيه بخلقه وكل خلقه عاجز عن القيام بكنه حقه بل هو القديم الأزلى والدائم الأبدى الذى ليس لذاته قد ولا لوجه خد ولا ليده زند ولا له قبل ولا بعد ليس بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ولا بجسم فالجسم بالجهة محفوف هو خالق الأجسام والنفوس ورازق أهل الجود والبوس ومقدر السعود والنحوس ومدبر الأفلاك والشموس ﴿**هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس**﴾(١) ﴿**على العرش استوى**﴾(٢) من غير تمكن ولا جلوس ولا عرش له من قبل القرار ولا التمكن من جهة الاستقرار العرش له حد ومقدار والرب لا تدركه الأبصار العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول والقديم لا يحول ولا يزول العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ليس له تحت فيقله ولا فوق فيظله ولا جوانب فتعدله ولا أمام فيحده ولا خلف فيسنده جل عن التحديد والتكييف والتقدير والتأليف والتعبير والتصوير والتشبيه والنظير ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

(قلت) فجميع هذا الذى ذكرت معتقد الشيوخ العارفين الأولياء المقربين أهل العلوم اللدنية والأنوار الساطعة ومعتقد الأئمة العالمين النظار المحققين أهل الحجج القوية والبراهين القاطعة وكلا الفريقين لا يحصى عددهم ولا يجهل مجدهم وقد

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

(٢) سورة طه: الآية ٥.

ذكرت جماعة من الفريق الأول وأما الفريق الثانى فعقائدهم معروفة لا تجهل وهى فى مصنفاتهم مذكورة وفضائلهم فى العلم والدين مشهورة مثل الإمام أبى الحسن الأشعرى والإمام أبى إسحاق الإسفراينى والإمام أبى بكر الباقلانى والإمام أبى بكر بن فورك والإمام أبى المعالى إمام الحرمين والإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى والإمام فخر الدين الرازى والإمام ناصر الدين البيضاوى والإمام عز الدين بن عبد السلام والإمام محيى الدين النووى وغير هؤلاء الأئمة العشرة ممن لا يحصى من علماء الأمة من السلف والخلف من أهل السنة رضى الله عنهم أجمعين لكن بعضهم تكلم فى تأويل الظواهر وبعضهم اعتقد خلاف الظواهر ولم يتكلم فى التأويل وممن حكى ذلك عنهم الإمام محيى الدين النووى رضى الله عنه مع كونه من جملة المحدثين العارفين والفقهاء الفاضلين الورعين الزاهدين الجامعين بين العلم والدين وحكاه فى شرح صحيح مسلم فى الحديث الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له) الحديث قال محيى الدين المذكور هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق والثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعى رضى الله عنهما، أنها تتناول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما تأويل الإمام مالك بن أنس وغيره، ومعناه ينزل رحمته تبارك وتعالى وأمره أو ملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثانى على سبيل الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعى بالإجابة واللطف والله أعلم وانتهى كلام الإمام محيى الدين رحمه الله.

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه ما أسهل على العارف إرشاد الجاهل بأن يقول إن كان المراد من النزول إلى سماء الدنيا ليسمعنا فما سمعنا فلا فائدة فى النزول، وقال أيضا الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء كما قال غيره من الأئمة قال واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى تأويل قوله تعالى : ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾(١) إذ حمل بالاتفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله ﷺ الحجر الأسود يمين الله فى أرضه

---

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

على التشـريف والإكرام إذ لو ترك على ظاهـره للزم منه المحال فكذلك الاسـتواء لو ترك على الاستقرار والتـمكن للزم كون التمكن جسما مماسا للعرش إمـا مثله أو أكبر أو أصغر وذلك محال وما يؤدى إلى المحال محال، تعالى الله عن ذلك المقال.

قلت وهذا الذي قاله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه هو نحو مما قـاله الإمام حـجة الإسلام شـيخه الإمـام المحقق الناقد المدقـق النجيب ابن النجيب أبو المعالى إمام الحرمين رضى الله عنه حـيث قال فإن قالوا ما الذى حملكم على تأويل الظاهـر قلنا الذى حـملكم على تأويل الظاهر أيضـا فى قـوله تعـالى : ﴿وهو معكم أينـما كنتم﴾[1] وقـوله ﷺ : قلب المؤمن بين أصـبـعين من أصـابع الرحمن وقوله (الحجر الأسـود يمين الله فى أرضه) يعنى الذى ألجأكم إلى تأويل هذه المذكورات لاستحالة ظاهرها فى العقل ألجانا إلى تأويل غيرها لاستحالة ظاهرها أيضا فى العقل الذى به عرف الله عز وجل، وبه تعلق التكليف إذ اعتقاد الظواهر يلزم منه التجسـيم والحدوث وغير ذلك من النقص الذى هو من سـمات المخلوقين ولا يجوز على الخالق الملك القدوس الموصوف بالجلال والكمـال الذى ليس كمثله شىء المتعالى عن النظير والمثال.

وسئل الإمام البارع أبو المعالى صـاحب البرهان القاطع إمام الحرمين رضى الله عنه ببغداد هل البـارى سبحانه على العرش، فقـال فى الجواب خلق العرش من ذرة وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة فكيف يكون مستقره قلت لقد أجاد رضى الله عنه بهذا الجواب الوجيـز البالغ المفحم الدامغ فالعرش وإن كان أعـظم المخلوقات فهو لا شىء فى جنب عظمة الخـالق عز وجل، وقال الإمـام مفتى الأنام عز الدين بن عـبد السلام رضى الله عنه فى عقيدته الجليلة النفيسة الجـميلة بعد ما ذكر اعتقاد أهل الحق فى مسائل الأصـول واحتج بالمعقول قال هذا جـمال من اعتقاد الأشعـرى رحمه الله واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة نسـبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح :

يعرفـه البـاحث من خلقـه وسـائر النـاس له منكر

(غيره)

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا

انتهى كلامه وقوله أهل الطريقـة والحقيقة يعنى بهم الصوفية وعقـيدته مشهورة معروفة بالفضيلة بحسن التصرف فى العلوم ونجابة الفروسية فى ميدان مبارزة الخصوم والعقيدة القدسية للإمام حـجة الإسلام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه جمعت بين

---

(١) سورة الحديد : الآية ٤ .

الملاحة والفصاحة والترتيب العجيب والأسلوب الغريب والفوائد الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة والعبارة البارعة والبراهين القاطعة وغير ذلك من المحاسن الفائقة والمعانى الرائقة فهاتان العقيدتان من ملامح عقائد العلماء الفاضلين وعقيدتان أخريان من ملامح عقائد الأولياء العارفين عقيدة الشيخ أبى عبد الله القرشى والشيخ شهاب الدين السهروردى رضى الله عنهما، وجميع ما ذكرته فى هذا الفصل هو معتقد أئمتنا من الأولياء والعلماء رضى الله عنهم وهو مذهب أهل السنة من السلف والخلف وقد صنف أئمتنا فى ذلك مصنفات كبيرات جليلات نفيسات مبسوطات ومختصرات معروفات مشهورات أقاموا فيها الدلائل الظاهرات والبراهين القاطعات من المعقولات والمنقولات وهذا الكتاب عن إيرادها يضيق بل كثرة الطعن والمجادلات به لا تليق إذ هو موضوع للترقيق والتشويق ولكن إذ قد ذكرت عقائد أئمتنا رضى الله عنهم فأنا أذكر الآن عقيدتى معهم على جهة الاختصار وحذف حجج الأصوليين النظار فأقول وبالله التوفيق الذى نعتقد أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى، ولا نقطع بتعيين تأويل منها بل نكل ذلك إلى العليم الخبير الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكذلك نعتقد ما اعتقده العارفون والعلماء العاملون أنه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته لا يقال أين كان ولا كيف كان ولا متى كان ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان تعالى عن الجهات والأقطار والحدود والمقدار لا يحله شيء ولا يحل فى شيء كل يوم هو فى شأن فى أفعاله لا فى ذاته وصفاته لا تهتدى عقول العقلاء إلى إدراك معرفة كنه ذاته المقدسة وصفاته العظمى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وقد جمعت المسائل المعتمدة من العقائد فى ثلاث من القصائد وأودعتها الكتاب المسمى بكتاب الدرر وسأذكر فى الفصل الأخير من هذا الكتاب واحدة منها جامعة للعقيدة وغيرها وبها ختمت كتاب الإرشاد لكونها محتوية على التوحيد وصحيح الاعتقاد وذكر الجنة والنار وتشويق الزهاد والعباد.

وأقدم عليها فى هذا الفصل القصيدتين المسماتين مفاخر الفريقين هداة الطريقتين الصوفية العارفين والعلماء العاملين والقصيدة المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب والسالك.

القصيدة الأولى المسماة راح الأسكار فى اجتلاء عرائس الأنوار من بيض المعارف الأبكار الغانيات للنظار من خلف الأستار الكاشفات الخمار للأولياء الأخيار رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين.

ملوك البـرايا ليس يشقى جليسهم … لم بيض رايات العـلا فى المواقف
حبوا وحظوا خصوا اصطفو ثم قربوا … وولوا وعلوا فـوق كل الطوائف
كما جاهدوا للنفس فى معرك الهوى … وجادوا بها مهرا لبيض المعارف
أنيلوا المنى صافى الهنا عندما اجتلى … بسمر القنا بيض العلا كل عارف
عرائس أنوار بدا من بهائها … لمن يجتليها كالبروق الخواطف
شموس بدت من مشرق الحسن والبها … بنور جمال للمحبين شاغف
محاسنها خلف الستور فواتن … فكيف بها عند اجتلاء لكاشف
شموس الهدى فى حضرة القدس تجتلى … شموس البها إشراق أكفى شرائف
سكارى ولم يسقوا مداما وإنما … سقوا حب حسن جل عن وصف واصف
تراهم غدا بالحب سكرى وغيرهم … سكارى بأهوال عظام المخاوف
فسكرعقار الهول يرحل بعد ما … يشيب به الولدان من كل راجف
وسكر مدام الحب دام مقامه … يربع ندامى الراح من كل راشف
جمال حميا جنة من يشمها … تميل به قبل ارتشاف المعارف
فهم بين مشتاق وباك وضاحك … سرورا وصراخ وراج وخائف
لذكر اللقا والهجر والوصل والجفا … وقرب وبعد ناشر جمع لاقف
وحلت بوادى طور قلب مقدس … خيام نديم بالمعانى اللطائف
معارف تهدى فى بهاها لسادة … هداة إليها بالسلوك عوارف
كنوز الهدى مجرى المعارف والندى … جلاء الصدى شيخى الطواشى المكاشف
دعاوى الهوى دع للذين ارتياحهم … إلى الحق يا مرتاح نحو المعارف
سكارى بمولاهم وأنت بجيفة … فقس إليها بالسلوك عوارف

القصيدة الثانية المسماة عقد الدر الأسنى على جيد الحسنا فى مدح العلماء العاملين السنية أهل المناقب العلية السنية رضى الله عنهم.

بدور الهدى وراث علم نبوة … أناروا دجى الظلما بنور المعالم
فكم فتقوا رتقا بغامض مشكل … وكم رتقوا فتقا بطعن مخاصم
عن السنة الغراء يذبذبون بالقنا … وبيض من العلم الشريف صوارم
وقد حملوا أعلام علم وألبسوا … لباس التقى خيل الرضا فى الملاحم
قولى عداهم من أسنة سنة … بجيش هدى جيش الضلالة هازم
كمثل الإمام الشافعى ومالك … وأحمد والنعمان أهل المكارم
أئمة علم يجتلون بمجده … لبيض العلا الغيد الملاح النواعم
وأصحابهم غر نجاب لها اجتلوا … وقد ضحكت منها ملاح المباسم

ونعم أبو إسحق شيخا مبجلا إماما جلا التنبيه نفع الملازم
وغنت بغزالى العلا وتغزلت به حجة الإسلام نور العوالم
وذو المجد محيي سنة ذو إفادة أجاد النواوى البحر أكرم بعالم
ثلاثتهم أصحاب زهد وعفة لهم سيرة حسناء يا أم سالم
كذاك الإمام الرافعى محمد أبو القاسم المشهور حاوى المكارم
له السنة الغرا أماطت لثامها فكان لها بالفهم أعظم لاثم
فغنى بهم جهرا وبوحى بحبهم ولا تسمعى عذلا ولا تلم ثالم
فمن ذا الذى فى الخلق يسلم عرضه من الخلق والرحمن ليس بسالم
تصانيفهم حسنا عليها سعادة بها النفع ذا العصر والمتقادم
مباركة والكل منهم مبارك أمام نجيب عابد غير سائم
لهم ورع يحكى عظيم وحلية تحلوا بها يحلو بها نظم ناظم
كعقد من الدر المنظم قد زها على جيد حسنا قد سبت لب هائم
لذكر الأحبا فى فؤادى حلاوة محبتهم شيبت بلحمى وفى دمى
كشيخى الفقيه العالم الصالح الرضى محمد البصال أحسن بخاتم

القصيدة الثالثة المسماة معالى المسالك فى مدح المجذوب والسالك وبيان أقسامها وهى أربعة أقسام الأول سالك بعد الجذب

الثانى مجذوب بعد السلوك .

الثالث مجذوب غير سالك .

الرابع سالك غير مجذوب ويقتدى بالأولين دون الأخيرين عند شيوخ الطريقة العارفين المحققين وأول الأولين أفضل من ثانيهما على الأصح عندهم والسالك قبل الجذبة متحمل مشقات ذكرها يطول وحملها يهون والسالك بعدها محمول يسهل عليه السلوك ويهون وقد أشرت إلى الأخيرة منها حيث أقول :

عهدتكم قدما على خيرحالة بها اليوم أنتم سادة وملوك
أتاكم من الرحمن جذب عناية فهان عليكم للوصول سلوك

ومعنى الجذب أنه يفاجئ المجذوبين من أمر الملكوت ما يأخذهم عن نفوسهم ويدهش العقول ولله در القائل الذي يقول وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل :

وإنى لألقاها أريد عتابها وأوعدها بالهجر ما طلع الفجر
فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت لاعرف لدى ولا نكر

وهذه هى القصيدة الموعود بها :

هنيئا لقوم يجتلون معارفا ... بأنوارها بهدى الطريق نجابها
بها قدهدى الهادون من بعد ما هدوا ... فهم للهداية أهلها وصحابها
مشوا في طريق بالعنا سالكينها ... ولما يرعهم حزنها وخرابها
إلى أن بدت بيضا سلوك نقية ... وافنى عداها طعنها وضرابها
فسالكهم بعد اجتذاب وعكسه ... فنى نفسه بعد السلوك اجتذابها
هما دون غير صالحان للاقتدا ... يبين إذا دل الطريق صوابها
ومحمول جذب لايدل فما درى ... طريقا بها القطاع وعر عقابها
ولاسالك من بعد جذب فيجتلى ... معارف مرخى دون تلك حجابها
يفوق بها ها بالجمال إذا بدت ... شموسا بدت لما تنحى سحابها
بفضل وجذب مع سلوك تفاوتوا ... ونيل عطيات عزيز جنابها
فكم بين من فى جنة الحب سالك ... ويسقى كئوس الوصل حال شرابها
وآخر من بعد الشقا فاز باللقا ... وعذب المحبة بعد ولى عذابها
وآخر وافته السعادة نائما ... فجاءت به للوصل يجرى ركابها
وآخر فى وعر الطريقة سالك ... يقول ونار الشوق فيه التهابها
إذا فاز أصحابى بوصل ولم أفز ... يحق لنفسى أن يطول انتحابها

(قلت) هؤلاء الأربعة الأقسام هم أهل الذوق الذين حدا بهم إلى مواطن القرب حادى الشوق وقد تأملت الناس المشار إليهم فرأيتهم ثلاثة أقسام :

القسم الأول الصوفية وهم أهل الحب والشوق والحال والذوق وهم مجذوب وسالك على ما قدمنا ذكره وتفصيله فى ذلك .

والقسم الثانى: الفقهاء المشتغلون بالدرس والتدريس والبحث فى العلم الشريف المبرزون من محاسنه كل فقه دقيق المعنى لطيف ولكنهم فيهم جمود على ظاهر الفقه ويبس ولم يدخل قلوبهم عند ذكر الأحباب والأوطان لين هوى نعمى ونعمان كما دخل قلوب القسم الأول المذكور الذي فيه أقول :

يذكرهم عيشا بنعمان ناعما ... حمام الحمى يغرى نسيم العواصف
تثير الصبا من كل صب صبابة ... فيصبو إلى عهد الصبا والمألف
فهم بين مشتاق وباك وضاحك ... سرورا وصراخ وراح وخائف

والقسم الثالث: متوسط بين القسمين المذكورين أعنى بتوسطهم أن مزجوا شغل

القسم الثانى: وهو العلم بشغل القسم الأول وهو الزهد والورع والعبادة فجمعوا بين العلم والعمل وداخلهم الخوف والوجل ودخل فى قلوبهم الشجية لين هوى نجد ولكن لم يتمكن منها تمكنه من قلوب الصوفية الذين خلعوا العذار ومال بهم الوجد عن ذكر الأحباب والديار وحنت قلوبهم وأنَّت واتصفوا بما قلت فيما تقدم من الأشعار :

وحنت وأنت من جوى لوعة الهوى ... وذكر الأحبا للمحبين شائق
إذا ذكرت وادى العقيق وجيرة ... بذى سلم فاضت دموع سوابق
وإن ذكرت جيران سلع تمايلت ... بوجد وطعم الوجد يدريه ذائق

قلت والقسم الثالث المذكور المتوسط بين القسمين المذكورين على طريقة حسنة محمودة عند كلا القسمين ليس عليها اعتراض ولا فيها طعن من الطرفين وعليها أكثر السلف الصالح السادة لزوم العلم والعمل الذى هو الورع والزهد وأنواع العبادة وهذه الطريقة الوسطى المذكورة وإن كانت بالحسن المذكور مشهورة فليست كطريقة الصوفية التى هي بالجمال العالى مشهورة لأنهم خرجوا لله تعالى عن نفوسهم بالكلية ورضوا بكل مقدور وصبروا على كل بلية أعنى الصادقين منهم والصديقين ، كما قال بعضهم حقيقة المحبة أن تهب كيانك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء ، وقال آخر الرضا سرور القلب بمر القضا.

وقال أحدهم لو جعلنى فى الدرك الأسفل من النار كنت أشد رضا ممن فى الفردوس.

وقال آخر الراضى من سرته المصيبة كما تسره النعمة وقال قائلهم :

إذا أنعمت نعمى على بنظرة ... فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فإن قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعمى بنفسه ... وإن جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

قلت ومن لم يحصل له الجذب من الحق سبحانه وتعالى وأخذ عن نفسه لم يقدر على التخلص من صفات نفسه ولم يحصل له من المعرفة بالله تبارك وتعالى والاطلاع على الملك والملكوت والمشاهدة وتجلى صفات ذى العزة والجبروت ما حصل لمن جذبه الحى القيوم الذى لايموت فمواهب الله تعالى وفضله العظيم عز وجل لايقاس بمثله كسب ولايساويه عمل فليس السالك والطالب كالمجذوب المطلوب ولا المعنَّى المحب كالمنعَّم المحبوب وفى ذلك أقول على لسان المحب المعنَّى وأنوب :

أنا طالب والغير مطلوب من أنا ... بها مغرم أهريق فى حبها دمى
معنى بها والغير فيها منعم ... وكم بين مشغوف معنى وناعم
فلانلت من نعمى نعيم وصالها ... ولاكنت من بلوى هواها بسالم

كم بين الاجتباء والعناية وبين الإنابة والهداية وقد فاوت الحق سبحانه بينهما فى العطاء والنصيب ، فقال عز من قائل الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب لما فاجأ الحق سبحانه المجذوبين بالأمر العظيم الذى هالهم، أخذهم عنه فبقوا به بلاهم ودكدك جبال قلوبهم ونقض بناءها ثم هدم ثم بناها ثانيا أكمل وأجمل وأعلى وأتم وطهرهم من الصفات المذمومات وصفاهم من الكدر وحلاهم بأجمل الحلى وأحسن المحاسن وأحيا قلوبهم ونور أبصارهم وحلاهم بحلى محاسن الصفات المحمودات بعد أن طهرهم من مساوئ رذائل الصفات المذمومات كالحقد والحسد والرياء والسمعة والعجب والخيلاء والكبر والغش والغل وخوف الفقر وسخط المقدور وطلب العلو والرياسة والمحمدة وحب الجاه فى الدنيا والغضب والحمية والأنفة والعداوة والطمع والبخل والشح والرغبة والرهبة من قبل المخلوق، والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء وحب الدنيا والفخر والمباهاة والتنافس فيها والإعراض عن الخلق استكبارا ، والخوض فيما لايعنى وكثرة الكلام والصلف واختيار الأحوال والتذلل والتملق والمداهنة والمدح والذم للمخلوقين والتزين لهم وحب المدح بما لم يفعل والاشتغال بعيوب الناس ونسيان النعم وخلو القلب من الحزن والانقياد للهوى والمشاركة فى أمور الله تعالى والاقتدار فى أمر الله والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة والحرص وطول الأمل والتبختر وعزة النفس والمغالاة لأمر الله جل وعلا والأنس بالمخلوقين والسكون إليهم والثقة بهم والخوف منهم والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة والأمن من مكر الله تبارك وتعالى والغيبة والنميمة والكذب والتصنع والنفاق وخشية الإملاق وغيرها من الأوصاف الرذائل المبعدة عن الله عز وجل، وعن نيل الفضائل، وأما أوصاف المحاسن التى حلاهم بها كالتوبة والتقوى والقناعة والزهد والورع والتوكل والتفويض وحسن النية ورؤية المنة، والخوف والرجاء والصبر والرضا والاحتساب والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن الطاعة والصدق والإخلاص والمحبة والمعرفة وغيرها من أوصاف الفضائل المقربة من الله تعالى وإلى عالى المقامات والمنازل قلت فمن تطهر بتوفيق الله تعالى من المساوئ المذكورات الرذيلة وتحلى بالمحاسن المذكورات الجميلة فذلك عبد اصطفاه الله تعالى ولايقدر على ذلك إلا من أعانه الله وجذبه وتولاه وقربه إليه وأدناه ، وأولئك هم فى الحقيقة عباد الرحمن وغيرهم كأمثال عبيد الهوى والهوان ، وقد مدح الرحمن عز وجل عباده فى القرآن وأضافهم إلى اسمه الشريف فنالوا الشرف الأكمل وفى ذلك

قلت نائبا عن لسان حالهم مستعيرا للبيت الأول :

كفى شرفا أنى مضاف إليكم ... وأنى بكم أدعى وأرعى وأعرف
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا ... فلى شرف منكم أجل وأشرف

وفى مطلبهم العزيز الغالى قلت مستعيرا للبيت الثانى :

أيا ساكنا بالحب فى جانب الحمى ... بعالى مقام فيه غالى المطالب
فديتك حدثنى عن الجانب الذى ... تقدس أن يحظى به كل طالب

الفصل الأخير :

هو ختام الخاتمة فى توحيد الرحمن وطرف من طرف الجنان مختوم بمدح خاتم الأنبياء وتاج الأصفياء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مصدرا بالقصيدة الرابعة المباركة إن شاء الله تعالى الجامعة المسماه شمس الإيمان فى توحيد الرحمن عقيدة أهل الحق والإيقان والتشويق إلى الجنان والحور الحسان والتخويف من النيران ووعظ الإخوان وأسأل الله تعالى الكريم المنان أن ينفع بها ويمن علينا بالتوفيق والغفران والفضل والإحسان مع سائر الأحباب والإخوان والمسلمين أجمعين آمين وهى هذه :

تبارك من شكر الورى عنه يقصر ... لكون أيادى جوده ليس تحصر
وشاكرها يحتاج شكرا لشكرها ... كذلك شكر الشكر يحتاج يُشكر
ففى كل شكر نعمة بعد نعمة ... بغير تناه دونها الشكر يصغر
فمن رام يقضى حق واجب شكرها ... تحمل ضمن الشكر ما هو أكبر
فسبحان من لاقط يبلغ مدحه ... بليغ ومن عنه الثنا متعذر
ففى الفعل فضل عن جميل صفاته ... وعن ذاته كل البرايا تحيروا
تسبحه الحيتان فى الماء وفى الفلا ... وحوش وطير فى الهواء مسخر
وفى الفلك والأفلاك كل مسبح ... نهارا وليلا دائما ليس يفتر
تسبح كل الكائنات بحمده ... سماء وأرض والجبال وأبحر
جميعا ومن فيهن والكل خاضع ... لهيبته العظمى ولايتكبر
له كل ذرات الوجود شواهد ... على أنه البارى الإله المصور
دحا الأرض والسبع السموات شادها ... وأتقنها للعاملين لينظروا
وأبدع حسن الصنع فى ملكوتها ... وفى ملكوت الأرض كى يتفكروا
وأوتدها بالراسيات فما تميد ... وشقق أنهارا بها تتفجر
وأخرج مرعاها وبث دوابها ... وللكل يأتى منه رزق مقدر
من الحب ثم الأب والقضب والكلا ... ونخل وأعناب فواكه تثمر
فأضحت بحسن الزهر تزهو رياضها ... وفى حلل نسج الربيع تبختر

وزان سماء بالمصابيح أصبحت   وأمست بباهى الحسن تزهو وتزهر
تراها إذا جن الدجى قد تقلدت   قلائد در لدر تحقر
فيا ناظرا زهر البساتين دونها   أظنك أعمى وليس للحسن تبصر
ويا من لها إن المحاسن كلها   بدار بها ما لا على القلب يخطر
ولاسمعت أذن ولا العين أبصرت   وما تشتهيه النفس فى الحال يحضر
تزيد بهاء كل حسن وعيشها   يزيد صفاء قط لا يتكدر
من الدر والياقوت تبنى قصورها   ومن ذهب مع فضة لا تغير
وما يشتهى من لحم طير طعامها   وفاكهة مما له يتخير
ومشروبها كافورها ورحيقها   وتسنيمها والسلسبيل وكوثر
ومن عسل والخمر نهران جوفها   ونهران ألبان وماء يفجر
وغالى حرير فرشها ولباسها   وحصباؤها والترب مسك وجوهر
ومن زعفران نبتها وحشيشها   ومن جوهر أشجارها تلك تثمر
فواكه تكفى حبة لقبيلة   أديمت أبيحت لا تباع وتحجر
وأكوابها من فضة لاكبيرة   على شارب منها ولا هى تصغر
بها الكأس يبقى ألف عام على فم   فلا نافد هذا ولا ذاك يضجر
ومن ذهب زاهى الجمال صحافها   يلذ بها عيش به العين تقرر
ومركوبها خيل من النور والبها   ومن جوهر والبخت نور تصور
ركاب من الياقوت والسرج عسجد   أزمتها در تضىء حيث تنظر
وأزواجها حور حسان كواعب   رعابيب أبكار بها النور يزهر
هراكيل خودات وغيد وخرد   مدى الدهر لا تبلى ولا تتغير
نشت عربا أتراب سن قواصر   لطرف كحيل للملاحة يفتر
غوالى الحلى والحلى عين فواخر   زكت طهرت من كل ما يتقذر
ثوت فى خيام الدر فى روضة البها   على سرر الياقوت تغدو وتحضر
وبين جواريها تهادى إذا مشت   على كثب المسك الذكى تبختر
ملاح زهت فى رونق الحسن والبها   وكل جمال دونه المدح يقصر
وما المدح فيمن نشرها وابتسامها   يضىء الدياجى والوجود يعطر
ومن يعذب البحر الأجاج بريقها   ومن حسنها للعالمين يحير
ومن لو بدت من مشرق ضاء مغرب   ومات الورى من حسنها حين تظهر
ومن زوجها يغشى بأول نظرة   إلى وجهها لولا البقا كان يقبر
ومن مخها من خلف سبعين حلة   يرى كيف يقوى مدح تلك ويقدر

ومن هى من نور ومسك وجوهر … فماذا لسان المدح عنها يعبر
وما المدح إلا أن يشبه دانى … بأعلى فأما العكس من ذاك يحقر
وليس لحور والجنان مشابه … ولا عشر معشار ولا شيء يذكر
فخير من الدنيا جميعا خمارها … فأحسن بمن تحت الخمار مخمر
وأحقر بربات المحاسن والتى … بتشبيه أوصاف الجنان تصدر
فما الفضة البيضاء شيبت بعسجد … وما البيض مكنون النعام المستر
بهاء وحسنا ما اليواقيت فى الصفا … وفى رونق ما اللؤلؤ الرطب ينثر
وما الدر ما الرمان ما الريم ما المها … وما البدر ما زبد وشهد وعنبر
ثنايا وكعب ثم جيد ومقلة … ولون ولين ريقها والمعطر
هل الريم فى جيد من القد والبها … كمن جيدها نور ومسك وجوهر
وهل للمها عين كبحر مزاجه … مدام وشهد للمشاهد يسكر
وهل يشبه الرمان نهدين صورا … من النور والله العظيم المصور
وما شبه الرحمن من بعض وصفها … ببيض وياقوت فذلك يذكر
على جهة التقريب للذهن إذ لنا … عقول عليها فهم ماثم يعسر
تبارك منشئ الخلق عن سر حكمة … هو الله مولانا الحكيم المدبر
إذا ما تجلى فى جمال جلاله … تعالى لكل المؤمنين لينظروا
وقد زينت جنات عدن وزخرفت … نسوا كل ما فيها ألما منه أبصروا
جمالا ووصفا جل ليس كمثله … وفضلا وإنعاما يجل ويكبر
نعيم لذات وعز ورفعة … وقرب ورضوان وملك ومفخر
بمقعد صدق فى جوار مليكهم … هنيا لمسعود بذلك يظفر
أيا ساعة فيها السعادات تجتلى … على وجهها در العنايات ينثر
ويا ساعة فيها المفاخر يرتقى … علاها وخلعات الكرامات تنشر
سألتكما بالله هل مع أحبة … لنا فيكما يوم التزاور محضر
وهل أنعمت نعمى بنعمان باللقا … لنا أم نوت فى سرمد الليل تهجر
فإن واصلتنا فالمكارم وصفها … وإن قاطعتنا نحن أدنى وأحقر
ألا عاشقا يشتاق من سكن الحمى … وعيشا هنيا صافيا ليس يكدر
ألا مشتر جنات خلد وخيرها … وحورا حسانا فى الملاحة تفخر
ألا بائع الفانى الحقير بباقٍ … خطير وملك ليس يبلى ويدمر
ألا مفتد من حر نار عظيمةً … ألوف سنين تلك تحمى وتسعر
لها شرر كالقصر فيها سلاسل … عظام وأغلال فغلوا وجرجروا

عصاة وفجار وسبع طباقها   وسبعين عاما عمقها قد تهوروا
وحياتها كالبخت فيها عقارب   بغال وضرب والزبانى ينهر
غليظ شديد فى يديه مقامع   إذا ضرب الصم الجبال تكسر
ومطعومهم زقومها وشرابهم   حميم بها أمعاؤهم منه تنذر
ويسقون أيضا من صديد وجيفة   تفجر من فرج الذى كان يفجر
وقد شاب من يوم عبوس شبابهم   لهول عظيم للخلائق يسكر
فيا عجبا ندرى بنار وجنة   وليس لذى نشتاق أو تلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا   فماذا بقى فينا من الخير يذكر
ولسنا لحر صابرين ولا بلا   فكيف على النيران يا قوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة   على تلك فليتحسر المتحسر
فأف لنا أف كلاب مزابل   إلى نتنها نغدو ولا نتدبر
نبيع خطيرا بالحقير عماية   وليس لنا عقل وقلب منور
فطوبى لمن يؤتى القناعة والتقى   وأوقاته فى طاعة الله يعمر
ومن بعد حمد الله هذى عقيدة   عن السنة الغراء والحق تسفر
وتهدى إلى نهج الصواب متابعا   لها وعقيدات المذاهب تهجر
لها السبل الوسطى الحميدة منهج   شعار الهدى للأشعرية تشعـ
وكم فى حضيض للحشو يهبط لكونها   طريقا بها القطاع تسبى وتأسـ
ولا ارتفعت عالى علو اعتزالهم   ففيها ذئاب ثم وعر يكسر
مشت مع سواد معظم أهل مذهب   عزيز بحمد الله ما زال ينصر
له بيض رايات العلا مع أئمة   شموس الهدى تعدادهم ليس يحصر
فكم حبر تحقيق العلوم وعارف   لأسرار غيب والحقائق أبحر
وها هى لها ألفت فى خمس عشرة   قواف وعشر في طوائف كفر
وها هي لها ألفت فى نظم خمسة   وعشرين تجزى من لها يتدبر
علا ربنا عن كيف أو أين أو متى   وعن كل ما فى بالنا يتصور
ونقص وشبه أو شريك ووالد   وولد وزوجات هو الله أكبر
قديم كلام حين لا حرف كائن   ولا عرض حاشا وجسم وجوهر
مريد وحى عالم متكلم   قدير على ما شاء سميع ومبصر
بسمع وعلم مع حياة وقدرة   كذلك باقيها يلى الكل مصدر
وليس عليه واجب بل عقابه   بعدل وعن فضل يثيب ويغفر

محكم شرع دون عقل وقد قضى ... بخير وشر للجميع يقدر
ورؤيته حق كذاك شفاعة ... وحوض وتعذيب بقبر ومنكر
وبعث وميزان ونار وجنة ... وقد خلقا ثم الصراط وتصدر
عظيم كرامات عن الأولياء وقد ... محا شرعنا العالى الزكى المطهر
شرائع كل المرسلين وأحمد ... خيار الورى المولى الشفيع المصدر
وأصحابه خير القرون وخيرهم ... على وفق ما قدموا ثم أخروا
نجوم الهدى كل عدول أولو الندى ... فضائلهم مشهورة ليس تنكر
وأفضلهم صديقهم صاحب العلا ... ورابعهم فى الفضل ذو الفضل حيدر
وتخليد نار ليس إلا لكافر ... وقبلتنا من أمها لا يكفر
سوى من بتأثير الكهانة قائل ... كذلك من قال النجوم تؤثر
بذاتيهما أو ربنا غير قادر ... كذا غير مختار إذا ليس يعذر
وغير قدير قال أو غير عالم ... أو العلم بالموجود ما الغير يخبر
أو الكليات الرب يعلم لا سوى ... وفى جزئيات عمله متعذر
ومثبت منفى وناف لمثبت ... من الوصف إجماعه له الجل يكثر
ومن باتحاد أو حلول يقول إنه ... قديم يقول العالم الكفر يظهر
وأهل إباحات كذا باطنية ... ومن عنه إسقاط التكاليف يذكر
ومن غلاوة الرفض قال نبيها ... على وهذاك النبى المبشر
ولكنما جبريل أخطأ بوحيه ... بذا الرافض المارق النجس يفشر
ومن ينسب الفحشا لعائشة وقد ... لها برأ الرحمن عنها يطهر
فهاهى حوت مع صغرها ما عساه لا ... يرى فى كثير من عقائد تكبر
ويا أيها الإخوان من كل سامع ... له فهم قلب حاضر يتذكر
إلا إن تقوى الله خير بضاعة ... لصاحبها ربح بها ليس يخسر
وطاعته للمتقى خير حرفة ... بها يكسب الخيرات والسعى يشكر
إذا أصبح البطال فى الحشر نادما ... يعض على كف أسى يتحسر
فطوبى لمن يمسى ويصبح عالما ... على كل شىء طاعة الله يؤثر
بها يعمر الأوقات أيام عمره ... يصلى ويتلو للكتاب ويذكر
ويأنس بالمولى ويستوحش الورى ... ويشكر فى السر أو فى الضر يصبر
ويسلوعن اللذات بالدون قانع ... تقى له قلب نقى منور

حزين نحيل جسمه ضامر الحشا ... يصوم عن الدنيا على الموت يفطر
ويرتاح شوقا لك حبه واللقا ... وخديه من فرط الغرام يعفر
إذا ذكرت جنات عدن وأهلها ... يذوب اشتياقا نحوها ويشمر
ويعلو جواد العزم أدهم سابقا ... وأبيض مجنوبا عن النور يسفر
فأدهم يسقى ماء عين وأبيض ... لصبر على قطع الفيافى مضمر
ويركض فى ميدان سبق إلى العلا ... ويسرى إلى نيل المعالى ويسهر
فمجد العلا ما ناله غير ماجد ... يخاطر بالروح الخطير فيظفر
وإنى إلى أمر أنا فيه آمر ... لأحوج عن غيرى إليه وأفقر
فهذى قصيدى شمس إيمان اسمها ... موحدة عما سوى الحق تزجر
مشوقة نحو الجنان وحورها ... مخوفة النيران عنها تنفر
وواعظة الإخوان من كل مسلم ... لهم فى التقى والدين نصحا تذكر
وليست تراها أهل هذا وإنما ... دعاها إلى ذاك القضاء المقدر
لها من حلى التوحيد والحور حلية ... ومن طيبه طيب به تتعطر
وفت مائة أبياتها حين أجملت ... وستين والله الكريم الميسر
سألت الذى عم الوجود بجوده ... ومن منه فيض الفضل للخلق يغمر
يمن بخلعات القبول مزينا ... لها وجزيل الأجر والنفع يثمر
ويرزقنا التوفيق ثم استقامة ... وغفران ولات وما فات يجبر
وفى روضة العرفان يحيى قلوبنا ... ويسكننا روض اليقين ويحبر
ولى مشتكى إن بث طال وإن يدع ... فأنت الذى بالحال يارب تخبر
بحقك عاملنا بما أنت أهله ... فأنت الذى تهدى وتعطى وتغفر
وأحبابنا والمسلمين جميعهم ... ولا يا كريم العفو بالكل تمكر
وصل على الهادى النبى وآله ... وأصحابه ما لاح فى الأفق نير
صلاة تبارى المسك عرفا مسلما ... سلاما لأكناف الوجود يعطر
وقد آن للشمس الغروب وقاربت ... وآن لكم تستغفروا ثم تعذروا
لناظمها من فى البلاغة قاصر ... ومن هو فى كل الحقوق مقصر
مسىء جرىء يافعى مخلط ... فبالله أدعو الله يعفو ويستر
وتمت وفاح الحمد ختمها ... شذى دونه فى العرف مسك وعنبر

قلت وهذا التشويق والتخويف المذكوران فى هذه القصيدة إنما هو لعموم الناس الذين يشتاقون إلى الجنان والحور الحسان ويخافون من النيران وسائر أنواع العذاب والهوان وأما الخواص العارفون بالله تعالى فاشتياقهم إلى النظر إلى وجه الله الكريم لا يشتاقون إلى نعيم الجنة ولا يخافون عذاب الجحيم.

كما يروى عن ذى النون المصرى رضى الله عنه قال بينما أنا فى بعض البرارى إذا أنا بشاب كما خط عارضاه فلما رآنى ارتعد واصفر لونه وولى هاربا، فقلت له إنسى مثلك فقال وهل الهرب إلا منكم، قال فلحقته وأقسمت عليه أن يقف لى فوقف فقلت له أراك فى هذه البرية وحدك ما معك أنيس أما تفزع، فقال بلى معى أنيس فقلت أين هو فقال هو عن يمينى وعن شمالى ومن خلفى ومن أمامى فقلت له فما معك زاد فقال بلى فقلت أين هو قال الذى رزقنى فى بطن أمى صغيرا تكفل برزقى كبيرا، فقلت له لا بد لك من شىء تستعين به على قُيام الليل وصيام النهار وخدمة الملك العلام وأكثرت عليه فولى هاربا وهو يقول :

ولى الله لا تأويه دار ... ويكره أن يكون له عقار
يفر من القفار إلى جبال ... فتبكى حين تفقده القفار
صبورا فى قيام الليل جدا ... وصواما إذا طلع النهار
يقول لنفسه جدى وكدى ... فما فى خدمة الرحمن عار
يناجى ربه والدمع جار ... إلهى إن قلبى مستطار
إلهى ما مناى منك دار ... من الياقوت يسكنها الجوار
ولا جنات عدن يا إلهى ... ولا شجر تزينه الثمار
ولكن وجهك الباقى مناى ... به فامنن ففى ذاك الفخار

(قلت) وإنما كان الأمر كذلك لأن كل أحد إنما يشتاق إلى محبوبه فمن غلبت عليه محبة الله فى الدنيا لم يشتق إلا لقائه والنظر إلى وجهه الكريم ومن غلب عليه حب الحظوظ من المطعم والمشرب والمنكح والملبس والمسكن كأمثالنا اشتاق إلى الجنة ونعيمها الذى هو محبوبه فلمثل هذا يقال تفكر يا أخى فى أهل الجنة كيف يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الأحمر فى خيام اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أنهار تجرى بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بحور عين خيرات حسان كأنهن الياقوت والمرجان قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان يرى مخ سوقها

من وراء سبعين حلة من حلل الجان وينظر الزوج وجـهه في صدرها أصفى من المرآة لبهـاء نورها لمعان ويطاف عليهم وعـليهن بأكواب وأباريق وكـأس من معين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانو يعملون يأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهـارها لبنا وخمرا وعسـلا في أنهار أرضها فـضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك إذفـر ونباتها زعفران وكـثبانها كافـور وأكوابها من فضة مـرصعة بالدر والياقوت والمرجان فيها الرحيق المختوم الممزوج بالسلسبيل العذب تشرق الأكواب نورا من ضياء وجوهرها يبـدو الشراب من ورائها برقته وحمرته وصفـائه وبهجته في كف خادم يحكى وجهه ضياء الشمس لهم فيـها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عـلى قلب بشر في جنات ونهر في مقـعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون الى وجهه الكريم وقـد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم ينسون بلذة النظر جميع لذات الجنان يتنعمون بذلك على الدوام لا يزالون بين أصناف النعيم يترددون وهم من زوال النعم آمنون.

(وقد روى) في تفسيـر قوله تعالى ومساكن طيبـة في جنات عدن أنه قصر من لؤلؤ بيضاء في ذلك القصر سبعون دارا من ياقـوته حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير ياله من سرير على كل سـرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعـون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصـيفة ويعطى المؤمن في كل يوم من القوة ما يأتى على ذلك كله.

(وروى) أن الرجل من أهل الجنة ليـتزوج خمـسمائة حـوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مـقدار عمره في الدنيا وأن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت عن يمينها وعن شمالهـا سبعون ألف وصيفة وهي تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وأن في الجنة طيرا كـأمثال البخاتي وأن المؤمن ينظر إلى الطير في الجنة فيشتهيه فيخر بين يديه مشويا.

(وروى) في تفسيـر قوله تعالى : ﴿**يطاف عليهم بصحاف من ذهب**﴾[1] انه يطاف بسبـعين صفـحة من ذهب فيـها لون ليس هو في الأخـرى وفي تفسيـر قوله تعالى: (ختامـه مسك) أنه شراب أبيض مثل الفضة يختـمون به شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فـيه ثم أخرجـها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبـها وفي

---

(١) سورة الزخـرف الآية ٧١.

قوله تعالى : (وفرش مرفوعة) أن ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض ولو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلى الأرض ملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعنى خمارها وعلى كل واحد من أهل الجنة سبعون حلة تتلون كل حلة منها في كل ساعة سبعين لونا يرى الرجل وجهه في وجه زوجته وفي صدرها وفي ساقها وترى هى أيضا وجهها في وجهه وفي صدره وفي ساقه.

(قلت) وألوان الحلل المذكورة ترى جميعها لا تستر كل حلة منها ما تحتها من الحلل والطير إذا أكل منه وجد طعم أحد جانبيه مطبوخا والآخر مشويا فيأكل ما يشاء ثم يعود طيرا كما كان ويصفق بجناحيه ويطير إلى رأس الأغصان من أشجار الجنان ليأكل من طيبات الثمار ويشرب من طيبات الأنهار، ويجدون في كل لقمة من طعامهم لذة غير ما يجدون في الأخرى وفي كل شربة من شرابهم لذة لا يجدونها في الشربة الأخرى.

وروينا في كتاب الترمذي عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يؤذن لهم في مقدار جمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم سبحانه وتعالى ويبرز لهم عرشه يتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كثبان المسك والكافور وما يرون أهل الكراسى بأفضل منهم مجلسا. وهذا بعض حديث طويل، وفي كتاب الترمذى أيضا عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدأ سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم).

وفى كتاب الترمذى أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإن أدنى لؤلوة من تيجان أهل لجنة تضىء ما بين المشرق والمغرب قوله الجابية بالجيم مكان فى الشام وصنعاء معروفة فى اليمن وهذه عشرة أحاديث رويناها فى الصحاح فى وصف الجنة وأهلها اقتصرت عليها فى هذا الفصل الآخر ختام خاتمة الكتاب كما اقتصرت أيضا على أحاديث من الصحاح فى ا لفصل الأول من مقدمة الكتاب.

(الحديث الأول) رويناه فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين

يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون وأمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدام عليه السلام ستون ذراعا فى السماء) قوله الألوة بفتح الهمزة عود الطيب والحور جمع حوراء والحَوَر شدة سواد العين مع شدة بياضها وقيل الحور شدة بياض فى الوجه والعين بكسر العين المهملة جمع عيناء وهى الواسعة العين وفى رواية البخارى ومسلم آنيتهم فيها الذهب ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله تبارك وتعالى بكرة وعشيا.

وفى رواية الترمذى على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها.

(الحديث الثانى) روينا فى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال (والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين).

(الحديث الثالث) روينا فى الصحيحين أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (إن فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها) وفى الصحيحين أيضا من رواية أبى هريرة رضى الله عنه يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها.

(الحديث الرابع) روينا فى الصحيحين أيضا عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (إن فى الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضا).

(الحديث الخامس) روينا فى صحيح مسلم رحمه الله عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن فى الجنة سوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا ويرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقولون لهم أهلوهم والله لقد ازددتم حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا).

(الحديث السادس) روينا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرءوا أن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين).

(الحديث السابع) روينا فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله عز وجل له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ﷺ فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة).

(الحديث الثامن) روينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد آن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وآن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وآن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا).

(الحديث التاسع) روينا فى الصحيحين عن جرير رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته).

(الحديث العاشر) روينا فى صحيح مسلم عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى) جعلنا الله الكريم منهم ومن الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (١).

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد العالمين وعلى آله الكرام الطيبين وأصحابه الغر المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين أفضل صلوات الله عدد معلومات الله كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون وعلى جميع النبيين والمرسلين وآل كل والملائكة المقربين وسائر الصالحين آمين.

---

(١) سورة يونس الآيتان ٩ ، ١٠.

وسبحانك اللهم ربا مقدسا لك الدهر كل الكائنات تسبح
بحمدك أشهد لا إله سواك قط تعاليت بل أنت الإله المسبح
وغفرانك اللهم تب ومجالسى فكفر كما جاء الحديث المصحح
عن الصادق المختار صل مسلما على روحه ما غرد المترنح
وبالفضل عاملنا ومعروفك الذى به أنت معروف تجود وتمنح
وقابل بإحسان إساءتنا فلم تزل يا كريم العفو تعفو وتصفح
وأسبل جميل الستر ياذا العلا على فعال وأقوال تسوء وتقبح
وزن بجمال من جمالك قبحها فذو القبح أن يكسى جمالك يملح
فأقوالنا مازانها حسن حلية من الفعل فيها تجتلى وتوشح
ولا كسيت غالى لباس من التقى خيار لباس فيه تغدو وتسرح
ولا أنزلت على مقام مزين بجوهر صدق فيه تمسى وتصبح
فيارب أصلحنا بإصلاح مضغة بإصلاحها كل الجوارح تصلح
وبالخير فاختم ثم جمل فلم تزل بكل جميل من صفاتك تمدح
وصل على مسك الختام محمد سراج الهدى يهدى بنوره مفلح
وتمت ولله المحامد كلها بها يختم القول الحميد ويفتح

(قال) العبد الفقير إلى عفو الله الكريم ولطفه ورحمته وعطفه عبد الله بن أسعد اليافعى اليمنى الشافعى نزيل الحرمين الشريفين عفا الله عنه وكان له وبلغه من الخيرات أمله وختم بالصالحات عمله ووالديه وأحبابه ومحبيه والمسلمين آمين وهذه قصيدة أنشأتها وسميتها مهيجة الأشجان فى ذكر الأحباب والأوطان ومدح المصطفى من ولد عدنان والبيت المعظم الجناب والأركان الجامعة بين شرفى المدوحين النبى المكرم والبيت المعظم وشرفى المكان والزمان الحرم الشريف المحترم ورجب المبارك المحرم ختمت بها كتاب روض الرياحين فى حكايات الصالحين رضى الله عنهم أجمعين وهى هذه :

إذا لعلع البرق الحجازى بلعلع ... تأجج نيران الجوى بين أضلعى
وإن حلمت نشر الخزامى من الحمى ... نسيم الصبا صبت سواجم أدمعى
وإن غنت الورقاء في الأيك أو بكت ... شجتنى وشاقتنى إلى خير مرتع
وأغرت غرامى بالأحبة حيثما ... أقاموا وهاجت لوعتى وتولعى
تذكرنى جيران سلع ورامة ... وخيف منى والمنحنى والأجيرع
سقى الله حيا خيموا بين رامة ... وبين المصلى جوف أطيب موضع
وحيا ثووا بين الأباطح والصفا ... صفا عندهم عيش المحب المولع
بحسناء فى الديباج تجلى موشحا ... مقبلها عنه أماطت لبرقع
فدونك قبل للتى عز وصلها ... وحم فى حماها عن هوى غير مبدع
فما ذاق طعم الوصل من يدعى الهوى ... فبث الجوى سرا هنالك واخضع
وقم بمصلاها تهنَّ بحجرها ... ولله فاسجد شاكر الفضل واركع
ولذ بالجناب العالى ما بين بابها ... إلى ركنها والذيل فالزمه واخشع
ضع الخد والصدر الكئيب بصدرها ... وبث غراما بالتواضع ترفع
وقف بحماها ثم شاهد جمالها ... وذق طيب عيش ناعم وتمتع
تفز بنعيم ثم من رحمة ... وأمن وإحسان وخير مجمع
وقم باكيا قف شاكيا ذا تضرع ... على الباب والزمه ليفتح واقرع
وقل هجركم يولى الشقا وتوسلى ... إليكم بكم يا سادتى وتشفعى
فإن تسعدوا بالوصل فالفضل عرفكم ... عرفتم به فى شرع كل مشرع
وإن تهجروا فالذنب أوجب هجركم ... لعبدكم والعدل ما تفعلوا معى
أنا المذنب الجانى المسىء جواركم ... ولكن رجائى فى نداكم ومطمعى
وأنتم أولو الإحسان والعفو تكرموا ... لجار الحمى الرحب الجناب الموسع
وطف بالحمى ودع ربا ربع عزة ... بجسم وكن وبالقلب غير مودع
وزر ربع ليلى فالمحاسن والندى ... لدى ربعها الممدوح فى كل مجمع
فلا عيش إلا عيش ليلى وعزة ... بوصلهما العالى العزيز الممنع
هما سقتا راح الهوى كل عاشق ... غدا من حميا الحب سكران لا يعى
فكم سبتا بالحسن عقلا لمغرم ... وكم شغفا بالحب قلبا لمولع
وكم تيما كم هيما ذا صبابة ... معنى وذا قلب من البين موجع
فلولا هما لم يذكر الخيف أو قبا ... ولا كان ذكر للعقيق ولعلع
ولم يأت من فج عميق ضوامر ... بطول السرى تطوى فيافى بلقع
إذا طيبة الغرا رأيت جمالها ... وحسن البها فى نورها المتلمع

فقبل رباها واسقها وابل الشجى ... وخلعة أهل الحب صفرا تدرع
وزر روضة من جنة الخلد جوفها ... مصلى حبيب فيه قم بتخشع
هناك لذيذ العيش فانعم مشاهدا ... لملبوس أنوار على الأفق مخلع
تنزه وطالع فى بهاء ربوعها ... وحسن رباها ثم بعد التطلع
ترى فى الوجود النور من قبة البها ... بدا طالعا من مطلع خير مطلع
سراج الهدى الماحى بأنوار وجهه ... ظلام الطغا الغوث الشفيع المشفع
محمد الحاوى المحامد قام فى ... مقام على كل الأنام مرفع
إمام الورى مولى البرايا مخصصا ... بفضل وسر فيه لله مودع
إذا زرت مولانا الحبيب وجنته ... وقمت حذا مغنى أهيل وممرع
فبالله قبل لى ثرى أرض ربعه ... وسلم وقل بعد البكا أو التضرع
عبيدك ذاك اليافعى مؤمل ... نداك الذى قد عم للخلق أجمع
عليك صلاة الله يا معدن الندى ... ويا ملجأ للخلق فى كل مفزع
وتسليمه داما يضوعان مندلا ... ومسكا بقبر للمكارم منبع
مدى الدهر ما لاحت بوارق فى دجى ... وزمجر فيه صوت رعد مقعقع
وباتت عيون المزن تبكى بدمعها ... على ثغر زهر ظل يضحك مرتع
وآل وصحب أهل مجد ونجدة ... ببيض وبيض كم بها من مقطع
وسمر عوال كم علوا من علائها ... وكم مزقت من مارق جوف مصرع
إذا هاجت الهيجا علوا كل أكمة ... للقيا القنا شوقا تطير بأربع
وقد لبسوا فى الناس من نسج صانع ... لبوسا لها لم غير داود يصنع
وما منهمو فى كل خوف وغفلة ... وجهد وفقر فى المجاعة مدقع
سوى أسد فى الحرب فى الليل عابد ... وفى العلم مصباح وفى المحل مشبع
ضراغيم كم ذا قد غدت فى الوغى فلم ... تدع كل قرن ثم غير ممزع
إلى أن علا دين الهدى بأولى الندا ... وزال الصدا عن نوره المتشعشع
فأمسوا نجوما حول بدر متمم ... بأعلى سما المجد الأثيل المرفع
ولا سيما زهر إذا غاب بدرها ... أضاءت بها الظلماء فى كل موضع
كصديقهم ذى المجد سابقهم إلى ... علا كل فضل نافيا كل مبدع
مقام نبى قام يوم ارتداد من ... مشى القهقرى لم يعط حقا ويسمع
فضاءت بهم ظلما دياجى ارتدادهم ... رجوعا إلى دين الهدى خير مرجع
له مفخر فى الغار حيا ومفخر ... له ميتا فى مضجع خير مضجع
وكم مفخركم من مناقب كم علا ... وكم سؤدد فى فضله المتنوع

وفاروقهم نافى الطغا منه بالوغى بقيصر أو عاد وكسرى وتبع
ومن عجب أن الملوك تهابه وتخشاه ناه فى قميص مرقع
لها عن لذيذ العيش مجدب منزل وغيث نداه مخصب كل مربع
سراج جنان الخلد محمود سيرة نطوق بحق خائف متورع
وذى النور والبرهان والحلم والندى خشوع وللقرآن تال مجمع
قنوت الدياجى والعيون هواجع بلذة عيش فى التهجد مولع
لقد منه تستحى ملائكة السما فما ضره إذ بالسيوف مبضع
وليث العدى نور الهدى معدن الندى جلاء الصدا بحر العلوم المنقع
مفيد المعالى ذا المكارم والعلا مبيد الأعادى بالكميت المقنع
مطلق دنياه ثلاثا ومن أتى طلاقا ثلاثا لم يراجع ويرجع
وسبطين من عليا المفاخر توجا بتاج على الرأس الممجد مخلع
وعمين أيضا عمما بعمامة من المجد من فخر الصفى المشرع
كذلك باقى عشرة سادة أولى مناقب جلت سابقى كل مسرع
وزهرا زهت بالفخر مع كل زوجة من العز فى العليا بأشرف موضع
وماذا عسى مدحى بنظم قصيدة فضائل كم نوع لها متنوع
وكل من الأنواع أصل لمفخر وللأصل كم فرع كثير التفرع
وكل من الكل استمد بغرفة من الفخر من بحر الفخار المشفع
سيدرى أبو جهل إذا جمع الورى لمن شرف العليا بأعظم مجمع
إذا ما لواء الحمد أحمد شاله ولم يبق ذو مجد له غير متبع
وكل الكرام الرسل تحت لوائه غياث الورى من كل هول مروع
ثنيت عنانى والوجود فخاره وما سرت فى مدحى له قدر أصبع
فها هى للتقصير أرخت من الحيا على وجهها الميمون زاهى برقع
وكانت نوت من جوهر اللفظ تجتلى بدر بياقوت المعانى مرصع
ولف ونشر مستعيرا موشحا مدائح تطريز الطباق المرجع
مقابل جنس رد صدرا موشحا على عجز بالالتفات مصرع
ورب مليح من حلى ومن حلا ومن حلل سامى التقى المتورع
وكان لها وقت شريف وموضع منيف عزيز لا يرى بمضيع
بأيام بيض غر شهر محرم دعى رجب الميمون شهر التطوع
حذا كعبة غرابها اليمن قبلة لكل الورى من ساجدين وركع
وفت مائة أبياتها الزهر ضمنها لذى الحب كم ساج لعينيه مدمع

مهيجة الاشجان تغرى ذوى الهوى | بشوق إلى ربع الأحبا مزعزع
إذا ما بها غنى الحداة تمايلوا | وهان بعيد فى ذهاب ومرجع
فإن كنت مثلى عادم الشوق والهوى | فأصغ عسى يشتاق قلبك واخشع
فيا رب أصلحنا وزين قصيدتى | بحسن قبول واغفر الذنب وانفع
بها ناظما مع حافظيها وكاتب | وقارئها والحاضر المتسمع
كذلك راويها وها قد أجزتها | ومالى من نثر ونظم مسجع
ومن كتب ألفتها أو قرأتها | وما حاز راو عن مجيز ومسمع
لمن صار يرويها وكل محصل | لأصل على شرط على ذاك مجمع
ختمت بها روض الرياحين ذاك فى | حكايات فضل الصالحين مجمع
وتمت وحمد الله مسك ختامها | وغفرانك اللهم يا خير من دعى

قال مؤلف هذا الكتاب كان الله تعالى له وبلغه من الخيرات أمله وختم بالصالحات عمله وأحيا به المسلمين آمين قد حصل والحمد لله فى هذا الكتاب بشارات خير إن شاء الله تعالى بشرنى بها جماعة من أهل الخير والصلاح ممن أعتقدهم وألتمس بركتهم فينبغى أن يتعظ بهذا الكتاب ويتبرك بسماع ذكر من فيه من السادة ويحسن السامع الظن ولا ينكر ما فيه من أحوالهم الخارقة للعادة وهأنا أذكر بعض البشارات المذكورة تحسينا لظن السامع وترغيبا فى هذا الكتاب الجامع فأقول: أخبرنى أحد الجماعة المذكورين أنه حين كان الناس يسمعون علىّ هذا الكتاب بقرب الروضة الشريفة كان قاعدا يسمع فأخذه ما يأخذ الفقراء من الوجد والغيبة فرأى ثلاثة قد خرجوا من القبة الشريفة العالية المنيفة وأحدهم وجهه كالقمر فجلس فى الروضة وجلس أحد صاحبيه عن يمينه والآخر عن يساره واستقبلوا الجماعة الحاضرين للسماع ولم يزالوا كذلك إلى آخر المجلس وذكر أنى لما فرغت من الدعاء التفت الأوسط بوجهه المنير إلى صاحبه الذى عن يمينه وتبسم ثم قاموا فدخلوا فى القبة والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا كما هو أهله وجزى الله سيدنا محمد ﷺ عنا أفضل الجزاء وأولاه أفضل الصلاة والتسليم وكذلك أخبرنى أيضا آخر أنه رأى فى المنام كأنى مع جماعة من مشايخ الصوفية الفضلاء فى الحرم الشريف المبارك وهم يسمعون هذا الكتاب فقال وعليك ثياب بيض فاستغربت ذلك فأراد بعض الشيوخ أن يتكلم على هذا الكتاب فقال له الجماعة أو بعضهم دعه يتكلم وأشاروا إليه بالكلام.

وكذلك أخبـرنى أيضا آخر أنه رأى فى المنام كأنى مع بعض المـشايخ الصالحين فى الروضة المباركة الشريفة ومعنا بعض الأصحاب ونحن مجتمعون على هذا الكتاب وكذلك أرسل إلى فى وقت تأليف هذا الكتاب بعض الأولياء من بعض البلاد البعيدة يبشـرنى ببشارة أرجـو من فضل الله العظيم المؤمل حـصولها إن شـاء الله عز وجل وصلى الله على سيدنا مـحمد النبى الكريم وعلى آله وأصحابه أجمـعين والحمد لله رب العالمين تم كتاب روض الرياحين فى مناقب الصالحين للشيخ الإمام العالم العامل اليمنى الورع ولى الله تعالى عفيف الدين عبد الله بن أسـعد اليافعى الشافعى اليمنى قدس الله روحـه ونور ضريحه ورضى عنـه وأرضاه وجعل الجنة مـأواه ورحم سلفه وكان الفـراغ من تعليقه يوم الجمـعة المباركـة قبل صلاة الجمـعة بالمسجد الحـرام تجاه الكعبة المشـرفة بيت الله الحرام زاده الله شرفا وتعظيـما سلخ رجب المعظم سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وسلام الله على عباده الذين اصطفى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تـم الكتـاب بحمد الله

وأرجو من الله عز وجل أن ينفع به المسلمين فى مشارق الأرض ومغـاربها.

وأن يبارك لمن طبعه وصححه ونشره وقارئه.

المكتبة التوفيقية
امام الباب الأخضر - سيدنا الحسين